المجلد الاول من شرح الشفا العمر العرضي الحلبي ق ١٩

١٠١٧

عدد ورقه
٤٢١

المجلد الاول
١

٣٢٠

لا اله الا الله محمد رسول الله
صادق الوعد الامين

المجلد الاول من شرح الشفا تاليف العالم العلامة الشيخ عمر العرضي الحلبي الشافعي

رحمه الله وجزاه افضل الجزاء

آمين

NURUOSMANIYE K.
Kısmı : Nuruosm.
Yeni Kayıt No. 734/1
Eski Kayıt No. 1017
Tasnif No. 297.2(077)=927

1017

وقف عمدة ملوك الدوران وسلسلة نخبة آل عثمان محيي السنة امام الامة
السلطان ابن السلطان السلطان ابو المحاسن والمواهب عثمان خان
ابن السلطان مصطفى خان لا زالت ايامه مصابيح الانام
ومتابعة الجملة مصابيح الايام وانا الداعي
لدولته الحاج ابراهيم حنيف المفتش باوقاف الحرمين
المحترمين
غفر له

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل شفا القلوب في متابعة سيد الانام • وارتياح الارواح في دفع
الشكوك عن القلوب والاوهام • والسعادة الابدية في درء الشبه بالوصول الى
اليقين التام • والصلوة والسلام على نبي ازال عن الملة الحنيفية الغبار والقتام •
وبين دين الله عز وجل بيانا تاما فوصل بفهمه الى الاذهان الخاص والعام • محمد بن
عبد الله النبي الامي المنعوت في الكتب السالفة بانه الماحي للشرك والمزيل
للظلام • وعلى اله وصحبه الذين قاموا في نصره وتاييده حق القيام • وبذلوا في ذلك
المهج والاموال وزهدوا في الخيول المسومة والانعام • وبعد

فيقول الفقير عمر بن عبد الوهاب بن ابرهيم العرضي الشافعي القادري سائلا من
ربه عز وجل المعونة والاسعاف • راجيا من مولاه تعالى ان يعامله بالخفي من
الالطاف • معترفا بالقصور في مقالته • مستغفرا عما جنى من ذنبه وزلته •
احق ما جنيه المكلف ايام حياته • وما يجتهد فيه من يريد الوصول الى اسباب
السعادة الابدية قبل مماته • وما يصرف فيه الاوقات • وما تتصرم في طلبه
اللحظات • كل ما اوجب تصديق هذا النبي الكريم فيما جاء به من عند ربه • وقمع
ما يكيده الشيطان اللعين ووسوسته لذويه وحزبه • وان كتاب الشفاء
للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المالكي لمن اجمع الكتب بيانا لحقوق
سيد الانام • واقربها تناولا للمقصود لمن اراد الوصول الى السعد الابدي
يوم الزحام • جامعا لبيان حقوقه صلى الله عليه وسلم على حسب الطاقة البشرية •
والا فاستقصا كمالاته لا يحيط به الا من منحه هذه الرتبة العلية • وقد احتوى

على بيان معجزاته مع اختصار العبارة الوفية • وذلك مما يوجب قطع الشبه
من اصلها • ويوصل العبد الى درجات اليقين ويجعله من ذويه واهلها •
وكثيرا ما كان يقع في خلدي ان اشرحه شرحا يفي ببيان مراده • ويكشف
عن خفايا مقصوده ومفاده • وكان يعيقني عن ذلك ما ال اليه امرنا في هذه
الاعصار من كساد العلم واهله وتفاقم المحن والاكدار • وارتفاع شان اهل الجهل
وعلو مقدار الاشرار • وظهور الفتن في كل مكان • وخراب الاقاليم والبلدان •
ثم ان الله عز وجل الهمني ان اقتصر على خويصة نفسي في قعر داري • وان
ارد علمي الى العمل وابكي على تقصيري واوزاري • وان اقنع النفس من العيش
بالقلة • وان اكف فوادي عن التعلق بهذا العصر واهله • فلما من الله عز وجل علي
بالتوفيق الى ذلك • وكنت ولله الحمد والمنة من سالكي هذه المسالك • جردت عزمي
راجيا من الله عز وجل القبول • الى شرح هذا الكتاب ملتجئا الى الله عز وجل في نيل
البغية والسول • فشرحته شرحا كما اردنا • ووفى بالمقصود طبق ما قصدنا •
وسميته بفتح الغفار بما اكرم الله عز وجل به نبيه المختار • على اني لم
اقف على شرح لهذا الكتاب سلك فيه ما يليق به من البيان • ويظهر
خفياته ويوصلها الى الاذهان • سوى ان شيخ اشياخنا قطب الدين
عيسى الايجي كتب على قطعة منه وصل الى اثنا الباب الثاني منه وذلك قدر
يسير وقد وقفت عليها سنة احدى وسبعين وتسعمائة في تركة شيخنا
ابن الحنبلي لحظة واحدة ثم اني لم ارها بعد ذلك اصلا ولم ادر لمن الت
ثم تتبعه في ذلك شيخنا رضي الدين محمد بن التاذفي الحنفي المعروف بابن الحنبلي

فوصل الى الباب الثالث ولم يزد على ذلك وقد زاد على ما كتبه شيخنا فوائد التقطها
من تعليقة حافظ بلدنا برهان الدين الحلبي لان شيخنا لم يقف على هذه التعليقة
واما حواشي الشمني وابن رسلان والقسطلاني فتلك تشتمل على تفسير
الالفاظ وبيان المفردات لا على بيان الحقائق واستخراج الفوائد الخفيات
وقد جا هذا الشرح مشتملا على امور الاول ما هو وظيفة الشراح
من بيان مقصوده واظهار مراده الثاني ايضاح ما استعمل من اللغات الغريبة
وارتكبه من الاساليب العجيبة الثالث رد ما اشكل من تراكيبه الى قواعد علم
العربية الرابع ترجمة من ليس مشهورا من الرجال الذين جرى ذكرهم فيه
الخامس بيان وجه استشهاده بالايات القرانية والاحاديث النبوية
السادس ان المصنف يورد الاحاديث والاثار ويشير الى القصص والاخبار
غير معزوة الى مخرجها وهذا هو الغالب على صنيعه ولم ادع ولله الحمد حديثا
ذكره غير معزو الا عزوته الى مخرجه وبينت كونه صحيحا او حسنا او ضعيفا كما
ستقف على ذلك كله وكذلك افعل في الاثار والقصص السابع انه لا يذكر من الحديث
الا محل الشاهد وقد يكون الحديث طويلا فانا اذكر الحديث جميعه وفي ذلك فائدة
لانه ربما يكون الاستشهاد به خفيا فيظهر بذكر الحديث كله الثامن انه ربما ذكر
مدعى بغير دليل فانا اذكر لمدعاه دلائل متعددة وربما ذكر دليلا فيه نظر فانا اذكر
لمدعاه دلائل متينة التاسع استقصاء ما اورده فيه من المباحث المتعلقة
بالاعتقاد والاشكالات الواردة في الاحاديث والاثار التي استشهد بها
وذكر ما يتعلق بها من اي فن كان كما ستري ذلك مفصلا في محاله هذا

واني اروي كتاب الشفا عن جماعة منهم شيخنا عالم دمشق وفقيهها بدر الدين
ابن رضي الدين العامري الغزي الشافعي وعالم حلب ومفتيها تاج الدين ابو نصر
عبد الوهاب بن ابرهيم بن محمود بن علي العرضي الشافعي والدي وعالم حلب ومحققها
رضي الدين محمد بن ابرهيم بن يوسف الحنفي التاذفي ثم الحلبي المعروف
بابن الحنبلي وشيخنا العلامة النحوي الاثري محمد بن مسلم التونسي ثم الحلبي
المالكي وشيخنا الفقيه الصالح المعمر ناصر بن ابي بكر بن علي السماع الشافعي
العزازي الحلبي خطيب جامع المهمندار وامامه والشيخ الصالح الصوفي
علاء الدين علي بن عبد الرحمن العمادي شيخ الطائفة الاردبيلية بحلب وشيخنا
العالم الفاضل الصالح ابو الوفا ابن ولي الله علوان الحموي الشافعي الشاذلي
شيخ الطائفة الشاذلية باقليم الشام وعالم مصر ومحدثها وشيخ الحديث بها
نجم الدين الغيطي الشافعي اما شيخنا الرضي ابن الحنبلي فاني ارويه عنه
اجازة قال فاخبرني بجميع هذا الكتاب قراءة لبعضه واجازة لباقيه العلامة
المحدث المفسر احد شراح السيد قطب الدين عيسى ابن السيد صفي الدين
محمد ابن السيد نور الدين عبيد الله الايجي الشافعي قال اخبرني به اجازة جدي
السيد نور الدين المذكور عن ابيه السيد علاء الدين محمد عن جده ابي ابيه السيد
عفيف الدين محمد الايجي وعن الحافظ برهان الدين الحلبي سبط ابن العجمي اجازة منه
انتهى فقوله وعن الحافظ معطوف على قوله عن جده ابي ابيه الذي هو اقرب مذكور
بصيغة عن فيكون الاخذ عن البرهان الحلبي السيد علاء الدين الايجي ثم قال شيخنا
ابن الحنبلي واخبرني به غالبا والدي الشيخ الفاضل برهان الدين ابرهيم بن يوسف

ابن عبد الرحمن الشاذلي الحنفي قراءة لبعضه واجازة لباقيه قال اخبرني به
اجازة جدي لامي قاضي القضاة وشيخ الاسلام المحب ابو الفضل ابن قاضي
القضاة وشيخ الاسلام المحب ابي الوليد محمد بن الشحنة الحنفي قال اخبرني به
الحافظ برهان الدين الحلبي الشافعي سبط ابن العجمي قال السيد عفيف الدين
ارويه عن ابي امام السنة وقامع البدعة السيد نور الدين محمد الايجي عن
الشيخ جمال الدين محمد بن علي الخزرجي المصري عن الشيخ يوسف الدلاصي عن
ابي الحسين بن تامتيت عن ابي الحسين بن الصائغ عن المولف وقال
البرهان الحلبي ارويه عن الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن احمد بن ابي زبالحق
سماعي لجميعه عليه بسماعه له اجمع بقراءة ابي عبد الله محمد بن علي بن ايبك المعبقي
عن الشيخ يوسف الدلاصي قال اخبرنا به الشيخ ابو العباس احمد بن اللواتي
عن ابي الحسين بن الصائغ عن المولف واما شيخنا ابو الوفا ابن الشيخ
ولي الله علوان فانه اخبرني به اجازة بالمكاتبة قال اخبرني به الزيني زين الدين
عمر بن احمد الشماع الحلبي قال ابن الشماع اخبرني به المشايخ الخمسة عالم حلب
بدر الدين حسن ابن السيوفي وشيخ الطلبة برهان الدين الضرير الكردي
الحلبيان الشافعيان وشهاب الدين احمد الشويكي الدمشقي الحنبلي
وزين الدين ابو بكر بن محمد الشافعي والصوفي شمس الدين محمد بن الحطاب
المكي المالكي سماعا من لفظ الاول لبعضه ولمجالس بقراءة غيره عليه بالحجازية
من الجامع الكبير الاموي بحلب وقراءة على الاخير من اوله الى قوله القسم الاول في
تعظيم العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا ومن قوله فصل وسب آل بيته

وازواجه

وازواجه واصحابه عليه الصلوة والسلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله الى اخر
الكتاب بمنزله بشبيكة من مكة المشرفة وسماعا لجميعه ملفقا على الباقين
متفرقين فعلى الاول منهم بحلب بقرائتي من اوله الى الفصل الخامس من الباب
الاول من القسم الاول ومنه الى الباب الرابع من القسم الثاني سماعا على الثاني
من الباقين بصحن المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة ومن المحل المذكور الى اخر
الكتاب سماعا من لفظ الثالث قال البدر السيوفي والبرهان الضرير اخبرنا
به العلامة ابو الحسين عبد الله بن احمد بن عبيد الله العثماني سماعا عليه
بفوات قال اخبرنا به القاضي ابو القسم احمد بن يزيد بن بقي المخلدي قال اخبرنا به
الامام ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبيد الله الحجري قال ابن الحطاب المكي المالكي
اخبرنا به شمس الدين محمد بن ابي الفرج المدني قال انبانا به يحيى الاقصرائي
الحنفي القاهري قال اخبرنا ابو الطاهر بن الكويك قال اخبرنا به يوسف الدلاصي
قال اخبرنا به يحيى بن احمد بن تامتيت اللواتي قال اخبرنا به ابو الحسين بن
الصائغ قال اخبرنا به المولف واما شيخنا بدر الدين بن رضي الدين الغزي
ثم الدمشقي العامري فاني ارويه عنه اجازة بالمكاتبة قال اخبرنا به قاضي
القضاة زكريا الانصاري واما شيخنا الوالد فاني ارويه عنه قراءة لبعضه
واجازة لباقيه قال اخبرنا به قاضي القضاة زكريا الانصاري واما شيخنا
ناصر بن ابي بكر المزازي فاني ارويه عنه اجازة قال اخبرنا به قاضي القضاة
زكريا الانصاري واما شيخنا نجم الدين الغيطي القاهري فاني ارويه عنه اجازة
بالمكاتبة قال اخبرنا به القاضي زكريا الانصاري قال القاضي زكريا اخبرنا به ابو عبد الله

[... رابع بن تامتيت]

القاياتي عن ابي حفص سراج الدين عمر بن الملقن شارح البخاري قال اخبرنا
به ابو الفتوح الدلاصي قال اخبرنا به ابن تامتيت قال اخبرنا به ابن الصائغ الانصاري
قال اخبرنا به مولفه القاضي عياض وقال شيخنا ناصر بن ابي بكر الغزازي اخبرنا به عز الدين
ابن فهد الهاشمي المكي قال اخبرنا به جدي تقي الدين محمد ابن فهد عن ابي الطاهر بن
الكويك عن الدلاصي الى اخر سنده المتقدم **واما** شيخنا ابن المسلم فاني سمعت
بقراءته وقراءة غيره عليه قطعة من الشفا وهو يروي عن البرهان العمادي
عن ابن فهد الى اخر سنده المتقدم فكان سند شيخنا البدر الغزي والد
والشيخ ناصر الغزازي والنجم الغيطي لهم العلو بالنسبة الى باقي شيوخنا كما لا يخفى

فصل في ترجمة المصنف هو الامام العلامة الحافظ الاوحد
القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي
الاندلسي ثم السبتي المالكي تحول جدهم من الاندلس الى فاس ثم سكن سبتة
قال ابن الزبير ولد سنة ست وعشرين واربع مائة في نصف شعبان ولم يكن
احد بسبتة في عصره اكثر تآليف من تآليفه له كتاب الشفا وكتاب ترتيب
المدارك في ذكر فقهاء مذهب مالك في مجلدات وكتاب العقيدة وكتاب شرح
حديث ام زرع وكتاب جامع التاريخ الذي اربى على جميع المولفات جمع فيه
اخبار ملوك الاندلس والمغرب واستوعب فيه اخبار سبتة وعلمائها وكتاب
مشارق الانوار في اقتفاء صحيح الاثار في الموطا والصحيحين قال ابن خلكان
في وفيات الاعيان هو امام الحديث في وقته واعرف الناس بعلومه وبالنحو واللغة
وكلام العرب وايامهم وانسابهم قال ومن تصانيفه كتاب الاكمال في شرح

مسلم

ترجمة المصنف

مسلم كمل به المعلم للمازري وكتاب مشارق الانوار في تفسير غريب الحديث وكتاب
التنبيهات فيه فوائد وغرائب وكل تواليفه بديعة قال شيخنا الذهبي تواليفه نفيسة
واجلها واشرفها كتاب الشفا لولا ما قد حشاه بالاحاديث المفتعلة وهو عمل
امام لا نقد له في علم الحديث ولا ذوق وكذا فيه من التاويلات البعيدة الوان
ونبينا صلى الله عليه وسلم غني بمدحه في التنزيل وبما تواتر من الاخبار عن
الاحاد وبالاحاد النظيفة الاسناد عن الواهيات فلما ذا يا قوم نتشبع
بالواهيات والاحاديث الموضوعات فيتطرق الينا مقال ذوي الغل والحسد
ولكن من لا يعلم معذور قال فعليك يا اخي بكتاب دلائل النبوة للبيهقي فانه
شفا لما في الصدور وهدى ونور انتهى واقول نعم يشتمل كتاب الشفا على
احاديث ضعيفة لكن لم تصل في الضعف الى كونها موضوعة وقد بينت
صحيحها وسقيمها واما كتاب دلائل النبوة فلا يغني عن كتاب الشفا فان في
الشفا ما في دلائل النبوة وزيادة كما لا يخفى توفي القاضي عياض سنة
وخمسمائة في رمضان وقيل في جمادى الاخرة منها بمراكش مغربا عن وطنه
قال المصنف رحمه الله **بسم الله الرحمن الرحيم**
الحمد لله المنفرد جوز وافي هذه اللفظة ٧ ان تكون من صيغة الانفعال فهي بنون
بعد الميم والثاني ان تكون بصيغة التفعل فهي بتاء مثناة من فوق بعد الميم
وفي اطلاق كل من اللفظين على الله عز وجل بحث اما الاول فلان بناء الانفعال مختص
بالمعاني الواضحة للحس دون المختصة بالعلم فلا يقال علمته فانعلم وذلك لان
هذا البناء للمطاوعة وما كان مطاوعا يجب ان يكون متاثرا والتاثر يختص

وجهين الاول

بالحس الظاهري والفؤاد الله عز وجل بذلك امر ادركه العلم والعقل والجواب
ان ماذكر مختص بما اذا استعملت صيغة الانفعال في معناها الحقيقي واطلاقها
على الله عز وجل بطريق المجاز وذلك لان هذا الباب لما كان للمطاوعة وهي
تقتضي اللزوم فاطلقها عليه تعالى قاصدا ان انفراده تعالى بذلك ليس من غيره
بل هو امر استبد به لا مشارك له فيه واما الثاني فلان صيغة التفعل
تكون للصيرورة بدون صنع كقولهم تحجر الطين اي صار حجرا بلا عمل وسبب
معالجة ومنه التكون والتولد وتكون للتكلف وتكون لمطاوعة فعل
بالتضعيف وكل من هذه المعاني محال على الله عز وجل اما الصيرورة فلان
معناها الكون بطريق الانتقال وهو على الباري محال فتحمل الصيغة في
حقه تعالى على اتصافه بالفردية دون امر اقتضى ذلك سوى ذاته المقدسة
ودون تاثير موثر واما التكلف فلانه معاناة الفعل ليحصل وهو محال
في حقه تعالى وتقدس فتحمل الصيغة بالنسبة الى هذا المعنى على الكمال اذ الفعل
الذي يعانى ليحصل يكون حصوله عند العقلاء اولى من لاحصوله وكذلك
الافعال التي تحصل بتكلف ومشقة اكمل من التي تحصل بدون مشقة
ولا تكلف على ما هو المشهور والكمال كون حصول الشي اولى من لاحصوله
فمعنى المنفرد بالنون او بالتاء المتصف بالفردية الكاملة ومعنى التفرد المزايل
لما سواه من كل الجهات والمباين لما عداه بكل المعاني والفرق بينه وبين
الاحد ان الاحد يفهم من غير توهم مغاير ولا يفهم معنى الفرد الا مع توهم مغاير
لانه لا يظهر معناه الا بتوهم منفرد عنه ثم في اطلاق المنفرد سواء كان بالنون ام بالتاء

علم

عليه تعالى بحث اخر وهو ان المرجح وهو قول الاشعري ان اسماء الله عز وجل
توقيفية مع انه لم يرد بذلك سمع وان ورد اصله كالفرد فانه ورد في بعض الروايات
اطلاق الفرد على الله عز وجل فيكون اطلاق المصنف هذا اللفظ على الله عز وجل
اما على قول القاضي ابي بكر الباقلاني وهو انه يجوز اطلاق اللفظ عليه عز وجل
اذا صح اتصافه بمعناه ولم يوهم نقصا وان لم يرد به سمع او على مختار حجة الاسلام
الغزالي والامام الرازي من جواز الاطلاق دون توقيف في الوصف حيث لم
يوهم نقصا دون الاسم لان وضع الاسم له عز وجل نوع تصرف بخلاف وصفه
تعالى بما معناه ثابت له ثم ان معنى المنفرد الذي ذكرناه سواء كان بالنون ام
بالتاء وهو المباين لما عداه بكل المعاني وجودي وعدم مشاركة الغير له
في ذلك لازم لهذا المعنى الوجودي فليس معناه الا وجوديا والباء في قوله
باسمه يجوز ان تكون صلة المنفرد وان تكون للملابسة فعلى الاول يكون
قد وصف الله عز وجل بالانفراد المخصوص الذي هو انفراده باسمه وعلى الثاني
يكون قد وصفه بالانفراد المطلق الكامل التام وهو مباينته عز وجل
لسائر الموجودات ففيه رد على المعتزلة القائلين بان ذاته عز وجل
مشارك لذوات الممكنات في تمام ماهيته ويتمايز عنها بصفات مخصوصة
الاسمى اسم تفضيل من سما يسمو اذا ارتفع وعلا والمفضل عليه اما جميع
اسمائه تعالى فالمفضل اسم مخصوص من اسمائه تعالى وهو الله فهو اي الله
اسمى اي اعلى من باقي اسمائه باعتبار انه مستجمع لجميع الصفات وهو الاسم
الاعظم على قول الجمهور ولا يوصف به غيره من الاسماء فلا يقال الرحمن الله بل

يوصف هو بالغير فيقال الله الرحمن ولكونه مختصا بذاته تعالى كان قولنا لا اله الا
الله صريحا في التوحيد وقال تعالى هل تعلم له سميا اي ليس في الوجود شي يسمى
باسم الله الا الله ويضاف اليه سائر الاسما فيقال انها اسما الله عز وجل ويجوز
ان يريد باسم الاسمي كل اسم اختص به تعالى ولم يطلق على غيره كالله والرحمن
اما اختصاصه تعالى بالله فظاهر واما اختصاصه بالرحمن فقد روى الحاكم في
المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى هل تعلم له سميا قال لم يسم
احد الرحمن غيره تعالى وصححه الحاكم فان قلت قد اطلقه بعض الكافرين على
مسيلمة الكذاب فكان يسميه رحمان اليمامة وقال شاعرهم
سموت بالمجد يا ابن الاكرمين ابا ... وانت غيث الورى مازلت رحمانا
قلت ذلك الاطلاق غير معتد به لانه من تعنتهم في كفرهم فاضافة اسم
الى ضمير الله عز وجل للعهد الخارجي بارادة الاسم المعهود او حصة من الاسماء
معهودة عبر عنها باسم الجنس ويجوز ان تكون الاضافة للاستغراق بارادة
كل اسم له فان اسماءه تعالى وان شارك في بعضها غيره الا ان معناها في
حق غيره ليس كمعناها في حقه تعالى فهو مختص بها باعتبار معانيها التي
وضعت لها في حقه تعالى واطلاقها على غيره اطلاق لفظي بارادة معنى اخر وبين
اسم والاسمي من المحسنات البديعية الاشتقاق وهو توافق الكلمتين في
الحروف الاصول مع الاتفاق في اصل المعنى نحو اقم وجهك للدين القيم فان كلا
كلا منهما مشتق من قام يقوم وههنا الاسم والمسمى مشتقان من سما يسمو
اذا علا نعم ان جعل الاسم مشتقا من السمة كما يقول به الكوفيون كان بينهما

شبه

شبه الاشتقاق على حد قوله عز وجل قال اني لعملكم من القالين فان الاول
من القول والثاني من القلى **المختص بالملك** المختص ماخوذ من اختص
اللازم فان اختص ياتي متعديا ولازما فمن المتعدي قوله عز وجل يختص برحمته
من يشاء وفي القاموس واختصه بالشي خصه فاختص وتخصص
لازم متعد وانما جعل من قبيل اللازم لان اختصاصه بالملك ليس من احد
ولم يصل اليه بواسطة فعل احد بل استبد به وحده سبحانه ولا يجوز ان يراد
في هذا المقام المتعدي وان لم يلاحظ فيه كونه اوفق بقول المتوحد او المتفرد ولا
شك ان المختص من الالفاظ التي يستوي فيها اسما الفاعل والمفعول ويختلفان
بالتقدير فاصل المختص هنا المختصص بكسر الصاد الاولى فسكنت ثم ادغمت
في الثانية والملك بتثليث الميم يجوز ان يراد به الاحتوا على الاشيا قادرا على
الاستبداد بها وان يراد به نفس الاشيا التي احتوى عليها وقدر ان يستبد
بها ويجوز ان يراد به العظمة وارادة الاول اولى لانه ثنا على الله عز وجل
بصفة قائمة بذاته مرجعها الى القدرة التامة فيشمل قدرته تعالى على الاحتوا على
العوالم كلها ولا يجوز ان يراد به عالم الشهادة فقط بنا على قول من خص الملك
بعالم الشهادة والملكوت بعالم الغيب او عالم الاشباح فقط بنا على من خص
الملك بعالم الاشباح والملكوت بعالم الارواح لامرين الاول ان ذاك اصطلاح
طارئ اصطلح عليه الصوفية قال ابن برجان ان ارباب الاعتبار فرقوا بين
العبارة في لفظي الملك والملكوت فقالوا لفظة الملك تدل على عالم الشهادة
ولفظة الملكوت تدل على عالم الغيب ثم قال وربما قال بعضهم ملكوت الله سلطانه

علم

قوله

ثم قال ومنهم من عبر عن العالمين معا باحدى الكلمتين وكل ذلك غير بعيد عن الصواب
الثاني ان لفظ الملكوت هو بمعنى الملك وضعا ولكن زيدت فيه التا للمبالغة
وفي الغريبين للهروي الملكوت ملك الله عز وجل زيدت فيه التا كما قالوا جبروت
ورحموت وفي القاموس الملكوت كرهبوت وترقوة العز والسلطان
والحاصل ان الملك اعم من الملكوت لان الملكوت هو الملك البالغ فصار اه وعا بينهم
والثنا على الله عز وجل بانه مختص بالملك بالمعنى الاعم ابلغ من الثنا عليه بانه مختص
بملك يقابل الملكوت فان قلت قوله المختص بالملك فيه ادخال البا المعدية
لصيغة الاختصاص على المقصور ولم تدخل على المقصور عليه والاشكال ان الاختصاص
والتخصيص والخصوص يقتضي بحسب مفهومه الاصلي ان تدخل البا المعدية
له على المقصور عليه فيقال اختص الجود بزيد اي صار مقصورا على زيد لا
يتجاوزه الى غيره وقد مشى على هذا صاحب الكشاف في مواضع منه واما الله
بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بحق لم يطلق على غيره تعالى وتقدس ومن ذلك
قوله الدالة على اختصاص الحمد به اي بالله وهذا هو العربي الكثير قلت لا شك
في ذلك الا ان الاكثر في الاستعمال ادخال البا في مثل هذه الصيغ على المقصور بنا على
ان تخصيص شي باخر في قوة تمييز الاخر به عن نظايره فاستعمل فيه مجازا
مشهورا فمعنى اختصاص الله عز اسمه بالملك تميزه من بين الموجودات به
وانفراده تعالى وتقدس به والمعنى واحد على كلا التقديرين لان البا ان دخلت
على الله كان المعنى ان الملك مقصور على الله عز وجل اي يثبت له وينفى عمن
سواه وان دخلت على الملك كما صنع المصنف كان المعنى ان الله عز وجل تميز
بالملك

بالملك من بين سائر من هو موجود ولو شاركه فيه مشارك لما تميز به فادى ذلك
الى انتفائه عمن سواه وهو بعينه معنى قصره عليه وقد استعمل ادخالها على
المقصور صاحب الكافية الحاجبية حيث قال في المندوب واختص بوا اي
تميز المندوب عن المنادي بكلمة وا فتكون كلمة وا مقصورة على المندوب وصاحب
الكشاف حيث قال معنى نعبدك نخصك بالعبادة اي نفردك ونميزك من بين
المعبودين بالعبادة فتكون العبادة له لا لغيره وقوله عز وجل يختص برحمته
من يشا اي يميزه عن غيره بها فالرحمة مقصورة على من يشا الاعز اسم تفضيل من
عز يعز اذا غلب يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه ومنه قولهم اذا عز اخوك فهن اي اذا
غلبك ولم تقاومه فلن له فان الاضطراب يزيدك خبالا ومنه قوله عز وجل في عزة
وشقاق اي في مغالبة وممانعة اي الاحتوا على الكاينات احتوا اغلب من
احتوا كل محتو فلا احتوا كاحتوائه ولا استيلا عليها كاستيلائه سبحانه ولا
ينبغي ان يفسر الاعز هنا بالاشد لان الاشد الاكثر صلابة ولا معنى لوصف
ملك بالشدة والصلابة والتكلف غير مناسب فالاولى ما ذكرنا ومن العزة بمعنى
الشدة والصلابة قولهم تعزز لحم الناقة اذا اشتد وصلب قال الهروي في
كتاب الغريبين وانما يكون العزاز في الاطراف من الارضين وقد فسر ما جا في كتاب
النبي صلى الله عليه وسلم على ان لهم عزازها العزاز ما صلب من الارض واشتد وخشن
قال الهروي ومنه قصة الزهري قال كنت اختلف الى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
ابن مسعود فكنت اخدمه وذكر جهده في الخدمة فقدرت اني استنظفت ما عنده
اي لم ابق ما عنده شيا فلما خرج لم اقم له ولم اظهر من تكرمته ما كنت اظهر من قبل

قال في النهاية في باب النون مع الظا المعجمة
استنظفت الشي اذا
تناولته كله ومنه قولهم
اخذته كله خراجه ولا
استنظفته
تعالى تنظفه

فنظر اليّ فقال انك في الغزاز اي انت في الاطراف من العلم لم تتوسط بعد الاحمى اسم
تفضيل من حمى الشيء يحميه حميا وحماية بالكسر ومحمية منعه اي من ان يصل اليه احد
وفي القاموس يقال كلا احمى اي محمي وفي الصحيحين بسندهما الى الصعب بن جثامة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا حمى الا لله ولرسوله قال الشافعي
رضي الله عنه كان الشريف في الجاهلية اذا نزل بلدا في حيه استعوى كلبا فحمى لخاصته
مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره وهو يشارك القوم في سائر ما يرعون فنهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك وفي الحديث ايضا استثنا ما يحمى للخيل التي ترصد للجهاد
والركاب التي تحمل عليها الاحمال في سبيل الله عز وجل كما حمى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه النقيع لنعم الصدقة والخيل المعدة في سبيل الله عز وجل اي منع غيره من الناس
من ان يرعوها فاحمى هنا اسم لتفضيل الفاعل كما هو شان اسم التفضيل
وذلك لان من شان احتوا الملك على ملكه الذي هو معنى الملك هنا ان يكون احتواوه
مانعا لغيره من التوصل اليه بالبضع او لهضم جانب استيلائه واحتوائه
وملك الله عز وجل احتواوه على الكائنات والعوالم اكثر منعا للغير من ان يتوصل
الى ذلك الاحتوا ببعض او خفض جانب فهو اشد منعا ودفعا للغير عن التوصل
اليه ببعض من سائر املاك المالكين ويمكن ان يقال ان ملك الله عز وجل لعظم
شانه كانه يحمي نفسه عن ان يصل اليه احد وبنسبته الى نفسه فوق حماية
ملك غيره نفسه بنفسه كدرة نفيسة رآها قوم فقرا فاستعظموها في اعينهم
فلم يسعهم ان يدعوها لانفسهم فكانت كانها حمت نفسها بنفسها وما قلناه
اولى لان ذلك مبني على ان المراد بالملك ما يقع عليه الاحتوا لا نفس الاحتوا او كذا ما

قيل

قيل ان احمى لتفضيل المفعول على معنى ان ملك غيره ان كان محميا فملكه محمي فوق حماية ذلك
لان ملكه تعالى لا يصير لغيره اصلا الا الى الله تصير الامور الا ان يدعى التجريد
عن معنى التفضيل فيه وفيما قبله فيكون بمعنى المحمي والاعز بمعنى العزيز كما في قوله
ان الذي سمك السما بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول * فالطول والاعز فيه بمعنى عزيزة
طويلة على راي انتهى فاما اذا فسرنا الملك بالاحتوا ولا شك ان احتوا ذوي
الملك مانع حام لملكهم من ان يهضم جانبه او ان يخفض شانه وملك الله عز وجل
واستيلاوه واحتواوه اكثر حماية واكثر غلبة فاي حاجة الى جعل اسم التفضيل
من المبني للمفعول على ان مجيء اسم التفضيل من المبني للمفعول بشرط السماع فيه جو
والنقل ولم يسمع من العرب كلمة احمى مرادا بها ما كان محميا اكثر من كون غيره محميا وان
كان ابن مالك لا يشترط فيه السماع فالجمهور يشترطون ذلك ولا حاجة لنا الى
تجريد اسم التفضيل عن معنى التفضيل هنا كيف وان ابن مالك صرح في تسهيله بان
ذلك مقصور على السماع ولئن قلنا بما قال شارح الالفية ابن عقيل ان الوجه ان ذلك
مطرد فلا يرتكب الا عند الاحتياج اليه كما ارتكبوه في قول لوط عليه السلام هؤلاء بناتي
هن اطهر لكم اي طاهرات الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى دون هنا
بمعنى غير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمس اواق صدقة وقوله صلى
الله عليه وسلم اجاز الخلع دون عقاص راسها اي بما سوى عقاص راسها
والمنتهى اسم مفعول من انتهى اي ليس للخلائق منتهى ينتهون اليه بعد فنا هذا
العالم الا الله عز وجل كما قال تعالى وان الى ربك المنتهى اي منتهى الخلائق كلهم الى الله
عز وجل وكما قال في اية اخرى ان الى ربك الرجعى وقال في اية اخرى ان الانسان لربه

لكنود وقال تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين
وكل ذلك مشعر بان المنتهى الى الله وحده لا الى احد غيره وقوله ولا وراه مرمى
هذا مقتبس من حديث استعمل فيه هذا اللفظ وفي النهاية الاثيرية ومنه الحديث
ليس وراء الله مرمى اي مقصد ترمى اليه الامال ويوجه نحوه الرجا والمرمى
موضع الرمي تشبيها بالهدف الذي ترمى اليه السهام انتهى كذا قال وزيادة رمى
وقال في مادة وراء وفيه اي في الحديث ليس وراء الله مرمى اي ليس بعد الله
لطالب مطلب فاليه انتهت العقول ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به
غاية تقصد والمرمى الغرض الذي ينتهي اليه سهم الرامي قال النابغة
وليس وراء الله للمرء مذهب انتهى فكانه شبه المقصد الذي تتوجه اليه الامال — مصراع من الطويل
بموضع ترمى اليه الحجارة او السهام فهو استعارة تصريحية وليس هذا من قبيل
استعمال المقيد في المطلق كاستعمال المشفر لشفة البعير في مطلق الشفة اي فيكون
مجازا مرسلا لان ذلك يشترط فيه ان يكون المستعمل فردا من افراد المستعمل
فان شفة البعير فرد من افراد مطلق الشفة والمرمى ليس فردا من افراد المقصد
لان المرمى هو الهدف والهدف قد لا يكون مقصدا على ان ابن الاثير صرح بان العلاقة
فيه انما هي التشبيه والمجاز الذي علاقته التشبيه استعارة لا مجاز مرسل
وقد قيل في تفسير قوله ليس دونه منتهى ليس تحته محل انتهاء في الصحاح ان لفظ دون
نقيض فوق وقوله ولا وراه مرمى يقوله اي بعده وكونه من الجهة [redacted] الفوقية
بقرينة المقابلة بقوله منتهى ثم قال والمراد انه الذي لا جهة له ولا مكان قبله من الجهة
التحتية وبعده من الجهة الفوقية نهاية لكن لا نهاية له من الجهتين فلا جهة له او المراد انه

الذي

الذي ليس له نهاية من الجهتين لعدمهما انتهى واقول ان تفسير دون بتحت فيه ما
يوهم اثبات التحتية لله عز وجل والمنفي انما هو محل الانتهاء وذلك لا يسوغ من مثل
المصنف فان قلت كيف اثبت جهة الوراء بعد ذلك قلت هو في ذلك متاس بالحديث
والشارع له ان يطلق مثل هذه الالفاظ على الله عز وجل ولنا حينئذ استعمال احدى
الطريقتين المشهورتين وهي اما التفويض واما التاويل واما من ليس شارعا
فليس له ذلك بخلاف ما اذا حملت دون على معنى سوى وغير ثم انه لا يلزم من
نفي الجهتين نفي جميع الجهات لانه لا يلزم من نفي الاخص نفي الاعم لا سيما والمقام
مقام تنزيه فالمتعين فيه التصريح بما ينفي كونه تعالى في جهة وفي مزيل الخفا للشمني
في تفسير قوله ليس دونه منتهى وفي الصحاح دون نقيض فوق وهو تقصير
عن الغاية ويقال هذا دون ذلك اي اقرب منه انتهى والمعنى هنا انه تعالى ليس في
جهة وحيز ولا على مسافة وامتداد لان كل ذي جهة ومسافة للقرب منه نهاية
وليس للقرب منه تعالى نهاية وليس في جهة فهو من باب نفي الشي بنفي لازمه
انتهى كلام الشمني واقول كلامه يقتضي ان اللازم للمسافة والجهة انما هو القرب
وجعل القرب معنى لدون مع انه نقل عن الصحاح ان دون معناه اقرب بصيغة
اسم التفضيل مع انك ان تاملت كلامه عرفت ما فيه الظاهر لا تخيلا وهما
والباطن تقدسا لا عدما الظهور يكون بمعنى الغلبة من قولهم ظهر فلان على فلان
اي غلبه والظهور الارتفاع والعلو من قولهم ظهرت الشمس اذا ارتفعت
والظهور البيان والوضوح من قولهم ظهر لي المعنى اي تبين والاوجه الثلاثة
متقاربة ومعناه هنا الظاهر في مخلوقاته على اختلاف انواعها وتباين اجناسها

وفي شرح المواقف الظاهر المعلوم بالادلة القاطعة فهو صفة اضافية وقيل الغالب
فهو صفة فعلية والباطن هو المحتجب عن الحواس بحيث لا تدركه اصلا فيكون
صفة سلبية وقيل العالم بالخفيات والاصح الاول فالله عز وجل باطن ان طلب من
ادراك الحواس وخزانة الخيال ظاهر ان طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال
فان قلت كيف يكون ظاهرا مع ريب المرتابين والظاهر لا يختلف الناس في
ادراكه قلت خفاؤه لشدة ظهوره فظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب
نوره وكل ما جاوز حده انعكس على ضده فهو الظاهر الذي لا اظهر منه والباطن الذي
لا ابطن منه فان قلت هذا مصير منكم الى ما ذهب اليه حجة الاسلام الى ان وجود
الواجب بديهي فلا يحتاج الى النظر قلت ليس كذلك ونحن قد قلنا انه تعالى
احتجب بانواره على ان حجة الاسلام لم يقل بالبداهة الا في وجوده عز وجل
واثبات ساير صفاته يفتقر الى النظر هذا وان المراد بمعرفة الله عز وجل بالادلة
القاطعة التصديق بوجوده وصفاته الكمالية الثبوتية والسلبية بقدر الطاقة
البشرية واما معرفة الله عز وجل بالكنه فغير واقع عند المحققين ومنهم من قال
بامتناعه كحجة الاسلام وامام الحرمين والصوفية والفلاسفة وقوله لا تخيلا منصوب
على انه تمييز اي ليس ظهوره من جهة التخيل والمراد بالتخيل الظن وفي القاموس
خال الشيء ظنه وقوله وهما منصوب ايضا على التمييز وفي القاموس الوهم من خطرات
القلب او مرجوح طرفي المتردد فيه ثم قال ووهم في الحساب كوجل غلط وفي النهاية
الاثيرية وهم الى الشيء بالفتح يهم وهما اذا ذهب وهمك اليه وانت تريد غيره
وتوهمت اي ظننت انتهى اي ان ظهوره تعالى وصل الى درجة اليقين فادركه الموقنون

ادراكا

اذا ذهب وهمه اليه ورجع
اي عيي زنتة علم يوهم وهما
بالتحريك اذا غلط وفي الصحاح
وهمت في الحساب اوهم
وهما ووهما اي بالسكون
والتحريك اذا غلطت فيه
وسهوت ووهمت في الشيء بالفتح اهم وهما اذا ذهب وهمك

ادراكا يقينيا على اختلاف مراتب اليقين فما حصل منه من طريق النظر والاستدلال
يسمى علم اليقين وما كان منه من طريق الكشف والنوال يسمى عين اليقين وما
كان منه بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال يسمى حق اليقين
وقيل اليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام وعلم اليقين
للاولياء وعين اليقين لخواص الاولياء وحق اليقين للانبياء عليهم الصلوة والسلام
وحقيقة حق اليقين اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم فليس ظهوره تعالى
ظنيا ولا غلطا كما استفيد من قوله لا تخيلا ووهما ويجوز ان يريد بقوله وهما
الظن فيكون العطف تفسيريا وانما اتى به حينئذ مع الاستغناء عنه بقوله
لا تخيلا لان المقام يناسبه الاسهاب فان قلت اما يجوز ان يريد بقوله لا تخيلا
ووهما اي لا بحسب ادراك القوة المتخيلة والواهمة اللتين من شانهما
ادراك ما تحقق له بل بحسب ادراك القوة التي من شانها ادراك ما له
تحقق وظهور بحسب تحققه ولعل التخيل والوهم غلبا في ادراك ما لا تحقق
له فمعناه ان يكون ظهوره بحسب ذلك الادراك قلت لا ينبغي بل لا يجوز ان
يريد المصنف ذلك اما اولا فلان هذه القوى لا يلاحظها ويثبتها الا من يكون
فلسفيا واثبات الفلاسفة لها مبني على اصول فاسدة اعظمها فسادا ما ذكره
القاضي عضد الدين الايجي في مواقفه انها مبنية على نفي القادر المختار الموجد
لجميع الاشياء ابتداء بمجرد ارادته وانها مبنية على ان النفس ليست هي المدركة
وقد برهن المتكلمون على ان المدرك لجميع الاشياء ولجميع اصناف الادراكات
هي النفس فيبعد ان يتفوه المصنف وهو جبل من جبال السنة غارق في بحار

الحديث النبوي باصطلاح قوم خذلهم الله وشتت اوهامهم الفاسدة في مهامه الضلال
واما ثانيا فلان قوله لا تخيلا وهما صيغة حصر فيفتقر صحة الكلام الى ان يكون هناك
من يتوهم ان ظهوره تخيل ووهم حتى ينفيه المصنف بهذه المقالة وان يريد ذلك
المتوهم بالتخيل والوهم ما تدركه القوة المتخيلة والواهمة وكيف يتصورات
ادراك رب العزة عز وجل بالقوة المتخيلة مع ان القوة المتخيلة هي القوة التي
تتصرف في الصورة المحسوسة والمعاني الجزئية المنتزعة منها وتصرفها فيها
بالتركيب تارة والتفصيل اخرى مثل انسان ذي راسين او انسان عديم الراس
او حيوان نصفه انسان ونصفه فرس وهذه القوة بعينها هي المفكرة لكن اذا
استعملها العقل في مدركاته بضم بعضها الى بعض كما انها اذا استعملها الوهم في
مدركاتها مطلقا سميت متخيلة وكيف يتصور ان يكون ادراكه تعالى بالقوة الواهمة
وهي التي تدرك المعاني الجزئية كالعداوة الجزئية التي تدركها الشاة من الذئب
فتهرب عنه والمحبة التي تدركها السخلة من امها وهي التي تحكم بان هذا الاصفر هو هذا
الحلو فتعين ان يريد بالتخيل معناه اللغوي وهو الظن وبالوهم الغلط اي ليس
ظهوره تعالى ظنيا ولا غلطا بل يقيني مجزوم به على اختلاف مراتب اليقين فان قلت
ما الذي يمنع ان يريد المصنف ما اراده الفلاسفة من هذه القوى وهو قد
نفاه والله عز وجل ينبو عنه ذلك قلت ارادة المصنف ذلك يقرب من ترك الادب
فليس من الادب ان يقول القائل ملك البلد ليس بحجام ولا حجام فتامل ذلك
وانصف وقوله كبا لمن تقدسا اي انه بطونه عز وجل من جهة قدوسيته وهي
تنزهه عن كل وصف من اوصاف الكمال الذي يظنه اكثر الخلق لان الخلق اولا
نظروا

نظروا الى انفسهم وعرفوا صفاتهم وادركوا انقسامها الى ما هو كمال لكن في حقهم مثل علمهم
وقدرتهم وسمعهم وبصرهم وكلامهم وارادتهم واختيارهم فوضعوا هذه الالفاظ بازاء
هذه المعاني وقالوا ان هذه هي اسماء الكمال والى ما هو نقص في حقهم مثل جهلهم وعجزهم
وعماهم وصممهم وخرسهم فوضعوا بازاء هذه المعاني هذه الالفاظ ثم كان غايتهم
في الثناء على الله عز وجل ان وصفوه بما هو اوصاف كمالهم وهو تعالى تقدس منزه
عن اوصاف كمالهم كما انه منزه عن اوصاف نقصهم بل كل صفة تتصور للخلق فهو
مقدس عنها وعما يشبهها ويماثلها ولولا ورود الرخصة والاذن باطلاقها لم
يجز اطلاق اكثرها عليه تعالى وقوله لاعدما بضم العين وسكون الدال ويجوز
ضمها ويجوز فتحها والمراد فقده اي انه تعالى انما يطلق من جهة تنزهه عن
ان يدرك المدرك كونه كاملا كما هو عليه لا من جهة فقد عباده فلم
يجدوه لانهم ادركوه بالدلائل والبراهين القطعية وليس المراد بالعدم ان لا
يكون موجودا اي يكون معدوما فان ذلك لم يخطر على بال فكيف ينفي المصنف
امرا لم يخطر ببال احد فلا يستدل على ذلك بان ما ثبت قدمه استحال عدمه لان
العدم هنا عدم الوجدان الذي هو مصدر وجد المطلوب كوعد وعدا وليس هو
من قولهم وجد من العدم فهو موجود واما كون العدم هنا بمعنى الفقر الى اخر ما قال
ذلك القائل فهو كلام ملحق بالهذيان وسع كل شي رحمة وعلما اسمان منصوبان
على التمييز المحول عن الفاعل اي وسع رحمته وعلمه كل شي والواسع في الاصل
ضد الضيق والضيق والواسع انما يكونان في الاجسام والرحمة والعلم ليسا
جسمين فلا يكونان واسعين حقيقة لكنه شبههما بدارين او مكانين واسعين

محيطين بمن فيهما ونسب اليهما الوسع استعارة تخييلية والاول استعارة مكنية
وانما نسب الوسع الى الله عز وجل مع ان الواسع انما هو رحمته تعالى وعلمه للاغراق
في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمراد ان رحمته تعالى وعلمه لم يختص بهما احد دون
احد بل يشملان كل موجود ومعلوم والرحمة لغة رقة القلب ورحمة الله عز وجل لا
يراد منها ذلك لان العبد ما لم يحصل في قلبه نوع رقة لم يرحم فاذا تامل المتامل
علم ان مقصود العبد من تلك الرحمة انما هو دفع تلك الرقة الحسية عن القلب
فهو لم يرحم غيره الا ليتخلص عن ذلك الالم والله عز وجل منزه عن تلك الرقة
فلا تكون رحمته بهذا المعنى بل تكون لمحض الفضل والاحسان مثال ذلك الاب
اذا احسن الى ولده فهو في الحقيقة انما احسن الى نفسه لانه اذا اختلت مصالح
الولد تالم قلب الوالد واذا احسن الى الولد انتظمت مصالحه وزال ذلك الالم
عن قلب الوالد فالاب انما احسن الى الابن ليحصل هذا المقصود لنفسه والسيد
اذا احسن الى عبده فانما يحسن ليصلح حاله فيجد منه ربحا او ليقوم بخدمته من
صميم قلبه فالسيد انما احسن الى نفسه وكذلك المتصدق لنيل الثواب
او الخلاص من العقاب فاما الحق عز وجل فانه كامل لذاته ومنزه عن وجود
النقائص والافات فكان احسانه لمحض ايصال النفع الى المرحوم لا لغرض
يعود اليه من جلب نفع او دفع ضرر فالمراد برحمته ذلك لا معناها اللغوي
واما علمه عز وجل فهو صفة ازلية تنكشف بها المعلومات عند تعلقها بها وعلمه
تعالى يعم المفهومات كلها الممكنة والواجبة والممتنعة فهو تعالى يعلم نفسه
خلافا للدهرية فانهم قالوا لا يعلم نفسه والشيء هو الموجود فقط عند الاشاعرة

وهو

وهو مرادف له عندهم فكل شيء موجود وكل موجود شيء وقال الجاحظ ومعتزلة
البصرة هو المعلوم لكن يلزمهم اطلاق الشيء على المستحيل لانه معلوم نعم يندفع الالزام
على قول البهشمية اصحاب ابي هاشم ان المستحيل لا يعلم الا على طريق التمثيل
وبالجملة فالخلاف انما هو في معنى لفظ شيء بحسب اللغة ولا يلزم من ذلك ان يكون
ذلك معناه في كل مقام فالمراد بالشيء هنا الممكن سواء كان موجودا ام معدوما
ليستقيم تعلقه وارتباطه بالرحمة والعلم اذ لو اردنا بالشيء الموجود لدخل
في ذلك ذاته المقدسة وهو تعالى يعلمها الا انه لا يستقيم تعلق الرحمة بها فبقرينة
ضم العلم الى الرحمة اريد بالشيء ما لا مانع من تعلقهما به فان قلت كيف رحمة
الله عز وجل الممكن المعدوم قلت باعتبار صلاحيته لان يكون موجودا رحمة من الله
له وفي الغريبين للهروي وقوله وسعت كل شيء رحمة وعلما قال الازهري
اي وسع كل شيء رحمتك وعلمك وانتصابه على التمييز المحول ويقال وسع
رحمة الله كل شيء وبكل شيء وعلى كل شيء فان قلت ما معنى كل واحد من هذه الثلاثة
قلت معنى وسعت رحمته كل شيء اي كل شيء مرحوم تسعه رحمته فترحم كل احد
لا يختص بمرحوميتك بر دون فاجر ولا مسلم دون كافر ولهذا لما قال ذلك
الصحابي في دعائه اللهم ارحمني وارحم محمدا ولا ترحم بعدنا احدا ابدا قال له النبي صلى
الله عليه وسلم لقد تحجرت واسعا اي ضيقت امرا وسعه الله عز وجل وخصصته
به نفسك دون غيرك ومعنى قوله بكل شيء اي من عطاياه واحساناته فكل مرحوم
يفعل ان يجزل عليه كل فضل ويمن عليه بكل عطية ولهذا يرى كل احد من اهل
الجنة انه لم يعط احد ما اعطي ولم ينل احد ما نال فيظن كل احد منهم ان الله عز وجل

قد افرغ عليه احسانات لا احصرها وليس فوقها احسان ومعنى قوله على كل شي
اي على كل عمل موجب للرحمة قل وجل ولقد رحم عبدا على تكبيرة كبرها فادخله بها
الجنة وعلى لقمة دفعها الى كلب ونحو ذلك اللهم ارحمنا بانواع تفضلاتك مع تقصيرنا
في خدمتك يا رب العالمين **واسبغ على اوليائه نعما عمما** في القاموس
اسبغ عليكم نعمه اتمها انتهى ولهذا عديت بعلى لان اتم يتعدى بها قال تعالى واتممت
عليكم نعمتي والاوليا جمع ولي فعيل بمعنى مفعول اي الذين تولى الله عز وجل
شانهم والولاية تنقسم الى قسمين عامة وخاصة فالاولى تشتمل على كل من
امن بالله عز وجل وعمل صالحا على حسب مراتبهم كما قال الله عز وجل الله ولي الذين
امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والثانية تشتمل على الواصلين من السالكين
فقط عند فنائهم فيه وبقائهم به فالخاصة عبارة عن فنا العبد في الحق فالولي
هو الفاني فيه والباقي به وليس المراد بالفنا انعدام عين العبد مطلقا بل المراد
به فنا جهة البشرية في الجهة الربانية اذ لكل عبد جهة من الحضرة الربانية هي
المشار اليها بقوله عز وجل ولكل وجهة هو موليها الاية وذلك لا يحصل الا بالتوجه
التام الى جناب الحق عز وجل اذ به تقوى جهة حقيقته فتغلب جهة خلقيته
الى ان تقهرها وتفنيها بالاصالة كالقطعة من الفحم المجاورة للنار فانها بسبب
المجاورة والاستعداد لقبول النارية والقابلية المختفية تشتعل قليلا
قليلا الى ان تصير نارا وذلك التوجه لا يمكن الا بالمحبة الذاتية الكائنة في العبد
فظهورها لا يكون الا بالاجتناب عما يضادها ويناقضها وهو التقوى عما
عداها ولهذا قال الله عز وجل الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين امنوا
وكانوا

وكانوا يتقون والنعم جمع نعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان ثم
اطلقت لما يستلذه الانسان من النعمة بفتح النون وهي اللين ونعم الله عز وجل وان
كانت لا تحصى كما قال عز وجل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين
دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والوهبي قسمان روحاني كنفخ
الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه بالقوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني
كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيات العارضة له من الصحة وكمال الاعضا
والكسبي كتزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق النسبية والملكات
الفاضلة وتزيين البدن بالهيات المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه
والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد
الابدين والمراد بالنعم التي اسبغها على اوليائه هو القسم الاخير وما يكون وصلة
الى نيله من القسم الاخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المومن والكافر وفي الحقيقة
لا يعد نعمة الا ما كان محمود العاقبة والمراد بالاوليا عامة المومنين وقوله عمما
بضم العين على زنة فعلى اي شاملة لا يخرج عن منفعتها بر ولا فاجر والمخلص
والمنافق والنعم المذكورة هي بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وما جا به من عند الله من
الهدى ودين الحق اخذا من قولهم نخلة عميمة وعما بفتح اي طويلة وفي القاموس
نخلة عميمة وعما طويلة والجمع عم بضم العين وقد استفيد عمومها من قوله عز وجل
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ودخول الفاجر تحتها باعتبار شفاعته يوم القيمة
فيه واخراجه من النار وشمولها للمنافق دنيوي ليس الا باعتبار ان تمسكه في
الظاهر بما جا به صلى الله عليه وسلم خلصه من القتل واراد المصنف بالنعم الخ ملوقع

في قوله عز وجل واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فالظاهرة والباطنة المحسوسة
والمعقولة ما يعرف وما لا يعرف **وبعث** اي ارسل **فيهم** اي في اوليائه مطلقا
عربا وعجما وقد سبق ان المراد بهم عامة المومنين فمعنى قوله **حتى رسولا من انفسهم**
اي من نوعهم الانساني فان قلت لم لم يفسر هنا بما فسر به انفسهم الواقع في قوله
عز وجل لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم فانهم فسروه بانه
من نسبهم ومن جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله
في الصدق والامانة مفتخرين به وانفسهم الواقع في قوله لقد جاءكم رسول من
انفسكم الاية فانه فسر بانه من جنسكم عربي فان الخطاب في ذلك للعرب في قول
الجمهور قلت ذلك ذكر في معرض تعديد النعم على قوم كانوا يعاندون رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن آمن به منهم انما ذكر ذلك لهم ليشكروا نعمة الله عز وجل حيث شرف
بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فهم المخاطبون به اصالة وغيرهم وان شملته
هذه النعمة يكون ذكره تبعا على ان الزجاج قال هي في الاية مخاطبة لجميع العالم
والمعنى لقد جاءكم رسول من البشر قال القرطبي وهذا القول اكد للحجة اي هو صلى
الله عليه وسلم بشر مثلكم لتفهموا عنه وتاتموا به في الحجة وقال القرطبي في الاية
الاولى اراد به المومنين كلهم ومعنى من انفسهم انه صلى الله عليه وسلم واحد منهم وبشر
مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي فان قلت لم عطف قوله وبعث فيهم رسولا
على قوله واسبغ الى اخره مع دخوله فيه وشموله قبله له قلت هو عطف خاص
على عام تنبيها على شرف هذه النعمة وانها النعمة التي لا يعادلها شيء **انفسهم**
على زنة افعل هو اسم تفضيل اي اكثر نفاسة من غيره اخذا من قولهم شيء نفيس

اي

اي مرغوب فيه وفي القاموس وشيء نفيس ومنفوس و[illegible] ومنفس
كمكرم يتنافس فيه ويرغب وقد نفس ككرم اي رغب فيه ومعنى كون نبينا
صلى الله عليه وسلم اكثر مرغوبية من غيره كونه اشرف قومه وافضلهم واشرف جميع
بني ادم وافضلهم وهذه الصفة اثبتها المصنف للنبي صلى الله عليه وسلم بنفسه بناء
على ان انفسهم منصوب على انه بدل من رسولا بدل كل من كل وان كان ابدال المعرفة
من نكرة لانه جائز مطلقا فكيف وقد وجد هنا ما اشترطه بعضهم من نعت النكرة
المبدل منها وهو هنا الجار والمجرور فانه في محل نصب على انه نعت لرسولا
وكذلك اذا رفع انفسهم على القطع بان يجعل خبر مبتدا محذوف للمدح اي هو
انفسهم فيكون على هذين نعتا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يوافق في المعنى الاثنين على
القرائتين الشاذتين لان الانفسية تكون حينئذ للقوم الذين جاءهم النبي صلى الله
عليه وسلم نعم يوافقهما ما هنا بناء على جر انفسهم على انه بدل بعض من كل من قوله
انفسهم لان الانفس بفتح الفا بعض من الانفس بضم الفا وانما كان موافقا
لهما لانه على هذا التقدير يكون قد نعت قوم النبي صلى الله عليه وسلم الذين جاءهم
ولعمري ان الاوفق للمقام والاليق للحال الوجهان الاولان لان المصنف
ليس الا في صدد بيان شرف النعمة التي من الله عز وجل بها على المومنين في
بعثه هذا النبي صلى الله عليه وسلم ومدح نفسه اولا بعرضه من مدح قومه
واما الاثبات فان من التبعيضية منعت من ان يراد بالانفس الا قومه
فان قلت كيف جاز ان يكون انفسهم بفتح الفا بدلا من انفسهم بالضم في عبارة
المصنف مع انه يتعين ان يكون بدل بعض من كل لان انفس الشيء بفتح الفاء

بعض منه وبدل البعض من الكل لا بد فيه من رابط اما ظاهر واما مقدر وههنا
الضمير في انفسهم بفتح الفا راجع الى اوليائه وليس راجعا الى الانفس بضم الفاء
لانه مونثة فكان ينبغي ان يقول انفسها بفتح الفا فلت الانفس بضم الفاء
لفظها مونث ومعناها مذكر اذ معناها احوالهم في كونهم بشرا وبني ادم فيكون
الضمير المذكور عائدا الى الانفس باعتبار معناها فليس ضمير انفسهم
بفتح الفا عائدا الى اوليائه بل الى انفسهم بضم الفا اي بعث رسولا من انفس
اوليائه هو انفس تلك الانفس اي من بني ادم هو انفس بني ادم فان
قلت لم آثر المصنف على هذا التوزيع جانب المعنى ولم يات به موافقا للفظ
قلت لمحاكاة لفظ الاية وللاشارة الى ان مرجع قومهم بهذه الانفسية انما
اقتبست من لفظ الاية ولعمري ان احتياج هذا الوجه الى التفصي عن مثل هذه
الشبهة مما يقوي الوجهين السابقين وقوله عربا وعجما في القاموس العرب
بالضم وبالتحريك خلاف العجم مونث وهم سكان الامصار والاعراب منهم سكان
البادية لا واحد له انتهى فقوله بالضم اي بضم العين فقط مع سكون الرا وبالتحريك
اي بفتح العين والرا فالاعراب اخص من العرب كما يشعر به قول القاموس
منهم وفي النهاية الاثيرية الاعراب ساكنو البادية من العرب الذين لا يقيمون
في الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة والعرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس
ولا واحد له من لفظه سوا اقام بالبادية ام بالمدن انتهى والعرب قيل انهم من
ولد اسمعيل بن ابرهيم ولكن حديث ام اسمعيل المذكور في الصحيحين يشعر بان
اسمعيل عليه السلام تعلم العربية من جرهم وهو يضعف قول من روى ان اول من
تكلم

تكلم بالعربية اسمعيل وقد وقع ذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه الحاكم
في المستدرك بلفظ اول من نطق بالعربية اسمعيل وروى الزبير بن بكار في النسب
من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه باسناد حسن قال اول من فتق الله
لسانه بالعربية المبينة اسمعيل وبهذا القيد يجمع بين الخبرين فيكون اوليته في
ذلك بحسب الزيادة في البيان لا الاولية المطلقة فيكون بعد تعلم اصل العربية
من جرهم الهمه الله عز وجل العربية الفصيحة المبينة ويشهد لهذا ما حكى ابن هشام
في سيرته عن الشرقي بن قطامي ان عربية اسمعيل كانت افصح من عربية يعرب
ابن قحطان وبقايا حمير وجرهم فاسمعيل اول من نطق بالعربية من ولد
ابرهيم عليه السلام وقال ابن دريد في كتاب الوشاح اول من نطق بالعربية
يعرب بن قحطان ثم اسمعيل وفي شرح البخاري لابن حجر العسقلاني وقيل
ان قحطان اول من تكلم بالعربية واما اسمعيل فهو والد العرب المستعربة
واما العرب العاربة فقد كانوا قبل ذلك كعاد وثمود وطسم وجديس وعمليق
وغيرهم انتهى والفرق بين العرب العاربة والمستعربة ان العرب العاربة من
كان صريحا اي عربي الاصل والمستعربة من طرات عليه العربية وبنو اسمعيل
طرات عليهم العربية لان اسمعيل امه قبطية واما ابوه عليه السلام فعبراني او سرياني
وما ذكرناه من ان قحطان هو اول من تكلم بالعربية ثم اسمعيل مبني على ان قحطان
ليس من ذرية اسمعيل وهو قول اكثر العلماء فان قحطان هو عامر بن شالح
ابن ارفخشد بن سام بن نوح وقيل هو من ولد هود عليه السلام وقيل هو
هود نفسه وقيل ابن اخيه وذهب الزبير بن بكار الى ان قحطان من ذرية
بكار م

اسمعيل وان قحطان بن الهميسع بن نبت بن اسمعيل وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم للانصار لما اخبرهم بقصة هاجر فتلك امكم يا بني ماء السماء وقال
للانصار ارموا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا والانصار اصلهم من اليمن
واهل اليمن كلهم من ذرية قحطان ونسب قحطان الى اسمعيل انه قحطان
ابو تيمن بن قيذر بن اسمعيل قال السهيلي ولا حجة عندي في هذا
الحديث لاهل هذا القول لان اليمن لو كانت من اسمعيل مع ان عدنان كلها
من اسمعيل بلا شك لم يكن لتخصيص هؤلاء القوم بالنسب الى اسمعيل
معنى لان غيرهم من العرب ايضا ابوهم اسمعيل وفي هذا البحث طول ذكر في الروض
الانف للسهيلي وفي شرح ابن حجر على البخاري في ابحاث متعددة **وازكاهم**
اسم تفضيل من الزكوة ماضيه زكا يزكو والزكوة النماء اطلقت على الذي نما صلاحه
اي كثر اعماله الصالحة فيقال انه تزكى ثم اريد بها الطهر من ادناس العيوب ومن
دنس الذنوب وهي المراد من قوله عز وجل نفسا زاكية اي طاهرة وقوله عز وجل
غلاما زكيا اي طاهرا والمراد ان النبي صلى الله عليه وسلم اطهر جميع الناس **محتدا**
وهو كما في القاموس الاصل والطبع وهو بفتح الميم وسكون الحاء المهملة ثم مثناة
من فوق مكسورة **ومنمى** ماخوذ من قولهم نميت الرجل الى ابيه اي نسبته اليه
ومضارعه ينمي ويقال انتمى اي انتسب فهو اما مصدر ميمي اي انتسابا واما
اسم مكان اي موضع انتساب فان فسر المحتد بالاصل فالمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم
اطهر الاولين المذكورين اصلا وانتسابا او خيرهم جدا ينتسب هو اليه لان الجد
محل انتساب ابن الابن لقيامه به باعتبار انه منسوب اليه ولا شك ان الذوات

محل

محل الاحداث ويجوز ان يكون نفس انتسابه زكيا باعتبار زكا المنسوب اليه
اما اصلا فباعتبار انه من بني هاشم الذين هم خير قريش الذين هم خير ولد
اسمعيل الذين هم خير جميع بني ادم كما نطق بذلك الحديث وسياتي الكلام في ذكر
شرف نسبه واما منماه اي الجد الذي انتسب اليه من جهة ابيه فهو عبد المطلب
الذي لم يكن في بني هاشم اشرف منه **وارجحهم عقلا** يطلق الراجح على الشي الثقيل
وان كان في الاصل ماخوذا من رجح الميزان يرجح رجوحا ورجحانا مال وفي النهاية
يقال رجح الشي اذا ثقل ولكن من شان الثقيل والازم ان يكون بينه وبين
الخفيف تفاوت وكم اكثر من كم الخفيف فالمراد ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم
فاق عقول المخلوقات كلهم كما قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا
فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا فيكون قد ذكر
الارجح واراد لازمه وهو الاكثرية فانه من شان الارجح ان يكون في الكم اكثر
فيكون مجازا مرسلا فان قلت كيف تفاوت الناس في العقل قلت العقل
لفظ مشترك اشتراكا لفظيا بين اربعة معان ولا يمكن ان يعرف بتعريف
ينطبق على جميع اقسامه كلفظ العين المشترك بين المعاني المعروفة لا يمكن
ان يحد بحد شامل لها الاول الوصف الذي به يفارق الانسان سائر البهائم
واستعد به لقبول العلوم النظرية ونحو تدبير الصناعات الفكرية وهو
الذي اراده الحارث المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها درك
العلوم النظرية وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشيا ومن زعم
ان العقل مجرد العلوم الضرورية فهو غير منصف الا ترى ان الغافل عن العلوم

يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد هذه العلوم وكما ان
الحيوة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك
العقل غريزة بها يتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية الثاني العلوم التي
تخرج الى الوجود في ذات العقل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات
وتسمى هذه العلوم عقلا ظاهرا ونحن لا ننكر ان تسمى عقلا وانما ننكر على من انكر
تلك الغريزة وحصر معنى العقل في هذه العلوم الثالث علوم استفيدت من
التجارب الرابع ان تلك الغريزة تنتهي الى معرفة عواقب الامور وقمع الشهوة
الداعية الى ايثار اللذة العاجلة وقهرها فاذا حصلت هذه القوة يسمى صاحبها عاقلا
من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة
العاجلة وهذه الصفة من خواص الانسان التي بها يتميز عن سائر الحيوانات
فالاول هو الاس والثاني هو الفرع الاقرب والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة
الغريزة والعلوم الضرورية يستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الاخيرة
وهي الغاية القصوى والاولان بالطبع والاخيران بالكسب قال علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا ينفع ضو الشمس وضو العين ممنوع
والاخير من هذه الاقسام هو المراد من قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا تقرب الناس
بابواب البر فتقرب انت بعقلك وبقول النبي صلى الله عليه وسلم لابي الدردا رضي الله عنه
ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي يا رسول الله وكيف لي بذلك
قال اجتنب محارم الله وادّ فرائض الله تكن عاقلا الحديث فان قلت اي عقل

هذه الابيات
اثبتناها كما
اثبتها شيخنا
وهي محتاجة
الى تحرير

اتصف

اتصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الاقسام قلت اتصف بكل من الاربعة
كما هو معلوم مقرر من احواله وشمائله وسيرته وفضائله فان قلت الذي فاق به
الناس اي الانواع قلت فاقهم في كل من الاربعة ما عدا الثاني فان العلوم
الضرورية اشترك فيها جميع الناس اما نجيبه واما شاره الباقي على الغاني فذاك
ابو عزرته والبه يساق نبأه واما غريزته فانظر الى ما انتشر من علومه
تجدها ناشئة عن غريزة طاهرة مشرقة ومن تتبع ادراكات النبي صلى الله عليه
وسلم الغريبة وعلومه العجيبة ما بين علوم استنبطها بحسن عقله واخرى
الهمها من فضل ربه عز وجل راى ذلك معجزة كافية وآية لقلوب المرتضى
شافية كفاك بالعلم في الامي معجزة في الجاهلية والتاديب في اليتم
فان قلت ما بال بعض الصوفية ذم العقل قلت هذه الانواع لا يذمها عاقل
فان عليها مدار الكمال وانما مراد هذا الصوفي ذم علوم توجد من مجرد العقل
من غير استناد الى مشكاة الوحي فان هذا مذموم وفاعله مطرود ملوم فان
قلت العقل لم يوضع الا لهذه الغريزة المعلومة فمن اين لك هذه الاقسام
التي ذكرتها قلت ليس غرضنا تعريف العقل بمقتضى الوضع اللغوي وانما
مقصودنا ما استعمله الشارع في العقل واراده وقصده وقد رايت
الشارع لم يرد من العقل الا المعنى الرابع غالبا فعن سعيد بن المسيب ان
عمر وابي بن كعب وابا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس قال العاقل فقالوا فمن اعبد الناس
فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت

مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم
وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو
المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا رواه ابن المحبر وذكره حجة الاسلام
الغزالي في الاحياء وحلما الحلم صفة توجب ان يكون صاحبها صفاحا عن
الذنوب ستارا للعيوب وقيل الحليم الذي يغفر بعدما ستر وقيل الذي يحفظ بحث حسن في الحلم
الود ويحسن العهد وينجز الوعد وقيل الحليم الذي يسبل ستر عفوه على
المتهتكين ويسحب ذيل عفوه على المتهتكين وقيل الحليم الذي لا يستخفه
عصيان عاص ولا يستفزه طغيان طاغ وقيل الحليم الذي لا يعجل الانتقام
قال الفخر الرازي وانا اقول من لا يعجل الانتقام ان كان على عزم ان ينتقم
بعد ذلك فهو حقود وان كان على عزم ان لا ينتقم منه البتة فهو العفو والغفور
فاين الحلم وما معناه ثم قال ويمكن ان يقال انه انما يكون حليما اذا كان على
عزم ان لا ينتقم البتة لكن بشرط ان لا يظهر ذلك فان اظهره كان ذلك عفوا
وبهذا الوجه ظهر الفرق بين الحلم والعفو انتهى وانا اقول ان الذي فهمته
من كلام العلماء ان الحلم عبارة عن نعت يعارض الانتقام ويمنعه واما منع
الانتقام فهو عفو وغفران وقد تمنع تلك الصفة تعجيل الانتقام والفرق بينه
وبين الحقد ان الحقود لا قدرة له على الانتقام في الحالة الراهنة فهو ينتظر
الفرصة واما الحليم فانه يقدر الان على الانتقام ولكن تارة يوجد رجحان تحصل
من الذنب ما يوجب عفوه عنه مثال ذلك ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم حين رجع
من الطائف ونزل عليه ملك الجبال وملك الرياح وغيرهما فعرضوا امر تعذيب

قومه اليه

قومه اليه فقال مجيبا اني لارجو ان يخرج من اصلابهم من يؤمن بالله وتارة يدفع
بالكظم واوفرهم اي اكثرهم ماخوذ من الوفر من المال وهو الكثير الواسع
ومنه قول علي كرم الله وجهه ولا ادخرت من غنائمها وفرا اي مالا كثيرا وفي الحديث
الحمد لله الذي لا يفره المنع اي لا يكثره اي لا يكثر ما في خزائنه فهما وعلما في القاموس
فهمه كفرح فهما اي بالتحريك وفهما اي بالسكون وفهامة اي بفتح الفاء وتكسر
وفهامية علمه وعرفه بالقلب انتهى فعلى هذا الفهم والعلم لفظان مترادفان
واقواهم يقينا اليقين هو اعتقاد ان الشيء كذا مع مطابقته للواقع واعتقاد
انه لا يكون الا كذا وكونه اقوى من غيره يقينا يشعر بتفاوت اليقين فله في القوة
بحث حسن في القول بتفاوت اليقين مراتب مبتدئة من اجلى البديهيات ككون الواحد نصف الاثنين منتهية
الى اخفى النظريات القطعية ومنع جماعة التفاوت في اليقين وما يظن من
ان القطع واليقين يتفاوت فانما هو راجع الى جلائه وانكشافه فاذا ظهر
القطع بحدوث العالم بعد ترتيب مقدماته كان الجزم الحاصل فيه كالجزم بان
الواحد نصف الاثنين وانما التفاوت بينهما باعتبار انه اذا لوحظ هذا
كان سرعة الجزم فيه ليس كالسرعة التي في الاخر فيتخيل انه اقوى وليس باقوى
وانما هو اجلى فالتفاوت ليس بمقومات ماهية اليقين بل بامور
خارجة كالالف والتكرار والحق ان اليقين علم جازم لا سبيل لنا الى ان نقف
على مقوماته ولا سبيل الى استقصاء مراتبه الا من جناب الشارع وقد
راينا لسان الشرع وعلوم الوحي ناطقة بتفاوت مراتبه فلا سبيل الى القول
بعدم تفاوته فمن ذلك قوله عز وجل لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين فاليقين

الثاني اعلى من اليقين الاول وقول خليل الله عز وجل [illegible] عليه
السلام بلى ولكن ليطمئن قلبي مصرح بالتفاوت فانه اثبت لنفسه انه مومن
بان الله عز وجل يحيي الموتى ولا شك انه المومن موقن لان اليقين داخل في مفهوم
الايمان ثم اراد درجة هي اعلى من الاولى في اليقين وهي المعبر عنها بالطمانينة
وهذه الدرجة هي مقام المشاهدة وشتان بين يقين نشا من الاستدلال
ويقين نشا من المشاهدة والعيان فان قلت العلم الحاصل في كل منهما لا
يحتمل النقيض فما التفاوت بينهما قلت اليقين الحاصل من المشاهدة لا
يزاحمه الوساوس ولا تصادمه الشبه وارتفع الغمام وانكشف الحجاب
فاطمان القلب واستراحت النفس في يقينها الذي ادركته واما اليقين
الحاصل بالاستدلال فانه وان لم يحتمل النقيض ايضا لكن للشبه حوم حوله
وللوساوس دغادغ فان قلت ما ذكر خارج عن ماهية اليقين واليقين
مقول بالتواطي على كلا الفردين وذلك لا يوجب التفاوت في اصل الماهية
قلت لا نسلم بل هو مقول بالتشكيك على افراد متعددة ومراتب متفاوتة
كما يشهد بذلك النصوص وقول امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
لو كشف الغطا ما ازددت يقينا صريح في قبول اليقين للزيادة **وعزما** العزم
يراد به هنا ما يراد به في قوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وفي القاموس
واولوا العزم من الرسل الذين عزموا على امر الله فيما عهد اليهم قال القاضي
البيضاوي واولوا العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها
وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها انتهى وحاصله ان النبي صلى

الله

الله عليه وسلم اقوى اوليا الله عز وجل اجتهادا في تاسيس الملة الحنيفية
وتقريرها واكثرهم صبرا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين واشدهم عزما
على امتثال امر الله عز وجل فيما عهد اليه وليس المراد بالعزم هنا مطلق عقد
القلب فانه غير ملايم **واشدهم بهم رافة ورحما** في النهاية الاثيرية الرافة
ارق الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة والرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة
والرحم بضم الراء وسكون الحاء مصدر رحم وهو الرحمة وهو على وزن فعل كحسن
وفي الحديث ثلاث ينقص بهن العبد في الدنيا ويدرك بهن في الاخرة ما
هو اعظم من ذلك الرحم والحيا وعي اللسان **زكاه** اي زكى الله عز وجل نبيه
صلى الله عليه وسلم اي طهره ونمى صلاحه وتقواه **روحا وجسما** اما الروح فهو
جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف
متحرك ينفذ في جوهر الاعضا ويسري فيها سريان الما في الورد وسريان الدهن
في الزيتون والنار في الفحم فما دامت هذه الاعضا صالحة لقبول الاثار الفائضة
عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الاعضاء
وافادها هذه الاثار من الحس والحركة الارادية واذا افسدت هذه الاعضاء
بسبب استيلا الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الاثار فارق
الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح وهذا القول هو الصواب في المسالة
وهو الذي لا يصح غيره وكل الاقوال سواه باطلة بدليل ان الله عز وجل اخبر
بتوفيها وامساكها وارسالها في قوله عز وجل الله يتوفى الانفس واخبر بان
الملايكة يبسطون ايديهم لتناولها ووصفها بالاخراج والخروج وانها تعذب

ذلك اليوم وعن مجيئها الى ربها عز وجل كل ذلك في قوله عز وجل ولو ترى اذ الظالمون
في غمرات الموت واخبر الله عز وجل عنها بالرجوع وبالرضا وان الله عز وجل يقول
لها ادخلي في عبادي وادخلي جنتي وان الروح اذا قبض تبعه البصر وقال
صلى الله عليه وسلم نسمة المومن طاير يعلق في شجر الجنة وانها تاكل من شجر الجنة
وان ارواح الشهدا في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شات وتاوي
الى قناديل معلقة تحت العرش اي تسكن اليها وان ابواب السما تفتح لروح
المومن وانه يشيعه من كل سما مقربوها وان الله عز وجل يقول ردوا عبدي
الى الارض فترد روحه الى جسده وان روح الكافر تطرح في الارض طرحا الى غير
ذلك مما لو استقصي لطال الكلام فيه وكل ذلك من صفات الاجسام فان قلت
التزكية انما هي للنفس لا للروح فما بال المصنف علقها بالروح ولم يقل زكاه
نفسا وحسبا وقد قال تعالى قد افلح من زكاها اي النفس التي سبق ذكرها قلت
النفس هي الروح وهي التي تقبل التزكية على ان النفس تطلق في عرف اهل
الشرع على معنيين الاول معنى جامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان
وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية فهم يريدون بالنفس الاصل الجامع
للصفات الذميمة من الانسان فتراهم يقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك
والمعنى الثاني اللطيفة التي ذكرناها وفسرناها بالروح التي هي الانسان
بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب
اختلاف احوال الانسان كما قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها وهي التي تنقسم
الى

الى مطمئنة ولوامة وامارة بالسوء فان سكنت النفس وزايلها الاضطراب
الحاصل بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة كما قال تعالى يا ايتها
النفس المطمئنة واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية
ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره
في عبادة مولاها عز وجل وان تركت الاعتراض واذعنت للطاعة لمقتضى
الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء فاذن النفس
بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله عز وجل فانها مبعدة عنه وهي من حزب
الشيطان وهي مذمومة غاية الذم وهي بالمعنى الثاني محمودة لانها نفس
الانسان اي ذاته وصفته وحقيقته العالمة بالله عز وجل وتزكية الله عز
وجل روح نبيه مقطوع بها كارواح سائر الانبيا عليهم السلام الا ان روح
نبينا صلى الله عليه وسلم اقواهم تزكية لانه لم يسكن نفس نبي من الانبيا تحت
امر الله عز وجل كسكون نفس نبينا صلى الله عليه وسلم كما يشهد بذلك احواله
المعلومة وسيرته ومن تزكية جسمه شق قلبه الشريف واخراج حظ الشيطان
منه **وحاشاه عيبا ووصما** اي عزله الله عز وجل عن النوع الانساني القابل
للعيوب من جهة العيب والوصم قال ابو بكر بن دريد معنى حاشا في كلام العرب
اعزل فلانا من وصف القوم بالحشا اي بناحية ولا ادخله في جملتهم ومعنى
الحشى الناحية ويقال حاشيت فلانا وحشيته اي نحيته قال النابغة
وما احاشي من الاقوام من احد ه المعنى ما انحي احدا ثم جعل حاشا بمعنى سوى
كذا في التزيين للهروي وهذا اولى من قول ابن هشام في مغنيه انها تكون

فعلا متعديا متصرفا بمعنى استثنيته فان التعبير بالاستثنا يشعر بالمستثنى منه
لا سيما ولنا حاشا اخرى استثنائية وتلك بمعنى الا حتى ذهب كثير من النحاة الى
انها حرف دائما واما حاشا هنه فانها فعل ماض متصرف متعد فالاولى ان
تفسر بما ذكرنا واما حاشى في قوله حاش لله فهي اسم مرادف للتنزيه بدليل
قراءة بعضهم حاشا لله فهي بمنزلة معاذ الله والحاصل ان لحاشا ثلاثة
معان تاتي فعلا متصرفا ماضيا بمعنى جانب وبعد بتشديد العين كما هنا وتاتي
اداة تنزيه كما في قوله عز وجل حاش لله ما علمنا عليه من سوء وتاتي بمعنى الا
الاستثنائية وتجر المستثنى فان قلت حاشا الواقعة بعد ما في قول النبي
صلى الله عليه وسلم اسامة احب الناس الي ما حاشا فاطمة قلت هي
حاشا الفعلية التي بمعنى جنب وبعد اي لم تجنب رسول الله صلى الله عليه
وسلم من هذا الحكم فاطمة اي لم تخرجها من هذا الحكم فما هنا نافية وهذه
الجملة ليست من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هي من كلام الراوي وزعم
ابن مالك انها حاشا التي بمعنى الا وما الداخلة عليها مصدرية واستدل
بذلك على جواز دخول ما المصدرية على حاشا كما يجوز دخولها على خلا وعدا
والحق انها حاشا الفعلية بدليل رواية الطبراني ما حاشى فاطمة. ولا غيرها
والعيب ويجوز فيه العاب النقص والوصم يجوز ان يراد به العار وهو
بمعنى العيب على هذا التقدير ويجوز ان يراد به الفتور والكسل والتواني
وفي الحديث لا توصيم في الدين اي لا تكسلوا وتتوانوا في اقامة حدود الله
عز وجل اي جنب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم من العيب والفتور والكسل
وكل

وكل ما يودي الى النقص **وآتاه حكمة وحكما** اتى بمعنى اعطى فهو متعد الى مفعولين
ثانيهما غير صادق على اولهما والضمير المرفوع عائد الى الله عز وجل والضمير المنصوب
على انه مفعول اول الى النبي صلى الله عليه وسلم والحكمة اصلها المنع يقال احكمت
الرجل عن كذا اي منعته وسميت الكلمة الواعظة حكمة لانها تمنع عن التورط
في الجهل ومن ثم قيل حكمة الدابة قال الشاعر ٭ ابني حنيفة احكموا سفهاءكم ٭
اني اخاف عليكم ان اغضبا ٭ وسمي الحكم حكما لانه اذا تم منع الخصمين عن
التخاصم ويجوز ان يراد بها هنا ما اريد بها في قوله عز وجل وما انزل عليكم
من الكتاب والحكمة اي ما في القران من وجوه التحليل والتحريم ومعرفة
الشريعة كلها وان يراد بها ما اريد بها في قوله تعالى ولقد اتينا لقمن الحكمة اي الفهم
والعلم وان يراد بها ما اريد من قوله عز وجل ولقد اتينا آل ابرهيم الكتاب
والحكمة اي النبوة ~~وفي قوله~~ وفي قوله عز وجل واتيناه الحكمة وفصل الخطاب
اي النبوة وفي الوافي قوله عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة اي بالقران
وقال ثابت بن عجلان الانصاري كان يقال ان الله عز وجل ليريد العذاب
باهل الارض فاذا سمع تعليم الصبيان الحكمة صرف ذلك عنهم قال
مروان يعني بالحكمة القران وقيل هي المعرفة بالقران فقهه ونسخه
ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومتقدمه ومؤخره وقيل هي الفقه
في القران وقيل الاصابة في القول والفعل وقيل هي العقل في الدين ويعجبني
في ذلك قول نجم السنن مالك بن انس رضي الله عنه الحكمة هي المعرفة بدين الله
والفقه فيه والاتباع له وعرفها القاضي البيضاوي باستكمال النفس الانسانية

باقتباس النظريات واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة بقدر الطاقة البشرية
واما الحكم فهو الكلام النافع الذي يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما وقيل اراد
به المواعظ والامثال التي ينتفع بها الناس وفسر ايضا بالعلم والفقه
والقضاء بالعدل وهو مصدر حكم يحكم وفي الحديث ان من الشعر لحكما وفي الحديث
الصمت حكم وقليل فاعله وفي الحديث ايضا الخلافة في قريش والحكم في الانصار
وانما خص الانصار بالحكم لان اكثر فقهاء الصحابة منهم كمعاذ بن جبل وابي بن
كعب وزيد بن ثابت قال بعضهم وما قيل من ان في حكمة وحكم تجنيس التحريف
فخطأ اذ لا بد فيه مع الاختلاف في هيئات الحروف من الاتفاق في عددها كما في
نوعها وترتيبها كما في قولهم البدعة شرك الشرك ولا اتفاق بين المتجانسين في
العدد فيما نحن فيه انتهى واقول المراد بالتوافق ان يوجد في احدى الكلمتين ما
يوجد في الاخرى من الحروف وان زادت احدى الكلمتين على الاخرى فالزيادة لا
تمنع التوافق على انه مثل ذلك بقوله البدعة شرك الشرك مع ان الشرك قد زاد
على شرك بالالف واللام فلو كانت الزيادة تمنع التوافق لم يصح تمثيله تبعا
لغيره بذلك على انهم في كتب البديع مثلوا للجناس المحرف بقول النبي صلى الله عليه وسلم
الظلم ظلمات يوم القيمة ولا شك ان ظلمات زاد على ظلم لكن حروف ظلم كلها
موجودة في ظلمات فتوافق ظلم وظلمات في الظا واللام والميم وزيادة ظلمات
بالالف والتا لا يمنع هذا التوافق فمن قال بذلك لم يخطئ وفتح اي الله به اي بسببه
فهو السبب العادي لهداية الناس ومعنى السبب العادي ان الله عز وجل جعل
ارساله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم امارة خلقها الله عز وجل ابتدا او خلق ابتدا عندها
هداية

هداية من هدى من عباده جعلنا الله عز وجل منهم لانه من قواعد اهل السنة ان
اختيار الله عز وجل لايجاده ممكنا مع ممكن اخر كاختياره جل وعلا ايجاد الشبع
من الطعام والري مع شرب الما والاحراق مع مس النار وتفريق الاجزاء مع
مس حد السيف والهداية مع مرسولية الرسل لا يدل شي من ذلك على ان لتلك
الامور المقارنة تاثيرا في ما قارنته لا استقلالا ولا اعانة بل خلق الله عز
وجل الهداية عند مرسولية الرسل ابتدا كما خلق مرسولية الرسل ابتداء
فوجودها وعدمها بالنسبة الى التاثير سوا وايجاده جل وعلا لممكن مع
ممكن بمقارنته كايجاده تعالى له منفردا عن مقارنة ممكن اخر وانما الله الفاعل
المختار جل وعلا ينصب ما شا من الامارات المخلوقة له تعالى لما شاء
من افعاله واحكامه ويترك ذلك في بعضها لا يسال عما يفعل ونحن مسؤولون
اعينا عميا جمع عين جمع قلة استعير لجمع الكثرة وعمي جمع عميا اي اعينا
موصوفة بالعمى وهو عدم البصر عما من شانه ان يبصر اي ان الله عز وجل منح
قوما عند بعثته محمدا صلى الله عليه وسلم كالنوافي عدم تبصرهم في ايات الله واجراهم
افكارهم في قدرة الله عز وجل كاقوام ابيضت اعينهم فصارت اعينهم كانها عمي
لان المقصود المهم من البصر ان يصرف في التبصر في ايات الله ومن فقد التبصر
فكانه اعمى وان كان بصيرا فشبه الهيئة الحاصلة للكفار في كونهم لا ينتفعون
بما تراه ابصارهم في توحيد ربهم عز وجل كما قال ربنا في شانهم اولم يروا انا
نسوق الما الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا
يبصرون فالعمي الذين لا ينتفعون بابصارهم في ابصار المبصرات فيكون الاطلاق

العمى على تلك الاعين من باب التمثيل وليس من قبيل الاستعارة التمثيلية لان شرط
الاستعارة ان يطوى ذكر المشبه وههنا المشبه وهو الاعين مذكور على وجه
يشعر بالتشبيه وليست كقول زهير بن ابي سلمى • لدى اسد شاكي السلاح مقذف •
له لبد اظفاره لم تقلم • فان ذلك طوي فيه ذكر المشبه **وقلوبا غلفا** بسكون اللام
بعد غين معجمة ومعناه قلوبا كانت مغطاة عليها اغطية عن قبول الحق فكشفها الله
عز وجل على يد النبي صلى الله عليه وسلم فصارت فاهمة للحق وهذا هو المراد من قوله
عز وجل حكاية عن اليهود وقالوا قلوبنا غلف على قراءة من سكن اللام اي مغطاة
عن قبول ما جئت به يا محمد وليس هذا على طريق التهكم لانهم ارادوا ان علمك الذي
اتيت به نحن لا نفهمه لعدم قبولنا له فاذهاننا لم تدركه لبعده وقولنا على
قراءة من سكن احترازا عن قراءة من ضم اللام في غلف فانه يكون جمع غلاف كحمر
وحمار فمعناه ان قلوبنا اوعية للعلم فما لها لا تفهم مقالتك ونحن نعي ونحفظ
علما كثيرا وفي الحديث القلوب اربعة فقلب اغلف فاما الذي حقيقته الاغلف
الذي عليه لبسه لم يدرع منها اي لم يخرج منها دراعه ومنه غلام اغلف اذا لم
تقطع غرلته ولم تكن قلوب القوم مغطاة مغلفة حقيقة وانما المراد ان الله عز
وجل احدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح
الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر
الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق وتصير كانها مغطاة بغطاء فيكون
اطلاق الغلف على هذه القلوب من قبيل التمثيل فان قلت حيث كانت قلوبهم غلفا
فالفتح انما هو للغلاف لا للقلب الذي هو ذو الغلاف فما معنى فتح القلوب الغلف

قلت

قلت الفتح هنا ليس المراد منه معناه الحقيقي وانما المراد به الكشف فشبه
العمى الحاصل عن ايات الله عز وجل والجهل الثابت لقلوبهم عن ادراك جلال الله
وعظمته بباب مقفل على شيء نفيس وهو في صدد ان يفتح ذلك الباب فهو استعارة
مكنية واثبات الفتح لذلك العمى والاغلف استعارة تخييلية فليس الفتح هنا
على بابه فلا يحتاج الى تقدير مضاف فان قلت القلوب الغلف ما المراد بها قلت
القلب له اطلاقان الاول اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر
من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود
وهو منبع الروح ومعدنه وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت
وهذا القلب لا نريده وهو من عالم الملك والشهادة والمعنى الثاني لطيفة
روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة
الانسان المدركة العالمة العارفة وهي المخاطبة والمطالبة والمعاتبة ولهذه
اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني والمراد بالقلب في هذا المقام هو هذا **واذانا
صما** الاذان جمع اذن ويجوز ضمها اذين وهي الجارحة المعروفة التي
هي محل السمع والصم جمع صما وهي من اتصفت بالصمم وهو
انسداد الاذن وثقل السمع وهذه الاذان الصم كانت لقوم سدوا
مسامعهم عن الاصاخة الى الحق لان [illegible] الاذن التي لا تصيخ
الى الحق كانها صما وان كانت تسمع في الجملة لكن لما لم تسمع السمع
المعتد به وهو الموجب للسعادة الابدية وهو الاصاخة الى الحق
جعلت كانها صما ففتحها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فكشف عنهم

الشبه التي كانت تمنعهم من الانقياد الى الحق فكان ذكر مشابها لازالة
الصمم عن اذانهم ومعنى فتح الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم الاعين
العمى الى اخره هداية الله عز وجل لهم وحصول الاهتدا وخلق التوفيق
فيهم واصبحوا مومنين بعد ان كانوا كفارا ومطيعين بعد ان كانوا عصاة
وموحدين بعد ان كانوا مشركين ومخلصين بعد ان كانوا منافقين
ونشا ذلك من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الى الايمان والطاعة وايضاح
سبيل الرشد وتيسير مقاصده والزجر عن طرق الغواية فان قلت
قد اثبتم لنبيكم صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد فتح به اعينا عميا الى
اخره فيصح ان محمد اهدى العمي الى اخره مع ان الله عز وجل قال وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم مخاطبا بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم قلت لنا
ان نثبت له الهداية بمعنى الدعوة الى الايمان والطاعة وايضاح سبيل
الرشاد وتيسير مقاصده والزجر عن طريق الغواية لا بمعنى خلق
الاهتدا فان ذلك فعل الله عز وجل وحده فامن به اي بالنبي صلى الله عليه وسلم
عداه بالبا لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث
ان الواثق صار ذا امن ومن تعديته بالبا قوله عز وجل امن الرسول
بما انزل اليه من ربه وقوله صلى الله عليه وسلم الايمان ان تومن بالله
الحديث وقد يتعدى باللام كقوله عز وجل فامن له لوط ومعنى امن
اتصف بالايمان وهو في اللغة التصديق ماخوذ من الامن كان
المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة ومنه قوله عز وجل وما انت

بمومن لنا

بمومن لنا ولو كنا صادقين اي بمصدق وهو في الشرع التصديق
بما علم مجي النبي صلى الله عليه وسلم به ضرورة تفصيلا فيما علم تفصيلا
واجمالا فيما علم اجمالا هذا مذهب الاشعري واتباعه والتلفظ
بكلمتي الشهادتين مع القدرة شرط فمن اخل به فهو كافر مخلد في النار
لا تنفعه المعرفة القلبية فان من الكفار من يعرف الحق يقينا
وكان انكاره عنادا واستكبارا والدليل على خروج كلمتي
الشهادة عن الايمان قوله عز وجل اولئك كتب في قلوبهم الايمان
وقوله عز وجل وقلبه مطمئن بالايمان يدل على انه فعل القلب
وهو التصديق والعمل خارج عنه لمجيئه مقرونا مع الايمان
معطوفا عليه في عدة مواضع من كتاب الله عز وجل كقوله ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات فان الجز لا يعطف على كله
وتفصيل المقام ان فيه اربعة احتمالات
الاول ان يجعل الاعمال داخلة في قوام الايمان حقيقة
حتى يلزم من عدمها عدمه وهو مذهب المعتزلة
الثاني ان تكون اجزا عرفية للايمان فلا يلزم من عدمها عدمه كما
يعد في العرف الشعر والظفر واليد والرجل جز الزيد مثلا
ومع ذلك لا يقال بانعدام زيد بانعدام احد هذه الامور
وكاغصان الشجرة تعد جزاها ولا يقال بانعدامها اذا انعدم
غصن منها وهذا هو مذهب السلف وبه يدل الحديث الصحيح

الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها لا اله الا الله وادناها اماطة
الاذى عن الطريق فكان لفظ الايمان عندهم موضوعا للقدر
المشترك بين التصديق المعتد به بان ياتي معه بشهادة ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله وبين الاعمال فيكون الاطلاق على
التصديق فقط وعلى مجموع التصديق والاعمال حقيقة كما
ان المعتبر في الشجرة بحسب العرف القدر المشترك ومجموع ساقها
مع الشعب والاوراق فلا يطلق الانعدام عليها ما بقي الساق وقس
عليه الانسان المعين كزيد فالتصديق بمنزلة اصل الشجرة
والاعمال بمنزلة فروعها واغصانها فما دام الاصل باقيا يكون الايمان
باقيا وان انعدم شعب منه كما تقدم تمثيله بالشجرة الثالث
ان تجعل الاعمال اثارا خارجة عن الايمان ويطلق عليها لفظ
الايمان مجازا ولا مخالفة بينه وبين الاحتمال الثاني الا ان يكون
اطلاق اللفظ عليها حقيقة او مجازا وهو بحث لفظي الرابع
ان تكون الاعمال خارجة عنه بالكلية ومن القائلين بهذا الاحتمال
من يقول لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة
وهو مذهب الخوارج وعزره ونصره اي صدر منه تعزيره
ونصره اما التعزير فهو بالزاي وقبلها راء مهملة قال الزجاج
العزر في اللغة الرد وتاويل عزرت فلانا اي ادبته فعلت به ما
يردعه عن القبيح كما تقول نكلت به اي فعلت به ما يجب ان ينكل

معه

معه عن المعاودة قال قتادة فعلى هذا عزرتموهم اي نصرتموهم بان
تردوا عنهم اعداءهم قال ونصرة الانبياء هي المدافعة عنهم والذب عن
دينهم وتوقيرهم وتعظيمهم قال الهروي ولذلك يسمى الضرب دون
الحد التعزير وانما هو منع الجاني ان يعاود ويقال عزرته وعزرته
وانشد للقطامي الا بكرت سلمى بغير سفاهة تعنفني والمرء ينفعه العزر
فان قلت قضية ما ذكرتم ان التعزير يطلق على التعظيم وعلى الضرب
دون الحد ويلزم من ذلك الاهانة فيلزم ان يكون التعزير لفظا مشتركا
بين التعظيم والاهانة وانه مستعمل في الضدين فلم استعمل المصنف
هذا اللفظ المشترك وترك لفظا هو نص في التعظيم كان يقول
وعززه اي قواه وايده ومنه قوله فعززنا بثالث اي قويناه
به قلت الداعي الى ذلك موافقة ما في الاية من ان الله عز وجل وعد
على تعزير النبي صلى الله عليه وسلم اجرا عظيما قال الله عز وجل فالذين
امنوا به اي بالنبي الامي الذي سبق ذكره وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون ولو قال
وعززه لما وافق لفظ الاية مع ان المشترك اذا ظهر المراد منه
ذهب اجماله وبقي معناه مبينا وظهور المراد منه هنا
لا مرية الاول ان جلالة النبي صلى الله عليه وسلم في قلب المومن
تمنع عن ان يخطر بالبال شيء من ذلك المعنى او يتوهم توجهه
الوجه الثاني ان السياق والسباق مبينان المراد منه وهو

الاجلال والتعظيم على ان فى استعمال هذه اللفظة اعتمادا على اقوى
الدليلين من اللفظ والعقل واقواهما وهو العقل كانه يشير الى ان العقل
قاطع بجلالة قدر النبي صلى الله عليه وسلم فهل يتصور ان يريد منكم مومن
اهانته واما النصر فمعناه الاعانة يقال نصره ينصره نصرا اذا اعانه
على عدوه ويقال نصر الغيث البلد اذا اعانه على الخصب والنبات
من جعل الله له عز وجل في مغنم السعادة قسما اي قدر وقضى فان قلت
القضا والقدر امران لا يعلمان فكيف تحكمون بان من آمن بالنبي صلى الله
عليه وسلم وعزره ونصره سعيد قلت نعلم ذلك بما يسره الله عز وجل
له من اسباب السعادة وقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حديث صحيح رواه الشيخان والترمذي والنسائي والدارقطني
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده
من النار ومقعده من الجنة قالوا يا رسول الله افلا نتكل على
كتابنا وندع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان
من اهل السعادة فسييسر لعمل اهل السعادة واما من كان
من اهل الشقاوة فسييسر لعمل اهل الشقاوة ثم قرا فاما من
اعطى واتقى وصدق بالحسنى الاية فان قلت يلزم ان تقولوا
انه لا بد ان يسعد من امن به وعزره ونصره فيلزم ان تقولوا
بانه يجب على الله عز وجل اسعاد المومن واشقا الكافر وهذه
مقالة معتزلية يا باها اهل السنة قلت انما يلزم استحالة وقوع
تخلف

تخلف وعد الله عز وجل لا انه يجب عليه تعالى وتقدس شي اذ فرق
بين استحالة الوقوع وبين الوجوب عليه تعالى والمغنم الفوز بالشي
فاضافته الى السعادة اضافة بيانية كاضافة شجر الى اراك في
قولهم شجر الاراك والمراد بالسعادة دخول الجنة المقتضي للحيوة
السرمدية والنجاة من دخول النار المقتضي للهلاك الابدي اعاذنا الله
عز وجل من ذلك وذلك الفوز العظيم قال الله عز وجل فمن زحزح
عن النار وادخل الجنة فقد فاز وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو
يومن بالله عز وجل واليوم الاخر وياتي الى الناس ما يحب ان يوتى
اليه فان قلت اما يجوز ان تكون اضافة المغنم الى السعادة من
اضافة المشبه به الى المشبه نحو لجين الماء لان المغنم وكذا
الغنيمة لغة ما اخذ من العدو قهرا وشرعا ما اخذ من الكفار على وجه
ايجاف الخيل والركاب قلت يحتاج في تحقيق هذا التشبيه الى
امور الاول بيان الجهة الجامعة فان قلتم الجامع كمال اللذة والانتفاع
قلنا يخدش في ذلك ان وجه الشبه في المشبه اكمل منه في المشبه
به وهذا ليس من شان التشبيه وان وجد في قليل من افراد
التشبيه فذاك شي نادر وعندي ان الاولى ان كلا من المشبه
والمشبه به ماخوذ من عدو اما الغنيمة الدنيوية فظاهر
واما دخول الجنة فلان كل مومن اخذ ما يستحقه الكفار لولا كفرهم

من مواطن الجنة وجزاها لان كل انسان وجني له مقعد في الجنة ومقعد
في النار فالمومنون اخذوا مواطن الكفار يوم القيمة كما ياخذ
المومنون مواطنهم في الدنيا بطريق الغنيمة ولا يرد ان لو ينبو وجه
الشبه في المشبه لانه هنا في المشبه به اولى من المشبه لانه
امر جلي مشاهد في الدنيا فهو من هذه الحيثية اشد الثاني
التفصي عن ارتكاب امر لا يعهد فان امور الجنة لشدة شانها
لا ينبغي ان تشبه باحوال الدنيا الحقيرة ولذلك لما اهدى الى النبي
صلى الله عليه وسلم مناديل قال لمناديل سعد بن معاذ في الجنة
احسن من هذا ولم يقل مثل هذا الثالث انه تفوت ملاحظة الاية
التي ذكرناها فانه عبر فيها [illegible] بالفوز فينبغي ان يفسر المغنم
بالفوز والقسم بكسر القاف النصيب وفي القاموس القسم
بالكسر وكمنبر ومقعد النصيب كالاقسومة وكذب به في
القاموس كذب بالامر تكذيبا وكذابا انكره وفلانا جعله كاذبا
انتهى فالمراد هنا ان هذا الوعيد والشقا الابدي ثابت لمن انكر
محمدا صلى الله عليه وسلم كانه وصفه بصفة تخالف صفته كان
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اسود او امرد او غير قرشي او اشعر
اللحية او ازرق العينين فان قلت لم عبر بكذب به ولم يعبر
بكذبه قلت لان تكذيبه اخص من التكذيب به فكل من كذبه
اي جعله كاذبا فقد كذب به وليس كل من كذب به جعله كاذبا وذلك

لان

لان من لوازم النبي لا سيما سيد الانبيا ان يكون صادقا فمن كذب به
فقد كذب بكونه نبيا فلو قال محمد نبي صادق امين كامل الا انه
عجمي فقد كذب به ولم يكذبه ومدار الشقا والعيا ذا بالله على ان
يكذب به سوا كذبه ام لم يكذبه وصدف اي اعرض عن ايات
جمع اية واصل الاية العلامة الثابتة اخذا من قولك تايبت بالمكان
اذا اقمت به وثبت فيه ومن ثم يقال لاجعلنك اية اي علامة
وسميت الاية من القران اية لانها بمفارقتها كلام البشر علامة على
صدق الدعوة والمراد بالايات امور هي علامات على صدقه في نبوته
وفي ما بشر به وانذر واخبر صلى الله عليه وسلم والمراد بالاعراض عدم
التامل التام في ايات الله عز وجل التي جاء بها نبيه صلى الله عليه وسلم
او لم يدركها بعد التامل التام ويعاندها وفي ما ذكره اشارة الى
وتلميح الى قوله تعالى فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها
والى قوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الاية
والى قوله عز وجل وقد اتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل
يوم القيمة وزرا خالدين فيه وسا لهم يوم القيمة حملا فان كل ذلك
يفيد ان من اعرض عن ذكر الله عز وجل الذي هو القران الجامع
لوجوه السعادة والنجاة فان له عقوبة ثقيلة فادعى عنها
المصنف بالشقا كما سياتي وفي الاية الاولى بالجزا وفي الاية
الاخرى بالمعيشة الضنك وفي الاخرى بالوزر من كتب الله عز وجل

عليه الشقا حتما كتب اي حكم وقدر والشقا قال الهروي يقال لكل
من سعى في امر فبطل سعيه قد شقي به واذا ادركه قيل سعد
به وفي القاموس الشقا الشدة والعسر والحتم اللازم الواجب
الذي لابد منه وصفة هذه الكتابة تؤخذ من ظاهر الحديث الوارد
في شان الكتابة وهو ما رواه الشيخان واللفظ للبخاري بسنده
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع في بطن امه
اربعين يوما ثم علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث
الله عز وجل ملكا فيؤمر باربع برزقه واجله وشقي او سعيد فوالله
ان احدكم او الرجل يعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير
باع او ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها
وان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير
ذراع او ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها
فان ظاهر هذا الحديث يقتضي ان الكتابة المعهودة في صحيفة وقد
وقع ذلك صريحا في رواية لمسلم في حديث حذيفة بن اسيد بلفظ ثم
تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص وفي رواية له قال ثم
تطوى تلك الصحف الى يوم القيمة ووقع في حديث ابي ذر فيقضي
الله عز وجل ما هو قاض فيكتب ما هو لاق بين عينيه وتلا
ابو ذر خمس ايات من فاتحة سورة التغابن ونحوه في حديث

ابن عمر

ابن عمر رضي الله عنهما في صحيح ابن حبان غير انه لم يذكر تلاوة الاية واخرج
ابو داود في كتاب القدر ويروى عن مجاهد قال مجاهد كتب ذلك في
رق وعلق في عنقه بحيث لا يراه الناس والمراد بذلك من اصر على
هذا التكذيب حتى مات متصفا به اعاذنا الله عز وجل من ذلك والا فالعمل
بالخواتيم ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى اورد المصنف
هذه المقالة مقتبسا هذا المعنى من كتاب الله عز وجل قاصدا به الاستدلال
على مدعاه لانه حكم اولا بان من كذب بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدف اي
اعرض عن اياته فهو شقي لا محالة فاستدل على ذلك بما اقتبسه من هذه
الاية وتقرير الاستدلال ان المكذب بالنبي صلى الله عليه وسلم لا شك انه اعمى
البصيرة لانه لو لم ينزل الله عز وجل عليه هذا الكتاب الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه لكان يدرك بالتامل نبوته وكماله
لما اتى به من هذا الكتاب المذكور ومن كان في هذه الدار اعمى عن
ادراك الحجة والتوصل الى الحق فهو في الاخرة اعمى واي شقا اعظم من
العمى في دار لا نفاد لها ولا انصرام اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا
يا ارحم الراحمين فالمراد بالاعمى الاول فاقد البصيرة وان كان اصله
وضعه لفاقد البصر فاطلاق الاعمى على من لا بصيرة له استعارة
تمثيلية لانه شبه حالته بحالة الاعمى فان اصل العمى بمعناه الستر
ومنه قيل للسحاب العما لانه يستر السما وعمي الرجل كانه سترت عنه
المرئيات وقولهم عمي عن الصواب من باب التشبيه كانه ستر عنه

ويقولون للفلاة التي لا علم فيها عميا لانهم لا يبصرون فيها المقصود كانه

ستر واما العمى الذي يقع في الاخرة والعياذ بالله عز وجل فقيل عمى

حقيقي بان يكون فاقد البصر عقوبة له حيث عمي عن الحجة في

الدنيا وقد جا في الحديث ان من جار في حكمه يحشر يوم القيمة

اعمى فان قلت قد قال الله عز وجل في كتابه العزيز يتعارفون بينهم

والتعارف لا يكون ممن هو اعمى وقال تعالى فاهدوهم الى صراط

الجحيم ايدلوهم ولا دلالة للعمي وقال تعالى اسمع بهم وابصر قلت

ذلك ثابت لهم في بعض الحالات وفي بعض الاوقات فان الكفار

في حال بعثهم من القبور يكونون كاملي الحواس وقال الله عز وجل

في شانهم حينئذ فاذاهم قيام ينظرون وفي حال سوقهم الى موضع

الحساب يكونون ايضا كاملي الحواس بدليل قوله عز وجل فاهدوهم

الى صراط الجحيم وفي حال المحاسبة يكونون ايضا كاملي الحواس

ليقروا كتبهم ويعرفوا ما احتوت عليهم من اعمالهم ثم انهم

في حال سوقهم والعياذ بالله عز وجل الى جهنم يسلبون فيها

اسماعهم وابصارهم والسنتهم لقوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة

على وجوههم عميا وبكما وصما واما في حال الاقامة في النار فعند

ورودهم عليها تعاد اليهم ابصارهم ليشهدوا النار وانواع العذاب

ويعاينوا هاتيك الاهوال اجارنا الله عز وجل منها فقد اخبر الله

عز وجل انهم ينادون اهل الجنة قائلين لهم افيضوا علينا من الماء

او مما

او مما رزقكم الله واما عند النداء بالخلود وبعد ذبح الموت حين يوتى به كانه

كبش املح فانهم عند ذلك يسلبون ابصارهم وباقي حواسهم زيادة في

عقوبتهم اعاذنا الله عز وجل من ذلك وقيل العمى في الاخرة العمى عن

الحجة وقيل هو عدم الاهتدا الى طريق النجاة وتجوز ان يكون اعمى

الثاني هنا وفي الاية اسم تفضيل اي فهو في الاخرة اشد عمى فهو

ماخوذ من عمى القلب لا من عمى البصر لان عمى البصر لا تصح فيه المفاضلة

فان قلت قد شرطوا في اسم التفضيل كل ما شرطوه في فعل

التعجب ومما شرطوه في فعل التعجب ان لا يكون معبرا عن فاعله

بافعل فعلا فعمى البصر يقال في فاعله اعمى ويقال عميا في مونثه | ايضا م

وكذلك عمى القلب والبصيرة وفي القاموس والعمى ذهاب

بصر القلب والفعل والصفة مثله اي مثل عمى البصر وقد قال في

عمى البصر فهو اعمى وهي عميا فكيف يبنى منه اسم تفضيل

قلت لان عمى اذا اريد به عمى البصر محمول على عور الجامع ان

كلا منهما عيب ظاهري وانما حمل عليه في منع ان يبنى منه اسم

تفضيل لان حق هذه العيوب ان تكون على افعل بتشديد اللام

فالاصل في فعل اعور ان يكون اعورّ بتشديد الراء فيكون

الاصل في فعله انه غير ثلاثي وان كان يقال ايضا عور فذاك على

خلاف الاصل واسم التفضيل لا يبنى الا من الثلاثي واما

اعمى فلا يقال اعميّ بتشديد اليا لكنه محمول على اعور

بجامع ان كلا منهما عيب ظاهري واما عمى القلب فليس كذلك
فلهذا جاز ان يبنى منه اسم التفضيل قالوا ولكونه اسم تفضيل
امال ابو عمرو الاول ولم يمل الثاني لان الاول ليس اسم تفضيل
فالفه متطرفة لفظا وتقديرا والاطراف محل التغيير غالبا من
حيث انها تصير يا في التثنية فمع الثاني لانه للتفضيل
ولهذا عطف عليه واضل فالفه في حكم المتوسطة لان من
الجارة للمفضول كالملفوظ بها وهي شديدة الاتصال باسم
التفضيل فكان الالف وقعت حشوا فتحصنت عن التغيير
كذا قدره الفارسي والزمخشري وفيه نظر فانهم امالوا ولا
ادنى من ذلك مع التصريح بمن فلان يميلوا اعمى مقدرا معه من اولى
واحرى صلى الله عليه وسلم عقب الحمد بطلب الصلوة والسلام على النبي صلى الله
عليه وسلم عملا بقوله عز وجل ورفعنا لك ذكرك اي لا اذكر الا وتذكر معي كما
جا في حديث وذكره الشافعي رضي الله عنه عن مجاهد ومعناه انه
دعا الله عز وجل ان يصلي ويسلم اذ الصلوة لغة منا الدعا وهو يلزمه
التعظيم فاطلق الملزوم واريد اللازم ومنه تعالى الرحمة الا ان
الشرع خص الانبيا عليهم الصلوة والسلام بالافراد بالدعا فقط
بلفظ الصلوة تعظيما لهم والسلام اسم من التسليم وهو التحية
بالسلام ومعناها في الاصل الاخبار بالسلامة من كل مكروه وجمع
بينهما موافقة وامتثالا لقوله عز وجل صلوا عليه وسلموا تسليما.

ولما

ولما نقل النووي رحمه الله من كراهة افراد احدهما عن الاخر وظاهر
نقله انه اجماع وعدم نقله عن البعض في ذلك لا ينفيه اذ يكفي فيه
قول البعض واقرار الباقين عليه فان قلت قد وقع من الشافعي
رضي الله عنه في الام في مواضع انه افرد الصلوة من غير ذكر
السلام قلت محل الكراهة في من اتخذ الافراد ديدنا والشافعي
رضي الله عنه وجماعة من اكابر السلف رضي الله عنهم لم يقع منهم
ذلك الا قليلا وسياتي من المصنف وفيه كلام طويل معتد في
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم صلوة تنمو وتنمي في القاموس
نما ينمو نموا زاد والخضاب ازداد حمرة وسوادا ونمى ينمي نميا
انتهى فدل ذلك على جواز ان يقال ينمو وينمي وقد جات في النسخ
بهما واما تنمي الثاني فهو مبني للمفعول ومعنى تنمو الاول المبني
للفاعل تزداد لكونها مقبولة عند الله عز وجل بمقتضى وعده الكريم
ان الحسنة بعشر امثالها مع تخصيص الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم من بين الحسنات ان الله عز وجل يصلي على المصلي عليه
بكل صلوة عشرا ومعنى قوله تنمي المبني للمفعول ترتفع الى الله عز وجل
وفي القاموس نميته ونميته رفعته اي يرفعها الله عز وجل اليه
لقبولها بمقتضى قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وعلى اله وهم لغة عترة الرجل المنتسبون اليه
وهذا معنى قول سيبويه هم الذين يؤول امرهم الى المضاف اليه

الام اسم كتاب للامام الشافعي رضي الله عنه

واما في الشرع فعند الشافعي رضي الله عنه والجمهور هم المومنون من
بني هاشم والمطلب ابني عبد مناف ودليله في ذلك انه صلى الله عليه وسلم
قسم سهم ذوي القربى وهو خمس الخمس بين هاتين القبيلتين تاركا
منه غيرهم من بني عمهم نوفل وعبد شمس مع سوالهم له رواه
البخاري وقال ان هذه الصدقات انما هي اوساخ الناس وانها
لا تحل لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لآل محمد رواه مسلم وقال لا احل
لكم اهل البيت من الصدقات شيا ولا غسالة الايدي ان لكم في
خمس الخمس ما يكفيكم او يغنيكم اي بل يغنيكم رواه الطبراني في
معجمه الكبير وقيل هم كل مومن واختاره النووي لحديث ورد فيه
وخص بمقام الدعا لا في تحريم الصدقة واخذ خمس الخمس وقال
الازهري انه اقرب الى الصواب لان لفظ آل ماخوذ من آل يوول
الى الشي اذا رجع اليه بقرابة او نحوها وامر امته راجع اليه في
الدنيا والاخرة من حصول الشرف به لكل مومن بحسب قربه منه
في المعنى وان بعد عنه في النسب واصله كما قال سيبويه
واقتصر عليه في الكشاف اهل قلبت الها همزة والهمزة الفا
لسكونها وانفتاح ما قبلها قيل هو مخالف لحكمة اللغة لان الهمزة
اثقل من الها مع قلبها الفا في حاجة دعت الى كثرة التغيير واجيب
بانهم لم يقلبوا الها همزة الا ليتوصلوا الى قلبها الفا فان الها لا يعهد
قلبها الفا وقيل اصل آل اول قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح

ما قبلها ولا يستعمل آل الا في الاشراف بخلاف اهل وانما قال الله
عز وجل آل فرعون لتصوره بصورة الاشراف او لشرفه عند
قومه والاصح جواز اضافته الى الضمير كما فعل المصنف وليس
هو من لحن العامة كما زعمه الكسائي وكان الاولى بالمصنف ان
يصلي ايضا على صحب النبي صلى الله عليه وسلم فان الصلوة عليهم تبعا
للنبي صلى الله عليه وسلم مستحبة كالآل على المعتمد كما اقتضاه كلام
الرافعي رحمه الله وصرح به غيره لانها اذا طلبت على غير الصحابة
فعلى الصحابة اولى وقول ابن عبد السلام من الشافعية لا يستحب
ان يذكر الا من صح ذكره وهم الآل والازواج والذرية بخلاف من
عداهم صحابيا كان او غيره مرجوح وسلم تسليما جمع السلام الى الصلوة
حذرا من كراهة افراد الصلوة عنه كما قررنا وقد اكد المصنف
السلام بذكر الفعل والمصدر ولم يوكد الصلوة به تبعا لما وقع في
الاية فان قلت لم وقع في الاية تاكيد السلام ولم توكد الصلوة
قلت قد اجاب عن ذلك الفاكهاني بما حاصله ان الصلوة موكدة
بان وكذا باعلامه تعالى انه يصلي عليه وملائكته ولا كذلك السلام
فحسن تاكيده بالمصدر اذ ليس ثم ما يقوم مقامه وقيل في
الجواب ان الصلوة تاكدت بتقديمها والاعتنا بشانها فان
قلت هل يجري هذان الجوابان هنا قلت يمكن جريان الاول بان
يقال ان المصنف اخبر ان الله عز وجل صلى عليه حيث قال

في نسخة
وعلى آله واصحابه
وكان الشارح لم يجد
ما وقف عليه من
نسخ المتن ذكر الاصحاب
فكان ما قال
زين الدين

صلى الله عليه ويكون قوله بعد ذلك وسلم بصيغة الامر اي سلم انت
ايها السامع عليه فيكون للفظ الاية ومعناها غير انه يفوته ان (مطابقة)
يكون قصد الدعا له صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلوة ويكون قد امر
السامع بالسلام عليه ويظهر ان قصد الدعا له صلى الله عليه وسلم
بلفظ السلام والحق ان المصنف قصد ان يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم
بلفظي الصلوة والسلام غير انه استغنى عن تاكيد الصلوة بتقدمها
ولما اخر السلام اراد ان يبالغ في شانه فاكده بالمصدر حتى ينجبر
قصوره تاخيره بتاكيده فان قلت ان ربنا عز وجل لم يخبر عن نفسه
الكريمة بانه يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وانما اخبر انه يصلي عليه
قلت نعم لكنه امرنا ان نسلم عليه فالمصنف قصد امتثال الامر
واسنده الى الله عز وجل ولم ينسبه الى نفسه اعترافا بالقصور
عن هذه الدرجة وهضما لنفسه في ان يكون هو المسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم فكانه قال انا ادعو الله عز وجل ان يسلم عليه كما
هو حق قدره الذي هو تعالى اعلم به وانما اتى المصنف بالصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم في صدر كتابه عملا بما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلام لا يذكر الله عز وجل فيه
فيبدا به وبالصلوة علي فهو اقطع ممحوق من كل بركة اخرجه
الديلمي في مسند الفردوس وابو موسى المديني والخليلي في
الارشاد ومن طريقه الرهاوي ورواه ابو عمرو بن منده بلفظ كل

امر

امر ذي بال لا يبدا فيه بذكر الله عز وجل ثم بالصلوة علي فهو اقطع اكتع
ممحوق من كل بركة وقد قال الشافعي رضي الله عنه احب ان يقدم
المرء بين يدي خطبته وكل امر طلبه حمد الله عز وجل والثناء عليه سبحانه
وتعالى والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وقد وقع من (مطلب في السجع)
المصنف انه اتى بسجعتين الاولى اطول من الثانية وقد قال
البديعيون احسن السجع ما تساوت قراينه نحو في سدر
مخضود وطلح منضود وظل ممدود ويليه ما طالت قرينته
الثانية نحو والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى او الثالثة
نحو خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا فاسلكوه وقال ابن الاثير الاحسن في الثانية المساواة
والا فاطول قليلا وفي الثالثة تكون اطول وقال الخفاجي لا
يجوز ان تكون الثانية اقصر من الاولى **اما بعد**
هو ظرف مبني على الضم على الاصح وفتحه ورفعه منونا ونصبه
لغات ضعيفة واما حرف شرط وتوكيد دائما وتفصيل كثيرا
والعامل في بعد اما لما فيها من معنى الفعل اذ الاصل مهما يكن من
شي بعد واول من تكلم بها داود وقد قيل انها فصل الخطاب الذي (مطلب اول من تكلم باما بعد)
اوتيه وقيل غيره وقيل اول من تكلم بها قس بن ساعدة
وقيل كعب بن لوي وقيل يعرب بن قحطان حكاه النووي في
شرح مسلم وقيل يعقوب وانه ورد في حديث ما كان يعقوب.

اول من قال اما بعد في الجاهلية سحبان بن وائل وهو اول من امن بالبعث في الجاهلية واول من اتكا على عصاه

قال اما بعد انا اهل بيت موكل بنا البلاء ويعقوب كان قبل داود
فلعله اول من تكلم بها وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي
بها في خطبه قال القرطبي وروي ان اول من قالها في الجاهلية
سحبان بن وائل وهو اول من امن بالبعث في الجاهلية واول
من اتكا على عصا وعمر مائة وثمانين سنة ولو صح ان داود ويعقوب
قالاها فليس ذلك بالعربية بل قالا بلسانهما ما يودي معناها
اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين يقال شرقت الشمس
اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت ولهذا جاء قول ابن عباس نهى النبي صلى الله
عليه وسلم عن الصلوة بعد الصبح حتى تشرق الشمس بالوجهين بفتح
التاء مراد به تطلع وبضمها مراد به تضيء لارتفاعها واشرق هنا
معناه اضاء ولهذا جاء هنا متعديا لان اضاء متعد قال تعالى فلما اضاءت
ما حوله فان اضاء تعدى الى اسم الموصول اي اضاء قلبي والمراد
بالقلب اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع
الاعضاء وهو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني
تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدركة
العالمة العارفة من الانسان وهي المخاطبة والمطالبة والمعاتبة
ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني وقد تحير عقول اكثر
الخلق في ادراك وجه العلاقة والانوار جمع نور والنور والنار
اصلهما واحد والنار الفها منقلبة عن واو فاصلها نور ولذلك
يقال

يقال تنورت النار اذا ابصرتها واصل الكلمة البياض والنور وسميت
النورة بذلك لبياضها واليقين العلم بالشيء بعد ان لم يكن واقفا
به ولهذا لا يقال لله عز وجل انه متيقن ويجوز فيه يقن ويضاف
اليه ثلج فيقال ثلج اليقين ولا يقال ثلج العلم وهو ابلغ من العلم
وفي شرح المواقف اليقين هو اعتقاد ان الشيء كذا مع مطابقة
الواقع واعتقاد انه لا يمكن ان يكون الا كذا واضاف المصنف رحمه الله
الانوار الى اليقين اما باعتبار ان يراد بالنور هذا البياض المعلوم
واضافته اليه حينئذ من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه
كلجين الماء اي نور الله عز وجل قلبي وقلبك بيقين هو كالنور في
اشراقه وبياضه وازالته الظلم كما ان اليقين يزيل ظلم الجهالات
والشكوك والاوهام والوساوس لكن اليقين له مراتب الاولى
ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض فان العوام لما بلغوا سن
التمييز سمعوا من ابائهم وامهاتهم وجود الله عز وجل وعلمه
وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم
وصدقه وما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمانوا اليه
ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوا لحسن ظنهم باباءهم وامهاتهم ومعلميهم
وهذا الايمان سبب النجاة في الاخرة واهله من اوائل رتب
اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة
وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطا ممكن فيما يسمع من الاحاد

قوله ويجوز فيه يقن اي في لفظ اليقين ه

بل من الاعداد وما يتعلق بالاعتقاد الثانية ايمان المتكلمين وهو
ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة العوام الثالثة
ايمان العارفين وهو المشاهدة بانوار اليقين ولعل هذا هو
مراد المصنف باليقين الذي هو كالنور ويجوز ان يراد بالنور
الهداية الحاصلة للمومن من اليقين الذي حصل له وقد فسر
النور في قوله عز وجل يخرجهم من الظلمات الى النور بالهداية
الى الحق وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل في سمعي نورا
وفي بصري الحديث والمراد بالنور في هذه الاعضا الهداية وتوجيهها
الى السداد وهذه الهداية ناشية من اليقين الراسخ في القلب
وفي الحديث الصحيح الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح
الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب معناه
اذا صلح القلب بالقلب باليقين صلح الجسد بالطاعة والاذعان
واذا فسدت بضد اليقين كالشك والجهل وسوء الاعتقاد
فسد الجسد كله بالمخالفة والعصيان فان كل من تيقن شيا
من امر الاعتقاد يتمشا من تيقنه والحاصل ان اليقين في
الاعتقاديات شي من شانه انه اذا حصل للعبد اهتدى بمعنى
ان الله عز وجل يمن على المتيقن بالهداية وهي المعبر عنها
بالشرح وبالنور ويرشد الى ذلك ما جاء في الحديث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن شرح الصدر الواقع في قوله عز وجل

فمن

فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقالوا يا رسول الله
ما هذا الشرح فقال نور يقذفه الله عز وجل في قلب المومن
فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم
الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزوله **ولطف بي ولك** في النهاية الاثيرية يقال لطف به وله
بالفتح يلطف اذا رفق به وقال ان من اسمائه عز وجل اللطيف
وهو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها
الى من قدرها له من خلقه وفي شرح حجة الاسلام ابي حامد الغزالي على
اسما الله عز وجل الحسنى انما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح
وغوامضها وما دق منها وما لطف ثم يسلك في ايصالها الى المستصلح
بسبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف
في الادراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك في الفعل والعلم
الا لله عز وجل وفي شرح المواقف للسيد الجرجاني اللطيف خالق
اللطف وهو ان يلطف بعباده من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون
وقيل العالم بالخفيات فعلى الاول يرجع اللطف الى الفعل وعلى الثاني
الى العلم انتهى وحينئذ لا يحتاج في تعديته باللام الى ارتكاب
تضمينه معنى الايصال بل هو متعد باللام كما هو متعد بالباء
حقيقة من غير احتياج الى ارتكاب تضمين **بما لطف به لاولياء**
المتقين تعدية لطف بالباء هنا ليس استعمالا للغة الثانية لان لطف

اذا تعدى للامر الذي وقع اللطف بسببه يكون تعديته بالبا ليس الا
مثال ذلك ان يقال لطف لزيد المريض بالعافية فتعديته الى الذات
التي وصل اليها اللطف يجوز ان يكون بالبا ويجوز ان يكون باللام وتكون
البا حينئذ واللام حرفي تعدية واما تعديته الى العافية التي بسببها
وقع اللطف فهي بالبا ليس الا وتكون البا حينئذ للسببية وكذلك
ان تقول لطف الله عز وجل بزيد بالعافية فالجار الاول لغو والبا فيه
للتعدية والجار الثاني مستقر والبا فيه للسببية فالبا في قول
المصنف بالطف به للسببية ونعني بالسببية السببية العادية
والاوليا جمع ولي وفي شرح المقاصد للتفتازاني الولي هو العارف
بالله عز وجل وصفاته المواظب على الطاعات المجتنب عن
المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات وقال
ابن دهاق في شرح الارشاد للولي اربعة شروط احدها ان يكون
عارفا باصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخالق وبين النبي
والمدعي الثاني ان يكون عالما باحكام الشريعة نقلا وفهما ليكتفي بنظره
عن التقليد في احكام الشريعة كما اكتفى عن ذلك في اصول التوحيد
فلو اذهب الله عز وجل على الارض لوجد عنده ما عندهم ولا قا
قواعد الاسلام من اولها الى اخرها الثالث ان يتخلق بالخلق المحمود
الذي يدل عليه الشرع والعقل الرابع ان يلازمه الخوف من الله
عز وجل ابدا ويعدم العلم بانه من فريق السعادة ام من فريق الشقا

وفي الرسالة القشيرية الولي يحتمل امرين احدهما ان يكون فعيلا مبالغة
الفاعل كالعليم والقدير وغيرها فيكون معناه من توالت طاعته
من غير تخلل معصية ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول كالقتيل
بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو الذي يتولى الله الحق سبحانه
وتعالى حفظه وحراسته على الادامة والتوالي فلا يخلق له عز وجل
الخذلان الذي هو قدرة المعصية ويديم توفيقه الذي هو ادامة
قدرة الطاعة قال الله عز وجل وهو يتولى الصالحين وفي
شرح الفصوص للقيصري الولاية تنقسم الى قسمين عامة وخاصة
فالاولى تشمل كل من آمن بالله عز وجل وعمل صالحا على حسب
مراتبهم كما قال تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور الاية والثانية تشتمل على الواصلين من السالكين فقط
عند فنائهم فيه وبقائهم به والفنا عبارة عن فنا العبد في الحق
جل وعلا فالولي هو الفاني فيه والباقي به وليس المراد بالفنا
هنا انعدام عين العبد مطلقا بل المراد به فنا جهة البشرية في
الجهة الربانية اذ لكل عبد جهة من الحضرة الربانية هي المشار
اليها بقوله عز وجل ولكل وجهة هو موليها وذلك لا يحصل الا بالتوجه
التام الى جناب الحق عز وجل المطلق سبحانه اذ به تقوى جهة
حقيقته فتغلب جهة خلقيته الى ان تقهرها وتفنيها
بالاصالة كالقطعة من الفحم المجاورة للنار فانها بسبب المجاورة

والاستعداد لقبول النارية والقابلية المختفية فيها تشتعل قليلا
قليلا الى ان تصير نارا فيحصل منها ما يحصل من النار من الاحراق
والانضاج والاضاءة وغيرها وقبل الاشتعال كانت مظلمة كدرة
باردة وذلك التوجه لا يمكن الا بالمحبة الذاتية الكامنة في العبد
فظهورها لا يكون الا بالاجتناب عما يضادها وينافيها وهو
التقوى عما عداها فالمحبة هي المركب والزاد التقوى وهذا الفناء
موجب لان يتعين العبد بتعينات حقانية وصفات ربانية
مرة اخرى وهو البقاء بالحق فلا يرتفع التعين منه مطلقا انتهى
والمتقين جمع متق وفي تفسير القاضي البيضاوي والمتقي اسم فاعل
من قولهم وقاه الله عز وجل فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في
عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلاث مراتب
الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله عز وجل
والزمهم كلمة التقوى الثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك
حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في عرف الشرع
وهو المعنى بقوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة
ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بشراشره
وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله عز وجل هدى للمتقين على الاوجه
الثلاثة انتهى ثم ان اصل التقى ان تجعل بينك وبين ما تخافه حاجزا

قال

من الكامل

قال النابغة: سقط النصيف ولم ترد اسقاطه، فتناولته واتقتنا باليد
قال العسكري والمتقي في اسماء الدين هو الذي يؤدي الفرائض
ويجتنب المحارم ويجعل ذلك بينه وبين النار جنة ولا يستحق
مطلقا الا المستحق للثواب **الذين شرفهم الله عز وجل بنزل قدس**
في القاموس الشرف محركة العلو والمكان العالي والمجد انتهى
والنزل بضم النون مع سكون الزاي وتجوز ضمها في القاموس
والنزل بضمتين المنزل وما هيئ للضيف ان ينزل عليه
كالنزل اي بسكون الزاي والقدس الطهر ومن اسمائه عز وجل
القدوس اي الطاهر عما لا يليق بجلاله ومنه قوله عز وجل ونقدس
لك اي نقدسك ونطهرك عما لا يليق وقيل معناه نطهر انفسنا
لك ومنه الارض المقدسة اي المطهرة ومنه سمي بيت المقدس
به لانه المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب ومنه قيل للسطل
قدس اي يتطهر منه وفي الحديث لا قدست امة لا يؤخذ
لضعيفها من قويها اي لا طهرت فالمراد بالشرف هنا اما العلو
والمتبادر منه العلو الحسي اي الذين اعلاهم الله ورفعهم بمنازل
طهر اي تطهير والمراد بها الجنة والفردوس الاعلى لانه لا
يدخل الا من تطهر من ذنوبه اما بالتوبة والانابة واما بعفو
الله عز وجل وتشريف الله عز وجل اياهم بها بمقتضى قوله عز وجل
تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وبقوله عز وجل ان المتقين

مجاز الاية ويجوز ان يراد بالقدس الطهر من الذنوب بالتوبة والاقلاع فكانه شبه القدس بمكان فيه منازل شريفة عالية فهو استعارة مكنية ثم اثبات النزل للقدس استعارة تخييلية والاول اولى ويؤيده ما في الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج حظيرة القدس مدمن خمر اراد بحظيرة القدس الجنة والحظيرة بالظاء المعجمة المشالة وهي في الاصل الموضع الذي يحاط عليه لتاوي اليه الغنم والابل يقيها البرد والريح ثم اطلقت على مطلق الدار فيوخذ من هذا الحديث ان من ترك الخمرة واتقى الله عز وجل يلج تلك المنازل ولا يستبعد ان تكون اضافة نزل القدس بيانية لان المنازل ليست هي القدس وانما يقع فيها القدس فالاضافة فيها بمعنى اللام فان قلت تشريف المتقين بالحلول في منازل القدس سيقع في الدار الاخرة والمصنف عبر بشرفهم المقتضي لوقوع ذكره في الزمن الماضي قلت يمكن ان يكون عبر عما سيقع قطعا بصيغة الماضي لتحقق وقوعه فهو من قبيل ونفخ في الصور او المراد انه لما شرفهم باسباب دخولها فكانهم تشرفوا بها نفسها فان كل مكلف ميسر لما خلق له ولما اكب اهل التقوى على الطاعات في الدنيا فالمثوبة التي وعد الله بها حاصلة البتة وهي الحلول في تلك المنازل واوحشهم من الخليقة بانسه في النهاية الوحشة ضد الانس ثم قال واوحش المكان اذا صار وحشا وكذلك توحش واوحشت الرجل فاستوحش انتهى فمعنى اوحشهم

اوجد

اوجد فيهم الوحشة والخليقة الناس كذا في القاموس والباء في بانسه للسببية واضافة انس اليه تعالى لانه منه واليه من كل جهة قال الجنيد الانس بالله عز وجل هو ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة وقال ذو النون الانس انبساط المحب الى المحبوب كقول الخليل ارني كيف تحيي الموتى وقول الكليم رب ارني انظر اليك وانشد

من المنسرح

شغلت قلبي بما لديك فلا • ينفك طول الحياة من فكر •
آنستني منك بالوداد فقد • اوحشتني من جميع ذا البشر •
ذكرك لي مونس يعارضني • يوعدني عنك منك بالظفر •
وحيث ما كنت يا مدى هممي • فانت مني بموضع النظر •

وقال الواسطي لا يصل الى محل الانس من لم يستوحش من الاكوان كلها وقالت رابعة كل مطيع مستانس وانشدت

من الكامل

ولقد جعلتك في الفواد محدثي • وابحت جسمي من اراد جلوسي •
فالجسم مني للجليس موانس • وحبيب قلبي في الفواد انيسي •

وخصهم من معرفته بيان لما قدم على المبين للعناية به وذهب الرضي الى ان مثله بيان لمحذوف قبله وما بعده بيان لذلك المبهم المحذوف اي خصهم بشيء من معرفته بما ملا وذلك البيان والتفصيل بعد الابهام والاجمال والمراد بمعرفته هنا التصديق بوجوده وصفاته الكمالية الثبوتية والسلبية بقدر الطاقة البشرية واما معرفة الله عز وجل بالكنه فغير واقع عند المحققين ومنهم من قال

باقتناع لحجة الاسلام وامام الحرمين والصوفية والفلاسفة ولم
نعلم لهم دليلا على ذلك سوى ما قال ارسطو في عيون المسائل انه
كما يعتري العين عند التحديق في جرم الشمس ظلمة وكدورة تمنعها عن
تمام الابصار كذلك يعتري العقل عند اكتناه ذاته حيرة ودهشة
تمنعه عن اكتناهه وهو كما ترى كلام خطابي بل شعري وقد
يستدل على امتناعها بان حقيقته تعالى وتقدس ليست
بذي ماهية والرسم لا يفيد الكنه والحد ممتنع لانه بسيط ووجه
ضعفه ظاهر لان البساطة العقلية محتاجة الى البرهان وافادة الرسم
الكنه ليس كليا لكن لا دليل على امتناع افادته الكنه في شي من المواد وعدم
البداهة بالنسبة الى جميع الاشخاص لا يحتاج الى دليل فربما يحصل
بالبداهة بعد تهذيب النفس بالشرائع الحقة وتجريدها عن الكدورات
البشرية والعوائق الجسمانية والاحاديث على عدم حصولها مثل قول
النبي صلى الله عليه وسلم سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وتفكروا في الاء الله
عز وجل ولا تتفكروا في ذات الله عز وجل فانكم لن تقدروا قدره قال
الصديق رضي الله عنه العجز عن درك الادراك ادراك وضمنه المرتضى
كرم الله وجهه فقال، العجز عن درك الادراك ادراك، والبحث عن سر ذات السر اشراك، من البسيط
ومشاهدة عجائب ملكوته واثار قدرته في النهاية الملكوت اسم مبني من
الملك كالجبروت والرهبوت من الجبر والرهبة وقد يخص بالعوالم الغائبة
عن الحس والمحسوسات بالنسبة اليها كدرة قال السيد الشريف الجرجاني
قيل

قيل وهو المراد هنا واقول عندي ان الاولى ان يجعل من في قوله من
معرفته لابتداء الغاية بان يقال ان الله عز وجل خص اولياءه المتقين
بما ملا قلوبهم حيرة الى اخره وذلك الامر المالي لقلوبهم حيرة والموله
لعقولهم نشا من معرفتهم لربهم عز وجل بالنظر والاستدلال ونشا
ايضا من مشاهدتهم لعجائب ملكوته مشاهدة بصرية فلا جرم ان يراد
بالملكوت هنا الملك المشاهد لا العوالم الغائبة عن الحس كما اريد ذلك
من قوله عز وجل وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والحاصل
ان اولياء الله عز وجل عرفوا الله عز وجل وشاهدوا ملكه ونظروا الى اثار
قدرته فتنشا من ذلك امور ملات قلوبهم حيرة وسرورا وحيرة
وتولها يرشد الى ذلك ان الحيرة تتولد وتنشا من المعرفة بمعنى ان
الله عز وجل يخلقها بعدها قال ذو النون المعرفة على ثلاثة اوجه
معرفة بالوحدانية من طريق الخبر على لسان الحجة بدليل الكتاب والسنة
ومعرفة الفردانية من طريق العظمة على لسان التوحيد بدليل الجود
والكرم ومعرفة القدرة من طريق الاجتهاد على بساط الصفا في ميدان
الاحسان والنعم فمعرفة الفردانية ومعرفة القدرة واتقان تعبد
معرفة الوحدانية والحيرة لا شك في وقوعها بعد المعرفة ولهذا قال
الواسطي التحير نازلة تنزل بقلوب العارفين بين الياس والطمع
لا يطمعون في الوصول فيرتجون ولا يوسهم عن الطلب فيستريحون
فعند ذلك يتحيرون وقد اشار الشبلي الى شان الحيرة بقوله

المعارف تبدو فتطمع ثم تخفى فتويس فلا سبيل الى تحصيلها ولا طريق
الى الهرب منها فانها تطمع الايس وتويس الطامع وانشا يقول

اطالت علينا عنك يوما غمامة اضاءت لنا برقا وابطا رشاشها
فلا غيمها يجلو فييأس طامع ولا غيثها ياتي فيروى عطاشها

ثم ملا قلوبهم حبرة وولّه عقولهم من عظمته حيرة القلوب جمع
قلب وليس المراد به اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب
الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك
التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه بل المراد به ههنا
لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك
اللطيفة هي حقيقة الانسان المدركة العالمة العارفة المخاطبة
المخاطبة المطالبة المعاتبة والحبرة بفتح الحاء السرور وانما سمي بذلك
لانه يتبين في وجه صاحبه ومنه قوله عز وجل فهم في روضة يحبرون
اي يسرون والعقول جمع عقل وهو هنا وصف به يفارق الانسان
سائر البهائم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير
الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحارث المحاسبي
حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها درك العلوم النظرية
وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشيا والعظمة
اذا كانت صفة لله عز وجل فمعناها ان يتجاوز ويجل عن حدود
العقول حتى لا تتصور الاحاطة بكنهه وحقيقته تبارك وتعالى

والحيرة

والحيرة ماخوذة من حار ومعناه نظر الى الشي فغشي ولم يهتد لسبيله
كذا في القاموس فان قلت ما هذا الامر الذي ملا قلوبهم حبرة وولّه
عقولهم قلت ان جعلت من بيانية فالذي فعل بهم ذلك هو معرفة الله عز وجل
فان معرفة الله عز وجل الحاصلة لاوليائه [illegible] ليست كمعرفة
ارباب النظر لان تلك قريبة من التقليد بل المراد الكشفية الحاصلة لاولياء الله
عز وجل من التقوى وترك الذنب وقطع العلائق فان نتيجة ذلك معرفة
تلحق صاحبها بالملا الاعلى قال سهل بن عبد الله التستري اول ما
يومر به المريد المبتدي التبري من الحركات المذمومة ثم التنقل الى الحركات
المحمودة ثم التفرد لامر الله عز وجل ثم التوقف في الرشاد ثم الثبات
ثم البيان ثم القرب ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ويكون الرضا
والتسليم مراده والتفويض والتوكل حاله ثم يمن الله عز وجل بعد
هذا بالمعرفة فيكون مقامه عند الله عز وجل مقام المتبرين من الحول
والقوة وهذا مقام حملة العرش واما ان جعلتها ابتدائية فالامر
الذي نشا من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وغيرهما شيان في
الدنيا فرحهم وسرورهم بكونهم عبيدا له وانهم في خدمته ونسبهم الى عظمته
وقد اوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام قل للصديقين بي فليفرحوا
وبذكري فليتنعموا فاي نعيم اعظم واعلى من الوصول الى الله عز وجل
وكونه اصبح في خدمته واي شي من هذه النعمة التي يمن الله عز وجل بها على
عباده العارفين في الدنيا اشار العارف بالله القطب عبد القادر الجيلي

حيث قال في قصيدة له

وهبت لي الايام رونق صفوها … فحلت مناهلها وطاب المشرب
وغدوت مخطوبا لكل كريمة … لايقتدى فيها اللبيب ويخطب

ثم قال

اضحت جيوش الحب تحت مشيئتي … طوعا ومهما شئته لايعزب
اصبحت لااملا ولاامنية … ارجو ولاموعودة اترقب
مازلت ارتع في ميادين الرضا … حتى وهبت مكانة لاتوهب
اضحى الزمان كحلة مرقومة … تزهو ونحن لها الطراز المذهب

وانشدوا في هذا المعنى

قوم تخالهم زهوا بسيدهم … والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برويته عما سواه له … يا حسن رويتهم في حسن ما تاهوا

واما في الاخرة فما ينعم الله عز وجل به عليهم في تلك الدار امر معلوم نطقت به الاحاديث وحققته النصوص القرانية واعظمها رويتهم لرب العالمين عز وجل فلا يحتجب عنهم ابدا جعلنا الله عز وجل منهم فان قلت لا يجوز ان يريد المصنف النعم الاخروية من قوله بما ملا الله عز وجل قلوبهم الى اخره لانه عبر فيه بصيغة المضي المقتضية لوقوع ذلك في هذه الدار وصيرورته امرا ماضيا ولو اراد ذلك لقال بما يملا قلوبهم الى اخره قلت التعبير بالماضي لتحقق الوقوع وانه ذكر صار لامحالة فنزل منزلة الواقع فعبر عنه بالماضي **فجعلوا** اي هولاء الذين خصهم الله عز وجل بما خصهم **همهم به واحدا** اي عزمهم

وتوجههم

وتوجههم واقبالهم على مطالبهم بسبب الله عز وجل واحدا لايهمون بشي غيره ولايقبلون على شي سواه ويجوز ان يكون الجار متعلقا بهمهم وواحدا مفعولا ثانيا لجعلوا اي جعلوا اهمهم به اي جعلوا عزمهم وتوجههم اليه عز وجل لم يتشعب بغيره ولم ينضم اليه غيره ويجوز ان يكون الجار والمجرور مفعولا ثانيا لجعلوا اي جعلوا همهم كائنا به وواحدا منصوب على انه حال من الضمير المستكن في متعلق الجار وجعله حالا من مجرور الباء فيه نظر فتامل هذا وعندي ان الاولى ان يكون واحدا مفعولا ثانيا لجعلوا والباء في به للسببية اي جعلوا همهم واحدا بسببه فالجار والمجرور حال من الضمير المستكن في واحدا اي انما وحدوا همهم بسببه ليس الا حتى ينالوا من قربه ما تقر به اعينهم وتقرير ذلك ان الله عز وجل جعل للانسان مطالب يتوجه الى تحصيلها ويصرف همته الى ما يريد تحصيله والعاقل هو الذي يطلب ما هو ابقى لان طالب الفاني الباذل جهده في طلبه لاعقل له فحيث تحقق فنا هذه الدار صدف عنها مغضبا واعرض عنها موليا ولم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا وحينئذ صح له المسافرة الى الله عز وجل فانهض الهمة في هذه الدار اليه واستعان به في القدوم عليه وهذا هو اساس امره فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها الى ان اناخت بحضرة القدس وبساط الانس ومحل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة فصارت الحضرة الالهية معشش قلبه اليها ياوي وفيها يسكن ولاينال ذلك الامن وحد الهمة

فلم يطلب مع الله عز وجل شيا ولم يروا اي هولآ العارفون الكمل في الدارين
اي الدنيا والاخرة غيره اي غير الله عز وجل لارتقا لهم في درجات التوحيد الى
اعلى الذرى وتقرير ذلك بما يرتفع اشكاله ان يقال ان التوحيد على اربع
مراتب المرتبة الاولى ان يقول الانسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او
منكر له كتوحيد المنافق وهذا التوحيد يعصم صاحبه في الدنيا عن
السيف والسنان وهو في الاخرة في الدرك الاسفل من النار اعاذنا
الله عز وجل منها لانه منافق الثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما
يصدق به عموم المسلمين وهذا اعتقاد لان صاحبه يعتقد بقلبه
مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وصاحبه
محفوظ عن عذاب الاخرة ان توفي عليها والثالثة ان يشاهد ذلك
بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان
يرى الاشيا كثيرة ولكنه يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار عز وجل
وهذا موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق على ما
هو عليه ولا فاعل في الحقيقة الا واحد الرابعة ان لا يرى في الوجود الا
واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفنا في التوحيد
لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه
لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه قد فني عن
روية نفسه فهذا موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل
من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد

قال

قال حجة الاسلام ابو حامد الغزالي فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد
الا واحدا وهو يشاهد السما والارض وساير الاجسام المحسوسة
وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذا غاية علوم المكاشفات
واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال العارفون افشا
سر الربوبية كفر ثم قال نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن وهو ان
الشي قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع اخر
من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه
وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشايه وهو باعتبار اخر
ومشاهدة اخرى واحد اذ تقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى
الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة
امعايه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده والفرق بينهما فهو
في حال الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه
تفرق ثم قال رحمه الله عز وجل ومثال الانسان وان كان لا يطابق
الغرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة
واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه
وتومن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مومن بهذا
التوحيد نصيب وان لم يكن ما امنت به صفتك كما انك اذا امنت
بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منها بقدر قوة ايمانك انتهى
فهذا كلام امام اقتدى به الخاصة والعامة وان اردت تحقيق ذلك فانظر

الى مقالات النفري في مواقفه والشيخ محيي الدين بن عربي في فتوحاته
وفصوصه واقرب شي يوضح لك ذلك كلام القيصري في مقدمة شرح
الفصوص في الفصل الاول منها والله الموفق **فهم بمشاهدة جماله وجلاله**
يتنعمون هذا نوع متوسط من انواع التجلي والمشاهدة وهو ان
ينكشف قلبه من مطالعة جلال الله عز وجل وجماله بما يوقفه في
مقام الهيبة والانس ويسمى هذا تجلي الصفات وتحت هذه
مرتبة اخرى وهي مشاهدة افعال الله عز وجل وهي رتبة في التجلي
فيبقى عن فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله عز وجل ويخرج في هذه
الحالة من التدبير والاختيار وفوقها رتبة اخرى وهي الترقي الى مقام
الفنا مشتملا على باطنه انوار اليقين والمشاهدة مغيبا في شهوده
عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين وهذا مقام
عال في الوصول وفوق هذا حق اليقين قال بعض العارفين ابى
المحققون ان يشهدوا غير الله عز وجل معه لما حققهم به من شهود
القيومية واحاطة الديمومية والجار في قوله بمشاهدة متعلق
بما بعده وهو يتنعمون قدم عليه لافادة الحصر اي لا تنعم لهم
الا بمشاهدة جماله وجلاله كما قال الشيخ تاج الدين بن عطا الله
السكندري الشاذلي في حكمه النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو
لشهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو لوجود
حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب واتمام النعيم بالنظر الى وجهه

عز وجل

عز وجل الكريم على ان الدلائل القطعية قامت على ان اجل اللذات
واعلاها معرفة الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور
ان يوثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة فان اللذات تابعة
للادراكات والانسان جامع لقوى وغرائز ولكل قوة من قواه
وغريزة من غرائزه لذة هي نيل كل طبيعة وقوة ما هو مقتضى
طبعها ولذة القلب بادراك المعاني التي ليست متخيلة والمحسوسة
مقتضى طبع القلب المعرفة والعلم وهي لذة ولا يخفى ان في العلم
والمعرفة لذة معلومة لان العلم من اخص صفات الربوبية وهي
منتهى الكمال ولهذا يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة
العلم لانه يستشعر كمال ذاته ولذة العلم متفاوتة بشرف
المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف
والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري
هل في الوجود شي اجل واعلى واشرف واعظم من خالق الاشيا ومكملها
ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومربيها وهل يتصور ان تكون
حضرة في الملك والكمال والجمال والبها والجلال اعظم من الحضرة
الربانية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجايب احوالها وصف
الواصفين فان علمت ذلك علمت ان الاطلاع على اسرار الربوبية
وترتيب الامور الالهية اعلى انواع المعارف والاطلاعات والذها
واطيبها واشهاها واجدر شي يعظم به الفرح فالعلم لذيذ والذ العلوم

العلم بالله عز وجل وصفاته وأفعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه
الى تخوم الارضين فعلم ان معرفة الله عز وجل لذتها اقوى اللذات ومطالعة
جمال حضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة
التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه ان يقال لا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ويعرف ذلك من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة
يوثر التبتل والتفكر والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك
الرياسة ويستحقر الخلق الذين يراسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من
عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات مقطوعا بالموت ومعرفة
الله عز وجل لذة خالية عن ذلك وعن المزاحمات والمكدرات متسعة
للمتواردين عليها عرضها السموات والارض فلا يزال العارف بمطالعتها
في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها
ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ هي ابدية سرمدية لا
يقطعها الموت لان محلها القلب والموت لا يهدم القلب نعم الموت
يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ولكن لا يعدمها ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فرحين بما
اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم فلا تظنن ان
هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف
شهيد وفي الخبر ان الشهدا يتمنون لو كانوا علما لما يرون من علو درجة العلما

فاذن

فاذن جميع اقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوا منه
حيث يشا من غير حاجة ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه **وبين اثار
قدرته وعجايب عظمته يترددون** المراد باثار قدرته مقدوراته تعالى
وتقدس ومعنى يترددون يجولون فيها باقدام افكارهم ونور معرفتهم
بوجدها وخالقها عز وجل كما يجول المتردد في مقصده الخارج عن مطلبه
الذي يتقدم في ذلك رجلا ويوخر اخرى ولا يجولون بافكارهم في تلك الاثار
والعجايب الا من حيث انها اثار وعجايب لقدرته وعظمته لا من حيث
ذواتها ونظرهم اليها بالاسلوب الذي استفادته عقولهم من مشكاة
النبوة لا من دليل العقل الصرف فانه قد ضل بذلك من ضل **وبالانقطاع
اليه والتوكل عليه يتعززون** الانقطاع الى الله عز وجل تجريد القلب
عن ملاحظة الاغراض بحيث لا يكون المنقطع كالاجير الذي لا
يخدم الا لاجل الاجرة فاذا اخذها انصرف عن باب المستاجر بخلاف
العبد فانه يخدم سيده بمقتضى عبوديته لا للاجرة فهو لا ينصرف عن
بابه الا اذا كان ابقا والابق قد خرج من شرف العبودية ولم يحصل له
اطلاق الحرية فصار منكوسا عند سيده وعند عبيده وغاية شرف
النفس دخولها تحت رق العبودية طوعا واختيارا لا كرها وهذا
قالوا والانقطاع الى الله عز وجل على ثلاث مراتب الاولى تجريد
الانقطاع عن الحظوظ واللحوظ الى العالم خوفا او رجا او مبالاة بحال
لحسم الرجا بالرضا اي بحسم رجا المخلوقين من قلبه بحصول الرضا بحكم

مطلب في بيان الانقطاع الى الله تعالى عز وجل

الله عز وجل وقسمه له وان يحسم مادة الخوف مما سوى الله عز وجل بالتسليم
لله [illegible] عز وجل فان من سلم لله واستسلم له وعلم ان ما اصابه لم يكن
ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وعلم انه لن يصيبه الا ما كتب الله
عز وجل له لم يبق لخوف المخلوقين في قلبه موضع فان نفسه التي يخاف
عليها قد سلمها الى وليها ومولاها عز وجل وان يحسم مادة المبالاة بالناس
بشهود الحقيقة وهي روية الاشيا كلها من الله عز وجل وبالله تعالى
وفي قبضته وتحت قهر سلطانه لا يتحرك منها شي الا بحوله وقوته ولا ينفع
ولا يضر الا باذنه ومشيته فما وجه المبالاة بالخلق بعد هذا الشهود
والدرجة الثانية تجريد الانقطاع عن التعريج على النفس بمجانبة الهوى
وتنسم روح الانس بالله عز وجل فانه لما جانب هوى النفس هبت عليه
نسمات الانس وحصل له تنسم برق الكشف وليس المراد بالكشف
الكشف السفلي المشترك بين البر والفاجر والمومن والكافر
كالكشف عن مخبات الناس ومستورهم وانما هو الكشف عن ثلاثة
اشيا هي منتهى كشف الصادقين احدها الكشف عن منازل السير
والثاني الكشف عن عيوب النفس وآفات الاعمال ومفسداتها
والثالث الكشف عن معاني الاسما والصفات وحقايق التوحيد
والمعرفة والدرجة الثالثة تجريد الانقطاع الى السبق بتصحيح الاستقامة
والاستغراق في قصد الوصول والنظر الى اوايل الجمع وهي اشراقات
سبحات الوجه الباقي واما التوكل عليه عز وجل فهو كما قال احمد بن حنبل رضي الله عنه

التوكل

[illegible] ١٢١٢

التوكل عمل القلب ومعنى ذلك انه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل
الجوارح ولا هو من باب العلوم والمعارف ومن الناس من يجعله من
العلوم والمعارف فيقول هو علم القلب بكفاية الرب عز وجل للعبد
ومنهم من يفسره بالسكون وجمود حركة القلب فيقول التوكل هو
انطراح القلب بين يدي الله عز وجل كانطراح الميت بين يدي
الغاسل يقلبه كيف يشا وترك الاختيار والاسترسال مع
مجاري الاقدار وقيل هو الرضا بالمقدور وقال ابن عطا التوكل
ان لا يظهر فيك انزعاج الى الاسباب مع فاقتك اليها ولا تزول عن
حقيقة السكون الى الحق عز وجل مع وقوفك عليها وانما يقوى
العبد على التوكل اذا علم ان الله عز وجل يعلم ويرى ما هو فيه
ومعنى يتعززون يتقوون بعد الضعف والذلة فان من
انقطع الى الله عز وجل واعتمد عليه وتوكل صار عزيزا بعد ان كان
ذليلا بذلة الافتقار الى ما سوى الله عز وجل وقويا بعد ان كان
ضعيفا ورفيعا بعد ان كان وضيعا فان من افتقر الى ما
سواه اورثه ذلك ذلا وضعفا وعجزا ومن استغنى به واعتمد
عليه ابدله الله عز وجل كل صفة من هذه الصفات بضدها وكفى بالله
وكيلا يهجون حال من فاعل يترددون وفي القاموس لهج به كفرح اغرى
به فثابر عليه يصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
الخوض اقتحام الامور الباطلة وجملة يلعبون حال من مفعول ذرهم

وليس جواب الامر والا لانجزم بحذف النون واضافة صادق الى قوله
بيانية وقد استشكل وصف هذا المقول بالصدق وهو خاص بالخبر
وهذا المقول انشا لانه امر والامر لا يتصف بكونه صدقا ولا كذبا
وكذلك جميع اقسام الانشا واجيب بان الاية وان كانت انشا الا
انها تتضمن خبرا فان مضمون الاية قل يا محمد الله احب الي منهم
ان سكتوا ثم لا تعجل عليهم باهلاكهم فان لهم اجلا فتكون اضافة
صادق الى قوله لادنى ملابسة لا للبيان ويكون ولوعهم بهذه
الخبرية الصادقة لما فيها من الاشارة الى حسن الانقطاع اليه
والتوكل عليه وقيل انه وصف بالصدق الاية باعتبار تضمنها الخبر
الصادق المستفاد من الامرية وهو انا امرك بان تقول الله ثم
تذرهم في خوضهم يلعبون واقول هذه تكلفات منشاها
عدم التوسع في مقاصد العلما وذلك ان هذا المجيب انما تكلف ما تكلف لحمله
الصادق على معناه الاصطلاحي وهو الاخبار عن الشي على ما هو عليه في
نفس الامر فانحصر بهذا الاعتبار فيما يكون من الكلام خبرا ولا يتصف
به شي من الانشايات لكن مراد المصنف بالصادق معناه اللغوي
فان اصل الصدق في اللغة الثبات ومنه قيل تمر صادق الحلاوة
ومنه اخذت الصداقة التي هي ثبات المودة ويطلق الصادق لغة على
الكامل وبه فسر ايضا قولهم تمر صادق الحلاوة اي كاملها وبه فسرت الصداقة
لانها كمال المودة وعلى هذا فاضافة صادق الى قوله اضافة الصفة الى
الموصوف

الموصوف اي قوله الثابت انه قوله بلا شك ولا مرية او قوله الكامل الذي
لا يضاهيه الاقوال ولا يقدر احد على ان ينسج على هذا المنوال ثم ان
مراد المصنف من ايراد هذه الاية الثنا على العارفين الذين سبق
ذكرهم بانهم فروا الى الله عز وجل وتركوا ما سواه وكثيرا ما يستشهد
الصوفية بهذه الاية على ذلك فقال بعضهم دعا خواصه بهذه الاية الى
الانقطاع من كشف حاله الى كشف ما به [illegible] وقيل قل الله اشارة
الى جريان ذكراهه في السر وذرما في لسانك وقال الواسطي كان محمد
صلى الله عليه وسلم مكانها في سره فيسمع لوازيز كازيز المرجل وكذلك كل من
تحقق بذكره استخف ما دونه من سره قال الله عز وجل قل الله ثم ذرهم
وقال بعض اصحاب الشبلي قلت له اوصني وقت مفارقتي له
فقال لي عليك بالله عز وجل ودع ما سواه وكن معه وقل الله ثم
ذرهم في خوضهم يلعبون وقضية استشهادهم بهذه الاية على ذلك
ان يكون الله مبتدا خبره محذوف او خبرا مبتداه محذوف والتقدير
الله مطلوبي او مطلوبي الله ونحو ذلك ولكن هذا لا يطابق سياق
الاية على ما قرره المفسرون فان اول الكلام الذي ذكرت فيه هذه الاية
وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي قل من
انزل الكتاب الذي جا به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فان المفسرين قالوا ان هذا جواب قوله

من انزل الكتاب وذلك انهم لما انكروا كون الله عز وجل ينزل على بشر شيا قال
الله عز وجل قل لهم انتم معترفون بان التوراة كتاب الله عز وجل وهذا
خطاب اما لليهود وهم معترفون بان التوراة كلام الله عز وجل بلا شك
واما للمشركين وكان عندهم قد اشتهر ان التوراة كلام الله فلما سكتوا
عن الجواب قال الله عز وجل قل الله اي قل انزل الكتاب الذي جاء به موسى
عليه السلام الله وعندي ان ما صنعه المصنف من ان هذا حث
لنبيه صلى الله عليه وسلم على ترك ~~الكتاب~~ ما سوى الله اولى والجواب
عن انكارهم كون الله عز وجل ينزل كلاما من السما قوله قل من انزل
الكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فانهم معترفون بان الله عز وجل
انزله فمن انزل التوراة هو الذي انزل الفرقان فقد امر الله عز وجل بان
يدع اعداه ويفر الى الله عز وجل فانك الخ وقعت في جواب اما وما
بينهما جملة دعائية معترضة والضمير في قوله انك عايد الى مخاطب هو
سايل محقق وليس سايلا مفروضا لان الاصل في السوال ان يصدر
من سايل محقق واطلاقه على السايل المفروض مجاز لا سيما وتعبيره
بالتكرار ونحو ذلك من الخطابات الاتية يشعر بان المخاطب سايل
محقق ولولا ذلك لصح ان يكون خطابا للسايل مفروض ولا يوهن ذلك
شيا من قدر المصنف اذ كثير من الاجلاء يخاطبون في النصايح مخاطبا
مفروضا ولا يوهن ذلك شيا من قدرهم لكن سياق الكلام آب عن ان
نفرض سايلا يخاطبه المصنف بقوله فانك كررت على السوال

التكرار

التكرار اعادة الشي مرة بعد اخرى وعلى متعلق بكررت في مجموع اي في تاليفه
وفي هنا للتعليل مثلها في قوله تعالى لمسكم فيما افضتم فيه وقوله عز وجل
فذلكن الذي لمتنني فيه وقوله صلى الله عليه وسلم ان امراة دخلت النار
في هرة اي لاجلها والمعنى انك كررت علي السوال لاجل تاليفي وتصنيفي
لك مجموعا فيكون المجموع اي تاليفه علة لتكرير ذلك السايل السوال
فهو متعلق بكررت ويصح تعلقه بالسوال ويكون علة لسواله لا
لتكريره فيكون التقدير انه سوالك لاجل تاليف هذا المجموع
تكرر فان قلت تاليف المجموع مسول والمصنف مسول منه
ولا يتعدى السوال الى المسول بفي وانما يتعدى بعن نحو يسالونك
عن المحيض او بنفسه نحو قوله تعالى واذا سالتموهن قلت نعم هو
مسول ولكن لاحظ المصنف في هذه العبارة علة غائية باعثة
على السوال او على تكرير السوال فلا يحتاج الى انه يثبت سالته
في كذا اذا كان كذا مسولا يتضمن اي يوجد في ضمنه التعريف
بقدر اي مقام المصطفى مراد المصنف بذلك ان يعرف بقدره
صلى الله عليه وسلم على حسب قدرته وعلى حسب ما وصل اليه فهمه
ولم يصل فهمه ولا فهم غيره الى عشار مقدار محمد صلى الله عليه وسلم وكيف
لا وقد اعيا الورى فهم معناه فليس يرى في القرب والبعد منه غير منفحم
ونعم الله للقاضي عياض فانه وقف على بحر لم يبق منه الا النزر
وان اردت ان ترقى ذهنك في فهم قدره في الجملة فانظر الى الفتوحات

الحكمية في ابواب متفرقة لاسيما الباب الثاني عشر في معرفة دورة فلك
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال وهي دورة السيادة وان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلقه الله عز وجل ثم ان الشيخ محيي الدين
ابن عربي رحمه الله انشد لنفسه في صدر هذا الباب قوله

الا بابي من كان ملكا وسيدا ... وادم بين الما والطين واقف
فذاك الرسول الابطحي محمد ... له في العلى مجد تليد وطارف
اتى بزمان السعد في اخر المدى ... وكان له في كل عصر مواقف
اتى لانكسار الدهر يجبر صدعه ... فاثنت عليه السن وعوارف
اذا رام امرا لا يكون خلافه ... وليس لذاك الامر في الكون صارف

والمصطفى علم على نبينا صلى الله عليه وسلم ذكره المصنف في اسمائه وهو علم
لقبي وليس غالبيا لان العلم بالغلبة ليس علما حقيقيا وانما هو
ملحق بالاعلام لانه قد غلب على بعض ما له معناه واشتهر به اشتهارا
تاما بحيث لا يفهم منه سوى ذلك البعض فهو ملحق بالعلم واما
المصطفى فانه وضع لتعيين نبينا صلى الله عليه وسلم فان قلت
من واضعه قلت لم نقف على حديث ذكر فيه ان الله عز وجل
سماه مصطفى وانما جاءت احاديث مصرحة بان الله عز وجل
اصطفاه واجتباه وانه اصطفى من بين كل المخلوقات للنبوة
التامة الكلية وادم بين الما والطين ثم ان امته لقبته بذلك اللقب
لما انهم راوا ان الاصطفا الكامل التام ليس الا له فانحصر هذا

المعنى

المعنى الكلي في فرد ثم جعل علما شخصيا حقيقيا بوضع ودخول لام
التعريف عليه للمح الاصل ولو كان علما بالغلبة للزمته ال ولم تفارقه
وهذا يجوز ان يقال فيه مصطفى كما يجوز ان يقول المصطفى من
غير الكرابة ولا غالبية فان قلت اما حذفت اللام في بعض
ذي الغلبة كما قيل هذا عيوق طالعا قلت ذلك سماعي وجاز فيه
للسماع واما حذف اللام من المصطفى فهو قياسي لان دخول اللام
فيه للمح الاصل صلى الله عليه وسلم الموافق للسجع ان يقال عليه الصلوة والسلام
كما وجد في بعض النسخ لكن المصنف لم يتقيد بالتزام السجع في هذه
النسخة لان هذه الصلوة اوفق بما ورد في بعض الاحاديث في كيفية
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت الوارد في كيفية الصلوة
والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول المصلي اللهم صل على محمد وال
محمد ولم يرد عنه انه قال صلى الله عليه وسلم قلت لا نسلم عدم وروده
بل ورد في حديث للنسائي في تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي
كرم الله وجههما ورضي عنهما القنوت بلفظ وصلى الله على النبي بصيغة
الماضي نعم كيفية التشهد افضل ولفظ صلى الله عليه وسلم اوفق من
عليه الصلوة بكيفية التشهد لان لفظ صلى الله عليه وسلم غيبت فيه
الصلوة الى الله عز وجل كما غيبت اليه في الحديث الوارد في تعليم كيفية
الصلوة عليه والسلام في التشهد حيث قال فيه اللهم صل فنسبت
الصلوة الى النبي صلى الله عليه وسلم فيهما بخلاف قوله عليه الصلوة والسلام

نسخه ان تعالى ح

وما يجب لهن
توقير واكرام و

فانه لم ينسب فيها الصلوة الى الله عز وجل وان كانت النسبة مرادة
وما حكم من لم يوف اي يتم ويكمل ولا يبخس من الحق شيئا وفي الحديث
انكم وفيتم سبعين امة انتم خيرها اي تممت العدة بكم سبعين
واجب عظيم ذلك القدر اي المقام واضافة عظيم الى ذلك القدر من
اضافة الصفة الى موصوفها اي واجب ذلك القدر العظيم فهي على حد
قولهم سحق عمامة وجرد قطيفة وقول الشاعر
انا محيوك يا سلمى فحيينا * وان سقيت كرام الناس فاسقينا *
واما اضافة واجب الى عظيم فهي بمعنى اللام واضافة واجب في الحقيقة
انما هي لذلك القدر الذي هو موصوف عظيم لكن لما قدمت الصفة
على الموصوف وجعلت مضافة اليه قامت مقامه فاضيف اليها
واجب ومعنى واجب ذلك الامر الذي يجب ان يعتقد ويفعل
في شان ذلك القدر فاضافته اليه لملابسته اياه فهو كقولك واجبات
الصلوة وواجبات الحج ونحو ذلك وقد حذف من هذا التركيب المفعول
الاول ليوف والتقدير وما حكم من لم يوف محمدا صلى الله عليه وسلم
واجب قدره ومعناه ان الذي ينقص محمدا صلى الله عليه وسلم مما
يجب لقدره العظيم ما حكمه فما في قوله وما حكم من لم يوف الى اخره
استفهامية وهو معطوف على التعريف لا على قدر وجملة ما حكم
الاستفهامية في محل نصب لتعليق يتضمن عنها فان قلت التعليق
مختص بما كان فعلا قلبيا قلت يقع التعليق فيه وفي افعال اخرى

لا

لا تتعدى الى مفعولين كنظر وابصر وتفكر وسال وما وافقهن
او قاربهن نحو ليبلوكم ايكم احسن عملا بل اجاز يونس تعليق
افعال لم تقاربهن ويتضمن هنا يستلزم معنى يفهم ويعلم فان قلت
اما يجوز ان يكون معطوفا على قدر اي يتضمن التعريف بما حكم من لم
يوف الى اخره قلت هو بعيد لامور الاول ان الاتيان بالموصول
لا جدوى له فانه لو قال وحكم من لم يوف الى اخره لافاد المقصود
الثاني ان حذف عائد الموصول اذا كان مرفوعا لا يجيزه بصري
الا اذا طالت الصلة وقوله عز وجل تماما على الذي احسن على قراءة
الرفع من النوادر واجازه الكوفيون وهو مذهب مرجوح الثالث
ان مثل هذا التركيب لا يتبادر منه الا ان ما استفهامية والتقدير
حينئذ يتضمن جواب ما حكم من لم يوف الى اخره على انني اجيز
ايضا ان يكون معطوفا على قدر وتكون ما ايضا استفهامية والجملة
معلق عنها العامل التعريف والتقدير التعريف بجواب ما حكم الى اخره
فان قلت يلزم ان تكون الجملة معلقة للتعريف عن العمل فيها بواسطة
حرف الجر والتعليق عن معمول بواسطة مما لا نظير له فضلا عن
التعليق عن معطوف عليه قلت نجعل معطوفا عليه وهو في محل
نصب ولا يقدر قبله حرف جر لان عرف يتعدى الى مفعول ثان
تارة بنفسه واخرى بحرف الجر فتقول عرفت زيدا المسألة
وعرفت زيدا بالمسألة او تقول ان حرف الجر ملحوظ غير مقدر

وملاحظته لا تمنع التعليق الا ترى انهم جعلوا يتفكروا في قوله عز وجل اولم
يتفكروا ما بصاحبهم من جنة معلقا عن الجملة بعده مع انه في موضع
مفعول مقيد بالجار او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر المنصب
الرتبة والمقام والقلامة قال في القاموس قلم الظفر وغيره يقلمه قطعه
والقلامة ما يسقط منه انتهى فليست القلامة خاصة بالظفر بل
تطلق على كل مقطوع من شيء فاضافة القلامة الى الظفر ليس فيها تجريد
والظفر يجوز فيه ضم الظاء المعجمة مع سكون الفاء وبضمتين واما
كسر الظاء مع سكون الفاء فشاذ وهو يكون للانسان وغيره ويجوز
فيه اظفور وزعم الجوهري ان اظفورا جمع لظفر وهو وهم وقلامة
الظفر كناية عن الشيء الحقير كما قال الشاعر

ايها المدعي سليما وراء ۞ لست منها ولا قلامة ظفر ۞ ۞
انما انت من سليم كواو ۞ الحقت في الهجا ببنية عمرو ۞ ۞

يريد انه زائد فيهم فان قلت عطف قوله او قصر الى اخره هل هو عطف
خاص على عام لان من قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر لم يوفه
واجب حقه وواجب حقه له افراد متعددة منها التقصير في حق
منصبه الجليل قلامة ظفر فيلزم عطف الخاص على العام وهو اذا
كان باو قليل قلت هو جائز وقلته لا تمنع جوازه على انه يجوز ان
لا يكون من عطف الخاص على العام اما بان يلاحظ المعطوف عليه
مرادا به حكم من لم يفعل ما هو واجب محتم عليه في حقه بحيث اذا تركه

اواخل

اواخل به سواء كان كفرا او معصية ويراد بالمعطوف ما يكون المخل
به معاتبا مرتكبا اما مكروها واما معصية صغيرة واما بان يلاحظ
المعطوف عليه مرادا به ما هو واجب حقه في ذاته من التوقير
والاجلال ظاهرا وباطنا ويلاحظ المعطوف مرادا به من لم يوف
منصبه ويقصر فيه والمراد بمنصبه نبوته والتقصير في نبوته
يدخل فيه التقصير في شان القران وشان السنة وشان
يوم القيمة وشان الشفاعة وكل ذلك يتعرض له المصنف في
اخر ابيات كتابه وانا اجمع لك عطف على قوله بجموع اي انك كررت
على السؤال في ان اجمع لك ما لاسلافنا جمع سلف في القاموس
السلف كل من تقدمك من ابائك وقرابتك والجمع سلاف واسلاف
انتهى ثم توسع فيه فاطلق على كل من تقدمك من علماء الامة وقدمائهم
وائمتنا في ~~كل~~ ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور
وامثال التنزيل الترتيب والصور بضم الصاد وفتح الواو جمع
صورة وهي النوع من الكلام وفي نسخة سور بالسين المهملة وهي
جمع سورة وهي الايات مجاز من باب تسمية البعض باسم الكل
وامثال جمع مثل وهو في الاصل بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل
ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل مثل للقول السائر
اي الفاشي ويعتبر فيه مع الفشو ان يكون تشبيها تمثيليا على سبيل
الاستعارة ومن ثم حوفظ عليه ولم يغير ليكون بعينه لفظ المشبه به

ثم استعير لكل حال وقصة وصفة لها شان وفيها غرابة **فاعلم اكرمك**
الله عز وجل اي جعلك الله عز وجل كريما وفي النهاية الاثيرية الكريم
الذي كرم نفسه عن التدنس بشي من مخالفة ربه عز وجل **انك حملتني**
من ذلك يجوز في من هذه ان تكون تعليلية اي من اجل ذلك وان تكون
لابتدا الغاية اي حملتني امرا امرا ناشا من ذلك لان تكرير السوال
جعل المسول ملتزما بالقيام باعباها سال والمصنف تواضع
حيث عبر بما يشعر لوجود قصور فيه واشكال في المسول **امرا**
امرا بكسر الهمزة وسكون الميم يقال امره الله عز وجل فامر بكسر الميم
اي كثر وفي الحديث خير المال مهرة مامورة اي كثيرة النسل
والنتاج ومنه قول ابي سفيان بن حرب في حال كفره في حق النبي صلى الله
عليه وسلم لقد امر امر ابن ابي كبشة انه ليخافه ملك بني الاصفر اي
كثر وارتفع وفي الحديث ايضا ان رجلا قال لنبينا صلى الله عليه وسلم
مالي ارى امرك يامر فقال والله ليامرن على ماترى اي ليزيدن
عليه والحاصل ان الامر بكسر الهمزة معناه الكثير والمراد به
هنا امرا كثيرا اعظمها القيام باعبائه مشق جدا **وارهقتني في ما**
ندبتني اليه عسرا قال الازهري الرهق الاسم من الارهاق وهو ان
ان يحمل الانسان على ما لا يطيقه يقال ارهقته ان يصلي اذا عجلته
عن الصلوة والمراد هنا حملتني وغشيتني امرا عسرا فجعلتني ملتزما
به مع عسره وضعفي عن القيام باعبائه ومعنى ندبتني دعوتني

يقال

يقال ندبته فانتدب اي بعثته ودعوته فاجاب **وارقيتني** اي الجاتني
بتكرير سوالك اياي الى الرقي اي الصعود **بما كلفتني** يجوز في ما
ان تكون مصدرية اي بتكليفك اياي ذلك وان تكون موصولا
اسميا اي بالذي كلفتني اياه فحذف عائد الموصول وهو منصوب
وحذف العائد اذا كان منصوبا جائز **من ذلك مرتقى** اي مصعدا
صعبا اي عسرا **ملا قلبي رعبا** الرعب الخوف والفزع والمراد من
القلب اللطيفة التي بها يصير الانسان انسانا وتلك لا تملأ
حقيقة لان الامتلاء من صفات الاجسام لكنه في هذا التركيب
شبه تلك اللطيفة المسماة بالقلب بالاناء المملوء ماء مثلا
والرعب بالما المالئ له فهو استعارة بالكناية واثبات
الملء الشيئ له استعارة تخييلية **فان الكلام في ذلك** تعليل لما
قرره من صعوبة هذا المرتقى وعسر نيله **يستدعي تقرير**
اصول اي تثبيتها والاصول جمع اصل وهو ما يبنى عليه غيره
وتحرير فصول في القاموس تحرير الكتاب وغيره تقويمه انتهى
ومعناه انه يخرج من الكلام ما يوجب عليه الانتقاد والفصول
جمع فصل بمعنى الفاصل لانه يفصل بين البحثين ان اريد
بالفصول هذه الكلمة التي يعبر فيها بفصل ويمكن ان يراد الابحاث
التي يوردها فيه وسماها فصولا باعتبار ان كل بحث مفصول
من غيره اي ممتاز لا يشتبه بغيره ففصل حينئذ بمعنى مفصول

والكشف اي ويستدعي الكشف عن غوامض جمع غامض وهو كما
في القاموس خلاف الواضح من الكلام اخذا له من الغامض وهو
المكان المطمئن من الارض والجامع عدم الظهور وفي شرح البرهان
للحلبي جمع غامضة وهي التي لا تدرك الا بعد روية ويرده ما في
القاموس انه جمع غامض وكانه نظر الى ان فاعلا الصفة لا يجمع
على فواعل الا شذوذا نحو فوارس لخلاف نحو كواهل جمع كاهل
مما هو جمع فاعل اسما قياسا واقول من قال ان غوامض جمع
غامضة قوله مردود لوجهين الاول ثبوت النقل عن صاحب
القاموس والثاني ما قاله ابن الحاجب في شرح المفصل انه يجوز في
فاعل اذا كان مما لا يعقل ان يجمع على فواعل قياسا مطردا تقول
في جبل ذكور روافس من الرفس وهو الضرب بالرجل وفي
جمال عواضه جمع عاضه وبوازل جمع بازل وحوائط جمع حائط
قال وسر هوان الجمع في ما لا يعقل من المذكر يجري مجرى المونث في
من يعقل ولما كانت هذه الصفات لما لا يعقل اجريت ذلك المجرى
انتهى والغامض اسم للبحث الخفي وهو مما لا يعقل فيجوز جمعه
على غوامض فلا يحتاج حينئذ الى ان يقال يحتمل ان الغامض
جعل اسما لشي مخصوص كما فعل النحاة في التابع فجمعوه على
توابع بل ولا يحتاج الى ما تكلفه بعض النحاة في ذلك ودقائق جمع
دقيقة ماخوذة من الدقة وهي خلاف الغلظة فاطلق على المعنى
الخفي

مطلب
في جمع فاعل على
فواعل

الخفي انه دقيق تشبيها له بشي دقيق ليس بغليظ كما ان ذاك لا يحس
بالحس الظاهري بسرعة كذلك هذا لا يدرك بالفهم والعلم بسرعة
فاطلاقه عليه استعارة تصريحية من علم الحقائق جمع حقيقة
وهي علوم استفيدت من الكشف عن البصائر بسبب قطع
العلائق وملازمة التقى كما قاله المتكلمون بالدلائل يقول به
اهل الحقائق بالكشف ولهذا قال بعضهم الحقيقة مشاهدة
الربوبية والحاصل ان لنبينا صلى الله عليه وسلم حقوقا قامت
الدلائل الاعتقادية على انها حقوقه فاهل علم الكلام تكلموا على
اثباتها بالبراهين واهل الكشف تكلموا عليها بالمشاهدة غير
مفتقرين الى دليل ولا برهان فان من كوشف بها ازيلت عنه
الشبه وعرف الاشيا على ما هي عليه والمفتاح لذلك الالتجا هو
قمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله عز وجل وملازمة الفكر
الصافي عن شوائب المجادلات والمصنف رحمه الله ينقل عن
ارباب الكشف نقولا كثيرة تكلموا بها عن مشاهدة كمقالات
سهل بن عبد الله التستري وابن عطاء والجنيد والسري
رضي الله عنهم وليس المراد بعلم الحقائق العلم بماهيات الاشيا
فانه ليس لنا علم يعرف منه ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يصح
اليه او يمتنع او يجوز عليه اسمه علم ماهيات الاشيا مما يجب
بيان للمكشوف للنبي صلى الله عليه وسلم لكونه اكمل اهل زمانه المبعوث اليهم

عقلا وخلقا وخلقا واكملهم فطنة ويضاف اليه اي ماينسب من
الكمالات المختصة به صلى الله عليه وسلم كخواصه المشهورة او يمتنع
عليه اي لايجوز ان ينسب اليه كالعيوب المنفرة عنه كالبرص
والجذام وقلة المروة كالاكل على الطريق ومن دناة الصنعة
كالحجامة او يجوز عليه كالعوارض البشرية من الاسقام التي لا
تورث نفرة كالحمى والامراض التي اعترته صلى الله عليه وسلم
فان قلت قوله ويضاف اليه او يمتنع الى اخره معطوفات على الصلة
في قوله ما يجب فيلزم حذف الموصول الاسمي وهذا لا يجيزه
البصريون قلت اجازه الكوفيون والاخفش والبغداديون ورجحه
ابن مالك في تسهيله فقال فيه وقد يحذف ما علم من موصول
اسمي انتهى فهو كقول حسان رضي الله عنه

مطلب في حذف الموصول الاسمي

من الوافر

امن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

ومنه قوله عز وجل وقولوا امنا بما انزل الينا والنكم فان قلت فما
يقول البصريون في هذا البيت والاية قلت اما البيت فضرورة
واما الاية فهي مؤولة وهذه مسئلة الراجح فيها قول الكوفيين
وما ارتكبه البصريون تعسف ومن الدلائل على مقالة الكوفيين قوله
عز وجل وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء فانهم قالوا ان
التقدير ولا من في السما فحذف الموصول وبقيت صلته ومعرفة النبي
عطف على قوله تقرير اصول الذي هو مفعول يستدعي والمراد بالمعرفة

التعريف

التعريف اي المعرف الجامع المانع اي يستدعي تعريف النبي صلى الله عليه وسلم
الى اخره ويجوز ان يكون معطوفا على اصول اي يستدعي تقرير
تعريف النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وانما
افتقر الى تقريرها والكشف عن تعريفها ليعلم ان تعريف كل منها
صادق على النبي صلى الله عليه وسلم وانها كلها اجتمعت في نبينا صلى الله
عليه وسلم مع نعت اخر لازم لكل منها وهو الولاية وخصايص هذه
الدرجة العلية وهي الدرجة الجامعة لهذه الصفات كلها وههنا
مهامه جواب عن سوال استشعره المصنف في هذا المقام وهو ان
يقال انت زعمت اني كلفتك امرا صعبا وما ذكرت الصعوبة فيه
فكيف تقول بذلك فاجاب قائلا انك لا تعتقد سهولة هذه
الامور فان سالكها يدخل في مهامه فيح المهامه جمع مهمهة او مهمه
على وزن دحرجة او جعفر وهي المفازة البعيدة والبلد
القفر وكذلك مهمه على وزن جعفر فانه ايضا جمع مهمهة والفيح بفاء
مكسورة فمثناة تحتية فحاء مهملة جمع افيح وهو الواسع وفي
القاموس بحر افيح وفياح بين الفيح واسع انتهى وفي الحديث
اتخذ ربك في الجنة واديا افيح قال في النهاية كل موضع واسع
يقال له افيح وروضة فيحا فقد شبه المصنف الامور التي تجب
للنبي صلى الله عليه وسلم وتمتنع عليه وتجوز في حقه بمفازات واسعة
سالكها لا يامن على نفسه من ان يسلك طريقا يودي به الى هلكة

او الى ضرر يصيبه فهذه استعارة تصريحية فان قلت كيف يكون
تقرير هذه الامور ربما يودي الى الهلاك مقررة او نقص يعتريه قلت
لا يخفاك ان الامور المتعلقة بالاعتقاد يزاحم دلائلها الشبه ويداخل
مقررها الوساوس وكيف لا وهي الطريق الموصل الى السعادة
الابدية ان سلم من الزيغ والى الشقاوة الابدية ان لم يسلم
فللشيطان في هذه الامور مداخلة عظيمة ونسال الله عز وجل
السلامة **تحار فيه** مضارع حار اي نظر الى الشي فغشي ولم يهتد
لسبيله **القطا** هو طا معروف واحدته قطاة وخصه بالذكر لانه
حيوان يوصف بالهداية والعرب تضرب به المثل في ذلك لانها
تبيض في القفر وتسعى اولادها من البعد في الليل والنهار
فتجي في الليلة المظلمة وتواصلها الماء فاذا صارت حيال
اولادها صاحت قطا قطا وهذا صوتها دائما فصوتها باسمها
ولهذا تصفها العرب بالصدق واذا صاحت لم تخطا اولادها
بلا علم ولا اشارة ولا شجرة فسبحان من هداها لذلك وقال
الشاعر • والناس اهدى في القبيح من القطا • واضل في الحسنى من الغربان • من الكامل
قال ابو زيد الكلابي ان القطا يطلب الماء من مسيرة عشرين يوما
وفوقها ودونها ومراد المصنف ان هذه المعضلات تحار فيها الرجل
المهتدي العارف بالدلائل فشبه الرجل المملو هداية وقد اخذته
الحيرة بالقطا اذا تحير في ابتغا فراخه مع انه ليس من شانه

الحيرة

الحيرة فهي استعارة تصريحية **ويقصر به الخطا** يقصر بضم الصاد
على زنة يكرم وماضيه على زنة كرم وفي القاموس القصر اي
بسكون الصاد والقصر كعنب خلاف الطول والخطى جمع
خطوة بضم الخا وتجوز فتحها في القاموس هي ما بين القدمين
والمراد ان هذه المهامه مع كونها فيحا واسعة ارضها وعرة لا المشي
السائر فيها الا بخطوات قصار كما هو شان من يمشي في ارض
وعرة مشتملة على ما يمنع سرعة المشي وتوسيع الخطوات كشوك
واحجار صغار والباء في قوله به للسببية والمحتاج الى صرفها
الى معنى في وليس تقصير الخطا في هذه الارض بسبب سعتها
المجردة عما انضم الى ذلك من كونها ارضا وعرة وفي نسخة عنها وقصر
اذا تعدى بعن كان معناه عجز اي يعجز عنها الخطا لطولها
وبعد مداها فعلى الاول شبه حال من يروم تحقيق هذه المشكلات
بحال من يسلك بيداء مقفرة وعرة فكان سالك البيداء الوعرة
يقارب خطاه ويقصرها لعدم قدرته على تطويلها بسبب
وعارة الارض كذلك هذا الذي يروم ما ذكرنا فان حركات فكره
لا تجول ولا تسرع في الانتقالات لصعوبة المسلك وعسر
المدرك فهي استعارة تمثيلية تصريحية وعلى الثاني يكون شبه
حال المذكور بمن يروم قطع مفازة بعيدة المدى فيعجز عن
قطعها خطاه فهي على هذا التقدير استعارة تصريحية تمثيلية

ايضا ومجاهل جمع مجهل في القاموس ارض مجهل كمقعد لا يهتدى فيها
لا يثنى ولا يجمع ولا يعول على قول من زعم انه جمع مجهلة بعد قول صاحب
القاموس والجوهري في صحاحه انه يقال ارض مجهل ولا يقال
مجهلة فان قلت ابن رسلان قال ذلك قلت ابن رسلان لا يعول
على قوله في ذلك بعد قول هذين اللغويين تضل فيها الاحلام اي تقصد
العقول فيها الهداية وتخطئها فان الضال على ضربين احدهما السالك
في سبيل الضلالة عامدا كقوله فاما ان كان من المكذبين الضالين والاخر
الضال السالك غير القصد على غير تعمد ومنه قول موسى عليه السلام
فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين اردت شيئا فجئت
الى غيره فهذه الثانية ليست قصدا انما هو سلوك غير القصد على غير
عناد وههنا ينبغي ان يراد هذا المعنى لان الاحلام لا سيما احلام
المومن تطلب الصواب فتقع في الخطا على غير قصد لاشكال
المباحث وغموض الدقائق والاحلام جمع حلم بكسر الحاء وفي القاموس
الحلم بالكسر الاناة والعقل والجمع احلام وحلوم ومنه قوله عز وجل
ام تامرهم احلامهم بهذا اي ان العقول تريد ان تصل الى الصواب
فتقع في الخطا لعسر المباحث وصعوبة المقامات اذ لم تهتد
بالبناء للفاعل اي الاحلام بعلم علم العلم بفتح اللام الجبل الطويل وقيل
كل جبل فاضافته الى العلم من اضافة المشبه به الى المشبه على حد
قوله وقد جرى • ذهب الاصيل على لجين الماء • اي ان لم تهتد

بعلم

بعلم يحاكي الجبل الطويل الذي يرى من بعيد في ان سالكي المفاوز
والمهامه لا يضلون ما داموا يلاحظونه في سيرهم فيهتدون
الى مقاصدهم بسبب ملاحظتهم لذلك الجبل ونظر سديد
عرف القاضي ابو بكر الباقلاني النظر بانه الفكر الذي يطلب به علم
او غلبة ظن وقيل هو ترتيب امور ~~متعلقة~~ معلومة او مظنونة
للتادي الى امر اخر وقيل هو ملاحظة العقل ما هو حاصل عنده
ليحصل غيره ومنهم من جعل النظر عدميا فقال هو تجريد الذهن
عن الغفلات المانعة من الحصول ومن الناس من قال هو
تحديق الذهن نحو المعقولات وشبهوه بتحديق البصر نحو
المبصرات فكما ان الادراك بالبصر يتوقف على امور ثلاثة
المبصر بفتح الصاد وتقليب الحدقة نحوه طلبا لرويته
وازالة الغشاوة المانعة من الابصار كذلك الادراك
بالبصيرة يتوقف على امور ثلاثة التوجه نحو المطلوب وتحديق
العقل نحوه طلبا لادراكه وتجريد القلب عن الغفلات التي
هي بمنزلة الغشاوة والسديد الموصوف بالسداد وهو
الصواب من القول والعمل ومداحض جمع مدحض وهو المكان الذي
يقع فيه الدحض وهو الزلق وفي الحديث ان دون جسر جهنم طريقا
ذا دحض اي زلق والمراد بالمداحض الشبه التي تطرا على الناظر
شبهها بالمداحض بجامع ان الخطا بسببها يكثر كما ان الزلق يكثر
في المداحض فهي استعارة تصريحية تزل بها اي بسببها الاقدام

فى القاموس زللت تزل وزللت كمللت زلقت فى طين او منطق

ضرب يضرب وفتحها على ان يكون من قبيل ؟

انتهى فيجوز فى تزل الواقع فى عبارة المصنف كسر الزاي على ان يكون من قبيل علم يعلم والاقدام جمع قدم والمراد بالزلل الخطأ والعدول عن الصواب شبه الخطأ فى النظر بالزلل فى الطين فهي استعارة تصريحية تبعية والمراد بالاقدام العقول والاذهان المدركة شبهها بالقدم بجامع الوصول بسبب كل منهما الى مرامانه ومقاصده فهي استعارة تصريحية **ان لم يعتمد على توفيق من الله عز وجل وتاييد** التوفيق من الله عند الاشعري خلق القدرة الخاصة على الطاعة والاستطاعة اذا كانت عنده مع الفعل وهي تتجدد ساعة فساعة فلكل فعل قدرة خاصة والقدرة على الطاعة صالحة لها دون ضدها من المعصية فالتوفيق خلق تلك القدرة المتفقة مع الفعل وقالت المعتزلة التوفيق من الله عز وجل اظهار الايات فى خلقه الدالة على وحدانيته وابداع العقل والسمع والبصر فى الانسان وارسال الرسل وانزال الكتب لطفا منه تعالى وتنبيها للعقلاء عن غفلتهم وتقريبا للطرق الى معرفته وبيانا للاحكام وتمييزا بين الحلال والحرام فلما فعل ذلك فقد وفق وهدى وبين السبيل واوضح المحجة والزم الحجة وليس يحتاج فى كل فعل ومعرفة الى توفيق مجدد وتسديد منجز بل التوفيق عام وهو سابق على الفعل وما قاله الاشعري اوفق بالمعنى اللغوي لان الموافقة فى الطاعة وخلق القدرة الحادثة يحصل التهيؤ للموافقة

للموافقة وقال امام الحرمين هو خلق الطاعة لا خلق القدرة اذ لا تاثير للقدرة الحادثة والتاييد التقوية **لكلني لما رجوته** الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره لما رجوته اجبتك فينبغي ان يقدر موخرا فان قلت لم قدم المعمول على العامل قلت لافادة الحصر اي ما بادرت الى ذلك الا لهذا الغرض ليس الا وما فى قوله لما موصولة والهاء عائد الموصول والرجا اصله الميل وذلك ان من يرجو نيل الشيء فانه يخاف فوته فى اكثر الاحوال فكان الرجا طرف والخوف طرف منه ومنه قيل رجا البير لناحيته والفرق بينه وبين الطمع ان الطمع توطين النفس على نيل المطلوب من غير مخافة للفوت والصحيح ان الرجا ما كان عن سبب والطمع ما كان عن غير سبب ولهذا ذم الطمع ولم يذم الرجا وربما جا الطمع بمعنى الرجا كقوله عز وجل والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين **لي ولك** قدم نفسه لان الداعي يستحب له تقديم نفسه فى الامور الاخروية بخلاف الامور الدنيوية فان له ان يقدم غيره لكن ابن الجزري فى الحصن الملق استحباب تقديم الانسان نفسه فى الدعا **فى هذا السوال والجواب** على سنن التوزيع فللمخاطب السوال وللمصنف الجواب **من نوال وثواب** يتعين فى من ان تكون بيانية لما فى قوله ما رجوته والنوال العطا والثواب قال فى القاموس الجزاء وفى الغريبين للهروي الثواب ما جوزي به الانسان على فعله من خير او شر يقال ثاب يثوب اذا رجع فالثواب هو ما يرجع

على المحسن من احسانه وعلى المسي من اساته وفي النهاية الاثيرية
انه في الخير اكثر ومراد المصنف اني ارجو لي نوالا وعطا وثوابا وارجو
مثل ذلك لك ايها السايل اما السايل فله النوال اي العطا الدنيوي
والاخروي وله ثواب ايضا دنيوي واخروي على حث المصنف وكونه
باعثا له على تاليف هذا الكتاب والمتسبب مثاب وان لم يعمل الا
ترى الى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من
ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع او ولد صالح يدعو له فجعل للمتصدق
ثوابا التسبب في نيل اثارها الى المتصدق عليه وكذلك للعالم
ثواب التسبب الى تعليم ذلك العلم وكذلك يقال في الولد ومن هذا
القبيل اذا طلب المومن المغفرة لاحد كانت الرحمة والمغفرة
مخصوصتين بالمدعو له وثواب الدعا للداعي لتسببه في نيل
تلك المغفرة وكذلك هنا السايل تسبب والمصنف الف
فثواب التاليف للمصنف وللسايل اجر التسبب فلكل من
المصنف والسايل له من الله عز وجل نوال وثواب فان قلت
السايل يثاب عن سواله وان لم يولف المصنف الكتاب قلت
ثوابه على مجرد السوال ثواب حامل على فعل الخير بخلاف ما اذا الف
فانه في كل حال انتفع به منتفع له ثواب التسبب فهو الثواب الكامل
والنوال التام وجعل النوال للسايل والثواب للمصنف مما لا دليل
عليه بتعريف قدره الجسيم اي بتبيين مقامه العظيم والجسيم هو
البالغ

البالغ في الجسامة وهي من صفات الاجسام وقد اطلقت على امر
معنوي وهو مقام النبي صلى الله عليه وسلم على طريق التشبيه
والاستعارة التصريحية والمراد بتعريف قدره الجسيم اي مقامه
العظيم عند الله عز وجل وعند الملائكة وعند الانبيا السابقين فعطف
قوله وخلقه العظيم ليس عطف خاص على عام والخلق بضم الخاء
واللام ويجوز سكونها الدين والطبع والسجية وحقيقته انه
لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه واوصافها ومعانيها
المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة واوصافها ومعانيها
ولها اوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان
باوصاف الصورة الباطنة اكثر مما يتعلقان باوصاف الصورة
الظاهرة ولهذا تكررت الاحاديث في مدح حسن الخلق في غير
موضع كقوله صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله
عز وجل وحسن الخلق وقوله صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين
ايمانا احسنهم خلقا كذا في النهاية الاثيرية وانما كان خلق نبينا
صلى الله عليه وسلم عظيما قال سهل لانه تادب باداب القران فلم
يتجاوز حده وهو قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وقال
الواسطي لانه جاد بالكونين عوضا عن الحق عز وجل وقال
الواسطي الخلق العظيم ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة
معرفته بربه عز وجل في ليلة المسرى وقال الحسين انما كان

حلقه عظيم لانه ينظر الى الاشيآء يشاهد الحق ولا ينظر الى الاشياء
يشاهدها فان من نظر الى الاشيآء يشاهدها هلك وقال الواسطي
انك يا محمد قبلت فتوت ما اسديت اليك من نعمتي احسن مما
قبله غيرك من الانبيآء عليهم السلام والرسل لاني جبلتك على خلق
عظيم وقال الحسين معنى الخلق انه صلى الله عليه وسلم لم يوثر
فيه جفا الخلق بعد مطالعة الحق وقيل معناه صغرت الاكوان
في عينك بعد مشاهدة مكونها وقال ابن عطا انك جدت بالدنيا
والاخرة عوضا منا وقال الجنيد احتمل في الله عز وجل البلاء
وما شكا بل رحم وقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون **وبيان**
خصايصه التي لم تجتمع قبله في مخلوق جمع خصيصة وهي ما
يختص به صلى الله عليه وسلم ولم يوجد لغيره وقد ذكر المصنف
ما اكرمه به من الخصايص خصه جملة ولم يوجد منها شي في
غيره من نبي ولا غيره وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بجملة من
خصايصه كقوله اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي
يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود
واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل حيث
كان ونصرت بالرعب من مسيرة شهر واعطيت الشفاعة
رواه البخاري والمصنف ذكر المعجزات الخاصة به كانشقاق

القمر

القمر ونبع الما من اصابعه وحنين الجذع والاسرا به الى السما وتكليم
الشجر وسعيها اليه وهذه خوارق لم توجد في احد قبله ولا بعده
وليس مراده صلى الله عليه وسلم حصر خصايصه فيما ذكر فقد اتت
احاديث اخرى بذكر شي من خصايصه ونقل عن ابي علي بن خيران
من اصحابنا الشا انه منع من الكلام في الخصايص قال لانه
امر انقضى فلا معنى للكلام فيه وقال امام الحرمين من الشافعية
ايضا قال المحققون ذكر الاختلاف في مسايل الخصايص خبط
غير مفيد لانه لا يتعلق به حكم ناجز تمس اليه الحاجة وانما يجري
الخلاف فيما لا يوجد بد من اثبات حكم فيه فان الاقيسة لا مجال لها
فيها والاحكام الخاصة تتبع النصوص وما لا نص فيه فالخلاف
فيه هجوم على الغيب من غير فايدة وقال النووي في الروضة
والتهذيب بعد نقله هذين الكلامين وقال ساير الاصحاب لا باس
به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم فهذا كلام الاصحاب والصواب
الجزم بجواز ذلك بل باستحبابه ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا
لانه ربما راى جاهل بعض الخصايص ثابتا في الحديث الصحيح
فعمل به اخذا باصل التاسي فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل بها
واي فايدة اجل من هذه وقد تتبع ما شرف الله عز وجل به
نبينا صلى الله عليه وسلم من الخصايص والايات وفضله به من
الفضايل والكرامات من كتب العلما كالخصايص لابن سبع

وخصائص الروضة للنووي ومختصرها للحجازي ومختصرها
لابن المقري وشرح الحاوي لابن الملقن وشرح البهجة لشيخ الاسلام
زكريا واللفظ المكرم في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ
قطب الدين الخيضري فتحصل من جملة ذلك حصة كبيرة اذكرها ان
شا الله تعالى في محلها وقد ذكر بعض العلماء انه صلى الله عليه وسلم
اوتي ثلاثة الاف معجزة وخصيصة ثم اني اقول ان محل الخلاف
في استحباب ذكر خصائص النبي صلى الله عليه وسلم في غير قسم الفضائل
منها فانهم قسموها الى اربعة اقسام الواجبات والمحرمات
والمباحات والفضائل والاكرام فهب ان بيان ما وجب عليه وابيح
له وحرم عليه انقضى امره فلا جدوى لذكره على ما زعم هؤلاء فما
القول في ما فضله الله به وكل مومن مفتقر الى معرفة ما فضل
الله عز وجل به نبيه صلى الله عليه وسلم على سائر المخلوقات من النبيين
والمرسلين وغيرهم فانهم قد ذكروا في خصائصه التي فضله الله
عز وجل بها كونه خاتم النبيين وكونه سيد ولد ادم وكونه اول من
تنشق عنه الارض واول من يقرع باب الجنة واول شافع واول
مشفع ونحو ذلك مما هو مذكور في قسم الفضائل من كتب الخصائص
وهذه امور تجب على كل مومن معرفتها فابن خيران وامام الحرمين
كلامهما موجه الى غير هذه الامور ككونه صلى الله عليه وسلم تحرم عليه
خائنة الاعين ونزع لامته بعد لبسها ونحو ذلك وما يدان الموصول
معطوف

معطوف على قدره اي بتعريف ما يدان الله عز وجل به ومعنى يدان
يطاع ويعبد وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي طالب
اريد من قريش كلمة يدين لهم بها العرب اي تطيعهم وتخضع لهم
وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت اي اذلها
واستعبدها من حقه بيان لما والحق في الدين ما شهد به الدليل على
اليقين فيما طريقه العلم كالعقائد التي ببيان حق النبي صلى الله عليه وسلم
من جملتها وشهدت به القوة فيما طريقه غالب الظن واصله من
الثبات تقول تحققت الشي اي ثبت عندي وهذا حقك اي
ثبت لك ملكه فالمراد بما هو حقه الامر الذي ثبت بالدليل القطعي
اليقيني انه يجب ان يفعل معه ويعتقد في شانه صلى الله عليه وسلم
هذا والاولى عندي ان تجعل من في من حقه تبعيضية والحق
مفرد اضيف فيعم لانه من الصيغ الموضوعة للعموم المفرد المضاف
فالتقدير بتعريف ما يدان الله عز وجل به الذي هو بعض من جميع
حقوقه ولو كانت بيانية لزم ان يكون ما عرفنا به المصنف هو كل
حقوقه ولا يظن في المصنف ان يحوم حول هذه الدعوى وقوله
الذي هو ارفع الحقوق صفة مادحة وهذا التفضيل اضافي لا
حقيقي لان حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ليست ارفع من حق
ربه وخالقه عز وجل نعم هي ارفع من حقوق كل المخلوقات فان
قلت لو جعلنا الصفة مخصصة والمعنى ان المصنف يعرفنا

مطلب

او يقال ان التعريف في
الحقوق للعهد اي من
الحقوق المعهودة وهي
حقوق المخلوقين من

ماهو حقه الارفع اي اعلى من باقي حقوقه فلا يحتاج حينئذ الى صرف
التفضيل عن ظاهره قلت نعم هو كذلك والمصنف ذكر ما هو ارفع
حقوقه لكن اجمالا وتقصر باعه وباع غيره من العلما عن ذكره تفصيلا
صلى الله عليه وسلم ثم الذي يتراآى من كلام المصنف ان قصده مدح
حقه صلى الله عليه وسلم بهذه المدحة فالصفة مادحة لا مخصصة
ليستيقن اي ليعلم ويتحقق وفي القاموس يقن الامر كفرح يقنا
ويحرك واليقنه وبه وتيقنه واستيقنه وبه علمه وتحققه
انتهى واليقين اصله العلم ويطلق على علم حصل بعد انه لم يكن
واقعا ولهذا لا يقال لربنا عز وجل انه متيقن ويتصف بالثلج
دون العلم فيقال ثلج اليقين ولا يقال ثلج العلم الذين اوتوا الكتاب
وهم اليهود والنصارى ويزداد الذين امنوا ايمانا هذه ابية
اقتبسها من القران وهي في القران بمعنى واراد بها المصنف هنا
معنى اخر فانه في القران جعل قوله ليستيقن علة لقول رب العزة
عز وجل ان خزنة جهنم تسعة عشر فلتستيقن اليهود
والنصارى اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القران
حين راوه موافقا لما في كتابهم الذي بايديهم وهو التوراة
فانه تعالى قد ذكر فيها ان عدة خزنة جهنم تسعة عشر فجا القران
موافقا لما في ايديهم من الكتاب فيتيقنوا صدق محمد صلى الله عليه وسلم
واما المومنون فازدادوا ايمانا واما المصنف فانه ذكر هذه الجملة

المقتبسة

المقتبسة من كتاب رب العزة معللا بها ما صدر منه من التعريف
بقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم وبيان خلقه وخصايصه وما بدا ان
الله عز وجل به من حقه الذي هو ارفع الحقوق فاليهود والنصارى
اذا سمعوا مثل ذلك في شانه صلى الله عليه وسلم ليستيقنون انه رسول
الله بلا شبهة وان كفروا بعد ذلك كانوا معاندين واما الذي آمن
بنبوته فاذا سمع مثل ذلك ازداد ايمانا وهذه الاية وامثالها دالة
على قبول الايمان للزيادة والنقصان بمعنى ان افراد ما جا به النبي
صلى الله عليه وسلم متعددة وداخلة في التصديق الاجمالي فاذا علم
واحد منها بخصوصه وصدق به كان هذا تصديقا مغايرا لذلك
التصديق المجمل وجزا من الايمان ولا شك ان التصديقات
التفصيلية تقبل الزيادة فكذا الايمان فكل ما سمع المومن شيا
مما قرره المصنف في شوون النبي صلى الله عليه وسلم آمن به فيزداد
ايمانا فان قلت من نفى قبوله لها بماذا يتمسك قلت متمسكه في
هذا النفي مبني على تفسير الايمان بالتصديق ولا بد فيه ان يصل
الى درجة اليقين وهو لا يقبل التفاوت لا بحسب ذاته لان التفاوت
انما هو لاحتمال النقيض وهو ولو بابعد وجه ينافي اليقين فلا
يجامعه ولا بحسب متعلقه لانه جميع ما علم بالضرورة مجي الرسول
صلى الله عليه وسلم به والجميع من حيث هو جميع لا يتصور فيه تعدد
والا لم يكن جميعا وان قلنا هو الاعمال اما وحدها واما مع التصديق

فيقبل الزيادة والنقص بلا خفاء ولهذا قيل ان الخلاف بين مثبتي قبوله
لهما ونافيه لفظي لانه مفرع على تفسير الايمان هذا والحق كما قال المحقق
عضد الدين ان التصديق نفسه يقبل القوة والضعف فان التصديق
من الكيفيات النفسانية المتفاوتة قوة وضعفا وقولكم ان الواجب
اليقين والتفاوت لا يكون الا لاحتمال النقيض قلنا لا نسلم ان
التفاوت انما هو لاحتمال فقط اذ يجوز ان يكون بالقوة والضعف
بلا احتمال للنقيض ويدل عليه قول الخليل عليه الصلوة والسلام
ولكن ليطمئن قلبي مع ان اصل اليقين حاصل للخليل عليه السلام ثم ان
القول بعدم قبوله لهما مقتض لان يكون ايمان النبي واحاد الامة
سواء وهو باطل اجماعا والظاهر ان الظن الغالب الذي لا يخطر
يوجد معه احتمال النقيض وحكمه حكم اليقين في كونه ايمانا يقينيا
فان ايمان اكثر العوام من هذا القبيل فيكون الايمان التصديقي قابلا
للزيادة فان قلت هل يجوز ان يفسر ليستيقن الواقع هنا بيومن
قلت لا يجوز لان الايمان اخص من اليقين لان الجاحد المعاند
موقن وليس بمومن كما قال عز وجل وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
وانما المراد اذا سمع اهل الكتاب صفات محمد صلى الله عليه وسلم وما
منحه الله عز وجل وتفضل عليه به تيقنوا انه النبي المذكور في كتبهم
فان امنوا سعدوا وان جحدوا وعاندوا شقوا **واذ اخذ الله**
تعالى على الذين اوتوا الكتاب يجوز في ما ان تكون مصدرية اي ولاخذ

الله

الله وان تكون موصولا اسميا والعائد محذوف اي وللذي اخذه الله
فهو علة ثانية لتاليف المصنف هذا الكتاب والمراد بالذين اوتوا
الكتاب العلماء مطلقا سواء كانوا من اليهود والنصارى ام من
المسلمين وهذا ماخوذ من قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب وقد ذكروا فيهم ثلاثة اقوال الاول انهم اليهود فقط
وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي والثاني انهم اليهود
والنصارى وعندي ان الاولى ان يراد بهم كل العلماء ولهذا يستدل
بهذه الاية على وجوب نشر العلم في هذه الامة لانه لو اريد بهم اليهود
والنصارى لقيدهم بقوله من قبلكم كما وقع له التقييد بذلك قبيل هذه
الاية في قوله ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا فان قلت لم يقل من قبلكم اكتفاء بما سبق قلت
القيد الواقع في الكلام المتقدم لا يجري في الكلام المتاخر كما يخفى
فان قلت سياق الاية ينافي ان يراد بهم كل العلماء لانه قال فنبذوه
وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون مع ان
النبذ لم يقع من كل العلماء لا سيما علماء هذه الامة قلت اسند النبذ
الى جميع العلماء باعتبار ان ذلك صدر من بعضهم فهو اسناد اليهم
باعتبار المجموع فان قلت ما الماخوذ على الذين اوتوا الكتاب
قلت العهد والميثاق الذي نطقت به الاية والمراد بالميثاق
اليمين ولهذا وقعت اللام التي من شانها ان تقع في جواب القسم

في جوابه في قوله ليبيننه فإن قلت متى أخذ عليهم الميثاق قلت
على ألسنة أنبيائهم عليهم السلام فما بعث الله عز وجل نبيا وعلم أمته
إلا حث على أمته على أن يبينوا ما علمهم للناس ولا يكتمونه وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ليبلغ الشاهد الغائب وقد
أنذر كاتمي العلم بما يأتي في الحديث الآتي ودعا لناشريه بقوله نضر
الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها **ليبيننه للناس
ولا يكتمونه** الضميران المنصوبان في ليبيننه ولا يكتمونه عائدان الى
محمد صلى الله عليه وسلم وإن لم يجر له ذكر وقيل يرجع الى الكتاب ويدخل
فيه بيان أمر النبي صلى الله عليه وسلم فإن قلت لم لم يقل ولا يكتمنه
بنون التوكيد كما قال ليبيننه قلت لأن جملة قوله ولا يكتمونه حال
بإضمار مبتدأ والتقدير وهم لا يكتمونه لأن المضارع المنفي بلا لا تصحبه
واو الحال فهو كقوله عز وجل فاستقيما ولا تتبعان في قراءة من خفف
النون وقيل الواو في قوله ولا يكتمونه عاطفة لا حالية فيكون داخلا
في القسم ولم يؤكد بالنون لأنه منفي بلا وهذا أصوب لعدم تكلف
إضمار **وأما حدثنا به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله
عز وجل** هو القرطبي المعروف بابن العواد ترجمته مطولة عرض
عليه في القضاء غير مرة فلم يجب قرأ عليه المصنف وتوفي بقرطبة
عقب صفر سنة تسع وخمسمائة ومولده سنة اثنتين وخمسين
وأربعمائة وقيد بقوله **بقراءتي عليه** ليفيد أن هذا التحمل ليس سماعا

من

من لفظ الشيخ وإنما هو قراءة وأن التحمل بالقراءة على الشيخ جائز ومن
خالف في جوازها لا يعتد بخلافه وهو أبو عاصم النبيل ولا بأن
وكيعا لم يأخذ حديثا بالقراءة وأن محمد بن سلام رأى مالكا والناس
يقرؤون عليه فلم يأخذ عنه وأن عبد الرحمن بن سلام الجمحي لم يكتف
بالقراءة فقال مالك أخرجوه عني والحق أنها صحيحة وهي من أعلى أنواع
التحمل وممن قال بصحتها من التابعين عطاء ونافع وعروة والشعبي
والزهري ومكحول والحسن ومن الأئمة الأئمة الأربعة وابن مهدي
وشريك والليث وأبو عبيد والبخاري في خلق الأفعال واستدل
البخاري بحديث ضمام بن ثعلبة وقد سوى مالك في أحد قوليه وأصحابه
وعلماء الحجاز بين القراءة والسماع من لفظ الشيخ وهو مذهب الشافعي
ورجحه أبو حنيفة ومالك في أحد قوليه والصحيح عند العلماء أن
السماع أعلى منها ثم إذا قرأ على الشيخ وقلنا بالأصح أنه مرتبة عالية
في التحمل فأجود العبارات في ذلك إذا روى أن يقول قرأت
على فلان وإذا قرأ غيره وهو يسمع فليقل قرئ على فلان وأنا أسمع
ثم إنه إذا عبر بحدثنا ونحوها من العبارات التي شاع أنها تستعمل
في السماع من لفظ الشيخ وجب تقييدها بما يبين أن السماع
عرض فيقول حدثنا فلان بقراءتي عليه أو قراءة عليه وأنا
أسمع وأخبرنا وأنبأنا كذلك وهل يجوز أن يطلق حدثنا غير
مقيد بما ذكر الصحيح وهو مذهب أحمد المنع وذهب مالك

مهم
في التعبير بحدثنا وأخبرنا
وأنبأنا

وابو حنيفة وصاحباه ومعظم الكوفيين والبخاري الى الجواز ومذهب
الشافعي واكثر العلما الفرق بين حدثنا واخبرنا فمنعوا الطلاق الاول
وجوزوا الطلاق الثاني فان قلت المصنف من اتباع مالك رضي الله عنه
فما باله قيد وامامه جوز الاطلاق قلت انما قيد ليبين مرتبة التحمل
ولو ان امامه قال بجواز الاطلاق لا يقول بعدم اولوية التقييد
خروجا من الخلاف على ان المصنف وان كان متمذهبا بمذهب مالك
في خصوص الفروع الفقهية لا يلزمه ان يقول بقوله في اصطلاحات
المحدثين وقد علمت ان الاصح عدم جواز الاطلاق عند المحدثين وان
اكثر المحدثين يمنعه في حدثنا قال حدثنا الحسين بن محمد هو الحافظ
ابو علي الغساني حدثنا ابو عمر النمري ابو عمر هذا هو حافظ المغرب
وشيخ الاسلام ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن
عاصم النمري القرطبي ولد في شهر ربيع الاخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة
تصانيف كثيرة منها الاستيعاب والتمهيد توفي بشاطبة ليلة الجمعة
سلخ ربيع الاخر سنة ثلاث وستين واربعمائة واستكمل خمسا
وتسعين سنة وخمسة ايام والنمري بفتح النون والميم نسبة
الى نمر بفتح النون وكسر الميم ابي قبيلة وهو نمر بن قاسط بن هنب
ابن افصى وانما غيروه في النسبة اليه ففتحوا ميمه لان المنسوب
اليه اذا كان على ثلاثة احرف ولم يكن لامه حرف علة ولم يكن فاؤه
مكسورا سواء كانت فاؤه مفتوحة كنمر او مضمومة كدئل فتحت

عينه

ترجمة ابن عبد البر

مطلب قاعدة في النسب

عينه عند النسب قياسا سواء كان فيه تاء التانيث ام لم تكن تقول
في النسبة الى شقرة بفتح الشين وكسر القاف وهي اسم لشقائق
النعمان واسم لقبيلة من بني ضبة شقري بفتح الشين والقاف
وتقول في النسبة الى نمر نمري وانما فتحوا عينه في النسب
كراهة لتوالي اليائين والكسرتين مع قلة حروف الكلمة واما اذا
كانت فاؤه مكسورة ايضا فمنهم من يفتح العين كما ذكرنا فيقول في
النسبة الى ابل ابلي ومنهم من يبقي الكسرة لان اللسان يعمل من
جهة واحدة فلا يثقل وهذه مسئلة مذكورة في شافية ابن الحاجب
وتسهيل ابن مالك قال حدثنا ابو محمد بن عبد المومن هو ابو محمد
عبد الله بن محمد بن عبد المومن القرطبي من قدما شيوخ ابي عمر
ابن عبد البر قال الذهبي في الميزان كان تاجرا صدوقا لقي ابن داسة
والكبار قال ابن القوطي لم يكن في ضبطه جيدا وربما اخل بالهجاء
قال حدثنا ابو بكر محمد بن بكر هو ابو بكر بن داسة بدال وسين
مفتوحة مهملتين ثم تاء التانيث هو احد رواة سنن ابي داود عنه
قال حدثنا سليمن بن الاشعث هو الامام الحافظ سيد الحفاظ
صاحب سنن ابي داود سليمن بن الاشعث بن اسحق بن بشير
السجستاني ولد سنة اثنتين ومائتين روى عنه شيخه احمد بن
حنبل حديث العتيرة واراه كتابه فاستحسنه مات في شوال
سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة قال حدثنا موسى بن اسمعيل

هو ابو سلمة التبوذكي الحافظ نسبة الى تبوذك وهي دار
اشتراها وقيل نزل دار قوم منها وقيل انه نسبة الى بيع السماد
وهو السرجين وقيل انه نسب الى بيع ما في بطون الدجاج من
الكبد والقلب والقانصة وهو منقري نسبة الى منقر
كمنبر بطن من تميم قال ابن الجزري هو ثقة ثبت قال حدثنا حماد
هو حماد بن ابي سلمة بن دينار الامام ابو سلمة بن ابي صخرة احد
الاعلام يقال ان ولاءه لقريش ويقال لتميم قال ابن معين اذا رايت
من يقع فيه فاتهمه على الاسلام قال شهاب بن المعمر كان يعد من
الابدال وعلامة الابدال ان لا يولد لهم تزوج سبعين امراة فلم يولد
له وقال ابن حبان كان من العباد المجابين الدعوة ولم ينصف
من جانب حديثه وقال عفان ما رايت من هو اعبد من حماد بن سلمة
ولكن ما رايت اشد مواظبة على الخير وقراءة القران والعمل لله عز وجل
من حماد بن سلمة وقال من طلب الحديث لغير الله عز وجل مكر به قال
قلت المصنف تابعا لابي داود اطلق حمادا هنا ولم ينسبه اما
يجوز ان يكون المراد به حماد بن زيد احد الاعلام وقد قال في شانه
ابن مهدي ما رايت احدا لم يكتب احفظ منه مع ان بعض من كتب
على الشفا قال هو ابن زيد فلم اخترت انه حماد بن سلمة قلت لان
موسى بن اسمعيل التبوذكي لم يرو عن حماد بن زيد وقد انفرد بالرواية
عن حماد بن سلمة نص عليه ابن الجزري في كتاب الرجال وعرفه البرهان الحلبي

لعله ابي صخرة دينار

علامة الابدال ان لا يولد لهم ه

حرف الاستدراك مستدرك ه

فيما كتبه على الشفا بانه حماد بن سلمة فتتبعناه على ذلك وقد تايد بما
قاله ابن الجزري قال حدثنا علي بن الحكم هو البناني ابو الحكم البصري
صدوق مات سنة احدى وثلاثين عن عطا هو اسلم بن ابي رباح
ابو محمد القرشي مولاهم المكي احد الاعلام يروي عن عائشة ام المؤمنين
رضي الله عنها وجابر وابن عباس وزيد بن ارقم ويروي عنه الاوزاعي
وابو حنيفة وغيرهما عاش ثمانين سنة مات سنة خمس عشرة
ومائة وقيل اربع عشرة ومائة واسم ابي رباح اسلم وكنيته
عطا ابو محمد وهو من كبار التابعين ولد اخر خلافة عثمان رضي
الله عنه ونشا بمكة وسمع العبادلة الاربعة وجماعات من الصحابة
وهو من مفتي مكة وائمتهم المشهورين وهو احد شيوخ اصحابنا
الحنفيين [من] في سلسلة الفقه وعن ابن ابي ليلى قال حج عطا سبعين
حجة واتفقوا على توثيقه وجلالته وامامته توفي بمكة في السنة
المذكورة رضي الله عنه قال البرهان في شرحه وانما ميزت هذا لان
جماعة يقال لكل منهم عطا يروي عن ابي هريرة انتهى يعني والمراد
هنا هو عطا بن ابي رباح لا غيره ممن تسمى بعطا المشارك له في الاسم
والرواية عن ابي هريرة ونقل التلمساني انه مولى ميمونة اي لا
عطا بن ابي رباح ومولى ميمونة وهي ام المؤمنين هو عطا بن يسار
الهلالي مولى ام المؤمنين قيل الظاهر الاول وقد جزم به البرهان الحلبي
وعلله بعضهم بان الذهبي وابن الجزري لم يعدا ابا هريرة فيمن روى

ترجمة عطا التابعي رضي الله عنه ه

عنهم عطاء بن يسار واقول لا يلزم من عدم عد هذين ابا هريرة في
من روى عنهم ان لا يكونا رويا عنه فانهما في كتابيهما الكشف والجمال لم
يستوفيا رواية عنه غاية الامر انهما لم يذكراه ومع ذلك فالنووي ذكره في
من روى عنه في التهذيب وذكره ايضا البرهان الحلبي في النهاية فيمن روى
عنه قال ابن حبان في الثقات وهذا اللفظ بعينه عطاء بن يسار
ابو محمد مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم اخو سليمان وعبد الملك
وعبد الله بن يسار يروي عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة روى
عنه عمرو بن دينار ومحمد بن عمرو بن عطا قدم الشام فكان اهل الشام
يكنونه بابي عبد الله وكان اهلها يكنونه بابي يسار وكان صاحب
قصص وعبادة وفضل مات سنة ثلاث ومائة وكان مولده سنة
تسع عشرة وكان موته بالاسكندرية وبها دفن وكان له يوم مات
اربع وثمانون سنة نعم لا مستند لنا في ان هذا المذكور هو عطاء بن
ابي رباح لا عطاء بن يسار مولى ميمونة الا مقالة البرهان الحلبي فانه
كان امام هذا الشان في زمنه ولم يات بعده مثله فلعله انما جزم به
لدليل قام عنده وكفاك بقول هذا الحافظ مستندا عن ابي هريرة رضي الله عنه

ابو هريرة رضي الله عنه

هو الدوسي اختلف في اسمه اختلافا كثيرا على نحو ثلاثين قولا
الاشهر منها عبد الله وعبد الرحمن قال كان اسمي في الجاهلية
عبد شمس وفي الاسلام عبد الرحمن وقال كنت احمل هرة في كمي
فراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه قلت هرة فقال يا

اباهريرة

اباهريرة وقيل الذي كناه بها غير رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول اشبه
وهو ممن غلبت عليه كنيته فصار كمن لا اسم له اسلم عام خيبر وشهدها
ثم لزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وواظب عليه راضيا بشبع بطنه
وكانت يده في يده ويدور معه حيث دار وكان من احفظ من روى
الحديث في عصره وكان ابن عمر رضي الله عنهما يترحم عليه في جنازته
ويقول كان يحفظ على المسلمين حديث النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت
كيف تقولون انه اكثر الصحابة حديثا مع انه رضي الله عنه قال فيما
رواه البخاري في صحيحه ما من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد
اكثر حديثا عنه مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما فانه كان يكتب ولا اكتب فهذا يدل على ان عبد الله بن عمرو
كان اكثر حديثا منه بسبب الكتابة فان من يكتب يضبط ما لا
يضبطه من لا يكتب مع ان الموجود في كتب الحديث من احاديث
رواها ابو هريرة رضي الله عنه ما لم يوجد مرويا عن عبد الله بن عمرو
قلت قيل ان الاستثناء في قوله الا ما كان من عبد الله بن عمرو
منقطع فالتقدير لكن الذي كان من عبد الله بن عمرو لم يكن مني
وهو الكتابة فلا يلزم منه ان يكون اكثر حديثا والاصح انه متصل
وان عبد الله بن عمرو اكثر حديثا منه وجمعا للحديث منه الا انه
كان الغالب عليه العبادة عن الحديث فكانت عبادته اكثر من تعليمه
فقلت الرواية عنه بالنسبة الى ابي هريرة رضي الله عنه وقيل كان

احفظ الصحابة بل كان احفظ
الصحابة للحديث قال
الشافعي رضي الله عنه ابو هريرة هو

الكثرمقام عبدالله بن عمرو بمصر بعد فتح مصر او بالطائف ولم تكن الرحلة
اليها ممن يطلب العلم كالرحلة الى المدينة على ساكنها افضل الصلوة
والسلام وكان ابوهريرة رضي الله عنه متصديا للفتوى والتحديث الى ان
مات ويظهر هذا من كثرة من حمل عن ابي هريرة فقد ذكر البخاري انه
روى عنه ثمانمائة نفس من التابعين ولم يقع هذا لغيره وقيل في الجواب
انه لم ينس شيئا بمقتضى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له ففي صحيح البخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اني اسمع منك حديثا
كثيرا انساه قال ابسط رداءك فبسطته قال فغرف بيديه ثم
قال ضمه فضممته فما نسيت شيئا مات رضي الله عنه بالمدينة سنة
سبع وخمسين وقيل سنة تسع وخمسين وقيل مات بالعقيق
وصلى عليه الوليد بن عقبة وكان امير المدينة تتمة
نقل عن ابن حجر العسقلاني انه قال بجر هريرة من ابي هريرة مطلب في اعراب ابي هريرة
بالكسرة واقول وجه ذلك ان اباهريرة كنية ومجموع المضاف
والمضاف اليه علم وهو علم منقول ولا شك ان الاعلام المنقولة
تبقى على حالها قبل النقل ولا شك ان هريرة من ابي هريرة لم يكن علما
وانما كان اسم جنس وما فيه تاء التانيث لا يمنع من الصرف الا اذا كان
علما شخصيا او جنسيا ثم بعد صيرورته علما لا مقتضي ايضا لمنعه من
الصرف لانه حينئذ جزء علم وجزء العلم ليس علما لان العلم هو المخصوص
مطلقا تعليقا او غلبة بمسمى غير متعدد الشياع او الشائع الجاري

مجراه

مجراه فهريرة لم يخرج عن تنكيره وان كان المجموع من المضاف والمضاف
اليه خرج عنه اذ لا يلزم من اتصاف المجموع بصفة اتصاف كل جزء
من اجزائه بها ولو كان لجزء العلم حكم العلم لما جاز دخول اللام في مثل
الالقاب المركبة والكنى المركبة تركيبا اضافيا في مثل قولنا شمس الدين
وجمال الدين وابو المكارم وابو الهدى وابو الصقر فان قلت فما بالهم
قالوا اذا طرا على العلم الشيوع واردنا تعريفه باللام ادخلناها على
المضاف اليه فقالوا ابو الزيد ولم يدخلوها عليه الا لانه عدوه
كالعلم قلت ذاك لما لم يمكن دخول اللام على المضاف لم يجدوا لها
محلا الا المضاف اليه فان قلت هل يجوز ان يقال ابو الهريرة
قلت نعم يجوز باعتبار ان هريرة نكرة وان كان جزء معرفة
ويؤيد ذلك ان من كنى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ابو تراب
وقد وقع في حديث البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اجلس
ابا تراب وفي رواية اخرى للشيخين ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له اجلس ابا التراب والحاصل ان هريرة في ابي هريرة لا وجه
لمنعه من الصرف لانه نكرة وان كان جزء معرفة وقد قيل انه غير منصرف
للتانيث اللفظي والعلمية كان المضاف والمضاف اليه
ككلمة واحدة قيل وفيه انه يلزم رعاية الاصل والحال معا في كلمة بل في
لفظ هريرة اذا وقع ابوهريرة فاعلا مثلا وتوجيهه خفي واييد بعضهم
هذا الاعتراض فقال وانا اقول نعم اذا قيل روى ابوهريرة فقد

روعي في المضاف اليه الاصل وهو الاستقلال فخص باعراب غير
اعراب المضاف والحال وهو عدم الاستقلال فلم يدخله الكسر
والتنوين كما لم يدخلا عجز بعلبك الذي لا استقلال له فتكون الرعايتان
في حق امرين مختلفين ونظيره جلي في قول الشاعر
(من الطويل) اتاني وعيد الحوص من آل جعفر * فيا عبد عمرو لو نهيت الاحاوصا *
حيث روعيت وصفيته احوص في الاصل حتى جمع على فعل واسميته
في الحال حتى جمع على افاعل انتهى وانا اقول لم يراع في ابي هريرة اذا
وقع فاعلا مثلا الا حالة واحدة وهي الاصل وهو اعتباره تركيبا
اضافيا مثل ما كان قبل العلمية ولم يطرا عليه بعد العلمية الا التعريف
في نفسه واذا نعت بما هو معرفة واما قياسه على بعلبك
فهو قياس مع الفارق لان بعلبك بعد المجموع كلمة واحدة وينزل
الجزء الثاني من الاول منزلة تاء التانيث واين هذا من ابي هريرة فان
المركب تركيبا اضافيا علما كان او غير علم لا يعده النحوي كلمة واحدة ولا في
حكم الكلمة الواحدة في حالة من الحالات فان قلت قد قررتم ان الجزء الثاني
من ابي هريرة لا تجري عليه حكم العلم لانه جزء علم وجزء العلم ليس علما فما
بالهم حكموا بزيادة اللام في بنات الاوبر لانها دخلت على علم فلم تفد
تعريفا وذلك في نحو قول الشاعر (من الكامل) * ولقد جنيتك اكموا وعساقلا *
ولقد نهيتك عن بنات الاوبر * فانهم جعلوا اللام زائدة لانها
دخلت على علم قلت بنات اوبر ليس علما شخصيا وانما هو علم
جنس

جنس والاعلام الجنسية يجري على جزئها الثاني حكمها لو كان علما
وحده نقله الشيخ خالد الازهري عن الدماميني فان قلت حيث لم يكن
لمنع صرف هريرة من ابي هريرة وجه فما بال كتب الحديث رواياتها
غالبا بمنع صرفه قلت قال الشيخ برهان الدين الحلبي في شرح البخاري
وهريرة لا ينصرف لكثرة الاستعمال انتهى فان قلت كثرة الاستعمال
لا توجب منع الصرف قلت مراده بذلك انه كثر استعماله لكثرة استعمال
الاعلام فكان شبيها بالعلم وقد عدوا شبه العلمية مما يمنع من
الصرف الا ترى ان اجمع الذي هو من صيغ التاكيد المعنوي ممنوع
من الصرف لوزن الفعل وشبه العلمية هذا ما ظهر لنا فتامل على ان
هذا فيه ما فيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن
علم اي عن شيء يعلمه فكتمه اي اخفاه عن السائل الجمه الله عز وجل
بلجام هي كلمة فارسية معربة من نار يوم القيمة الممسك عن الكلام
ممثل بمن الجم نفسه كما يقال التقي ملجم وكقول الناس كلم فلان فلانا
فاحتج عليه بحجة الجمته اي اسكتته والمعنى ان الملجم لسانه عن
قول الحق والاخبار عن العلم والاظهار له يعاقب في الاخرة بلجام من
نار وخرج هذا على مشاكلة العقوبة للذنب كقوله عز وجل الذين
ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس
وهذا في العلم الذي يلزمه تعليمه اياه ويتعين عليه فرضه كمن
كمن راى كافرا يريد الاسلام يقول علموني ما الاسلام وما الدين وكمن

يرى رجلا حديث العهد بالاسلام لا يحسن الصلوة وقد حضر وقتها
يقول علموني كيف اصلي وكمن جاء مستفتيا في حلال او حرام يقول
افتوني وارشدوني فانه يلزم في مثل هذه الامور ان لا يمنعوا الجواب
عما سألوا عنه من العلم فمن فعل ذلك كان آثما مستحقا للوعيد
والعقوبة وليس كذلك الامر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس الى
معرفتها كذا في معالم السنن للخطابي وتفصيل
ما يجب تعلمه وتعليمه ان يقال ان تعلم العلم على ثلاثة اقسام الاول
ما هو فرض عين على كل مسلم وهو ثلاثة اقسام اعتقاد وفعل
وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة نهار مثلا
فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناها وهو قول لا اله
الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه كشف ذلك لنفسه بالبحث
والنظر وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير
اختلاج وريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد
والسماع من غير بحث وبرهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجلاف العرب بالتقليد بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل
فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت واما الافعال والتروك فيتعين
عليه ما يحتاج اليه لاقامة فرائض الدين كاركان الصلوة والصيام
ولا يجب عليه تعلم دقائق هذه الامور بل يجب عليه تعلم ظواهرها ويجب
التعلم بعد الوجوب وكذا قبله ان لم يتمكن من تعلمه بعد دخول الوقت
وكاركان

وكاركان الحج وتعلمه على التراخي وكاركان الزكوة وشروطها ان ملك
مالا واحكام البيع والقراض ان اراد ان يتاجر فيتعين على من يريد
بيع الخبز ان يعلم انه لا يجوز بيع خبز البر بالبر ولا بدقيقه ويعلم
دواء مرض القلب كالحسد والرياء فان تفضل الله عز وجل على شخص بقلب
سليم منهما كفاه ذلك واما التروك فيجب علمها بحسب ما يتجدد
من الحال فلا يجب على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى
تعلم ما يحرم من النظر ويجب ان يتعلم تحريم شرب الخمر اذا كان
في بلد يكثر فيها تعاطي الخمر وتحريم الزنا اذا كان بين قوم يتعاطونه
وتحريم نكاح في بلدة يغلب فيها التشيع الثاني ما هو فرض
المتعة صح
كفاية كتعلم علم الكلام وتعليمه لرد المبتدعة وما نص عليه
الشافعي من تحريم الاشتغال به محمول على التوغل فيه قال
امام الحرمين ولو بقي الناس على ما كانوا عليه في صفوة الاسلام
لما وجب الاشتغال بالكلام لم يشتغل به الصحابة رضي الله عنهم
وتعلم الطب وتعليمه فرض كفاية وكذا اصول الفقه والنحو
واللغة والتصريف والحساب واسماء الرواة والجرح والتعديل
فان قلت لو سئل عن علم هل يجب عليه رد الجواب قلت الافتاء
فرض كفاية فان رد هذا المسؤول الجواب اثيب عليه ثواب فرض
الكفاية وان امتنع من رده اعتمادا على ان هناك من يرده لم
يأثم في عدم رد الجواب وان لم يكن هناك احد يرد الجواب غيره وجب

عليه واثم ان امتنع من رده وكذا من اتى انسانا متعلما منه فان كان
هناك من يعلم غيره لم يأثم بعدم تعليمه اذا امتنع منه وان لم يكن
هناك من يعلم غيره اثم بامتناعه من التعليم ذكره النووي في الروضة
الثالث ما تعليمه وتعلمه حرام كعلم الفلسفة والشعبذة
والتنجيم والرمل والسحر هذا وان هذا الحديث اسنده
المصنف كما ترى من طريق ابي داود واخرجه ايضا الترمذي
وحسنه وابن حبان وصححه وابن ماجة بسند صحيح على شرط
الشيخين ولم يخرجاه وفي رواية لابن ماجة ما من رجل يحفظ علما
فيكتمه الا اتى يوم القيمة ملجوما بلجام من نار وفي سنن ابن ماجة
بسنده الى ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كتم علما مما ينفع الله عز وجل به الناس الجمه الله عز وجل يوم
القيمة بلجام من نار رواه قال الحافظ عبد العظيم المنذري وقد
روى هذا الحديث دون قوله مما ينفع الله عز وجل به عن جماعة من
الصحابة غير من ذكر منهم جابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما وعبد الله بن مسعود وعمرو بن عبسة
وعلي بن طلق وغيرهم **فبادرت** عطف على مقدر يتعلق به لام
لما رجوته وذلك المقدر هو خبر لكن ولا يجوز ان يكون بادرت
خبر لكن لاقترانه بالفاء اي لكني لكذا وكذا اجبتك ولم اجبك
الا لهذه الاسباب لا لغيرها كما ينبئ عنه تقدير المعمول موخرا

[illegible]

فاسرعت

فاسرعت **الى نكت** اي جمع مسائل مفيدة اذا سمعت وعلمت
اشبهت النكتة وهي في الاصل الضربة في الارض بقضيب فيؤثر
فيها سميت بها المسئلة النفيسة لتاثيرها في النفس تاثير
الضربة بالقضيب في الارض وتطلق النكتة في الاصل على
النقطة سميت بها المسئلة المذكورة لانتقاشها في ذهن طالبها
كانتقاش النقطة في محلها وتطلق النكتة على شبه الوسخ في
المراة وفي حديث الجمعة فاذا فيها نكتة سوداء اي اثر قليل كالنقطة
شبه الوسخ في المراة في حديث والسيف ويمكن ان يكون
اطلاقها على المسئلة الدقيقة النفيسة اخذا لها من ذلك بجامع انها
اذا وجدت امتازت في محلها وبالجملة فاطلاق النكتة على هذه
الرقائق التي اودعها في هذا الكتاب من قبيل الاستعارة التصريحية
مسفرة عن وجه الغرض وجد في نسخ الشفا التي وقفنا عليها ثلاث
عبارات ففي نسخة اتى بسافرة فقط وفي اخرى اتى بمسفرة فقط
وفي اخرى جمع بينهما فاما سافرة فمعناه كاشفة ففي القاموس
اسفرت المراة كشفت عن وجهها فهي سافر وهي بمعنى مسفرة التي
ذكرت منفردة واما على نسخة الجمع فمعنى سافرة مشرقة مضيئة
اخذا لها من سفر الصبح يسفر اضاء واشرق ومعنى مسفرة
المنضم اليه كاشفة فقد وصفها في هذه النسخة بصفتين بانها
مضيئة مشرقة وبانها كاشفة عن وجه الغرض وهو في الاصل

هدف يرمى فيه ثم اطلق على المقصود من الشي كانه لتوجه النفس
اليه غرض اي هدف يتوجه الرامون اليه والمراد بالوجه ما هو
اشرف افراد الغرض الذي هو منه بمنزلة الوجه من الانسان في
الشرف والمزية والغرض من تاليف هذا الكتاب اشياء وجهها
واشرفها الكشف عن حق المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان هذه
الجملة تضمنت استعارات تقريرها انه يجوز ان يكون مجازا
مرسلا فان الهدف هو الذي يقصد ليرمى اليه فهو مقصود
مقيد فاطلق على مطلق المقصود الذي ما الف هذا الكتاب فيه
من افراده وعلى كل حال اراد بالغرض ما هو مقصود له وقد
شبهه برجل ذي وجه فهو استعارة مكنية واثبات الوجه له
استعارة تخييلية واثبات الاسفار له ترشيح مؤديا حال
من فاعل بادرت من ذلك اي من الغرض الذي هو التعريف بحق المصطفى
صلى الله عليه وسلم ومن في من ذلك للتبعيض لانه يشير الى ان حقوق
المصطفى التي منحه الله عز وجل اياها كثيرة وما ذكره في هذا الكتاب
بعض منها وهو الحق المفترض الذي افترض الله عز وجل على كل مسلم
ان يعتقده ويومن به فيجب على كل مسلم ان يعتقد ما حواه هذا
الكتاب اجمالا واما ذكر ما فيه من البراهين والدلائل وتفصيل
حقوقه فمعرفته فرض كفاية ثم ان قول المصنف لما رجوته وقوله
لما اخذ الله وقوله لما حرثنا به الى اخره مكررا حرف الجر في كل واحد

مشعر

قوله الحق المفترض هو في
عبارة المتن منصوب
على المفعولية لمؤديا
وقد رفعه الشارح
وفي النفس شي من
هذا الصنيع فتامل

[illegible]

مشعر باستقلال كل من الامور الثلاثة بالعلية لتاليف هذا
الكتاب المشتمل على تعريف قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم كما
اشعر به اعادة الجار في قول النبي صلى الله عليه وسلم تنكح المراة لاربع
لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها رواه مسلم فاعاد صلى الله عليه
وسلم الخافض اشعارا باستقلال كل بعلية النكاح وربما
كان مجموعها علة باعثة على النكاح كما اشعر به رواية تنكح
المراة على دينها ومالها وجمالها وكل حال فليكن مطمح
نظر الناكح الدين لقوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فاظفر بذات
الدين تربت يمينك واما حديث النصيحة لله عز وجل ولرسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم فانما اعاد الخافض اشعارا بان كل واحد
مقصود لذاته حيث اعتنى به فافرده بخافض واحد وان كان
قد اشترك مجموعها في وجوب النصيحة واما العامة فلما كانوا
تابعين للائمة لم يكن لهم جهة يكونون فيها مقصودين بالذات
فان قلت ان المصنف اورد هذه العلل معللا بها تاليفه لهذا
الكتاب وكل منها لا يصلح ان يكون علة لتاليف هذا الكتاب
اما اولها فلان الثواب الذي يرجوه للسائل ولم منوط بتعريف
قدره ولا يلزم ان يكون في تاليف هذا الكتاب بل يحصل بتقريره
وبيانه وكذلك العلتان الاخريان فان الله عز وجل اخذ على من
اوتي الكتاب الميثاق ان يبينه للناس بلسانه وان لا يكتمه

الدين هو

وذلك حث على بيان كل علم بلسان العالم لا برقمه وتاليفه وكذلك
من سئل عن علم فليبينه بلسانه واما التاليف فليس شرطا
في بيان العلم فان تدوين العلم النبوي وتاليفه لم يكن معهودا في
الصدور الاول فلم يدون الصحابة وكبار التابعين العلوم الشرعية
لاستغنائهم عن التدوين لسيلان اذهانهم وسعة حفظهم
وكره كتابة العلم وتدوينه كراهة تحريم جماعة من الصحابة كابن عمر
وابن مسعود وزيد بن ثابت وابي موسى الاشعري ومن التابعين
الشعبي والنخعي متمسكين في ذلك بما ثبت عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا تكتبوا عني شيا سوى القران
من كتب عني شيا سوى القران فليمحه وقد اجاز كتابة العلم
وتدوينه غير واحد من الصحابة وكبار التابعين فمن الصحابة عمر
وعلي وابنه الحسن وعبد الله بن عمرو ومن التابعين قتادة
وعمر بن عبد العزيز وقد حكى المصنف الاجماع على جوازه والمانع
من كتابته وتدوينه في العصر الاول انما هو خوف التباسه بالقران
قلت لا شك في ذلك غير ان بيان العلم المامور به والثواب عليه انما
هو مطلق البيان ومطلق البيان له فردان الاول تعبيره
باللسان وهو كاف في الخروج عن العهدة والثاني رقمه وتحريره
في اوراق تدوم بعده وهذا اكثر ثوابا واقوى في الخروج عن عهدة
البيان لدوامه محفوظا وتوارد الافكار عليه فيبقى عمل العالم

مطلب في كراهة كتابة العلم وتدوينه

بعده

بعده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من
ثلاث صدقة جارية او ولد صالح يدعو له او علم ينتفع به بعده
اختلستها اي استلبتها وليس معناه اختطاف الشي بسرعة والا
لكان قوله بعد ذلك على استعجال حالا مؤكدة والتاسيس خير من
التاكيد والظاهر ان الاختلاس اخذ الشي وسلبه بطريق القهر من
الماخوذ منه المستولى عليه وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الخليسة وهي ما يستخلص من السبع فيموت قبل ان
يذكى من خلست الشي واختلسته اذا سلبته فهي فعيلة بمعنى
مفعولة وفي الحديث ليس في النهبة ولا في الخليسة قطع اي ما
يوخذ سلبا ومكابرة وفي حديث علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
بادروا بالاعمال مرضا حابسا او موتا خالسا اي يختلسكم ويستلبكم
على غرة وغفلة فان قلت حيث كان في الاختلاس معنى
الاستلاب والمكابرة فممن اختلس هذه الثلاث قلت كانه
يشير الى ان العوائق والموانع استولت على حالاته كلها لتصرفها
في مقتضياتها فهو استخلص منها هذه الثلاث او استخلص منها
ازمنة الف فيها هذه الثلاث واسرع في استخلاصها منها انتهازا للفرصة
مخافة ان ترجع عليه العوائق فتغلب وتستولي على هذه
الازمنة فيكون قوله على استعجال حالا مؤسسة هذا وفي نسخة
وصفها حافظ اقليمنا البرهان الحلبي بالصحة اختلسوها والضمير

راجع الى العلى الماضين اي القوم استلبوها من يد عوائق الزمان وانا دونهم في كتابي وقوله **لما المرء بصدده من شغل البدن والبال** يمكن ان يكون علة لكونها على استعجال اي انما استعجلت بنفسها مخافة ان يغلب على ما انا بصدده من شغل البدن والبال فيعيقني عنها ويمنعني منها ويمكن ان يكون تعليلا لقوله اختلستها فكأن سائلا قال له لم اخذتها مستلبا لها ولم تأخذها بالرضا فقال لان العوائق استولت على اوقاتي وحكمت في حالاتي فشردت عزمي وخلصت هذه النكات من معيق لي عنها ومانع لي منها والمرء بتثليث الميم قال في القاموس الانسان والرجل ولا يجمع من لفظه ومنهم من قال جمعه مرون انتهى يشير صاحب القاموس الى ان فيه خلافا فمنهم من منع جمعه من لفظه ومنهم من قال جمعه مرون وفي الغريبين للهروي في حديث الحسن احسنوا ملاءكم ايها المرون هو جمع المرء قال روبة لطائفة راهم اي يريد المرون انتهى والظاهر ان المراد هنا الانسان الشامل للرجل والمراة فان هذا الحكم شامل لهما والصدد القرب يقال داره بصدد داري اي قبالته وقربه والبا في قوله بصدده يجوز ان تكون بمعنى في اي في قربه وان تكون للملابسة اي لما اي للشي الذي الانسان ملابس له الذي هو كونه مشغولا بمصالحه ولوازمه والشغل بضم الشين ويجوز ان يكون بضمتين وهو ضد الفراغ وفي القاموس وشغله كمنعه شغلا ويضم واشغله لغة جيدة

او قليلة

او قليلة او ردية والبال كما في القاموس الحال والخاطر **بما طوقه الانسان** ما موصول اسمي عائده المفعول الثاني لطوق والمفعول الاول هو نائب الفاعل وطوق يأتي بمعنيين احدهما ماخوذ من طوق التكليف والثاني من طوق التقليد والظاهر ان طوق هنا ماخوذ من الثاني لان مقاليد الهموم يتقلدها الانسان اي يتحملها غير عاجز عن حملها ومنه حديث ابي قتادة ومراجعة النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وددت اني طوقت ذلك اي ليته جعل داخلا في طاقتي وقدرتي ولم اكن عاجزا عن ذلك غير قادر عليه لضعف فان قلت كيف يكون غير عاجز عنها مع انه اخبر بانها كادت تشغله عن كل فرض ونفل قلت هب انها كادت لكن لم تشغله بالفعل ولا وقع منها رد الى اسفل سفل ولو لم يكن قادرا على ما طوقه لما اختلس منها تاليف هذا الكتاب غاية الامر انه وصفها بانه شق عليه القيام باعبائها فان قلت اما يكون من هذا القبيل قول نبينا صلى الله عليه وسلم من ظلم شبرا من ارض طوقه الله عز وجل من سبع ارضين يوم القيمة قلت ليس من هذا القبيل فان معناه ان الله عز وجل يخسف به الارض فتصير البقعة المغصوبة منها في عنقه كالطوق وقيل معناه ان يطوق حملها يوم القيمة اي يكلف فيكون من طوق التكليف لا من طوق التقليد فهو نظير قول النبي صلى الله عليه وسلم النخل مطوقة بثمرها اي صارت اعراقها

لما كالاطواق للاعناق والاصار المعنى بسبب الذي الزم الانسان
به وهو غاية قدرته ونهاية امكانه من مقاليد المحنة من بيانية
والمقاليد والاقاليد المفاتيح فالاول جمع مقلد او مقليد والثاني
جمع اقليد وهو المفتاح والمحنة الابتلاء يعني ان الانسان
حمل امورا هي اسباب البلاء فان المفاتيح تطلق على الاسباب
وكل ما يتوصل به الى الشي يسمى مفتاحه ومقلده وفي الحديث قال النبي
صلى الله عليه وسلم اوتيت مفاتيح الكلم قال في النهاية معناه كل ما
يتوسل به الى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول اليها فكان الذي
ابتلي به الانسان يتوسل به الى استخراج ما غلق من المحن والبلايا
قال البرهان الحلبي يريد المصنف بذكر مباشرته للاحكام واي محنة
اشد من مباشرة القضا وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان من جعل قاضيا فقد
ذبح بغير سكين رواه اصحاب السنن الاربعة من رواية ابي هريرة رضي
الله عنه قال الترمذي حسن غريب وقال الحاكم صحيح الاسناد وفي
رواية للنسائي من استعمل على القضا فكانما ذبح بالسكين انتهى
واقول انما كانت توليته للقضا مفتاحا للمحنة والبلية لان القاضي
اما ان يكون عالما واما ان يكون جاهلا وعلى كل حال فاما ان يكون
عادلا واما ان يكون ظالما فان انفرد فيه العدل عن العلم او العلم عن
العدل او انتفيا عنه فهو في النار وان جمع بين بين العلم والعدل
فهو كفاف لا عليه ولا له وفي صحيح ابن حبان عن عبد الله بن موهب

ان

ان عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لابن عمر رضي الله عنهما اذهب
فكن قاضيا قال او تعفيني يا امير المومنين قال فاذهب
فاقض بين الناس قال او تعفيني يا امير المومنين قال عزمت
عليك الا ذهبت فقضيت قال لا تعجل سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من عاذ بالله عز وجل فقد استعاذ بمعاذ
قال نعم قال فاني اعوذ بالله عز وجل ان اكون قاضيا قال وما يمنعك
وقد كان ابوك يقضي قال لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من كان قاضيا فقضى بالجهل كان من اهل النار ومن كان قاضيا
فقضى بالجور كان من اهل النار ومن كان قاضيا فقضى بحق
او بعدل سال التفلت كفافا فما ارجو منه بعد ذلك ورواه
ايضا الترمذي وقال فيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان قاضيا فقضى بالعدل فبالحري ان ينفلت منه كفافا فما
ارجو بعد ذلك وفي مسند الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه عن عائشة
رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ليأتين على القاضي العدل يوم القيمة ساعة يتمنى انه لم يقض بين [اثنين]
في تمرة قط فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من ولي القضا
فقد ذبح بغير سكين قلت قال في النهاية الاثيرية معناه التحذير من
طلب القضا والحرص عليه اي من تصدى للقضا وتولاه فقد
تعرض للذبح فليحذره والذبح هنا مجاز عن الهلاك فانه من انواع الهلكة

وقوله بغير سكين يحتمل وجهين احدهما ان الذبح في العرف انما يكون
بالسكين فعدل عنه الى غيره ليعلم ان الذي اراد به ما يخاف عليه من هلاك
دينه دون هلاك بدنه والثاني ان الذي يقع به راحة الذبيحة وخلاصها
من الالم انما يكون بالسكين فاذا ذبح بغير سكين كان ذبحه تعذيبا له
فضرب به المثل ليكون ابلغ في الحذر واشد في التوقي منه **التي ابتلي بها**
قال ابو الهيثم البلا يكون حسنا ويكون سيئا واصله المحنة والله عز
وجل يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره ويبلوه بالبلوى التي يكرهها
ليمتحن صبره فقيل للحسن بلاء وللسيء بلاء وابتلي معناه اختبر
تكادت تشغل عن كل فرض ونفل المراد بالفرض هنا ما اراده من
رادف بين الفرض والواجب وهم الجمهور فانهم يسمون ما طلبه الشارع
طلبا جازما واجبا وفرضا وموجبا ولازما وحتما ومكتوبا ولا يريد ما
ما اصطلح عليه الحنفية من ان الفرض ما ثبت بدليل قطعي كالكتاب
والسنة المتواترة كالصلوات الخمس وصوم رمضان والواجب
ما ثبت بدليل ظني كالوتر وزكاة الفطر وفرق بينهما بعض اصحابنا
الشافعية كما قال الشيخ ابو حامد وابن برهان بان الفرض ما لا
خلاف فيه والواجب ما اختلف فيه وحكى القاضي حسين من
اصحابنا وابن العربي منهم تفرقة اخرى هي ان الفرض بنص
القران والواجب ما ثبت بغير وحي مصرح به ومراده بالنفل
ايضا كل ما طلبه الشارع طلبا غير جازم ويسمى عندهم بالنفل
والسنة

والسنة والمستحب والتطوع فان جمهور اصحابنا لا يفرقون بين
هذه الاشياء فيسمون ما امر الشرع به وبالغ فيه سنة واول المراتب
تطوع وبينهما فضيلة ومرغب فيه وبالجملة فمراده بالنفل ما عدا
الفرض وبالفرض ما لم ياذن الشارع في تركه **وترد** اي تلك المحنة
بعد حسن التقويم اي الاستقامة في دين الله عز وجل **الى اسفل**
سفل اي الى اتباع هوى نفسه وهو الركون الى الدنيا وايثارها
على مرضات الله عز وجل كما يقع كثيرا ممن يتشرف على تولية القضاء
والمراد باسفل سفل هنا ما ذكره الله عز وجل في كتابه العزيز
في قصة بلعام بن باعورا حيث قال ربنا عز وجل في شانه
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه
فاسفل هنا الخلود الى هوى نفسه ولا يراد منه هنا ما يراد من
قوله عز وجل لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه
اسفل سافلين بان يراد بالتقويم في عبارة المصنف التقويم
المعهود وهو التقويم الاحسن فان المفسرين قالوا ان
احسن التقويم اعتدال الخلق والشباب وكونه مستويا في
الخلق وله لسان ذلق ويد واصابع يقبض بها مزينا بالعقل
مؤيدا بالامر مديد القامة قال القاضي ابو بكر بن العربي ليس
لله عز وجل خلق احسن من الانسان والمراد باسفل سافلين
ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة وهذا

المعنى لا يلايم وقيل المراد باسفل سافلين النار وهذا ايضا لا يلايم
هنا لان ذلك للكافر لا للمومن فان قلت تقريركم يقتضي ان المراد
باسفل سفل هو هوى نفسه ومعاصي المومن لا يصير المومن
بها في اسفل سفل قلت هي اسفل سفل في مراتب الايمان فهي
اسفل سفل نسبي لا حقيقي فان ذلك انما يكون والعياذ بالله
لمنافق يبطن الكفر ويظهر الايمان فان قلت المصنف رجل عالم
توفي قضى عمره في العلوم الدينية فكيف يرد الى اسفل سفل
ويشتغل عن كل فرض ونفل قلت هو يشير الى عظم هذه المحنة
بحيث كادت ان تفعل ذلك ولكنها لم تفعل لان كاد ان قلنا بما اشتهر
على السنة كثير ان اثباتها نفي ونفيها اثبات فقولك كاد زيد يفعل
معناه لم يفعل بدليل قوله عز وجل وان كادوا ليفتنونك وما
كاد يفعل معناه فعل بدليل قوله عز وجل وما كادوا يفعلون
وقال ابن عباس كل ما في القران كادوا وكاد فانه لا يكون ابدا وقيل
انها تفيد الدلالة على وقوع الفعل بعسر وعلى ذلك جرى السوال المعزو
الى ابي العلا وهو

انحوي هذا العصر ما هي كلمة ۞ جرت بلساني جرهم وثمود
اذا ما اتت في صورة النفي اثبتت ۞ وان اثبتت كانت مقام جحود

وقد اجاب الشيخ زين الدين عمر بن المظفر الوردي الشافعي فقال

سالت رعاك الله ما هي كلمة ۞ اتت بلساني جرهم وثمود

اذا

اذا ما اتت في صورة النفي اثبتت • وان اثبتت قامت مقام جحود
يقولون ذا في لو وفي زال واضح • والا فعنوي كاد غير بعيد
اذا قلت ما كادوا فقد يرون قد رادوا • ولكنه من بعد عسر جهيد
وان قلت قد كادوا يرون فما رادوا • فخذه ولا تسمح به لعنيد

ولذلك رجع ذو الرمة في قوله

اذا غير النأي المحبين لم يكد • رسيس الهوى من حب مية يبرح

الى ان جعل بدل يكد تجد بعد ان خطئ في يكد وان كان في يكد من البلاغة
والجزالة ما ليس في تجد وان قلنا بما صححه ابن مالك ان اثباتها اثبات
للمقاربة ونفيها نفي للمقاربة فاذا قيل كاد فلان يموت فمقاربة الموت
ثابتة والموت لم يقع فعبارة المصنف مثبتة لمقاربة انها
تشغل عن كذا وانها ترد الى كذا لكن لم يقع ذلك فيكون النفي في
مثبتها والاثبات في منفيها مستفادين من العقل لا من الوضع
ولو اراد الله عز وجل بالانسان خيرا اي خيرا فقط اي لم يرد به شرا
محضا ولا خيرا ممزوجا مع شر بل الخير المحض الذي لا يمازجه شر
ولا وجه لوصفه بالكامل فان ما ذكر يتصور وجوده في الابرار من
المومنين والخير الكامل مخصوص بالانبياء والمرسلين لجعل اي
الله شغله ويجوز ان يعود الضمير المرفوع الى الانسان اي لجعل
الانسان شغله اي اشتغاله بقلبه وقالبه فان المومن له
عبادات قلبية وعبادات قالبية فالاولى كالعقائد الحقة ومراقبة

ربه عز وجل وحبه وقطع الامال من غيره والتوكل عليه والاخلاص
في طاعته والصدق فيها ولا وجه لتخصيص الشغل بالقالبي كما لا يخفى
وهم اي حزنه فان قلت حيث قلتم ان المراد بالهم الحزن فالحزن
ايضا من الاشغال القلبية فيكون عطفه على الشغل عطف خاص
على عام قلت المراد بالشغل ما يكون المومن مكلفا به مختارا فيه
والهم بمعنى الحزن شي تنفعل به النفس لخوف مما ياتي وليس المراد
بالهم الارادة من قولهم هممت اهم هما اذا اردته كما توهم فان هذه المقالة
مقتبسة من الحديث الصحيح الذي رواه الطبراني في الكبير والاوسط
والبيهقي في الزهد عن ابي الدردا رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فان من
كانت الدنيا اكبر همه افشى الله عز وجل ضيعته وجعل فقره
بين عينيه ومن كانت الاخرة اكبر همه جمع الله عز وجل له اموره
وجعل غناه في قلبه الحديث وفي سنن ابن ماجة عن زيد
ابن ثابت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كانت الدنيا همه فرق الله عز وجل عليه امره وجعل فقره
بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الاخرة
نيته جمع الله عز وجل امره وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي
راغمة وفي الترمذي عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كانت الاخرة همه جعل الله عز وجل غناه في

قلبه

قلبه وجمع له شمله ولم ياته من الدنيا الا ما قدر له وفي سنن ابن ماجة
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله عز وجل هم
دنياه ومن تشعبت به الهموم احوال الدنيا لم يبال الله عز وجل
في اي اوديته هلك والحاصل ان الانسان يومل امورا ويحزن خوفا
من فواتها وعدم نيلها فليكن حزنه وخوفه على فوت النعيم الابدي
والعز السرمدي والحيوة التي لا يشوبها كدر وليخف من ان ينزل
به عذاب ابدي وجحيم سرمدي وليقصر شغله على اسباب نيل
ذلك النعيم وليقصر حذره على ذلك الجحيم كله تاكيد لهمه ويقدر
مثله في شغله في ما يجد غدا اي يوم القيمة مع ان الغد في الاصل
اسم لليوم الذي ياتي بعد يومك واصله غدو حذفت لامه ولا
يستعمل المحذوف اللام الا في ضرورة الشعر فقد تثبت وفي
حديث عبد المطلب والفيل لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك
وقال ذو الرمة وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلا
واطلق على يوم القيمة اسم الغد لقربه او يذم محله يجوز في يحمد ويذم
ان يبنيا للفاعل وفاعلهما ضمير يرجع الى الله عز وجل والمراد بالمحل
الانسان وانما سماه محلا لانه كاسب للاعمال سيئها وحسنها
وانما لم يقل فاعله تحاشيا عن مذهب المعتزلة القائلين ان العبد
فاعل الافعال اي خالقها وان افعال العبد حاصلة بقدرته وحدها

بيت من كلمة ابيات من بحر الكامل

قع هـ من الطويل

وذهب الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني الى انها حاصلة بمجموع
القدرتين ومذهب اهل السنة ان افعال العبد حاصلة مقدرة
بقدرة الله عز وجل اختراعا وبقدرة العبد على وجه اخر من
التعلق يعبر عنه بالاكتساب فحركة العبد باعتبار نسبتها الى
قدرته تسمى كسبا له وباعتبار نسبتها الى قدرة الله عز وجل تسمى خلقا
فهي خلق الرب ووصف العبد ويجوز ان يكون الضمير في يحمد ويلوم
عائدا الى الانسان اي في ما يحمد الانسان محله كما جاء في حديث ان
من ثقل ميزانه يغبط اهل الموقف فيحمده اهل الموقف انسانا
اكتسب الخيرات وترك السيئات كما يعلم ذلك من الاحاديث ومحله
مفعول به ليحمد تنازع فيه يحمد ويلوم ويبعد ان يراد به في ما يحمد
فيه الانسان نفسه بل ان جعل فاعل يحمد ويلوم ضمير الانسان
فالمراد في ما يحمد فيه النوع الانساني من اهل الموقف فاعلم
ولكسبه ثم ان الشغل كله متعلق بما يحمد غدا او بما يلوم غدا اما
صرف شغله كله لما يحمد غدا فبصرف اوقاته وحركاته في اداء الفرائض
والتقرب بالنوافل ولما يلوم غدا بمراقبة الهيكل الانساني من ان
يصدر منه غيبة او فعلة محرمة او صغيرة فان صدر منه شيء من
ذلك اعقبه بالتوبة والاستغفار وفي علاج النفس من شهواتها
المذمومة ومطالبها الرذلة وتحصيل دسائسها ودسائس
الشيطان ففي ذلك كله شغل واي شغل واما جعل همه بمعنى حزنه

وحرقة

وحرقة قلبه كله على ما يحمد غدا من خوفه من التفريط في شيء مما يرضي
الله عز وجل وفي شيء مما اوجبه الله عليه فليكن همه ذلك دائما واما
على ما يلوم غدا فبان يحترق قلبه ويحزن ويتأسف على ان يكون
ممن انطوى قلبه على الشك وهو لا يدري ومن ان يكون في سره
صفة ذميمة لم يحط بها علما ومن ان يرتكب محرما خفيا وهو لا
يشعر وفي ذلك حرقة وحزن وخوف لا يعادله شيء واو في قول
المصنف او يلوم بمعنى الواو ومثلها في قول الشاعر ما بين ملجم مهره او سافع *
اي اخذ بناصيتها وقوله جاء الخلافة او كانت له قدرا
كما اتى ربه موسى على قدر ه وقوله وقد زعمت ليلى باني فاجر
لنفسي تقاها او عليها فجورها ه وفي تعليقة الشيخ شهاب الدين
ابن رسلان المقدسي الشافعي وفي بعض النسخ او لا يلوم محله
بزيادة لا انتهى قيل وفيه حينئذ عطف الشيء على مرادفه باو وهو
جائز على خلاف فيه انتهى واقول اما تقرير الخلاف فان او لما كانت
لاحد الشيئين او الاشياء امتنع فيها ان يعطف بها مرادف على مرادف
ما دامت على معناها وجوز ابن مالك ان تعاقب الواو في ذلك
وجعله على قلة وجعل منه قوله عز وجل ومن يكسب خطيئة او
اثما فالاثم مرادف للخطيئة وعطف عليه باو والجمهور على منع ذلك
وفسروا الخطيئة بما يغاير الاثم هذا تقرير الخلاف الذي اجمله
القائل المذكور ثم ان هذه النسخة التي جعلها من عطف المرادف

ليست منه وانما هي من عطف العام على الخاص وهو جائز بالواو وبدونها
لان كل ما يحمد عليه لا يذم وليس كل ما لا يذم يحمد وتتبع جمة انواع
ما لا يذم عما يحمد في المباحات فان فاعلها لا يذم في الاخرة ولا يحمد
فليس ثم الفاء للتعليل وما ذكر بعدها علة لكون الانسان اذا اراد
الله عز وجل به خيرا وجه شغله وهمه الى ما ذكر وثم ظرف اي ليس في
اماكن يوم القيمة مكان يغاير هذين المكانين المشار اليهما بقوله
سوى حضرة النعيم في النهاية الاثيرية حضرة الرجل قربه وفي الحديث
قولوا ما بحضرتكم اي ما هو موجود حاضر عندكم اي الدار التي هي منشا
النعيم وحصوله منها وهي الجنة والنعيم هو المسرة والفرح والترفه
وفي الحديث انها لطيبة ناعمة اي سمان مترفة او عذاب الجحيم الجحيم
ما اشتد لهبه من النيران وهو اللجاج ايضا يقال جحم فلان النار اذا
عظمها ويقال لعين الاسد جحمة لشدة توقدها ورايت جحمة النار
اي شدة توقدها فان قلت في الاخرة دار اخرى تسمى الاعراف
وفي الغريبين للهروي الاعراف جمع عرف وهو كل موضع مرتفع
واعراف الرمال اشرافها وقيل الاعراف سور بين الجنة والنار
تحبس فيه من استوت سيئاتهم وحسناتهم فلم يستحقوا الجنة
بحسناتهم ولا النار بسيئاتهم وكانوا على الحجاب الذي بين الجنة
والنار فكيف نفى المصنف دارا غير الجنة والنار قلت مراد
المصنف دار القرار واهل الاعراف مصيرهم الى الجنة وقال قتادة في

مطلب في اهل الاعراف

شانهم

شانهم قد انباكم الله عز وجل بمكانهم من الطمع وذكر عن حذيفة رضي الله عنه
انه قال اصحاب الاعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت
بهم سيئاتهم عن الجنة اذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فبيناهم كذلك اذ اطلع عليهم ربهم
عز وجل فقال لهم قوموا فادخلوا الجنة فاني قد غفرت لكم وذكر عن
الحسن في قوله عز وجل وهم يطمعون قال هذا الطمع يقين كقول
ابرهيم عليه السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
وذكر عن الحسن ان اصحاب الاعراف من اهل الجنة على ان المصنف
حصر ما يقع في الاخرة في النعيم وعذاب الجحيم واصحاب الاعراف
منعمون غاية الامر ان نعيمهم لا يوازن نعيم اهل الجنة وكيف
لا يكونون منعمين وقد خلصوا من المصيبة العظمى التي هي
دخول النار اللهم اجرنا منها برحمتك وانت ارحم الراحمين ولكان
عليه نحو نصيحة نفسه اعلم ان من جملة اسماء الافعال نوعا يسميه
النحويون بالاغراء والاغراء لغة الالصاق يقال اغريته بكذا اي الزقته
به وسلطته عليه وفي اصطلاح النحاة وضع الظرف او الجار والمجرور
موضع فعل الامر فيها على انه اتصل بها ضمير المخاطب فيقول عليك
زيدا بمعنى الزم زيدا وذهب بعضهم الى ان اصله خذ من عليك
فحذف من ووصل خذ بزيد ثم حذف خذ واقيم عليك مقامه
فهذا نص على ان نصبه بفعل مضمر والاسم المنصوب بعد هذه

نحو نصيحته خ

زيدا م

الظروف والمجرورات منصوب بالظروف وذهب السهيلي الى ان نصب
الاسم فيه ليس بالظرف ولا بالمجرور وانما هو منصوب بالمعنى وقد
تعدى عليك بالباء ومنه قول نبينا صلى الله عليه وسلم عليك بذات
الدين ويأتي على ايضا جار الضمير المتكلم فتقول علي زيدا بمعنى اولني زيدا
فهو في معنى ما يتعدى الى مفعولين واما اغرا الغائب كما وقع من المصنف
فلم يجزه جمهور النحاة فلا يجوز عليه زيدا الا انه لا دليل على الفعل
المضمر وجعله من اجازه بمعنى ليلزم وقد قاسه على امر الغائب فكما
يجوز ان يقال ليقم زيد يجوز ان يقال عليه زيدا والاكثر على ان مثل ذلك
شاذ لم يسمع منه الا حرف واحد وهو قول بعضهم عليه رجلا ليسني
واما قول نبينا صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم
الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء فيتخرج
على زيادة البا ويكون الصوم مبتدا وعليه خبر مقدم ثم ان المصنف
استعمل الاغرا بضمير الغائب فلعله على مذهب الكسائي فانه يجوز عنده
الاغرا بكل ظرف ومجرور بشرط ان لا يكون الجار على حرف واحد ومنهم من
اطلق الجواز ومذهب البصريين القصر على السماع وقول المصنف وكان
عليه بخويصة نفسه ينبغي ان لا يعد اغراء لامرين الاول ان الجمهور
على انه مقصور على السماع فليس لاحد التصرف من عنده بلفظ لم يسمع
من العرب الثاني ان الاغراء انشا والانشا لا يقع خبرا لكان الا بتاويل
مقول فالتقدير وكان مقولا في شانه عليه بخويصة نفسه والاصل

عدم

عدم تقدير شي وحينئذ يجعل عليه جارا ومجرورا وليس اسم فعل
مرادا به الاغرا وهو خبر لكان مقدم والبا في بخويصة زائدة وخويصة
اسمها موخر فان قلت فما معنى قوله خويصة نفسه عليه قلت
معناه ان خويصة نفسه تكون مستعلية عليه غالبة لشدة اشتغاله
بها والكآبة عليها وقد حمل الحديث ايضا على ذلك على ان الحديث لو جعل من
قبيل اغرا الغائب لكان له وجه اوجه من عبارة المصنف بسبب ان
المصنف جعل الجملة خبر كان ومعنى خويصة وهي تصغير خاصة
حادثة الموت التي تخص كل انسان وصغرت لاحتقارها في جنب
ما بعدها من البعث والعرض والحساب وغير ذلك ومعنى قوله عليه
بها الانكماش في الاعمال الصالحة والاهتمام بها قبل وقوعها وقد امر النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه مسلم بمبادرة الاعمال قبل الموت
فقال صلى الله عليه وسلم بادروا الاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها
او الدجال او الدخان او الدابة او خويصة احدكم او امر العامة
فان قلت فسر البرهان الحلبي في تعليقه الخويصة هنا بقوله يعني نفسه
وايضا الامر الذي يختص به الانسان قال والمعنيان محتملان هنا
قلت ما فسرنا به الخويصة هنا فسر به ابن الاثير في نهايته خويصة
الواقعة في الحديث المذكور وحملها عليه هنا اولى فان اقتصار الانسان ايضا
على نفسه اي جدوى له وكذلك اقتصاره على ما يختص به من اموره
وانما السعيد من يكون مطمح نظره شوون الموت فما بعده كيف وقد

قال النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال صلى
الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هاذم اللذات ومعنى قوله فعليه بمحو بحسمه
اي بالاستعداد والاكثار من ذكرها ونحو ذلك **واستنقاذ مهجته** اي
استخلاص روحه من الهلاك الابدي بسبب سوء الاعتقاد فاذا
اراد الخلاص من ذلك فليخلص عقيدته من الضلال والابتداع ويطيب
طويته من ان تشان بشيء من النفاق **وعمل صالح يستزيده** فسر العمل
الصالح بما سوغه الشرع وحسنه **وعلم نافع يعنيه او يستفيده**
المراد بالعلم النافع ما يثاب عليه في الاخرة وهو ثلاثة اقسام الاول ما
هو فرض عين وهو ان يتعلم المكلف ما لا يتادى الواجب عليه الا به
ككيفية الوضو والصلوة ونحوهما وعليه حمل قوله النبي صلى الله عليه
وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم واما اصل واجب الاسلام
وما يتعلق بالعقائد فيكفي فيه التصديق بكل ما جاء به رسول الله صلى الله
عليه وسلم واعتقاده اعتقادا جازما سليما من كل شك ولا يتعين تعلم
ادلة المتكلمين ما لم يحصل له شك لا يزول الا بتعلم ادلتهم والثاني
ما هو فرض كفاية وهو تحصيل ما لا بد للناس منه في اقامة دينهم
من العلوم الشرعية كحفظ القران والاحاديث وعلومها والاصول
والفقه والنحو والتصريف ومعرفة رواة الحديث والاجماع والخلاف
واما ما ليس شرعيا ويحتاج اليه في قوام امر الدنيا كالطب والحساب
ففرض كفاية ايضا قال النووي رحمه الله في شرح المهذب وللقائم بفرض

الكفاية

الكفاية مزية على القائم بفرض العين لانه اسقط الحرج عن الامة واما
علم القلب وهو معرفة امراضه كالحسد والعجب وشبههما فقال
حجة الاسلام ابو حامد معرفة حدودها واسبابها وطبها وعلاجها فرض
عين وقال غيره ان رزق المكلف قلبا سليما من هذه الامراض المحرمة
كفاه ذلك ولا يلزمه تعلم دوائها وان لم يسلم فان تمكن من تطهير
القلب من ذلك بلا تعلم لزمه وان لم يتمكن منه الا بتعلم وجب والثالث
علم هو نفل كالتبحر في علم النحو وثم رابع وهو علم حرام كتعلم السحر والرمل
والفلسفة والشعبذة وعلوم الطبائع وانما قدم المصنف العمل على
العلم قيل لانه المقصود من العلم وانا اقول ان تقديمه عليه من
باب الترقي من الادنى الى الاعلى فان الاشتغال بالعلم افضل من
الاشتغال بنوافل الصوم والصلوة والتسبيح ونحو ذلك من عبادات
البدن اتفاقا ومن دلائله قول النبي صلى الله عليه وسلم مجلس فقه خير من
عبادة ستين سنة وعن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يسير من الفقه خير من كثير من العبادة وعن انس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه عند الله افضل من
الف عابد وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
افضل العبادة الفقه وعن علي كرم الله وجهه انه قال العالم اعظم
اجرا من الصائم القائم الغازي في سبيل الله عز وجل وعن ابي ذر
وابي هريرة رضي الله عنهما قالا باب من العلم نتعلمه عمل به او لم يعمل احب

اليتامى مائة ركعة تطوعا وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لان اعلم بابا
من العلم في امر ونهي احب الي من سبعين غزوة في سبيل الله عز وجل
وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة
ثم ان المصنف انما قدم المفيد على المستفيد لان درجة المفيد افضل
باعتبار انه مقام الانبيا وان المفيدين هم ورثة الانبيا عليهم السلام
جبر الله صدع قلوبنا الجبر خلاف الكسر والصدع الشق في شي صلب
وكانه يشير من باب التواضع الى ان في قلبه صلابة اي قساوة
وانه مع ذلك الصدع بما فيه من حب الدنيا وزينتها فان ذلك للقلب
عيب بمنزلة الصدع في الانا الصلب فانه يعسر اصلاحه فالمصنف
ابتهل الى الله عز وجل بهذه الجملة الدعائية في ان يصلح ما في قلبه من العيب
وتشبيه العيب الذي في قلبه بالصدع فهو استعارة تصريحية وتشبيه
ازالة ذلك العيب منه وعوده سالما من العيب بجبر الكسر الذي يحصل
في الانا فهو استعارة تصريحية ايضا لكن تبعية لوقوعها في الفعل الماضي
وغفر اي الله عز وجل عظيم ذنوبنا من اضافة الصفة الى الموصوف وهذه
الصفة اما انها ليست مخصصة بل كاشفة بنا على ادعا ان جميع
ذنوبه عظام ولو كانت صغائر بنا على القول ان كل ذنب كبيرة واما
انها [illegible] مخصصة بل [illegible] بنا على ان في الذنوب صغائر
وكبائر وان الصغائر تكفر ببعض العبادات كصوم رمضان
والصلوات الخمس وصوم يوم عرفة ويوم عاشورا والكبائر انما

يكفرها

يكفرها التوبة ومغفرة الله عز وجل وجعل جميع استعدادنا اي تهيؤنا
لمعادنا المعاد اما مصدر ميمي اي اعادتنا الى الحيوة بعد الموت واما
ظرف مكان اي محل عودنا الى الحيوة بعد الموت ومن اسما الله عز وجل
المعيد وهو الذي يعيد الخلق بعد الحيوة الى الممات وبعد الممات
الى الحيوة يوم القيمة وفي قوله عز وجل ان الذي فرض عليك القران
لرادك الى معاد اقوال منها انه المبعث الذي يكون في الاخرة
ومنها انه الجنة التي خلقه الله عز وجل فيها في ظهر ادم واظهره
منها حيث قال واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم
وقيل ان هذه بشارة من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم بانه
يرده الى مكة قاهرا اعداه وقيل الجنة لانه دخلها ليلة الاسراء
فان قلت هذه الاقوال التي قيلت في هذه الاية هل يمكن ان تجري
ايضا في عبارة المصنف قلت يمكن ان يراد بالمعاد في عبارة
المصنف يوم القيمة اي جعل الله عز وجل تهيؤنا الى يوم القيمة
ويمكن ان يراد به الجنة فان قلت المصنف لم يكن في الجنة
حتى يعود اليها قلت بل كان فيها باعتبار انه في صلب ادم او حين
خرج نسم بنيه من صلبه كالذر ولله در ابن قيم الجوزية حيث
قال في قصيدته في شان الجنة

من الطويل

فحي على جنات عدن فانها | منازلك الاولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى | نعود الى اوطاننا ونسلم

وقد زعموا ان الغريب اذا نأى ۔ وشطت به اوطانه فهو مغرم ۔
واي اغتراب فوق غربتنا التي ۔ لها اضحت الاعداء فينا تحكم ۔
وتوفر دواعينا عطف على جميع اي جعل توفر اي تكثير دواعينا اخذا له
من الوفر وهو المتاع الواسع الكثير او كل دواعينا اخذا له من الوفر
وهو العام من كل شي اي عموم دواعينا بحيث لا ينصرف منها شي الى
غير ذلك والدواعي جمع داعية وهي الحالات التي تدعو صاحبها الى
مقتضياتها ولا يلزم ان تضاف الدواعي الى ما يترتب عليها فيقال
دواعي الدهر ودواعي زيد الى محبوبه ومطلوبه في ما يخجينا اي من
عذاب الله عز وجل الذي اعظمه البعد عن جنابه والحجاب عن روية
سبحات وجهه الاقدس ويقربنا اليه زلفى اي تقريبا ومنه قوله تعالى
وازلفت الجنة للمتقين اي ادنيت ويقال للمراقي مزالف لان
الراقي عليها تزلفه اي تدنيه مما يرتقي اليه وقوله عز وجل ان له عندنا
لزلفى اي قربا والمراد من القرب من الله عز وجل القرب من رحمته
وكرامته وعطفه ولطفه وهذا سائغ في اللغة فيقال فلان
قريب من فلان ويراد به قرب المنزلة وعلو الدرجة عنده وعلى هذا
يقال اوليا الله عز وجل قريبون من الله عز وجل كما يقال والعياذ
بالله ان اعداه بعيدون منه ويراد به بعدهم من رحمته وكرامته
وكذلك ان الله عز وجل قريب من خلقه فالمعنى قربه منهم على
ظواهرهم وبواطنهم وقدرته على اوائل امورهم واواخرها وعليه
يتناول

يتناول قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله ونحن اقرب اليه منكم
ولكن لا تبصرون فان ذلك قرب العلم والسمع والبصر واما قرب
الكرامة فهو كقوله عز وجل فكان قاب قوسين او ادنى ولا يحمل مثل ذلك
على القرب المعهود لاستحالة المساحة والمسافة وبعد المكان والنهاية
على الله عز وجل وعلى مثل هذه المعاني حمل ما رواه صفوان بن محرز انه
كان يماشي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال له يا ابا عبد الرحمن كيف
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى قال سمعته يقول
يدنو المومن من ربه عز وجل يوم القيمة حتى يضع الجبار كنفه عليه
فيقرره بذنوبه فيقول اي الله عز وجل لا تعرف فيقول رب اعرف
فيقول عز ذكره اني سترتها عليك في الدنيا واني اغفرها لك اليوم الحديث
وهو في البخاري ويحظينا اي يمن علينا بالحظوة وهي بكسر الحا وضمها
ويقال لها حظة ايضا ويقال رجل حظي اذا كان ذا حظوة ومنزلة
وقد حظي عند الامير واحتظى بمعنى قاله في الصحاح وفي المثل الا حظيه
فلا اليه يقول ان اخطاتك الحظوة في ما تطلب فلا تال ان تتودد
الى الناس لعلك تدرك بعض ما تريد واصله في المراة تصلف
عند زوجها اي تصير ذات منزلة عنده كذا فيه وقالت عايشة
رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى
بي في شوال فاي نسايه كان احظى مني اي اقرب اليه مني
واسعد به مني قاله في النهاية يقال حظيت المراة عند زوجها

انظر
هذا الحديث
ه

حظي حظوة وحظوة بالضم والكسر اي سعدت به ودنت من قلبه
واحبه انتهى فان قلت في الصحاح يقال احظيته عليه اذا فضلته
عليه فهل يجوز ان يراد هذا المعنى هنا بان يكون المعنى يفضلنا على كثير
ممن خلق تفضيلا قلت هذا المعنى لا ينتظم الا بذكر متعلقه وهو
عليه وحيث لم يذكر كان عدم ذكره اختصارا مخلا فيبعد ارادته
والمتعين من ان المراد به يقربنا ويجعلنا ذا منزلة عنده في خدمته
وطاعته بمنه جار ومجرور متعلق بمحذوف هو مفعول مطلق لما
تقدم من افعال الدعا اي جبر الله عز وجل جبرا كاينا بمنه ويقال مثله
فيما عطف عليه فقد تنازعت فيه الافعال الثلاث ومعنى قوله
بمنه اي بعطائه وجوده ومن اسمائه عز وجل المنان اي المعطي
وكثيرا ما يرد المن في كلامهم بمعنى الاحسان الى من لا يستثيبه ولا يطلب
الجزاء عليه وفي الحديث ما احد امن علينا من ابن ابي قحافة اي
ما احد اجود بماله ويطلق على تعديد النعم على من اعطاه وهو
مذموم لان المنة تفسد الصنيعة وفي الحديث ثلاثة يشنؤهم
الله عز وجل منهم البخيل المنان وفي عده الحفاظ والمن مستقبح فيما
بين الناس الا عند كفران النعمة ولذلك قيل المنة تهدم الصنيعة
وتوجب القطيعة ويحسن ذكرها عند الكفران ومن ثم قيل اذا
كفرت النعمة حسنت المنة انتهى واقول هذا النقل يقتضي جواز
المن عند كفران النعمة وهو مخالف لما في الاحاديث والايات

من

المن من الكبائر

من تحريم المن مطلقا حتى انهم عدوه من الكبائر وورد فيه من الوعيد
ما يحرمه مطلقا وليس الا من المنعم الغني الغني المطلق وهذه
الكلمات التي نقلها مقالات ارباب السياسة وليست من
مقالات اهل الشرع والسنة فلا ينبغي في هذه المباحث
واجاد بعض المعلقين على الشرح ان يكون الباء في قوله بمنه باء
الاستشفاع وقد قيل انه معنى غريب واقول لم يرد هذا القائل
ان هذا معنى من معاني الباء لم يستغرب وانما اراد انها باء التعدية
ولكن متعلقها شيء من مادة الشفاعة وعلى هذا التقدير يجوز
ان يكون الجار والمجرور في محل نصب على انه حال من ضمير المتكلم
اي يجبنا حال كوننا مستشفعين سائلين بمنه [ورحمته صح]
والرحمة لغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان
ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واضافتها اليه عز وجل باعتبار
الغاية لان مرادها يترتب على الرقة المذكورة الاحسان والتفضل
ولما نويت تقريبه النية لغة القصد واصطلاحا
قصد شيء مقترنا بفعله وما كان متقدما على الفعل يقال له
عزم والمراد بتقريبه المنوي تقريبه الى الاذهان ودرجت
تبويبه اي جعلت ابوابه مدرجة بابا بعد باب وفي الصحاح
درجه الى كذا ادناه منه على التدريج ومهدت تاصيله اي جعلت
اصوله وقواعده المرقومة فيه ممهدة والمهاد هو الفراش

ومهدت لكن اي جعلت له مكانا وطيا سهلا شبه ايراده في كتابه الكلام
الواضح السهل بالمهاد اي المكان الوطي تجا مع ان كلا منهما يستريح فيه
المعتني به فهو استعارة تصريحية تبعية ويجوز ان يراد بمهدت
بسطت اي جعلت قواعده مبسوطة وقد قال البيضاوي في قوله
عز وجل ومهدت له تمهيدا اي بسطت له الرياسة والجاه
العريض والمراد بالتاصيل القواعد التي ذكرها في شؤون المعجزات
وما يجوز على الانبيا وما يمتنع وخلصت تفصيله اي ميزته عن
المجملات وانتخبت اي قصدت خصره اي تصنيفه واختصاره
بحيث يكون خميصا من الالفاظ بطينا من المعاني وتحصيله
اي قصدت ان الناس يعتنون به ويحصلونه حيث يجدونه
مختصرا فلو اطنبت فيه لمل الناس فلم يحصلوه ترجمة جواب لما
الترجمة في الاصل التعبير عن لغة بلغة اخرى والمراد هنا التعبير عن
هذا الكتاب بهذا الاسم وانما سمي هذه التسمية ترجمة لان هذا
الكتاب سماه بالشفا قبل ظهوره الى حيز الوجود الخارجي بل بمجرد
نيته وتدريج ابوابه في ذهنه وتمهيد تاصيله في نفسه وتخليص
تفصيله في مخيلته فلم يكن قوام هذا الكتاب اذ ذاك الا امرا
غير معلوم للسامع فعبر بالترجمة تجا مع ان كلا من الترجمة
الحقيقية وهذا الكتاب قبل ظهوره الى عالم الشهادة وانما كان
امرا متصورا في ذهن المصنف اخبار عن امر خفي فان قلت

خزانة من

من اين لك ان المصنف سماه بذلك قبل ان يظهر الى الوجود
الخارجي قلت علمنا ذلك من جعله السبب في ترجمته بذلك النية
في قوله ولما نويت وهبا انه لما تم وكمل سماه بالشفا فيكون قد
نقل الترجمة من معناها الموضوعة له وهو التعبير عن لغة بلغة
اخرى الى ما هو اعم من ذلك وهو التعبير عن شي بشي فلك ان تقول
بهذا الاعتبار ترجمت هذا الشخص بزيد بالشفا بتعريف
حقوق المصطفى هذا علم منقول من تركيب مصدر بمصدر يتعلق
به بالسببية وهو مسجع ارتكب في تسجيعه ضرورة لا تجوز
الا لشاعر او مسجع وهي قصر ما هو ممدود وعدوا من الضرائر
قصر ما هو ممدود مطلقا كما هو مذهب سيبويه وكافة البصريين
والفرا من الكوفيين بفصل بين ما اذا امد لقياس يوجب
مده او لا يمد لذلك فان كان الاول لا يجوز قصره والثاني
يجوز والصحيح مذهب البصريين قال الشاعر

من الوافر

واخرج امه لسواس سلمى لمعفور الضرا ضرم الجبين

والضرا ممدود وقد قصره فان قلت ما ذكرت في الشعر وهذا
سجع فمن اين لك ان حكمه حكم الشعر قلت قال ابو حيان في
ذيله على تسهيل ابن مالك والسجع كالشعر في ذلك اي في
الضرائر كلها ومن ذلك في السجع وتظنون بالله الظنونا وقوله تعالى
واضلونا السبيلا فزاد حرف الاطلاق في الفاصلة لتتفق الفواصل

والفاصلة كالسجعة فان قلت لم لم تبق الشفا على مده وتمد المصطفى
وترتكب الضرورة في المصطفى قلت لان مد المقصور في الضرورة
لا يجيزه بصري اصلا لانه لم يثبت سماعا ولا يقبله قياس لانه ليس
فيه رد فرع الى اصل والتشبيه غير جائز بجائز نعم اجازه الكوفيون
ومنهم الفرا مستدلين على جوازه بقول الشاعر
سيغنيني الذي اغناك عني فلا فقر يدوم ولا غناء
فمد الغنى ضد الفقر وهو مقصور وقول الاخر
قد علمت اخت بني السعلاء وعلمت ذاك مع الجراء
ان نعم ماكولا على الخواء يا لك من تمر ومن شيشاء ينشب في المسعل واللهاء
فمد السعلا والخوا واللها وهي مقصورات واجاب البصريون
بان هذا لا يعلم قائله فليس بحجة واما قوله فلا فقر يدوم ولا غناء
فيحتمل ان يكون الغنا في الاصل ممدودا مصدر الغاني كانه قال
فلا افتقار شخص لشخص يدوم ولا استغنا شخص عن شخص
يدوم فيكون على هذا مصدر الغاني التي يدخل عليها الثنا فيقال
تغاني كذا قيل ويقال ان المصنف لاحظ في قصره الشفا
قصوره عن ان يحيط بقصارى قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم
وحصرت الكلام فيه اي في هذا الكتاب المسمى بالشفا ويجوز
ان يعود ضمير فيه الى تعريف قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم
والمراد من الحصر ما يراد من القصر فان القصر لغة الحبس يقال
قصرت

قصرت اللقحة على الفرس اذا جعلت لبنها له لا لغيره والحصر
معناه لغة التضييق والبيانيون يطلقون الحصر والقصر على
تخصيص شي بشي وحصره فيه ويسمى الامر الاول محصورا
ومقصورا والثاني محصورا فيه ومقصورا عليه وهو يقتضي
جزا ايجابيا واخر سلبيا والمصنف رحمه الله اثبت في
كتابه الاقسام الاربعة وترك ما سواها فكان حاصرا الكتاب
فيها وقاصرا عليها في اقسام اربعة ان عاد ضمير فيه الى الكتاب كان
هذا الحصر من حصر الكل في اجزائه وهو الذي لا يصح فيه اطلاق المحصور
على كل من اجزائه فكل من هذه الاقسام الاربعة لا يسمى كتاب
الشفا وانما يسمى به مجموع الاقسام الاربعة وحينئذ يكون
مراده بالقسم معناه اللغوي وهو النصيب والجزو وقد سمى
النبي صلى الله عليه وسلم الجز قسما في قوله في الحديث قسمت
الصلوة بيني وبين عبدي قسمين والصلوة هي الفاتحة
فاطلق على الجزئين اسم القسمين فكل جزء منها قسم ولا يصح
ارادة القسم الاصطلاحي هنا وهو ما يكون اخص من شي
ومندرجا تحته وجزئيا من جزئياته كالاسم والفعل والحرف
بالنسبة الى الكلمة فان كل واحد منها اخص من الكلمة وانما
لم يجز ارادة القسم الاصطلاحي هنا لان كل قسم من هذه
الاقسام الاربعة ليس اخص من كتاب الشفا وانما هو

مباين له مباينة الجز للكل وان عاد ضمير فيه الى التعريف بقدر
المصطفى صلى الله عليه وسلم كان ذلك حصرا للكلي في جزئياته
لان كل قسم يطلق عليه انه تعريف بقدر المصطفى صلى الله
عليه وسلم ويكون المراد بالاقسام معناها الاصطلاحي لان كل
قسم أخص من تعريف قدر المصطفى القسم الاول في تعظيم
العلي الاعلى لقدر هذا النبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا التعظيم
التبجيل والتفخيم والعلي اسم من اسمائه سبحانه وتعالى وهو
الذي لا رتبة فوق رتبته وجميع المراتب منحطة عنه وذلك
لان العلي مشتق من العلو المقابل للسفل لان الموجودات
تتصف بدرجة الا والله عز وجل في الدرجة العليا من
درجات اقسامها حتى لا يتصور ان يكون فوقه تعالى درجة
وذلك هو العلي المطلق وكل ما سواه عال بالاضافة الى ما
دونه ويكون دنيا وسافلا بالاضافة الى ما فوقه فان الموجودات
تنقسم الى ما هو سبب والى ما هو مسبب فالسبب فوق
المسبب فوقية بالرتبة فالفوقية المطلقة ليست الا
لمسبب الاسباب فان قلت حيث قلتم ان المراد به العلو
المطلق وذلك ليس الا لله عز وجل فلم وصفتموه بالاعلى الذي
هو اسم تفضيل مع ان العلو المطلق منتف عن غيره قلت يجوز ان
يتصف بالعلو الاضافي فالتفضيل بهذا الاعتبار اي هو اعلى

من

من كل من يتصف بانه عال وقد قال حجة الاسلام ابو حامد الغزالي
العبد لا يتصور ان يكون عليا مطلقا اذ لا ينال درجة الا ويكون في
الوجود ما هو فوقها وهو درجات الانبيا والملائكة نعم يتصور
ان ينال درجة لا تكون في جنس الانفس من يفوقه وهي درجة
نبينا صلى الله عليه وسلم ولكنه قاصر بالاضافة الى العلو المطلق
لانه علو بالاضافة الى بعض الموجودات الاخر والقدر المقام
واتيانه باسم الاشارة القريب مع ان التعظيم والاجلال
اللائقين بجناب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ينا سبهما
الاتيان باسم الاشارة البعيد لان السيد الشريف ذكر في
شرح المفتاح انه من اللطائف المتفرعة قصد التعظيم
بالقرب بنا على ان عظمة الشي مما يقتضي التوجه اليه والتقرب
منه كقوله عز وجل ما خلقت هذا باطلا وان هذا القران يهدي
للتي هي اقوم وتوجه الكلام فيه اي حصل وجه الكلام فيه والوجه
من الكلام السبيل المقصود في اربعة ابواب حصر الكلام في القسم
الاول في هذه الابواب الاربعة حصر الكلي في جزئياته لان كل
باب من هذه الابواب يصدق عليه انه كلام في القسم الاول
الباب الاول في ثنائه عز وجل عليه واظهاره عظيم قدره لديه
ان قلت الثنا مختص بما كان باللسان فكيف اضيف الى الله
عز وجل قلت قد قيل بذلك حتى حمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم

لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك على المجاز والحامل
عليه قصد المشاكلة والحق ان اختصاص الثنا باللسان غير
مسلم بل المفهوم من كلام الصحاح ومن الكشاف في تفسير قوله
تعالى واذكروا ما فيه ان الثنا هو الاتيان بما يشعر بالتعظيم
مطلقا وفي القاموس والثنا والتثنية وصف بمدح او ذم
او خاص بالمدح ولديه بمعنى عنده وهي اسم لمكان الحضور
الحسي او المعنوي فالاول هو المراد هنا وعند امكن من لدى
في الظرفية من وجهين احدهما ان عند تكون ظرفا للاعيان
والمعاني تقول هذا القول عندي صواب وعند فلان علم ويمتنع
ذلك في لدى ذكره ابن الشجري في اماليه والثاني انك تقول عندي
مال وان كان غائبا ولا تقول لدي مال الا اذا كان حاضرا
وزعم المعري انه لا فرق بين لدى وعند وقول غيره اولى وفيه اي
في هذا الباب عشرة فصول هي جمع فصل وفي تعريفات السيد
الشريف الفصل علامة التفريق بين البحثين وقيل الفصل عبارة
عن القطع بين البحثين المختلفين ثم قال والفصل قطعة من
الباب مستقلة بنفسها منفصلة عما سواها انتهى واقول
الذي فهمناه من اصطلاح القوم ان الفصل والباب والكتاب
عبارة عن مبحث مختص يجوز ان يشير الى انفراده ويترجم عن
استقلاله بكل منها لكن اذا اجتمعت الثلاثة كان الكتاب اشملها

فيقال

فيقال فيه حينئذ انه اسم لجملة مختصة من العلم مشتملة على
ابواب وفصول ومسائل والباب اسم لجملة مختصة من العلم
مشتملة على فصول ومسائل والفصل اسم لجملة مختصة من
العلم مشتملة على مسائل الباب الثاني في تكميل الله عز وجل له
المحاسن جمع حسن بضم الحا وهو الجمال وهذا الجمع على غير قياس
ذكره في القاموس وانما كان على غير قياس لان القياس اذا كان
المفرد على زنة فعل بضم الفا وسكون العين ان يجمع على افعال في
القلة وعلى فعول في الكثرة خلقا وخلقا الاول بفتح الخا وسكون
اللام وهي ما كان راجعا الى جثمانيته من تكميل اعضائه
وقواه الحسية والمعنوية وحواسه الظاهرة والباطنة والثاني
بضم الخاء وفي النهاية الاثيرية الخلق بضم اللام وسكونها الدين
والطبع والسجية قال وحقيقته ان لصورة الانسان الباطنة
وهي نفسه واوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته
الظاهرة واوصافها ومعانيها ولهما اوصاف حسنة وقبيحة
والثواب والعقاب يتعلقان باوصاف الصورة الباطنة
اكثر مما يتعلقان باوصاف الصورة الظاهرة انتهى وقرانه
اي قران النبي صلى الله عليه وسلم في القاموس والقران ككتاب
الجمع بين تمرتين في الاكل والمصاحبة انتهى وفي حديث ابن عباس
رضي الله عنهما الحيا والايمان في قران اي مجموعان في حبل ومنه القران

بين الحج والعمرة اي الجمع بينهما بنية واحدة وتلبية واحدة واحرام
واحد وسعي واحد فيقول لبيك بحج وعمرة ومنه نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن القران اي الجمع بين تمرتين في الاكل **جميع**
الفضائل مفعول المصدر والفضائل جمع فضيلة وهي الدرجة
الرفيعة في الفضل وهو ضد النقص وتطلق الفضائل على ما
هو اخص من ذلك وذلك اذا قوبلت بالفواضل فتفسر الفضائل
بكل خصلة ذاتية والفواضل جمع فاضلة وهي المزية المتعدية
والمراد بالتعدي التعلق بالغير في تحققه وجوبا كالانعام اعني
اعطا النعم وليس المراد به الانتقال كما توهم فالمراد بالفضائل
هنا ما يشمل الفضائل والفواضل الواقعين في تعريف الحمد
الدينية اي المنسوبة الى الدين والدين في الاصل بمعنى اللزوم
ثم تصرف فيه بالنقل الى الملة والعادة والحساب والطاعة
والجزا وكل ذلك يلزم الانسان او يلزمه الانسان ومن ثم سمي الدين
دينا لانه يلزم المديون ولا يسقط عنه الا بالاداء وانما نسبت
الخصال التي تسعد العبد في الاخرة بالدينية لانها انما تعرف
من الملة وهي الدين باعتبار انها تملى او بمعنى الحساب لان الله عز
وجل يحاسب عليها او بمعنى الطاعة لان من اتى بها فقد اطاع الله
عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم اولانه يجازى عليها بالمثوبة
الناجحة يوم القيمة **والدنيوية** نسبة الى الدنيا ودنيا على زنة فعلى

كحبلى

كحبلى والالف اذا كانت رابعة غير منقلبة بل كانت زائدة للتانيث
فالاحسن في النسبة الى ذلك ان تحذف الف فتقول حبلي وفي
دنيا دنيي كما تقول في النسبة الى جمعى جمعي فاجروا الالف
الزائدة مجرى التا فكما تقول في بصرة بصري تقول في دنيا
المختوم بالف التانيث دنيي كما ان الاصل في المنقلبة ان تبدل
واوا كما تقول في مرمى مرموي وفي معنى معنوي لكنهم قد يجرون
حكم الزائدة على المنقلبة وبالعكس فيقولون في دنيا دنيوي
تشبيها له بالذي فيه الف منقلبة كملهى ومعنى فيقولون
فيه ملهوي ومعنوي وجوزوا ان يقال دنياوي قياسا
على حمراوي وكل ذلك خلاف الاصل والدنيا ضد الاخرة وهي بضم
الدال وجوز ابن قتيبة كسرها وهي من الدنو اي القرب سميت
بذلك لسبقها الاخرى وقيل سميت دنيا لدنوها الى الزوال
واختلف في حقيقتها فقيل هي ما على الارض من الهواء والجو
وقيل كل المخلوقات من الجواهر والاعراض والاول اولى لكن
يراد به ما قبل قيام الساعة وتطلق على كل جزء منها مجازا وليس
المراد بالدنيوي ما يقع في الدنيا بل المراد ان كل ما وعد
الشارع في فعله بثواب اخروي عد من الاخرة وان ترتب عليه ثواب
دنيوي ايضا وما عدا ذلك يسمى دنيويا ويسمى الاول دينيا لان
الدين اقتضاه **فيه نسقا** حال من جميع اي حال كونها متتابعة بالنظر الى

الكلام على الدنيا ه

ملاحظة المستقري لها مجردها موجوده كلها واحدة بعد واحدة
لا يشذ منها شي وفي الحديث تابعوا بين الحج والعمرة اي تابعوا
يقال تاسق بين الامرين اي والى بينهما ورايت نسقا من
الرجال والمتاع اي بعضها الى بعض وفي القاموس النسق
محركة ما جاء من الكلام على نظام واحد ومن الثغور المستوية
ومن الخرز المنتظم **وفيه سبعة وعشرون فصلا** قال من عدها
ليس في الكتاب الا ستة وعشرون فصلا والظاهر انه عد
ما بين ترجمة الباب الى الفصل فصلا وان لم يسمه به وكذا الحال
في جميع ما عد من الفصول الاتي موضعين يقل الكلام فيهما بين
الترجمة والفصل فلا يعد لكن لم يعد ما بين القسم الى الباب
بابا لان العادة تسمية المسائل الجمة بالباب ولم يدخله في
التعلقة بالابواب كلها كذا قيل **الباب الثالث في ما ورد من
صحيح الاخبار ومشهورها** الاخبار جمع خبر وفيه لهم اقوال
الاول انه اخص من الحديث فان الحديث معناه ما اضيف الى النبي صلى
الله عليه وسلم قولا او فعلا او تقريرا وقد اورد على حصر المضاف في
الثلاثة همه صلى الله عليه وسلم كحديث انه هم بقلب الرداء في
الاستسقا فثقل عليه واجيب بانه داخل في قسم الفعل فان
الهم فعل القلب واورد ايضا الاحاديث المتعلقة بصفاته
صلى الله عليه وسلم كحديث ابي الطفيل كان صلى الله عليه وسلم

ابيض

ابيض مقصدا فانها احاديث مرفوعة باجماع المحدثين وليست
داخلة في الثلاثة فعلى هذا ينبغي ان يزاد في الحد ونحوها حتى
يدخل مثل ذلك فعلى هذا الحديث يختص بالمرفوع والخبر يطلق عليه
وعلى الموقوف والمقطوع فالحديث على هذا اخص من الخبر
وذهبت طائفة الى ان الحديث يطلق ايضا على الثلاثة كما يطلق الخبر
عليها فهما مترادفان وذهب اخرون الى اختصاص الحديث
بالمرفوع والخبر بغيره ولهذا يقال لمن يشتغل بالسنة محدث
وبالتواريخ ونحوها اخباري فهما على هذا متباينان والمراد
بالصحيح هنا ما هو اصطلاح كثير من العلماء وهو المقبول سواء
كان صحيحا لذاته ام صحيحا لغيره ام حسنا لذاته ام حسنا لغيره
لان المراد انه يورده للاحتجاج به والاحتجاج بكل من هذه الاقسام
جائز والفرق بينها ان الحديث المقبول ان اشتمل من صفات
القبول على اعلاها وهي ان يكون راويه عدلا تام الضبط
ويكون متصل السند غير معلل ولا شاذ فهو الصحيح لذاته
وان لم يشتمل من صفات القبول على اعلاها بل كان فيه قصور
فان كان يجبر ذلك القصور بكثرة الطرق فهو صحيح لغيره
وان بقي على قصوره ولم يجبر فهو الحسن لذاته وان قامت
قرينة ترجح جانب قبول ما يتوقف فيه فهو الحسن لغيره
واما المشهور من الاخبار فهو ان يروي الحديث ثلاثة ويرويه

عنهم جماعة ويطلق المشهور ايضا على ما هو مشهور شهرة
مطلقة بين اهل الحديث وغيرهم كحديث المسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده وعلى ما هو مشهور بين اهل
الحديث فقط كحديث انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قنت شهرا بعد الركوع يدعو على رعل وذكوان
فهذا حديث اتفق الشيخان وينقسم المشهور الى ما هو
متواتر والى ما هو مشهور غير متواتر وقد ذكر المتواتر الفقهاء
والاصوليون وبعض اهل الحديث ويطلق المشهور على ما
اشتهر على الالسنة فيشمل ما له اسناد واحد فصاعدا بل
ما لا يوجد له اسناد اصلا كعلماء امتي انبياء بني اسرائيل وولدت
في زمن الملك العادل كسرى ومنه قول الامام احمد بن حنبل رضي الله
عنه كما اخرجه ابن الجوزي في اخر الجهاد من موضوعاته اربعة احاديث
تدور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لها اصل الى اخر ما قال
فان قلت اي مشهور اراد المصنف قلت المشهور بين
المحدثين وهو اخص من الصحيح بمعنى المقبول فعطفه عليه
عطف خاص على عام وليس المراد منه المشهور على الالسنة
فان ذلك فيه ما هو ضعيف بل فيه ما هو موضوع بل فيه
ما لا سند له اصلا وكتاب المصنف مبعد عن ذلك وكيف لا
والمصنف امام هذا الشان وان اردت الوقوف على ما اشتهر

على الالسنة

عليه م

على الالسنة ~~فان ذلك فيه ما هو ضعيف بل فيه ما هو~~
من الاحاديث فتصفح كتاب الحافظ ابي الخير السخاوي المسمى
بالمقاصد الحسنة في الاحاديث المشتهرة على الالسنة تجد فيها
ما هو مقبول ومردود **بعظيم قدره** متعلق بورد **عند ربه** ظرف
متعلق بمحذوف هو حال من قدره اي حال كون قدره كائنا عند ربه
عز وجل وصح وقوع المضاف اليه ذا حال لان المضاف صفة للقدر
فكان المضاف اليه هو معمول ورد والتقدير في ما ورد بقدره العظيم
ومنزلته وما خصه الله عز وجل به في الدارين وهو قسمان قسم
انفرد به من بين خلق الله عز وجل ككالشفاعة في فصل القضاء
وعموم بعثته الى الثقلين بل والى الملائكة ايضا والاسراء
بجسده الشريف **من كرامته** يجوز من ان تكون للتعليل اي لاجل
كرامته فهي على حد قوله عز وجل مما خطاياهم اغرقوا وقوله
وذلك من نباء جائي وخبرته عن ابي الاسود وقوله
يغضي حياء ويغضى من مهابته يعني يذكر في هذا الباب ما خصه الله
عز وجل به لاجل كرامته وذلك ككونه صلى الله عليه وسلم اول النبيين خلقا
واول من قال في عالم الذر بلى وان الله عز وجل كتب اسمه على العرش
وانه شق صدره الشريف وانه كان اذا مشى في الصخر غاصت
قدماه فيه ونحو ذلك ولا يذكر في خصائصه ما اباحه الله له دون
سائر الناس وما اوجبه الله عز وجل عليه دون سائر الناس

من المتقارب

مصراع من البسيط

وما اجراه الله عز وجل عليه دون سائر الناس فان ذكر تكفلت به كتب
اخرى وفيه اثنا عشر فصلا المتبادر من هذه المقالة الحصر وانه لم
يذكر سواها وان لم يكن في لفظه ما وضع للحصر مع ان المصنف ذكر
في هذا الباب خمسة عشر فصلا والفصول الثلاثة اتى بها على طريق
التتميم كما وقع منه في القسم الرابع بعد ان جعله ذا بابين ذيله
بباب ثالث وانما حصرها في اثني عشر فصلا نظرا الى القصد الاولي
كما حصر القسم الرابع في بابين نظرا اليه فلا ينافي الزيادة اذ ليست
بالنظر الى القصد الاولي الباب الرابع في ما اظهره الله عز وجل
على يديه من الايات والمعجزات اسناد اظهارها اليه عز وجل اسناد
حقيقي لانه هو الفاعل للمعجزات ليس الا فانهم اشترطوا في
المعجزة ان تكون فعل الله عز وجل او ما يقوم مقامه من التروك لان
المعجزة تصديق من الله عز وجل لمدعي الرسالة والتصديق منه تعالى
لا يحصل بما ليس من قبله وقولنا او ما يقوم مقامه ليتناول
التعريف مثل ما اذا قال مدعي النبوة معجزتي ان اضع يدي على
راسي وانتم لا تقدرون على وضع يدكم على روسكم ففعل وعجزوا
فانه معجز دال على صدقه ولا فعل لله عز وجل ثم فان عدم خلق
القدرة فيهم على وضع يدهم على روسهم ليس فعلا صادرا عنه تعالى
وتقدس بل هو عدم صرف والحق ان الترك فعل لانه كف فهو فعل
وجودي فالاولى ان يحذف قولنا او ما يقوم مقامه فان قلت هل

يدخل

يدخل فيه اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب قلت نعم هو فعل الله عز
وجل وحده على ان المعجزة في اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيوب انما
هي عجزهم عنه مع قدرة نبينا صلى الله عليه وسلم فان قلت العجز عدمي
فكيف يكون معجزة قلت في العجز خلاف فان كان عدميا كما هو
قول الاشعري فالمعجز عدم خلق القدرة فيهم مع خلق قدرته فيه
صلى الله عليه وسلم وان كان وجوديا كما هو قول بعض الاشاعرة
فالمعجز خلق العجز فيهم وانما قال على يديه صلى الله عليه وسلم لان شرط
المعجزة ان تكون فعلا لله عز وجل ظاهرا على يد مدعي النبوة ليعلم انه
تصديق له والايات جمع اية وهي في الاصل العلامة الثابتة من قولك
تاييت بالمكان اذا اقمت به وثبت فيه ومن ثم يقال لا اجعلنك اية اي
علامة وسميت الاية من القران اية لانها بمفارقتها كلام البشر
علامة على صدق الدعوة والمعجزات جمع معجزة وهي عبارة عما
قصد به اظهار صدق من ادعى انه رسول الله والكلام على شرائطها
وكيفية حصولها ووجه دلالتها على صدق مدعي الرسالة ياتي في
محله والمراد بالايات ما اظهره الله عز وجل على يده وبسببه قبل ان
يدعي النبوة كشق بطنه الشريف الواقع وهو عند ظئره حليمة
وكظهور النور ليلة ولادته وغير ذلك واما ما قارن دعوى النبوة
فهو معجزة واية ايضا فالاية اعم من المعجزة فكل معجزة اية من غير عكس
وجميع ما ظهر على يديه من الخوارق بعد دعواه الرسالة كانشقاق

وتسليم حجر عليه قبل ان يبعث
وتنكيس الاصنام ليلة ولادته

القمر وتسليم الحجر وسعي الشجر اليه على الكيفية المنقولة وحنين جذع
كان يخطب اليه ثم فارقه الى المنبر ونبع الماء من بين اصابعه واخبار
الشاة المشوية بانها مسمومة فكل هذه معجزات فان قلت قلت
المقترن بدعوى النبوة بعضها فهي المعجزة وبعضها لم يقارنها فينبغي
كما قال السهيلي ان يسمى علامة للنبوة لا معجزة قلت التحقيق على
جميع ما اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعد دعوى النبوة حكم دعواها من حين
ابتدائها الى ان توفاه الله عز وجل كانه في كل ساعة يستانف الدعوى
فكل ما وقع له من خارق كان معجزة لاقترانها بدعوى النبوة حكما
فان قلت ظهور بعض هذه الخوارق ظهر بحضرة قوم مومنين تحققوا
نبوته كظهور نبع الماء من اصابعه بمحضر المومنين ولم يكن فيهم
كافر ينكر نبوته وتكثير الطعام في دار جابر يوم الخندق قلت كان فيهم
قوم منافقون وايضا مثل ذلك تتوفر الدواعي على نقله فكانوا
ينقلونه الى المشركين والكفار فكانوا يومنون وشرفه الله عز وجل به
من الخصائص والكرامات المراد بالكرامات ما ظهر بسببه قبل
دعواه النبوة ككلام عيسى عليه السلام في المهد وتساقط الرطب
الجني من النخلة اليابسة وشق بطن نبينا صلى الله عليه وسلم
وغسل قلبه واظلال الغمامة له في سفره الى الشام وتسليم الحجر
والمدر عليه فانها كلها خوارق متقدمة على دعوى الرسالة وفي
شرح المواقف للسيد الشريف الجرجاني ان الخوارق المتقدمة على

دعوى

على دعوى الرسالة كرامات وظهورها على الاوليا جائز والانبيا عليهم
السلام قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الاوليا فيجوز ظهورها عليهم
وحينئذ تسمى ارهاصا اي تاسيسا للنبوة من ارهصت الحائط
اسسته فان قلت اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيوب والامور التي تقع
بعد كاخباره بخروج الخوارج وبذي الثدية وبظهور الرافضة
وبامور لا تحصى كيف يعد معجزة قلت مثل ذلك معجزة اتفاقا لكن
اختلفوا في وجه دلالته فقيل المعجز اخباره عن الغيب فيكون
المعجز على هذا مقارنا للدعوى لكن تخلف عنها علمنا بكونه معجزا
وقيل المعجز حصول الموعود به فيكون المعجز على هذا اقترانا للدعوى
لكن تتخلف عنها متاخرا عن دعوى الرسالة فالكرامات في عبارة
المصنف اصطلاحية وهي الخارق الذي يظهر على يد غير مدعي
النبوة ممن يكون تقيا صالحا وهذه غير الكرامة التي سبق الكلام
عليها فان تلك امور اكرمه الله عز وجل بها كالاسرا بجسده الشريف
الى السما وشفاعته العظمى في فصل القضا وفيه ثلاثون فصلا
القسم الثاني فيما يجب اي فيما طلبه الله عز وجل من عباده طلبا
جازما بحيث لا يجوز لهم تركه واذا تركوه اثموا واستحقوا العقاب
على الانام في القاموس الانام كسحاب وساباط وامير الخلق
او الجن والانس او جميع ما على وجه الارض من حقوقه عليه السلام
بيان لما وهي جمع حق بمعنى واجب وثابت ويترتب القول فيه في اربعة

ابواب قيل معناه يصير مرتب الاجزا موضوعة اجزاوه في محالها
اللائقة بها وفيه نظر لان مقتضاه ان القول مقسم وهو كل والابواب
التي ذكرت اجزاوه فيكون من تقسيم الكل الى الاجزاء مع ان كل باب من
هذه الابواب يصدق عليه انه قول فيما يجب على الانام من حقوقه فيكون
من تقسيم الكلي الى جزئياته فتامله الباب الاول في فرض الايمان به
اي بالنبي صلى الله عليه وسلم اي على كل من بلغته دعوته فيتعين على كل من
بلغته دعوته ان يومن بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه شرعه
ناسخ لجميع شرائع من قبله و وجوب طاعته واتباع سنته اي طريقته
وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته فان
مناصحة النبي صلى الله عليه وسلم من جملة شعب الايمان التي لن يدخل احد
في عداد المومنين ان لم يتصف بها وفي الحديث الصحيح الدين النصيحة
لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولائمة المسلمين ولعامتهم وفي النهاية
الاثيرية النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير للمنصوح له
وليس يمكن ان يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها
واصل النصح في اللغة الخلوص يقال نصحته ونصحت له ثم قال
والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته ورسالته
والانقياد لما امر به ونهى عنه الى اخر ما قال فان قلت فما معنى
صيغة المفاعلة فان تاسيسها كما هو مقرر ان تكون بين اثنين
فعل احدهما بصاحبه ما فعل الاخر به قلت من المقرر انه صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم نصح العامة والخاصة بمعنى انه ارشدهم الى مصالحهم فيجب
على المومنين ان ينصحوه بان يعتقدوا فيه ما يجب ان يعتقد
فيه وان يقوموا بحقوقه التي ثبت وجوبها عليهم فكانت النصيحة
من جانبه ومن جانب امته اللهم وفقنا لمناصحته وجازه عنا خيرا
فمن قال ان المناصحة مفاعلة لغير المشاركة كالمخادعة في يخادعون
الله والذين امنوا فقوله مردود كيف وهو القائل الدين النصيحة
لعامة المومنين ومن سواه من امته عامة بالنسبة اليه وقد
فسر ابن الاثير نصيحة العامة بارشادهم الى مصالحهم واي مرشد
ارشد الى مصالحهم كرسول الله صلى الله عليه وسلم فالنصيحة وقعت
من الجانبين وفيه ست فصول الباب الثالث في تعظيم امره
الامر اصله في اللغة الظهور ومنه قيل للعلامة امارة لظهورها
والامرة لظهور امرها والامير ظاهر الامر على ما يامر عليه
وامر الشي اذا كثر ومع الكثرة ظهور الشان والمراد هنا بالامر
الشان وليس المراد القول الدال على الطلب ولا الطلب النفسي
بل المراد تعظيم كل شان يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنه
تعظيم ذاته واصحابه وسننه وحديثه وكتابه الذي نزل عليه
وبلده فان قلت اطلاق الامر على الشان حقيقة ام مجاز
قلت فيه خلاف والاصح ان اطلاقه عليه مجاز ومنه قوله عز وجل
انما امرنا لشي اي شاننا وكذا اطلاقه على الصفة مجاز نحو قولهم لامر ما

يسود من يسود اي لصفة من صفات الكمال ويطلق على الشي كقولهم
لامر ما جدع قصير انفه اي لشي ويطلق على الفعل نحو قوله عز وجل
وشاورهم في الامر اي الفعل الذي تعزم عليه ولا يبعد ان يراد بالامر
هنا الدين اي تعظيم دينه صلى الله عليه وسلم فهو على حد قوله عز وجل
وظهر امر الله اي دينه **ولزوم توقيره** اي تعظيمه وتفخيم شانه
بحيث لا يقاس على سائر الناس ولا يوازى حاله بحال كامل من
المخلوقين بل تعتقد ان له مزية على جميع خلق الله عز وجل ويكون
فعل المعتقد على نمط اعتقاده ويدخل في ذلك تعظيم ذريته
وصحبه وانصاره ودوره واهل بلده ومعاهده وكتب سنته
ونحو ذلك **وبره** البر اصله السعة ومنه البر خلاف البحر ثم استعمل
في الزيادة فقيل ابر فلان على فلان اذا زاد عليه والمراد بالبر هنا
الصلة الواسعة الزائدة مكافاة له صلى الله عليه وسلم على ما اسدى
الينا من المعروف الذي لا قدرة لاحد على استقصائه الا الله عز وجل
**وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة والتسليم
عليه** اي في بيان حكمها من الفرضية والاستحباب على كيفيات فيها
مخصوصة **وفرض ذلك** اي بيان محل فرضيتها هل هي في العمر مرة
او كلما ذكر او في الصلوة على خلاف في ذلك **وفضيلته** اي فضيلة
التعبد بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم **وفيه عشرة فصول** وذكر فيه
بطريق المناسبة حكم زيارة قبره وما يلزم داخل مسجده وما يستحب

له

له وفضل الصلوة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى
المدينة ومكة **القسم الثالث فيما يستحيل في حقه** اي يمتنع شرعا
كالكذب فيما يبلغ عن ربه عز وجل والخيانة بفعل منهي عنه نهي تحريم
او كراهة وكتمان شي مما امر بتبليغه **وما يجوز عليه** يحتمل ان
يريد بما يجوز عليه ما يصح ان يعزى وينسب اليه فيشمل ما يجب
ان يعزى اليه كالصدق والامانة وتبليغ ما امر بابلاغه وما يكون
عزوه اليه بطريق الجواز بان يصح ان يثبت له وان ينتفي عنه
كالاعراض البشرية التي اذا ثبتت له لا تنقص من رتبته العلية
كالجوع والمرض **وما يمتنع ويصح** عطف تفسيري على يستحيل ويجوز
من الامور البشرية اي الشوون التي تتعلق بالبشر **ان يضاف
اليه** اي ينسب اليه ويمكن ان يراد بالجواز والصحة مفهوم الامكان
الخاص الذي هو سلب الضرورة عن الطرفين فقط فلا يشمل الترجمة
ذكر ما يجب عليه الا ان يقال انه يعلم من ذكر ما يمتنع عليه لانا اذا علمنا
ما يمتنع عليه علمنا ما يجب عليه لان الذي يجب عليه هو ضد ما يمتنع عليه
فيجب عليه صلى الله عليه وسلم الصدق والامانة وتبليغ ما امر بتبليغه
ويمتنع عليه اضداد هذه الصفات **وهذا القسم اكرمك الله عز وجل**
جملة دعائية معترضة بين المبتدا والخبر **هو سر الكتاب** اي خالصه
وافضله قال الجوهري وسر النسب محضه وافضله ووجه
كونه سره ان وضع هذا الكتاب على التعريف بقدر المصطفى صلى الله

عليه وسلم وقد بين فيه ارتفاع شانه عن مداناة البشر بنزاهته عن
المعاصي صغايرها وكبايرها وعن المكروهات التنزيهية والتحريمية
وقد شاركه في هذا المقام الانبياء عليهم السلام وله عليهم المزية التامة
في هذا المعنى وهم لهم على ساير البشر المزية التامة وهو فيذا امتاز
عليهم مع انه بين فيه ما يجوز له وتجوز ان يطرا عليه من العوارض
البشرية اذ لولا معرفة ذلك لربما اطرته بعض العقول السخيفة الى
مرتبة الربوبية وهو صلى الله عليه وسلم يقول لا تطروني كما اطرت النصارى
ابن مريم فقد عرف بذلك من قدره الشريف ما يجب على كل مسلم
معرفته **ولباب ثمرة هذه الابواب** شبه المصنف هذه
الابواب بشجرة لها ثمر وله لباب وقد ذكر المشبه ولم يذكر المشبه به
فهو استعارة مكنية واثبت لها شيا من لوازم المشبه به وهو ثمرة
ذات لباب فهو استعارة تخييلية وجعل هذا الكتاب بمنزلة
الشجرة وابوابه بمنزلة الثمرة من حيث انها المقصودة منه واضاف
الثمرة الى الابواب اضافة المشبه به الى المشبه على حد ذهب
الاصيل ولجين الما ياباه قواعد البلاغة فان الكتاب لا ذكر له في هذه
الفقرة **وما قبله كالقواعد** هو جمع قاعدة وهي قضية كلية منطبقة
على جزئيات موضوعها لتتعرف احكامها منها وانما لم يقل قواعد بل
اتى بكاف التشبيه المشعر بالمغايرة لان ما ذكر في الابواب
السابقة ليس قضايا كلية بل قضايا شخصية لان موضوعها محمد

صلى الله

صلى الله عليه وسلم **والتمهيدات** جمع تمهيد والتمهيد اتخاذ المهاد
وهو الفراش يقال مهدت لنفسي ومهدت اي جعلت لها مكانا وطيا
سهلا والمراد الامور الممهدة **والدلائل** اي وكالدلائل **على ما نورده**
فيه من النكت جمع نكتة وهي في الاصل النقطة وشبه الوسخ في المراة
والمراد المسائل النفيسة التي اذا القيت الى السامع اثرت في قلبه
تاثير النقطة فيما وسمت فيه فاطلاق النكت على هذه المسائل من
قبيل الاستعارة التصريحية وانما كان ما قبله بهذه المثابة لتضمنه
ثبوت نبوته والقطع برسالته فاذا ذكر في هذا القسم مثلا انه يستحيل
عليه الكذب يقال لانه ثبت في الابواب السابقة انه عظيم القدر
عند العلي الاعلى وان الله عز وجل اثنى عليه واظهر عظيم قدره لديه
وانه جات اخبار واثار بعظيم قدره وعلي شانه وان الله عز وجل اظهر
على يديه معجزات الى غير ذلك ومن كان في هذا الشان كيف لا يستحيل عليه
الكذب والخيانة وصدور الكباير والصغاير واذا قيل يجب ان يكون
معصوما امينا صادقا قيل من كان في هذه المكانة عند الله عز وجل كيف
لا يجب ان يكون كذلك واذا قيل يجوز عليه العوارض البشرية قيل من
منحه ربه عز وجل هذه المنح لا شك انه مخلوق وانه بشر وكل عوارض البشر
التي لا تصادم درجة النبوة جائزة عليه اذ لم ينقص مقامه العلي
وانما اتى بكاف التشبيه واعتبر دخولها على الامور صريحا وعطفا
لانها ليست دلائل حقيقية فان الدلائل المثبتة لهذه المدعيات

اثباتا برهانيا تكفلت بها الكتب الكلامية كارشاد امام الحرمين
ومواقف العضد ومقاصد السعد التفتازاني وطوالع البيضاوي
البينات جمع بينة وهو الواضح الثبوت الذي لا يتوقف ثبوته على
دليل ولا على برهان والمراد انها بينة عند المؤمن بعد ثبوت الايمان
له وتصديقه وان كان المرتاب والعياذ بالله لا يعدها بينة **وهو**
الحاكم على ما بعده فان القسم الرابع يبين فيه حكم سابه ومنتقصه
وشانئه ونحو ذلك والحاكم الحقيقي الذي يقضي في سابه انما هو القاضي
الذي رفع اليه امره او المفتي الذي استفتي في شانه ولكن القاضي
او المفتي انما يستنبط حكمه من هذا القسم ويبين حكم سابه على قدر
ما صدر منه فكان هذا القسم كانه هو الذي بين حكم الله في من انتقص
سيد البشر صلى الله عليه وسلم فقوله هو الحاكم تشبيه بليغ اي هو
كالحاكم اي هذا القسم شبيه بالقاضي والمفتي في شؤون ما تضمنه
القسم الرابع بجامع ان كلا منهما يظهر منه حكم الله عز وجل في سابه
صلى الله عليه وسلم او شانئه **والمنجز من غرض هذا التاليف وعده**
المنجز المحض من قولهم انجز وعده اي احضره ونجوز فمن ان تكون
لابتداء الغاية اي المنجز الوعد الصادر من غرض هذا التاليف وغرض
هذا التاليف عبارة عن التعريف بحقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم
وكان هذا التعريف وعد بان يظهر ويتبين ويتجلى بعد الخفاء ويتفصل
وقد تبين وتفصل اتم تبيين واظهر تفصيل في هذا القسم فقد انجز ذلك
الغرض

الغرض وعده بهذا القسم فالضمير المجرور في وعده عائد الى الغرض فكانه
شبه الغرض من هذا التاليف برجل وعد وعدا فهو استعارة مكنية
واثبات الوعد له استعارة تخييلية واثبات الانجاز ترشيح والواعد
الحقيقي هو المصنف وهو المنجز الحقيقي لكنه نسب الانجاز الى هذا
القسم على سبيل المجاز العقلي **وعند التقصي** ظرف متعلق بالافعال
التي تاتي على طريق التنازع والتقصي بلوغ القصوى والقصوى
والقصيا الغاية البعيدة وفي القاموس استقصى في المسئلة
وتقصى بلغ الغاية يعني بلوغنا غاية موعدته اي موعدة الغرض
من هذا التاليف والموعدة مصدر وعد يعد فان قلت اما يحتمل
ان يكون اصله تقصصنا اي تتبعنا فابدل كتظنيت ومعنى التتبع
محتمل هنا اي وعند تتبع كتب القوم قلت لا يجوز هذا الوجه
لامرين الاول ان ابدال الياء من احد حرفي التضعيف جائز لكنه غير
مطرد بل هو موقوف على السماع كما صرح به في شرح الشافية المسمى
بالعافية ولم تسمع تقصيت في تقصصت نعم سمع قصيت في
قصصت قالوا قصيت اظفاري في قصصت والثاني ان تتبع
الشي لا يعبر عنه بتقصيت ولا بتقصصت وانما يعبر عنه
بقصصت وفي القاموس قص اثره تتبعه ومنه قوله عز وجل
فارتدا على اثارهما قصصا اي يتتبعان وقوله عز وجل وقالت لاخته
قصيه اي اتبعي اثره والنقل من المجرد الى بعض ابنية المتشعبة

مصراع من المتقارب

موكول الى السامع وايضا لايتم مقصوده بحسب المعنى فان صدر
العدو اللعين لايشرق والنور لايشرق عند التتبع لجواز ان تنحل
عن يمينه بعد ذلك وانما يكون ذلك عند بلوغ اقصى الشي وغايته واللام
في قوله **لموعدته** ينبغي ان تكون لام التقوية فان موعدته مفعول
للتقصي وعمل المصدر اذا عرف باللام ضعيف كما في قوله
شديد النكاية اعداءه فزاد لام التقوية وليست هذه اللام لام
التعليل اي وعند بلوغي اقصى موعدة الغرض من تاليف هذا الكتاب
يصير كذا وكذا **والتقصي** بالقاف والمهملة اي التخلص ومنه ما في الحديث
في شان القران لهو اشد تفصيا من قلوب الرجال من النعم من عقله
يقال تفصيت من الامر تفصيا اذا خرجت منه وتخلصت
والاسم منه الفصية اي الخروج من الضيق الى السعة **عن عهدته**
بضم العين هي في الاصل كتاب الحلف والشرط والمراد بها هنا الدرك
والالتزام اي يخلصنا عما التزمناه بان اورده مصحح العبارة
منقح المعنى ذا ادلة قطعية هي تدفع الشبه بعبارات وفيه
يشرق صدر العدو اللعين هذه اللفظة تستعمل عند ارادة نسبة
الغيظ والحسد الى شخص فيقال فلان شرق من فلان اذا ادركه
غيظ تام مما منحه الله عز وجل من نعمه ومنه حديث ابن ابي المنافق
اصطلحوا على ان يعصبوه فشرق بذلك قال في النهاية اي غص
به وهو مجاز فيما ناله من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحل به
حتى

حتى كانه شي لم يقدر على اساغته وابتلاعه فغص به انتهى فان قلت
هذا من اي مجاز هو قلت هو استعارة تصريحية تبعية كانه شبه
عدم تحمل العدو لما منح الله عز وجل المحسود بمن شرب ماء كثيرا لم
يقدر على اساغته فشرق به واطلق عليه الشرق واسند اليه بصيغة
الفعل فان قيل فرق بين الغصص والشرق فالشرق بالمشروب
والغصص بالمطعوم وفيه نظر ففي القاموس الغصة ما اعترض
في الحلق فاشرق وفي النهاية الاثيرية في قوله عز وجل لبنا خالصا
سائغا للشاربين قيل انه من بين المشروبات لايغص به شاربه
يقال غصصت بالماء اغص غصصا فانا غاص وغصان اذا شرقت به
انتهى فهذا ظاهر في ان الغص والشرق يستعمل كل منهما في كل من
الاكل والشرب واللام في العدو يجوز ان يكون للاستغراق اي كل عدو
للنبي صلى الله عليه وسلم ووصفه باللعين لمجرد الذم لانه لايكون للنبي صلى
الله عليه وسلم عدو الا وهو لعين طريد عن رحمة الله اعاذنا الله من
غضبه ومقته ويشمل ذلك كل عدو له من انسي او جني ولايختص
بابليس ويحتمل ان يكون اللام للعهد ويراد العدو الكامل في
العداوة وهو اللعين ابليس **ويشرق قلب المومن باليقين**
يشرق بضم الياء مضارع اشرق ويجوز فتحها مضارع شرق ففي
القاموس شرقت الشمس شرقا وشروقا طلعت كاشرقت وعندي
ان الاولى ان يكون مضارع اشرق لانه لايقال للشمس اشرقت

الا اذا اضات وتكامل ضوها وتم نورها ففي الغريبين للهروي يقال
شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضات على وجه الارض
وصفت ولا شك ان مراد المصنف انه تزول الشبه والشكوك
من قلب المومن بسبب اشراق اليقين فيه والمراد صفاوه
وتكامله فالملايم له ان يكون بضم اليا مضارع اشرق فشبه
اليقين بالشمس لجامع الهداية في كل منهما ودفع المعيقات فيهما
فهو استعارة مكنية واثبات الاشراق لليقين الذي هو من لوازم
المشبه به استعارة تخييلية فان قلت المشرق هو الشمس
فينبغي ان يكون هنا نفس اليقين هو المشرق لا قلب المومن
وقد اسند المصنف الاشراق الى قلب المومن قلت كما يقال
للشمس انها اشرقت يقال للذي ظهر نورها عليه انه اشرق ايضا
كما قال الله عز وجل واشرقت الارض بنور ربها وكان المشركون
يقولون اشرق ثبير وهو اسم جبل **وتملا انواره جوانح صدره**
الانوار التي تحصل من اليقين انوار معنوية وهي كناية عن الهداية الى
الحق ودفع الشبه الباطلة وهي لا تتصف بانها مالئة حقيقة ولكن
مراده بكونها مالئة انه لم يبق للشبه ولا الادلة الاقوال الباطلة مجال
ولم يبق الذهن مجوزا شيا منها فشبه الهداية الحاصلة من اليقين
بالانوار الحاصلة من الشمس مثلا فهي استعارة تصريحية فاطلق عليها
اسم المشبه به وهي الانوار ثم انه شبهها باعتبار وصولها الى
القلب

القلب بما دخل آنا فملاه فهي استعارة مكنية واثبات الملا لها
استعارة تخييلية والطلق الجوانح وهي كما قال في القاموس الضلوع
تحت الترائب مما يلي الصدر واحدتها جانحة واراد بها ما يحل
فيها وهو القلب والمراد به اللطيفة المدركة فان قلت الحال
بالجوانح القلب الصنوبري واما اللطيفة المدركة فهي مرتبطة
بالهيكل الانساني كله قلت نعم هو كذلك لكن تلك اللطيفة لها
ارتباط كلي بذلك القلب الصنوبري بحيث قال الغزالي رحمه
الله لا يطلع على سر ذلك الا من علم المكاشفة **ويقدر العاقل النبي صلى
الله عليه وسلم بعد تنبهه لما قلناه حق قدره** يقدر بضم الدال
كينصر اي يعظم النبي صلى الله عليه وسلم من يكون ذا عقل بعد اطلاعه
على ما بينا من التعريف بحقه حق قدره اي حق عظمته ومراد
المصنف بذلك ان المكلف اذا اطلع على ما في هذا الكتاب خلص
من عهدة ما يجب عليه في شان النبي صلى الله عليه وسلم وليس مراده
بذلك انه يصل الى غاية شان النبي صلى الله عليه وسلم من حوزه
لمراتب القرب من الله وعزته وشانه العالي في قوله صلى الله عليه وسلم اني
لست كهيئتكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وما منحه الله
عز وجل ليلة الاسراء وبعد قول ربه عز وجل في شانه وانك لعلى خلق
عظيم وقوله فيه ورفعنا لك ذكرك فان ذلك لو تامله اللبيب لتحير
فكره عن الوصول الى غاية مقامه ويعجبني في ذلك ما قاله ابو يزيد البسطامي

حيث قال ما بدا للناس من شان النبي صلى الله عليه وسلم الا كما يبدو من زق
مملوء عسلا موكوء غاية الايكاء ثم يمكن ان يريد ان يقدره حق قدره
اجمالا واما تفاصيل مقاماته العلية فامور حيرت البرية ولله در
ابي القاسم الابوصيري حيث قال في بردة المدائح

اعيا الورى فهم معناه فليس يرى — في القرب والبعد منه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد — صغيرة وتكل الطرف من امم
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته — قوم نيام تسلوا عنه بالحلم
فمبلغ العلم فيه انه بشر — وانه خير خلق الله كلهم

وقوله رحمه الله في الهمزية

انما مثلوا صفاتك للنا — س كما مثل النجوم الماء

وبتحرير الكلام فيه متعلق بالكلام ان كان بمعنى التكلم ويجوز ان يكون
للجار والمجرور حالا من الكلام اي حال كون الكلام كائنا فيه في بابين
متعلق بتحرير الباب الاول يختص بالامور الدينية ويتشبث
به القول في العصمة اي يرتبط ويتعلق به القول في العصمة وهي في اللغة
المنع ومنه قوله عز وجل ومن يعتصم بالله اي يمتنع به من غيره
وقوله عز وجل والله يعصمك من الناس اي يمنعك ويقال للبذرقة
عصمة وقول امراة العزيز ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
اي امتنع وفي الاصطلاح عند المتكلمين هي ان لا يخلق الله عز وجل
فيه ذنبا وهذا التعريف مبني على ما يقتضيه اصلنا من اسناد

الاشياء

الاشياء كلها الى الفاعل المختار والعصمة عند الحكماء بناء على ما ذهبوا
اليه من الايجاب واعتبار استعداد القوابل ملكة تمنع الفجور
وتحصل هذه الملكة النفسانية ابتداء بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب
الطاعات فانه الزاجر عن المعصية والداعي ويتأكد ويترسخ هذه
الصفة فيهم بتتابع الوحي اليهم بالاوامر الداعية الى ما ينبغي
والنواهي الزاجرة عما لا ينبغي والاعتراض عليهم فيما يصدر منهم
من الصغائر ومن ترك الاولى فان الصفات النفسانية تكون
في ابتداء حصولها احوالا غير راسخة ثم تصير ملكات بالتدريج
وقيل العصمة تكون خاصية تكون في نفس الشخص او في بدنه
يمتنع بسببها صدور الذنب وهو مردود بانها لو كانت كذلك لما
استحق بها المدح مع ان الاجماع منعقد على ان الانبياء عليهم السلام
مكلفون بترك الذنوب مثابون به ووقع من بعض من شرح هذا
الكتاب انه عرفها عرفا بانها عدم خلق القدرة على الذنب او عدم خلق
الذنب او صفة نفسانية تمنع الذنب انتهى وهو كما ترى صنيع
فاسد لانه اتى باو التخييرية فيقتضي انك مخير بين هذه التعاريف
فباي تعريف اردت عرفتها وعلى اي تعريف شئت اعتمد وقد علمت
ان بعضها مبني على اصل فاسد وهو القول بنفي الفاعل المختار
ولو عزا كل تعريف الى قائله كما صنعنا لقبل الواقف عليه المقبول
ورد المردود وفيه اي في الباب الاول ستة عشر فصلا الباب الثاني

في احوال الدنيوية وما يجوز طروه عليه تجوز في الطرو ان يكون مهموزا
وان يكون معتلا وقد ذكره صاحب القاموس في مادة مهموز اللام
وفي مادة معتل اللام ومعناه في الاصل الاتيان من مكان والخروج
عليهم منه فجاءة وقد فسره في الموضعين بهذا التفسير ومعناه ما يحل
به ويعرض عليه من الاعراض البشرية فان قلت ارادة العروض
من الطرو حقيقة ام مجاز قلت هي مجاز باعتبار ان ما ينزل
بالانسان من الاعراض اتاه من جهة مشاءها الله عز وجل فتشبه
باتيان آت من مكان او خروج خارج على محروج عليه فجاءة
والاعراض جمع عرض وهي الآفات التي تعرض على الشيء وفيه تسعة
فصول القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام اي تغيرها والوجوه جمع
وجه وهو هنا السبيل الذي يتوصل منه الى الوقوف على الحكم الشرعي
والمراد بالاحكام هنا الاحكام الشرعية فاذا وقع من متنقص مثلا
كلمة انتقص النبي صلى الله عليه وسلم بها فكيف السبيل الى معرفة حكم الله
عز وجل فيه فهذا الباب يبين ذلك على من تنقصه في الصحاح وفلان
يتنقص فلانا اي يقع فيه ويثلبه او سبه السب الشتم يقال سبه
يسبه سبا وسبابا اي بيان حكم من سبه عليه الصلوة والسلام
وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه
سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول اما التعريض
عند البلغاء فهو لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره نحو قوله عز وجل حكاية

عن

عن ابرهيم عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فقد نسب الفعل الى كبير
الاصنام المتخذة الهة كانه غضب ان تعبد الصغار معه تلويحا لعابدها
بانها لا تصلح ان تكون الهة لما يعلمون اذا نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن
ذلك الفعل والاله لا يكون عاجزا وقال السكاكي التعريض ما سيق
لاجل موصوف غير مذكور ومنه ان تخاطب واحدا وتريد غيره وسمي
تعريضا لانه اميل الى جانب مشارا به الى آخر يقال نظر اليه بعرض وجهه
اي جانبه ومن التعريض قوله عز وجل لئن اشركت ليحبطن عملك خوطب
النبي صلى الله عليه وسلم واريد غيره لاستحالة الشرك عليه شرعا وقد يراد
بالتعريض الذم ومنه قوله انما يتذكر اولوا الالباب فانه تعريض بذم
الكفار وانهم في حكم البهائم لا الباب لهم واما النص فالمذكور في كتب
الاصول انه عبارة عن دلالة اللفظ على معنى لا يحتمل غيره نحو قوله عز وجل
فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وقد
علمت من ذلك ما المراد من النص والتعريض هنا الباب الثاني في
حكم شانئه ومؤذيه يقال شنأته شنأ ابغضته والشنآن البغضاء
اي في حكم باغضه والعياذ بالله عز وجل ومتنقصه اي الذي ينتقصه
بقول او بفعل او بترك كما اذا رأى رجلا يريد ايصال ضرر اليه ولم
يدفعه عنه وكان تركه لذلك تحقيرا لشانه وعقوبته اي في الدنيا والعقاب
والعقوبة انما تكون بعقب اكتساب الذنب واما قوله عز وجل
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فسمى الاول عقوبة والعقوبة

انما هي الثانية لازدواج الكلام وذكر استتابته في الصحاح استتابه طلب
منه التوبة انتهى فالاستتابة معناها طلب التوبة لان الاصل في باب
الاستفعال ان يكون لطلب اصل الفعل المشتق هو منه ويجوز ان
يكون صيغة استتاب لتحول الفاعل الى اصل الفعل اي هل يمكن ان
يتحول من صدر منه مثل هذه الزلات الى التوبة اولا فهو على حد قول الشاعر
ان البغاث بارضنا تستنسر * والاتن في اسواقنا تستحمر *
اي تتحول البغاث الى صفة النسر وتتحول الاتن وهي اناث الحمر الى
صفة الذكور والصلوة عليه اي على فاعل هذه الشنايع فان من فعل
ذلك كان مرتدا اولا فان كان مرتدا فهو لا يغسل وجوبا بل يجوز ان يغسل
وقد جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم امر عليا رضي الله عنه ان يغسل
اباه اباطالب ولا يكفن بل يجوز ان يواري الكلب جيفته وقد ثبت ان النبي
صلى الله عليه وسلم امر بالقاء قتلى بدر في القليب بعينهم واما الصلوة
عليه فلا تجوز اصلا عملا بعموم قوله عز وجل ولا تصل على احد منهم
مات ابدا ووراثته اي يبين في هذا الباب حكم وراثته هل يورث اولا
وهل يرث هو من احد ثبتا على انه مرتد واتفق الكل على ان المرتد لا يرث
احدا لا مسلم ولا مرتد ولا كافر اصلي بل جميع ماله بعد قضاء دينه وجنايته
ونفقة من تلزمه نفقته في بيت المال سواء اكتسبه في الاسلام
ام بعد الردة وهذا مذهب الشافعي ومالك واحمد وربيعة وابن ابي ليلى
وابي ثور وقيل ميراثه لاقاربه المسلمين وبه قال ابوبكر الصديق رضي الله عنه
وعلي

بغاث الطير التي لا تصيد ولا تمتنع * مجمل

وعلي وابن مسعود وابن المسيب وجابر بن زيد واهل العراق غير ان
ابا حنيفة منهم وزفر والثوري قالوا ما اكتسبه في حال ردته يكون فيئا
للمسلمين وفيه عشرة فصول الموجود في النسخ خمسة فصول فذكر
العشرة سهو وختمناه اي الباب الثاني بباب ثالث جعلناه تكملة
لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله في حكم من سب الله عز
وجل ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه
هذه العبارة فيها خفاء من وجهين الاول ان من الموصولة اذا جعلت
للعموم واريد بها الشمول ثم جعلت الجموع التي ذكرت للعموم فالمعنى
حينئذ في بيان حكم كل فرد فرد ممن سب الله عز وجل وهذا لا اشكال
فيه لكن الخفاء فيما عطف عليه لانه يصير المعنى في بيان حكم كل فرد فرد
ممن سب كل فرد فرد من افراد الملائكة ومن افراد الرسل والكتب والال
والصحب فيبقى من سب بعض افراد من ذكر غير مذكور مع ان هذا
الباب مبين لذلك كله الثاني انه عطف هذه الامور بالواو المفيدة لمطلق
الجمع فيصير المعنى انه يبين حكم من سب هولاء على سبيل الاجتماع مع انه
يبين حكمهم اجتماعا وانفرادا حتى لو سب نبيا واحدا او ملكا واحدا يعلم
حكمه من ذلك الباب ووجه ازالة هذا الخفاء من الاول انه يعبر بالجمع
اي في حكم السابين والجمع اذا قوبل بالجمع يقتضي في بعض الحالات مقابلة
كل فرد من هذا بكل فرد من هذا فيصير التقدير حينئذ في بيان حكم
كل فرد ساب لنبي من الانبياء ونظيره في ذكر قوله عز وجل واستغشوا

ثيابهم اي استغشى كل منهم ثوبه وقوله حرمت عليكم امهاتكم اي حرمت
على كل واحد من المخاطبين امه ويعلم حكم من سب نبيين او اكثر بالطريق
الاولى وربما يقتضي ثبوت الجمع لكل فرد كما في قوله عز وجل فاجلدوهم
ثمانين جلدة وجعل العز بن عبد السلام منه قوله تعالى وبشر الذين امنوا
وعملوا الصالحات ان لهم جنات فان لكل واحد منهم جنات متعددة ولكن
ماهنا من القسم الاول واما ازالة الخفا من الثاني فلان العطف في هذا
المقام ينبغي ان يكون بالواو كما هنا لان هذه الواو من قبيل الواو الداخلة
في التقاسيم كقولنا مثلا الكلمة اسم وفعل وحرف والصواب في تلك الواو
انها على معناها الاصلي وهو مطلق الجمع لان الانواع مجتمعة في الدخول
تحت الجنس وههنا ساب الله تعالى وتقدس وساب الملائكة وساب
الرسل ونحو ذلك داخلون تحت بيان الحكم مجتمعون عليه ولا التفات الى ما
قال ابن مالك في التحفة انها في ذلك ونحوه بمعنى او ومن ذلك ايضا قوله من
كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل فان الواو في ذلك على بابها لان الكل
مجتمعون في الدخول تحت العداوة وليست بمعنى او في ذلك كما توهم
واختصر الكلام فيه اي صار الكلام فيه متصفا بالاختصار قيل هو قصر
اللفظ والمعنى والاقتصار قصر اللفظ فقط في خمسة فصول الواقع
هناك عشرة فصول وبتمامها ينجز الكتاب اي ينقضي ويختم وفي
الصحاح نجز الشي بالكسر ينجز نجزا اي انقضى وفني قال ابن عسر
حملك اي قابوس اضحى وقد نجزها اي انقضى وقت الضحى لانه مات في
ذلك الوقت

ذلك الوقت ونجز حاجته ينجزها بالضم قضاها انتهى فان قلت لم
اختار المصنف التعبير بصيغة باب الافتعال ولم يعبر بالمجرد
مع افادته المعنى وهو انقضا تاليف الكتاب والفراغ منه قلت
ليفيد المطاوعة فيفيد ان هذا التنجيز صار بفعلي فالتوزيع لنجزته
فانجز ولو عبر بالمجرد لما افاد ذلك فان قلت يغنيه التعبير بنجزت
المفتوح العين الذي هو على زنة نصرت فانه متعد فيفيد حصول
ذلك بفعله قلت نعم يغنيه ولكن لا يفيد ان الكتاب جا على مرادي
وطاوعني في مارمته وصار منقادا الى كما اردته فان الكسر الذي
تستفيده من قولك كسرت الحطب غير الكسر الذي تستفيده من
قولك انكسر فتامله وتتم الاقسام والابواب التي وعدنا بها ويلوح
في غرة الايمان لمعة منير يلوح مضارع لاح اي بدا وفي القاموس
ولاح بدا والبرق اومض وسهيل تلالا انتهى وعندي ان حمله على
هذا المعنى الثالث اولى اي يتلالا في غرة الايمان لمعة والغرة قال في
القاموس الغرة والغرغرة بضمهما بياض في الجبهة وفرس اغر
وغرا والاغر الابيض من كل شي انتهى والغرة التي وجبت في الجنين
هي عبد او امة باي لون كان وكان ابو عمرو بن العلا يقول الغرة عبد
ابيض او امة بيضا وسمي غرة لبياضه واكثر العلما على خلافه وفي
الحديث غر محجلون من اثار الوضوء الغر من الاغر وهو بياض الوجه
يريد بياض وجوههم بنور الوضوء يوم القيمة واللمعة في الاصل قطعة

من النبت اذا اخذت في اليبس وتطلق بطريق المجاز على قطعة من الجسد
لم يصبها الماء ومعنى منيرة بينة يقال انار الشي فهو منير ونار فهو
نير اي بين ومعنى ذلك انه يجوز ان يكون شبه الايمان بفرس لجامع
ان كل من سلك طريقه نجا كما ان راكب الفرس ناج من المهالك فالمتلبس
بالايمان ناج في الدارين والفرس المشبه به اغر لانه احسن انواع الخيل
وكذلك الايمان احسن الطرق المنجية فيكون ذلك استعارة مكنية
واثبات الغرة التي هي من لوازم المشبه به حيث اعتبرت داخلة في
التشبيه استعارة تخييلية وشبه كتابه الذي الفه في حقوق المصطفى
باللمعة المنيرة التي ظهرت في غرة الفرس فهي استعارة تصريحية وكنى بغرة
الايمان عن كتب القوم التي الفت في شؤون المصطفى صلى الله عليه وسلم
وكنى باللمعة عن كتابه فانه ظهر له من بين كتب القوم شان لم يثبت
لشي من كتبهم لانه جمع فيه ما تفرق في غيره ولم يخلطه بشي ما عدا ابواب
حقوق محمد صلى الله عليه وسلم الا على طريق الاستطراد فالمراد بظهور
اللمعة به انه ظهر له زينة وشان لم يوجدا في غيره ففاعل يلوح اللمعة
لا ضمير يرجع الى الكتاب كما توهم ويجوز ان يراد بالغرة مطلق البياض
وبالايمان الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم واضافة الغرة اليه
اضافة صفة الى موصوف اي في الدين الابيض النقي يلوح لمعة منيرة
وكنى باللمعة عن كتابه فدين الاسلام ابيض نقي وكتاب المصنف زاده نورا
ويجوز في تنكير لمعة ان يكون للتعظيم اي لمعة منيرة عظيمة وان يكون

هذا م

للتقليل

للتقليل اي لمعة منيرة قليلة بالنسبة الى مقامه الشريف ولكن لا
يلائمه كون الكلام في تفخيم شان الكتاب فان قلت يلزم ان يكون
المصنف جعل كتب القوم كالغرة وان كتابه لمعة منيرة بينها وان
ما سواه ليس بمنير بالنسبة اليه وهذا تعريض بذم كتب القوم قلت
لا يلزم من كون كتابه منيرا سلب النور عن كتب القوم غايته ان له
انارة خاصة لانه ذو اسلوب لم يلتزمه مصنف قبله فبهذا
الاعتبار ظهر له شان لا يشاركه فيه غيره **وفي تاج** متعلق بيلوح
التراجم درة خطيرة التاج قال في النهاية هو ما يصاغ للملوك من الذهب
والجوهر وفي القاموس التاج الاكليل ثم قال في مادة الاكليل هو التاج
وشبه عصابة تزين بالجوهر والتراجم جمع ترجمان بضم التاء
وفتحها وهو يترجم الكلام اي ينقله من لغة الى لغة اخرى والتاء فيه
قيل زائدة وعليه صاحب النهاية وقيل اصلية وعليه صاحب
القاموس والدرة اللؤلؤة العظيمة والخطيرة ذات الخطر بتحريك
الطاء اي الشرف وكنى بالتراجم عن كتب العلماء التي الفوها في شؤون
المصطفى صلى الله عليه وسلم سميت بذلك لانها مترجمة عن جلالة قدره
وذلك كدلائل النبوة لابي نعيم ودلائل النبوة للبيهقي وككتب السنن
فانها مترجمة عن احواله وايامه وسيرته وككتب السير فانها مترجمة
عن غزواته وعن آيات لا حصر لها وقعت له في غزواته فقد شبه
التراجم التي هي الكتب المذكورة بملك عظيم ذي تاج فهي استعارة مكنية

واثبات التاج لها استعارة تخييلية وذكر الدرة الخطيرة ترشيح للاستعارة
وانما شبه التراجم التي هي الكتب بالملك العظيم لانها اضحت ذات
قدر خطير ونذبت نفسها لمنزلة عالية ورتبة عزيزة غالية واي
منزلة اعظم من انباها عن قدر هذا النبي الكريم الذي من فهم سعد
سعادة لا يشقى بعدها ابدا وما قررناه اولى من جعل شبه التراجم
بالتاج على حد لجين الماء فان قلت لم كان مصنفه لكتب المولفين
كالدرة الخطيرة قلت فيه اشارة الى ان كتب القوم كافية في
حصول المراد بدليل ان الملك يتم امره بدون درة في تاجه الا ان الدرة
اذا وجدت زادت التاج بهاء والملك وهكذا احوال المصطفى صلى الله عليه [زينة ع]
وسلم تم بيانها بحسب القوة البشرية في كتب القوم الا ان المصنف
في هذا الكتاب زادها بها فهو اعم نفعا من دلائل النبوة للامامين اللذين
سبق ذكرهما لاشتماله على مباحث ليست موجودة فيهما وكتب السنن
ليست خاصة باحوال المصطفى من حيث حقوقه ولا يذكر فيهما ما
تجب له وتجوز وتمتنع عليه تزيح كل لبس اصل تزيح تزوح والزوح
الزوال والاذهاب اي تذهب هذه الدرة الخطيرة وتزيل كل لبس وجملة
تزيح كل لبس يجوز ان تكون صفة بعد صفة لدرة وان تكون حالا
اي حال كونها مزيلة كل لبس واللبس بضم اللام الشبهة اي تذهب كل
شبهة اي ان هذه الدرة التي كنى بها عن كتابه تذهب كل شبهة بنورها
وضيائها وتوضح كل تخمين وحدس في القاموس خمن الشي وخمنه

قال

قال فيه بالحدس او الوهم وفيه الحدس الظن والتخمين والتوهم في
معاني الكلام ويطلق الحدس على رتبة من مراتب الكشف هي عبارة
عن سرعة انتقال الذهن من المبادي الى المطالب وهي ادنى مراتب
الكشف ويقابله الفكر وله قضايا حدسيات وهي ما لا يحتاج العقل في
جزم الحكم فيه الى وسط بسبب تكرار المشاهدات كقولنا نور القمر مستفاد
من نور الشمس لاختلاف اشكاله النورية بحسب اختلاف اوضاعه من
الشمس قربا وبعدا لكن كل هذا غير مراد هنا وانما المراد به الحدس اللغوي
الذي هو الظن والتخمين ويشف صدور قوم مومنين قال حافظ اقليمنا
البرهان الحلبي كذا في النسخة التي وقفت عليها يشف بكسر الفاء بالقلم
وينبغي ان يكتب بالياء لانه مرفوع لم يتقدمه جازم قال ورايته بالياء في
نسخة بخط مغلطاي شيخ شيوخي اللهم الا ان يقال انه قصد التلاوة
فيكون صحيحا انتهى ثم ان قصد التلاوة في هذا المحل خفي لان الضمير
راجع الى الدرة وهي مونثة فينبغي ان يكون اللفظ وتشف بالتاء
المثناة من فوق فان الفعل المسند الى ضمير المونث تجب تانيثه
مطلقا سوا كان مرجع الضمير حقيقي التانيث ام مجازيه الا ما شذ
من نحو قوله فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها [من المتقارب]
اللهم الا ان يعود الى الدرة باعتبار كونها كناية عن الكتاب ثم ان القصد
الى التلاوة بعيد جدا وانما المراد ان يصف هذه الدرة الخطيرة بهذه
الاوصاف وهي جمل خبرية ويشفي مرفوع لا مقتضي لجزمه لكن لا اشكال انه

قصد الاقتباس من الاية الكريمة فان قلت الاقتباس ضربان قسم لم ينقل
فيه المقتبس عن معناه الاصلي بل معناه الذي وقع في المقتبس منه
مراد في الاقتباس وقسم نقل عن معناه الاصلي كقول ابن الرومي
من الهزج
لئن اخطأت في مدحيك ما اخطأت في منعي ❊ لقد انزلت حاجاتي بواد غير ذي زرع ❊
فان معناه في البيت غير معناه في القران لان معناه في القران واد لا
ماء فيه ولا نبات وقد نقله ابن الرومي عن هذا المعنى الى جناب لا خير فيه
ولا نفع قلت المعنى الذي اريد من الاية مراد هنا ايضا فان المراد
بيشف هنا وفي الاية واحد وكذا الصدور وكذا معنى القوم وان كان
المراد من القوم في الاية خزاعة والمراد بالقوم في عبارة الكتاب اي قوم
كانوا الا ترى انهم عدوا من هذا القبيل قول الحريري قلنا شاهت الوجوه
وقبح اللكع ومن يرجوه فالمراد بالوجوه في الحديث وفي مقامه هذا
العضو المخصوص وان كان ما صدق عليه الوجوه في الحديث وجوه
كفار قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين والوجوه في عبارة الحريري
صادق على وجوه قوم اخرين فهذا ليس من قبيل قول ابن الرومي ولا من
قبيل قول بعضهم في صبيح وجهه دخل الحمام يحلق راسه

هما من الطويل
❊ تجرد للحمام عن قشر لؤلؤ ❊ والبس من ثوب الملاحة ملبوسا ❊
❊ وقد جرد الموسى لتزيين راسه ❊ فقلت لقد اوتيت سؤلك يا موسى ❊

فان قلت يشف في الاية مجزوم على انه جواب الامر في قوله قاتلوهم وهو
هنا مرفوع فقد تغير لفظ الاية قلت تغيير يسير لا يضر لفظه

الاقتباس

الاقتباس فقد عدوا منه مع وقوع التغيير اليسير فيه قول الشاعر
من مخلع البسيط
قد كان ما خفت ان يكونا ❊ انا الى الله راجعونا ❊ والاية انا لله وانا
اليه راجعون والمراد بالمومنين الذين يشفى هذا الكتاب صدورهم
السقيمة فان التعبير بالشفاء يشعر بسقمها وقد وصفهم بكونهم
مومنين فان قلت المومن قلبه مشفي فكيف يشفى ما هو مشفي
قلت ان قلنا بقبول الايمان للزيادة فالمراد يزيده ايمانا او هو سقيم
بالوساوس والاوهام فيأتي هذا الكتاب بحجج الجلية واخباره
المرضية يذهب ذلك منها او يكون هولاء المومنون امنوا عن غير دليل
كان يكون ايمانهم تقليديا بناء على الاصح من صحة ايمان المقلد فيسمعون
ما في هذا الكتاب من الدلائل فيرتقون عن درجة الايمان التقليدي
الى الايمان الحاصل بالنظر فتشفى قلوبهم من سقم كان بها وهو
التقليد **ويصدع بالحق** اي يشق جماعات اهل الباطل بتقرير الحق
وايضاحه وقيل معنى يصدع يجهر بالحق ولا يقوله خفية بل يبرزه
والصديع في كلام العرب هو الصبح والمراد انه جعل عقيدة الاسلام
كالصبح ففرق هذا الكتاب الحق وجعله ممتازا من الباطل بحيث
لا يشتبه به ولا يلتبس يقال تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه قوله عز
وجل يومئذ يصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير
والمراد بكون هذا الكتاب يصدع بالحق في شان قوم ايمانهم مستند
الى دلائل ظنية يعتري الحق فيها خفاء فيأتي هذا الكتاب مقرر الحق

الابلج الواضح فيأتي الى ما فيه من الاحتمالات المرجوحة فيغرقها ولا يجعلها
تلابس الحق اصلا والمراد بالحق هنا دين الاسلام وهو المراد من قوله
عز وجل وقل جاء الحق وزهق الباطل يعني جاء دين الاسلام وذهب الشرك
وقوله عز وجل يحق الحق ويبطل الباطل اي يثبت الاسلام ويبطل
الشرك فان الحق ماخوذ من الثبات والمراد ان هذا الكتاب اثبت في
اذهان الواقفين عليه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اثباتا جليا فصار
امرا جهرا يعلم ولا ينكر وبذلك صار دين الاسلام جليا غير خفي **ويعرض**
عن الجاهلين اي الذين يجهلون الله عز وجل ورسوله صلى الله
عليه وسلم وشرائع الدين جهلا مفرطا بحيث يكون مستندهم مجرد
التقليد والحمية وهم الذين لا تنفعهم الايات ولا تغنيهم النذر فلا خلاص
لمن دينه تقرير الدلائل ودرء الشبه في شان هولاء الا الاعراض

> **نسخة**
> **وبالله تعالى لا اله سواه استعين**

او القتل بالسيف **وبالله تعالى لا سواه استعين** اي اطلب
المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية ما لا يتاتى الفعل بدونه
كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلته ومادة يفعل بها وعند اجتماعها
يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير
الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر
للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم
لا يتوقف عليه صحة التكليف ومراد المصنف طلب المعونة في
تكميل هذا الكتاب تاليفا وحصول ثمرته التي قصدها ثم ان في عبارة

> **مطلب**
> **نفيس**

المصنف

المصنف اشكالا من حيث جمع بين اداتي حصر لان تقديم المعمول على
عامله في قوله وبالله استعين مفيد للحصر والعطف بلا مفيد له وقد
منعوا ذلك في ما والا والنفي بلا فقالوا لا يجوز ان يقال ما ضربت الا
زيدا لا عمرا واما في الجمع بين تقديم المعمول وبين العطف بلا فلم اقف
على مانع له فيمكن ان يقال بالمنع قياسا على ما والا ويمكن ان يفرق
بينهما بان ما والا صريحة في الحصر وافادتها الحصر متفق عليها لم
يخالف فيها احد وافادة تقديم المعمول على العامل للحصر خالف فيها
جماعة منهم ابن الحاجب وايضا افادة ما والا الحصر كلي وافادة تقديم
المعمول على قول من قال بها اكثرية لا كلية وايضا في كون العطف
بلا يفيد الحصر خلاف فمنع افادته للحصر الشيخ السبكي في عروس
الافراح وبالجملة فمقصود المصنف التاكيد والتقوية هذا بناء
على نسخة وقفت عليها وفي نسخة اخرى لم يتعرض لهذا العطف بل قال
وبالله سبحانه لا اله الا هو استعين **القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى**
شانا ورفعة لا مكانا وتقدم منا شرح هذا التركيب في اجمال بيان الابواب
والاقسام **لعبد المصطفى قولا وفعلا** اما بالقول فيما نبه عليه في كتابه العزيز
من مدحه والثناء عليه وفي الكتب السالفة من جميل اوصافه واما بالفعل
فبما اظهر على يديه من المعجزات ونصره وتاييده واعلاء كلمته ورفعة
دينه واكرامه بارسال البراق اليه وصعوده الى منتهى يسمع فيه صريف
الاقلام الى غير ذلك مما لا يحصى **قال القاضي ابو الفضل** انما لم يقل قلت

اواقول الان هذه الجملة ليست من كلام المصنف وانما هي جملة اتي بها بعض
من حدثه المصنف بالكتاب فان المتقدمين من المصنفين كانوا
اذا القوا كتابا حدثوا به فمن حدثوه به يرويه عنهم بلفظ قال فلان عن
مصنف الكتاب كما ترى في نسخ صحيح البخاري يقول في صدر بعض
الابواب قال ابو عبد الله محمد بن اسمعيل حدثنا فلان واما ترجمة
المصنف وبيان مولده وبلده وذكر شي من اخباره فقد سبق ذلك
كله في صدر شرحي لهذا الكتاب كما جرت به عادة الشارحين من ذكر
تراجم مولفي المتون في صدر شروحهم وقد وقع من النووي في شرحه
لمهذب ابي اسحق الشيرازي ان ذكر ترجمة ابي اسحق في صدر شرحه
فلنا بمثل هذا الامام اسوة حسنة لاخفاء اي كل فرد فرد من
افراد الخفا منتف وانما جعلناه للعموم لان النكرة الواقعة في سياق
النفي مع تقدير من اوذكرها نص في العموم على من مارس اي على كل
فرد فرد من مارس شي والممارسة المعالجة والمزاولة اي على من عالج
وزاول شيا من العلم اي ما يصح ان يطلق عليه لفظ شي ويصدق
اسم شي عليه والشي لغة ما يصح ان يعلم ويخبر عنه عند سيبويه وفي
الاصطلاح هو الموجود الثابت المتحقق في الخارج وقيل الشي
عبارة عن الموجود وهو اسم لجميع المكونات عرضا كان او جوهرا
فشي الواقع في عبارة المصنف باق على تنكيره ولا يراد به شيا
قليلا فقط ولا شيا معتدا به فهو كشي المنفي في قول القائل ليس زيد

شيا الا شيا لا يعتد به اي ليس زيد منعوتا بما يطلق عليه لفظ شي الا هذا
القسم من اقسام ما يطلق عليه لفظ شي والمراد بالعلم الاصول والقواعد اي
على من مارس شيا من اصول الديانة وقواعدها اذ لا يراد بالعلم هنا
الملكة التي هي كيفية راسخة في النفس ولا [redacted] الصورة
الحاصلة في العقل لما لا يخفى او خص بادنى لمحة من فهم او هنا يجوز
ان تكون بمعنى الواو لان الذين انتفى عنهم الخفا قسمان الاول من
مارس شيا من العلم الثاني من لم يمارس العلم ولكن اوتي ادنى فهم
فانهما اجتمعا على الاتصاف بعدم الخفاء عليهما فكالم يخف على هذا لم
يخف على هذا ويجوز ان تكون او اضرابية بمعنى بل لكن على غير قول
سيبويه فانه اشترط في كونه او بمعنى بل اعادة العامل كما تقول
ما قام عمرو او ما قام زيد فلو قلت او زيد من غير اعادة العامل لم
يجز ذلك على قول سيبويه فيجوز ان تكون لمعنى بل على قول الكوفيين
الجيزين لمجيئها بمعنى بل مطلقا محتجين بقول جرير
ماذا ترى في عيال قد برمت بهم لم احص عدتهم الا بعداد
كانوا ثمانين او زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت اولادي
وفي هذا من الترقي ما لا يخفى لانه يصير ان ذلك الخفا منتف عن كل
ممارس لما يسمى شيا من العلم بل لا يقتصر في عدم خفائه على اهل
هذه الدرجة فيترقى الى ان ينفي خفاءه على من اوتي ادنى لمحة
من الفهم وادنى يطلق على ما يقابل الاكبر ويطلق ويراد به الارذل فيقابل

هامش البسيط

نعم اسك ادنى منك وانت اكبر منه
ويطلق ويراد به الاعلى فيقابل
الاكثر كقوله وشاادنى من ذلك
ولا اكثر

بالخير كقوله عز وجل اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير والكل من
مادة دنا وقيل في الاخير انه مقلوب من ادون من الدون وهو الردي
ومعناه اردى وفي تفسير القاضي واصل الدنو القرب في المكان فاستعير
للخسة كما استعير البعد في الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة
المحل واللمحة قال في القاموس لمح اليه كمنع اختلس النظر انتهى وحاصله
انه نظر لم يتمكن الناظر منه كما قال الشاعر فما هي الا لمحة وتغيب
ومثلها اللماة وهي بمعنى اللمحة وفي النهاية الاثيرية لماتها اي ابصرتها
ولمحتها واللمؤ واللمح سرعة ابصار الشي ومنه الحديث انه كان يلمح في
الصلوة ولا يلتفت انتهى ثم ان جعل اللمحة من الفهم على طريق الاستعارة
لان اصل وضع اللمحة انما يستعمل في البصر واستعملها المصنف في
ادراك البصيرة للذي لا يتمكن منه المدرك فهي استعارة تصريحية
والفهم تصور المعنى من لفظ المخاطب بتعظيم الله عز وجل قدر نبينا
اي فيه فالجار والمجرور خبر لا التي لنفي الجنس ويجوز ان تكون الباء
للملابسة اي لا لمحة ملتبس به وخصوصه اي الله عز وجل اياه اي
النبي صلى الله عليه وسلم فخصوص مصدر مضاف الى فاعله ومعناه تفضيله
اياه ففي القاموس خصه بالشي خصا وخصوصا فضله به بفضائل
ومناقب ومحاسن الفضائل جمع فضيلة وفي القاموس هي الدرجة
الرفيعة في الفضل وفسر الفضل بانه ضد النقص والمحاسن
خلاف المساوي كذا في الصحاح ولم يزد على ذلك وفي القاموس

المحاسن

المحاسن المواضع الحسنة من البدن الواحد كمقعد ولا واحد له انتهى
فقضيته ما فيه ان المحاسن وضع على المواضع الحسنة من البدن
وليس المراد هنا ذلك بل المراد به ما هو اعم من المحاسن البدنية
والروحية فاطلاق المحاسن على ذلك مجاز والمناقب جمع منقبة
وفي الصحاح المنقبة ضد المثلبة وفيه في باب الباء المثالب
العيوب واحدتها مثلبة فاذا اريد بالفضائل ما ذكرنا فعطف المحاسن
والمناقب عليها عطف خاص على عام لكن قد شاع استعمال الفضائل
في الدرجات الرفيعة في الفضل كالعلم والمعرفة والمحبة والشوق الى الله
عز وجل وتمييزه يوم القيمة على غيره من اولي العزم من الرسل بالشفاعة
العظمى في فصل القضاء واجلاس الله سبحانه وتعالى اياه على عرشه
واعطائه الحوض والكوثر وغير ذلك وشاع اطلاق المحاسن على ما
يكون راجعا من الكمالات الى ذاته كالحكمة والسخا والشفقة وحسن
الخلق والتواضع الى غير ذلك وشاع اطلاق المناقب على الامور الخارقة
للعادة كالقران واخباره بالمغيبات التي تاتي بعد مئين من السنين
وسعي الاشجار اليه وسلام الحجر عليه وتسبيح الحصا في يديه وتكلم البعير
له وحنين الجذع وتكثير الطعام ببركته واستجابة دعائه صلى الله عليه وسلم
ونحو ذلك مما سياتي اجمالا ونحن نفصله تفصيلا حسنا مع الاعتراف بالعجز
عن الاستقصاء لا تنضبط اي كل من الفضائل والمحاسن والمناقب
لزمام قال في الصحاح هو الخيط الذي يشد في البرة او في الخشاش ثم يشد

في طرف المقود وقد يسمى المقود زماما وزمام النعل ما يشد به
الشسع تقول زممت النعل وزممت البعير خطمته وفي القاموس
زمه فانزم شده وككتاب ما يزم به انتهى ويظهر لي ان هذه المقالة من
المصنف اوردها على طريق التمثيل لانه شبه الهيئة الحاصلة
لفضائل نبينا صلى الله عليه وسلم ومحاسنه ومناقبه بالهيئة
الحاصلة لدابة قوية كلما رام صاحبها ان يضبطها بزمام تغلبه
قوتها ومتانتها وهكذا شان فضائل نبينا صلى الله عليه وسلم
لكثرتها كلما رام اذهان ضابطي مناقب اهل الكمال وفضائلهم ضبطها
وحصرها غلبتهم كثرتها فالقتهم في مهامه العجز كذي دابة متينة
اذا رام ضبطها بزمام القته في دائرة العجز فهي استعارة تصريحية
تمثيلية فان قلت لو قلنا ان الزمام ما يشد به فهل هنا استعارة
ايضا قلت لا شك انه اراد بالزمام في هذا المقام الكلام الذي يحصر
الفضائل والمناقب والمحاسن فان شبهنا المقال بالزمام الذي
يشد به فهي استعارة تصريحية وان شبهنا الهيئة بالهيئة فهي
استعارة تمثيلية فعلى كل حال الكلام فيه استعارة سوا قلنا انها في
مجرد الزمام ام في الهيئة المنتزعة وانها من قبيل اراك تقدم رجلا
وتوخر اخرى فالقول بانه على تقدير ان الزمام ما يشد به لا استعارة
هناك غير مسلم **وتنوّه** يقال نوه به عرفه وشهره ورفع ذكره وكل من
المعاني جائز هنا فيجوز ان يراد تعريف الله عز وجل عباده برفعة مقامه

وان

وان يراد اشهاره الله عز وجل اياه بهذا القدر العالي وان يراد رفع الله عز وجل
مقامه ببيان هذا المقام العالي **من عظيم قدره** من اضافة الصفة
الى الموصوف اي من قدره العظيم وهو بيان لما الموصولة الواقعة في قوله
بما تكل عنه الالسنة والاقلام ولا يضر تقديم البيان على المبين لان من
البيانية في قوله من عظيم قدره ليست متعلقة بما وقع صلة بل هي
متعلقة بفعل من الافعال العامة والجار والمجرور في محل نصب حال
من ما الموصولة فالقول بانه بيان لمقدر يفسره قوله بما تكل مردود
وتكل معناه تعجز اخذا من كل السيف اذا نبا ولم يقطع وشبه به
عجز اللسان عن البيان بجامع ان كلا منهما عجز عما هو شانه فنسبة
الكلال الى اللسان على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وانما جمع
بين الالسنة والاقلام لان كلا منهما آلة بيان **فمنها ما صرح به** اي اظهره
تعالى **في كتابه ونبه به** اي بما صرح به في كتابه **على جليل نصابه** في القاموس
النصاب الاصل والمرجع والمعنى لذلك هنا لكن يظهر لي ان النصاب
ماخوذ من نصاب الزكوة وهو مقدار اذا بلغه المال وجبت فيه
الزكوة اي مقامه الذي وصل اليه صلى الله عليه وسلم وهو مقام ساد فيه
خلق الله عز وجل اجمعين اذ قال له ربه عز وجل عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا **واثنى** اي الله **به** اي بما صرح به في كتابه **عليه**
اي على نبيه صلى الله عليه وسلم واطلاق الثنا على الله عز وجل مجاز لان الثناء
لا يكون الا باللسان ومن اطلاقه عليه تعالى قوله صلى الله عليه وسلم

اعتراض على ابن حجر

لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك فقد استعمل الثنا في ما
له دلالة على اظهار كماله وهكذا ثناؤه على نبيه صلى الله عليه وسلم
يراد منه ما اظهره عز وعلا من صفات كماله في كتابه القديم الازلي
من مقالات دالة على علو شانه صلى الله عليه وسلم وفي حاشية شرح
المطالع للسيد الشريف واعلم ان القول المخصوص ليس حمدا مخصوصا
بل لانه دال على صفة الكمال ومظهر لها ومن ثمة قال بعض المحققين
من الصوفية حقيقة الحمد اظهار الصفات الكمالية وذلك قد يكون
بالقول كما هو معروف وقد يكون بالفعل قال وهذا اقوى لان الافعال
التي هي اثار السخا يدل عليها دلالة عقلية قطعية لا يتصور فيها
تخلف بخلاف الاقوال فان دلالتها عليها وضعية قد يتخلف عنها
مدلولها قال ومن هذا القبيل حمد الله عز وجل وثناؤه على ذاته وذلك
ان الله عز وجل حين بسط بساط الوجود على ممكنات لا تحصى
ووضع عليه فوائد كرمه التي لا تتناهى فقد كشف عن صفات كماله
تعالى وتقدس واظهرها بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية
فان كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليها ولا يتصور في العبارات
مثل هذه الدلالات ومن ثمة قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثنا عليك
انت كما اثنيت على نفسك انتهى والحاصل انا نقول ان الله عز وجل
اثنى على نبيه صلى الله عليه وسلم ولا يمكن ان يحمل ذلك باللسان
لاستحالة الجارحة عليه تعالى وتقدس فالمراد بالثنا عليه انه فعل به

افعالا

افعالا ونسب اليه في كتابه العزيز امورا دالة على صفة الكمال فيه صلى
الله عليه وسلم وهي اظهار لها فالاظهار المذكور ليس ثناء حقيقة لا لغة
ولا عرفا فيكون الاظهار المذكور لازما للثنا فيجوز ان يعبر عن اظهار صفات
نبيه صلى الله عليه وسلم الكاملة بالثنا تعبيرا عن اللازم بالملزوم فيكون
مجازا مرسلا **من اخلاقه وادابه** الاخلاق جمع خلق بضم اللام وسكونها
الدين والطبع والسجية وحقيقته انه لصورة الانسان الباطنة
وهي نفسه واوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته
الظاهرة واوصافها ومعانيها ولهما اوصاف حسنة وقبيحة
والثواب والعقاب يتعلقان باوصاف الصورة الباطنة اكثر
مما يتعلقان باوصاف الصورة الظاهرة ولهذا مدح الله عز وجل نبيه
صلى الله عليه وسلم بجميل الاخلاق كثيرا والاداب جمع ادب وفي القاموس
الادب هو الظرف وحسن التناول والمراد هنا الادب الشرعي
وهو اجتماع خصال الخير فالاديب هو الذي اجتمعت فيه خصال
الخير ومنه المادبة اسم للجميع وفي منازل السائرين للهروي الادب
حفظ الحد بين الغلو والجفا بمعرفة ضرر العدوان **وحض العباد**
على التزامه الحض الحث على الشي يقال حضه وحضضه
والاسم الحضيضا بالكسر والتشديد والقصر وفي الحديث فاين
الحضيضا يعني ان الله عز وجل حث العباد على ان يلتزموا اداب النبي
صلى الله عليه وسلم ويتخلقوا باخلاقه اذ هو من جملة ما الزمهم الله عز وجل

باتباعه في قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال فاتبعوه
لعلكم تفلحون والمراد بذلك ما كان من ادبه فرضا ونفلا فان قلت النفل لا
يلتزم اتباعه فيه قلت يلتزم متابعته في كونه نفلا فنحن نلتزم ما التزمه
فان التزمه امرا وكان فرضا فنحن نلتزمه كذلك وان التزمه نفلا فنحن
نلتزمه كذلك بمعنى انا نعتقده نفلا ونعمله كذلك والمراد ما حض على
التزامه ما كان من افعاله تشريعا دون الصفات الجبلية والنعوت
الطبيعية **وتقلد ايجابه** هو من اضافة المصدر الى مفعوله لان الايجاب
متقلد بفتح اللام ومعناه تقلد العباد ايجاب ما صرح الله عز وجل في
كتابه من اخلاقه وادابه فاضافة ايجاب الى الضمير من اضافة المصدر الى
مفعوله اي ايجاب الله عز وجل اياه اي ما صرح به في كتابه اي جعلوا
ايجاب الله عز وجل متابعة هذه الاخلاق في اعناقهم كالقلادة فشبه
التزامهم به بقلادة في عنق شخص بجامع الالتزام واطلق على ذلك الالتزام
اسم التقليد فكان استعارة تصريحية تبعية **فكان جل جلاله** جل معناه
عظم والجلال معناه العظمة اي عظمت عظمته فلم تضاهه عظمة غيره فغيره
وان كان جليلا فالله عز وجل له الجلال المطلق وهو ما كان راجعا الى
كمال الذات والصفات فاسناد جل الى جلاله يكون حقيقة عقلية لان
معناه ان جلاله الذي اتصف به جل عن مساواة جلال غيره او مداناته
ويجوز ان يكون المعنى ان الله عز وجل عظم وتعالى عن مساواة خلقه
لاجل اتصافه بالجلال المطلق ثم انه اسند جل الى جلاله فيكون من المجاز

العقلي

هكذا هو في اصل المصنف وحق العبارة ان يقول فكان الله عز وجل الخ ويأتي من الشرح ما يؤيده فكان الاولى الاتيان بكامل

العقلي من قبيل جد جده **فكان** اي الله عز وجل **هو الذي تفضل** اي من
واحسن **واولى** في النهاية الاثيرية كل من اعطيته شيئا ابتداء من غير مكافاة فقد
اوليته اي هو تعالى وتقدس الذي تفضل على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم
بمحاسن الاخلاق وجميل   ابتداء من غير سبق موجب **ثم طهر**
وزكى اي بعد ان منحه الله عز وجل تلك المحاسن طهره من الاخلاق المذمومة
وزكاه بالعصمة وباخراج حظ الشيطان منه **ثم مدح بذلك واثنى** ههنا
الفاظ متقاربة المعنى متباينة المغزى ولا بد من الفرق بينها وهي الثنا
والشكر والحمد والمدح فالثنا الذكر بالخير مطلقا قال الراغب الثنا ما
يذكر من محاسن الناس فيثنى حالا فحالا والشكر الثنا على المحسن بما اولاكه
من المعروف والحمد ضد الذم والمحمود من كثرت خصاله المحمودة والمدح
الثنا الحسن فالثنا هو القدر المشترك بين المفهومات الثلاثة
قال الامام المدح اعم من الحمد لان المدح يحصل للعاقل وغيره والحمد لا يحصل
الا للفاعل المختار على ما يصدر منه من الاحسان والفضايل وقال
الراغب كل حمد مدح وليس كل مدح حمدا والحق ان المدح يطلق على الثنا
الخاص الذي هو الوصف بالجميل سوا كان اختياريا ام غيره ومقابله
الذم وقد يخص بعد الماثر ويقابله حينئذ الهجو اي عد المثالب فالحمد
مخصوص بالجميل الاختياري والمدح يعمه وغيره يقال مدحت اللؤلؤة
على صفائها ولا يقال حمدتها وانما قال اثنى بعد قوله مدح مع ان مدح
اغنى عنه لرعاية السجعة لا لما توهمه بعضهم ان ذلك ليشمل الثنا الجميل

الذي ليس اختياريا لان مدح يشمل الاختياري وغيره فالمراد بقوله تفضل
تفضل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم بما تفضل عليه من الكمالات
الذاتية والمكتسبة وكذا قوله طهر وزكى اي طهر الله عز وجل نبيه صلى
الله عليه وسلم من المعاصي وزكاه بان عصمه منها وكذا المراد ان الله عز
وجل مدحه واثنى عليه بقوله عز وجل انك لعلى خلق عظيم ونحو ذلك
والقول بانه اراد التفضل من الله عز وجل علينا به صلى الله عليه وسلم ثم
تطهيرنا به اذا اكمل لنا به الدين ثم مدحنا بتطهيره ايانا ذلك التطهير
بقوله اليوم اكملت لكم دينكم مما لا يلايم هذا المقام كل الملايمة لان المقام
يقتضي ان يتكلم المصنف فيما من الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم
لا فيما من به الله عز وجل علينا فان قلت ثم هنا للتراخي في الزمان
او في الرتبة قلت بل هي للتراخي في الزمان لان زمن تطهيره صلى الله
عليه وسلم وتزكيته متاخرة بمهلة عما تفضل عليه به من محاسن
الاخلاق الجبلية لان ظهور تفضل الله عز وجل عليه بها كان حاصلا
من حين نشاته اذ كان طفلا صغيرا وكذا مدحه له وثناؤه متاخر
زمنا عن تطهيره وعصمته والمراد ظهور ذلك للمخلوقين لا حصوله
في علم ربنا عز وجل فان ذلك قديم لا يتصف بتقدم ولا تاخر **ثم اثاب**
اي الله عز وجل **عليه** اي على ما تفضل الله عليه به **الجزا الاوفى** اثاب
معناه جازى وفي الحديث اثيبوا اخاكم اي جازوه على صنيعه يقال
اثابه يثيبه اثابة والاسم الثواب ويكون في الخير والشر الا انه بالخير

اخص

اخص واكثر استعمالا وحينئذ يكون نصب قوله الجزا الاوفى على انه مفعول
مطلق للنوع وعامله موافق له معنى على حد قولهم قعدت جلوسا
وليس اثاب مضمنا معنى اعطى فان اثاب اذا كان معناه جازى
فهو متعد لمفعولين قال الشاعر ° اني جزوا عامرا سوأى بفعلهم ° (في الهامش: بيت — مصراع من البسيط)
والجزا الاوفى الوافي التام يقال استوفيت المال اذا اخذته تاما
وافيا منه قال ابو الهيثم يقال وفى الكيل ووفى الشي اذا تم واوفيته
اتممته فالاوفى بصيغة اسم التفضيل معناه الاتم الاكمل **قوله المفضل**
بدأ وعودا الفا تفريعية على ما سبق من ان الله عز وجل هو الذي
تفضل عليه واولاه الاخلاق الجميلة والمحاسن الجبلية ثم انه نسب
ما تفضل به الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه من عليه تعالى بالجزا الاوفى
فكانه هو المتفضل في الابتدا والانتها قال بعضهم من عظيم نعمته عليك
ان خلق فيك ونسب اليك وبدأ وعودا منصوبات على الظرفية والبدء
الابتدا والعود الانتها والمراد بالابتدا حالة الخلق والايجاد والمراد بالانتها
يوم القيمة حين يجازي العباد على ما فعلوا وهو المراد بالبدء والعود
في قول الله عز وجل وما يبدئ الباطل وما يعيد المراد بالباطل ابليس اي
لا يخلق ابليس ولا يبعث والله عز وجل هو المبدئ المعيد اي الخالق
الباعث **وله الحمد اولى واخرى** اي في الدنيا والاخرة ان قلت اولى
واخرى اسما تفضيل لانهما مونثا اول واخر وهما اسما تفضيل وان لم
يكن لهما فعل تقول زيد اول من عمرو وهذا اول من هذا فاذا الحقت ال قلت

الأول والأولى والآخر والأخرى كالأفضل والفضلى فاذا اضفتهما قلت
اولاهن واخراهن قال تعالى قالت اولاهم لأخراهم ولكونه وصفا منع
من الصرف للوصفية ووزن الفعل فكذلك مونثه يكون وصفا فيكون
اسم تفضيل فما بال المصنف اتى باولى واخرى منكرتين بدون ال والاضافة
وفعلى التي تكون وصفا وهي التي تكون مونثة افعل لا تستعمل الا باحدهما
فكما يمتنع ان تقول خرج افضل بل يجب ان تقول الافضل او افضلهم
فكذلك يمتنع ان تكون فعلى هذه غير مصاحبة اما لال واما للاضافة ولذلك
خطاوا ابا نواس في قوله كأن صغرى وكبرى من فواقعها
حصباء در على ارض من الذهب ۞ قلت اولى واخرى وان كانا اسمي
تفضيل لكنهما قد غلبا اسمين لهاتين الدارين فصارا بمنزلة الاسمين
وترك فيهما معنى التفضيل كما قالوا بمثل ذلك في دنيا في قوله
في سعي دنيا طالما قد مدت ۞ فسقطت منها الالف واللام لاجل ان
الدنيا وان كانت تانيث الادنى لكنها قد غلبت وصارت بمنزلة الاسماء
فترك اعتبار معنى التفضيل فيها كما ان الابطح لما غلب ونزل منزلة
الاسماء جمع جمعها فقيل الاباطح كما يقال الارامل فكانت اولى واخرى
بمنزلة حبلى وخنثى وانثى ورجلى فان قلت اما يجوز ان يجاب عن ذلك
بان اولى واخرى ليس من قبيل فعلى افعل التفضيل الذي اريد به
التفضيل ليستعملا بال والاضافة لزوما نحو هند الفضلى او فضلى
النساء بل هما من قبيل فعلى افعل التفضيل الذي لم يرد به ذلك وما كان منه

فالكثير

فالكثير فيه عدم المطابقة وربما طابق قلت لا باس بهذا الجواب الا انه يعكر
علينا امران الاول ان مجيء اسم التفضيل عاريا عن معنى التفضيل
الاصح انه مقصور على السماع كما نص عليه ابن مالك في تسهيله فيحتاج
على هذا القول الى ثبوت سماع في اولى واخرى مجردين عن معنى التفضيل
الثاني ان معنى التفضيل ظاهر فيهما اما الاولى وهي هذه الدار التي نحن
الان فيها فهي اسبق من البرزخ بالنسبة الى المصير الحقيقي التفضيل من
ذلك لزوم الافراد والتذكير فيه اكثر من المطابقة ووقوعها بالمطابقة قول ابن عمر
اذا غاب عنكم اسود العين كنتم ۞ كراما وانتم ما اقام الائم ۞
اي لئام وقد اول بذلك قول ابي نواس كان صغرى وكبرى من فواقعها
فيكون صحيحا لانه تانيث اصغر واكبر بمعنى صغير وكبير لا بمعنى
التفضيل فالمجيب بذلك مرتكب دعوى السماع فيهما او الذاهب
الى ما لم يرجحه مثل ابن مالك وهو الامام الجليل ومرتكب ما هو خلاف
الاكثر مع ان قوله بخلوه عن معنى التفضيل مردود كما قررنا فتامل
ومنها ما ابرزه اي اظهره للعيان وفي القاموس لقيته عيانا اي معاينة
لم يشك في رويته اياه والمراد بذلك ما ابرزه لاجل مشاهدة الناس حتى
شاهد محاسنه من راها بعين راسه ثم نقلها الى من لم يرها فعلمها
بالتواتر ثم نقلت كذلك ثم نقلت كذلك وهلم حتى وصلت الينا فعلمنا ها
علما ضروريا لان مستند علمنا التواتر كما سياتي تقرير ذلك في مواضع
متفرقة والتواتر يفيد العلم الضروري من خلقه بفتح الخا وسكون اللام

والاخرى التي هي المصير حقيقي اكثر تاخرا بالنسبة الى الدنيا من البرزخ على ان ما كان عاريا غير صحيح

مصدر مضاف الى مفعوله اي من خلق الله عز وعلا اياه اي محمدا صلى الله عليه
وسلم وفي نسخة من خلقه بضم الخا والاولى اصح لانه في صدد تعديد
كمالاته البارزة للعيان والمراد به الحسن الظاهر واما الخلق بضم الخاء
فلا يدركه الا البصيرة نعم تدرك اثار الخلق الجميل بالبصر ولعله على هذه
النسخة ذكر الخلق واراد اثاره الناشئة منه **على اتم وجوه الكمال والجلال**
الجار والمجرور على نسخة خلقه بفتح الخا متعلق بمحذوف على انه صفة
لمفعول مطلق محذوف والتقدير من خلقه خلقا كائنا على اتم وجوه
الكمال ويجوز ان يكون حالا من الضمير المجرور المنصوب محلا في قوله
خلقه اي من خلق ربه عز وعلا اياه كائنا على اتم وجوه الكمال واما على
نسخة خلقه بضم الخا فهو متعلق بمحذوف تقديره من خلقه المطبوع
على اتم وجوه الكمال ويجوز تقدير مضاف قبل خلقه فالتقدير من ابراز
خلقه على اتم وجوه الكمال فيكون الجار والمجرور حالا من خلقه والمراد
بوجوه الكمال التي هو اتمها الوجوه الممكنة الداخلة في حيز الامكان فوجود
مخلوق يكون اكمل من محمد صلى الله عليه وسلم مستحيل وقوعا والجلال العظمة
والرفعة **وتخصيصه بالمحاسن الجميلة** في القاموس المحاسن
المواضع الحسنة من البدن الواحد محسن كمقعد ولا واحد له
والجميلة المتصفة بالجمال وهو الحسن في الخلق والخلق كذا في القاموس
والاخلاق الجميلة الاخلاق جمع خلق بضم اللام وسكونها قال في
النهاية هو الدين والطبع والسجية قال وحقيقة الخلق انه لصورة

الانسان

الانسان الباطنة وهي نفسه واوصافها ومعانيها المختصة بها
بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة واوصافها ومعانيها ولهما اوصاف
حسنة وقبيحة والثواب والعقاب متعلقان باوصاف الصورة
الباطنة اكثرمما يتعلقان باوصاف الصورة الظاهرة **والمذاهب**
الكريمة المذاهب جمع مذهب وهو المسلك اي المسالك التي سلكها
في شؤونه واخلاقه وعباداته ومسايرته مع الخاصة والعامة
موصوفة بانها كريمة ومعنى كريمة يجوز ان يكون عزيزة اخذا من
قولك له على كرامة اي عزازة وان يكون معناها المنزهة عن
النقائص اخذا من قولهم تكرم عنه وتكارم اي تنزه وان يكون معناها
المذاهب الطيبة اخذا من قولهم ارض كريمة اي طيبة **والفضائل**
جمع فضيلة وهي الدرجة الرفيعة فهي بهذا المعنى تشمل الفواضل
وهي كما في القاموس الايادي الجسيمة او الجميلة **العديدة** اي
المعدودة المذكورة في معرض المفاخرة اخذا من قولهم فلان عديد
بني فلان اذا كان يعد فيهم ويذكر كذا في الصحاح **وتاييده** اي تاييد
الله عز وجل اياه اي تقويته وتايد الشيء تقوى ورجل ايد اي قوي
قال الشاعر اذا القوس وترها ايد رمى فاصاب الكلى والذرى
بالمعجزات جمع معجزة وهي اسم فاعل ماخوذ من الاعجاز وهو اثبات العجز
الذي هو ضد القدرة استعير لاظهاره ثم اسند مجازا الى ما هو سبب
عادة في اظهار العجز وجعل اسما له فالتا في المعجزة للنقل من الوصفية

مطلوبة اي المذاهب التي تطلبها النفس الكاملة اخذا من قولهم
استكرم الشيء طلبه وان يكون
معناها المنزهة عن النقائص

من المتقارب

بحث حسن في حقيقة المعجزة فقف عليه كذا كتب

للاسمية كما في لفظ الحقيقة وقيل للمبالغة كتا علامة وذكر امام الحرمين بناء
على مذهب الاشعري ان هنا تجوزا اخر وهو استعمال العجز في عدم القدرة
كالجهل في عدم العلم فان حقيقة الجهل وجودية وهي اعتقاد الشي على
خلاف ما هو عليه وكذا العجز هو في الحقيقة معنى وجودي اذ هو ضد
القدرة ويتعلق بالوجود وبما من شانه ان يقدر عليه فلا يقال عجز
الحجر عن الابصار ولا عن الكلام ولا يقال ايضا عجز الزمن عن القعود
لانه وجد منه اضطرارا وكذا معارضة الذين ارسل اليهم الرسل ان وجدت
فهي اضطرارية فكيف والمعارضة لم تقع اصلا والمعجزة في عرف
المتكلمين امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة واوضح من
هذا ان يقال انها امر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي
المنكرين على وجه يدل على صدقه ولا يمكنهم معارضته **الباهرة** اي التي
شانها بهر الابصار في جلا امرها ووضوح دلالتها على صدق هذا النبي الكريم
وفي الصحاح بهر القمر اضاء حتى غلب ضوءه ضوء الكواكب ويقال قمر
باهر قال جرير ٭ وقد بهرت فلا تخفى على احد ٭ الا على احد لا يعرف القمرا ٭ **من البسيط**
وبهرت فلانة النسا غلبتهن بحسنها **والبراهين الواضحة** هي جمع برهان
وهو القياس المولف من اليقينيات سوا كانت ابتدا وهي الضروريات
او بواسطة وهي النظريات والبراهين التي استدل لنا بها على صدق
نبينا صلى الله عليه وسلم كلها براهين انية لا لمية لان مثل القران ونبع الما
من اصابعه وانشقاق القمر له وتسليم الحجر عليه انما هي علة لثبوت صدقه

في الاذهان لا في الخارج واما علة صدقه في الخارج فليس الا تفضل ربه
عز وجل عليه ومنه وارساله بالحق المبين رحمة للعالمين لان البرهان
لا بد فيه ان يكون الحد الاوسط علة لنسبة الاكبر الى الاصغر فان كان مع ذلك
علة لوجود تلك النسبة في الخارج فهو برهان لمي كقولنا هذا متعفن
الاخلاط وكل متعفن الاخلاط فهو محموم فهذا محموم فتعفن الاخلاط
كما انه علة لثبوت الحمى في الذهن كذلك هو علة لثبوت الحمى في الخارج وان لم
يكن كذلك بل لا يكون علة للنسبة الا في الذهن فهو برهان اني كقولنا
هذا محموم وكل محموم متعفن الاخلاط فهذا متعفن الاخلاط فالحمى
وان كانت علة لثبوت تعفن الاخلاط في الذهن الا انها ليست علة له في
الخارج بل الامر بالعكس **والكرامات البينة** هي امور خارقة للعادة اكرمه
الله عز وجل بها وليست معجزة لتقدمها على دعوى النبوة وشرط المعجزة
ان تكون مقارنة لدعوى النبوة ولو حكما السحب وذلك كارتجاس ايوان
كسرى ونطق كل بهيمة في مكة ليلة مولده وظهور انوار اضاءت لها
قصور بصرى ليلتئذ فمثل ذلك يعد كرامة ومن هذا القبيل نطق عيسى عليه
السلام في المهد ويسمى مثل ذلك ارهاصا اي تاسيسا للنبوة **التي شاهدها**
من عاصره اي شاركه في عصره اي دهره وايامه **وراها من ادركه**
اي وصل اليه والمراد بالجملة الاولى ان الذين شاركوه في معظم ايامه
شاهدوها كالصديق والفاروق وعثمان وعلي ونحوهم رضي الله عنهم
فهولاء يقال انهم معاصروه اي مشاركوه في معظم ايامه كما ينبئ عنه صيغة

باب المفاعلة وبالجملة الثانية من وصل اليه وادركه ولم يشاركهم في معظم
ايامهم كجمع كسلمة بن الاكوع وابي هريرة وانس وصيغة ادرك تنبئ
عن ذلك فلا وجه لنسبة كلام المصنف الى الكشو وهب ان الجملة
الثانية بمعنى الاولى فالمقام مقام اسهاب لانه في صدد تقرير ان ما اتى به
من الخوارق امر علم وتحقق وعلمه كل احد وقد قالوا ان التكرير من محاسن
الفصاحة وقد قيل ان الكلام اذا تكرر تقرر وقد يفيد التكرير التاكيد
ومنه قول مؤمن آل فرعون يا قوم يا قوم كرر ها مرات للتنبيه
فان قلت ما الفرق بين التكرير والتاكيد قلت هو يجامعه ويفارقه
ويزيد عليه وينقص عنه فصار اصلا براسه فانه قد يكون التاكيد
تكرارا نحو هيهات هيهات لما توعدون وقد لا يكون تكرارا نحو ولا
تعثوا في الارض مفسدين ورب تكرير لا تاكيد فيه كما اذا وقع فصل
بين المكررين نحو اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله
ونحو ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك فمثل هذا من التكرير
وليس من التاكيد لان التاكيد لا يقع بينه وبين مؤكده فصل
ومن ذلك ما كان لتعدد المتعلق بان يكون المكرر ثانيا متعلقا بغير ما
تعلق به الاول ويسمى هذا القسم بالترديد ومن هذا القبيل قوله عز وجل
فباي آلاء ربكما تكذبان فانها وان تكررت نيفا وثلاثين مرة فكل واحدة
تتعلق بما قبلها ولذلك زادت على ثلاثة ولو كان الجميع عائدا الى شيء
واحد لعدها من قسم التاكيد اللهم الا ان يفرق بين تاكيد يكون تابعا وتاكيد

يفيد

يفيد تقوية وقد فرق بينهما الكمال السبكي في عروس الافراح وعلمها علم يقين
من جا بعده اي ادركها ادراكا يقينيا فاضافة العلم الى اليقين اضافة عام
الى خاص كشجر الاراك بنا على تفسير العلم بالصورة الحاصلة عند العقل واما
اذا فسرنا العلم بانه الاعتقاد الجازم المطابق فهو ايضا من اضافة العام
الى الخاص لان اليقين في اللغة العلم الذي لا شك فيه وفي الاصطلاح
اعتقاد الشيء بانه كذا مع اعتقاد انه لا يمكن الا كذا مطابقا للواقع غير
ممكن الزوال فالقيد الاول جنس يشمل الظن والثاني يخرج الظن
والثالث يخرج الجهل المركب والرابع يخرج اعتقاد المقلد المصيب
فاليقين اخص من العلم على هذا ايضا واليقين عند اهل الحقيقة روية
العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان وقيل مشاهدة الغيوب بصفا
القلوب وملاحظة الاسرار بمحافظة الافكار ولو اريد باليقين ما
يشمل هذا المعنى لكان شيئا حسنا لان اصحاب هذه الرتبة اعتقدوا
كمالات محمد صلى الله عليه وسلم اعتقادا جازما مع اعتقاد انه لا يمكن ان
يكون الا كذلك ولا يمكن زواله وليس علم من بعدهم بها وما انتهى اليهم
من حقيقة ذلك مخصوصا بالتواتر لان المفيد للعلم اليقيني اشياء
متعددة منها المتواتر وهو يفيد العلم الضروري الذي هو اخص من
اليقين لان كل ضروري يقيني وليس كل يقيني ضروريا فمما يفيد
العلم اليقيني النظر ومما يفيده الخبر المشهور بل القراءة المشهورة
تجوز القراءة بها وان لم تبلغ حد التواتر بل القراءات الثلاث التي هي فوق

السبع مشهورة لم تبلغ حد التواتر وقد جوزوا القراءة بها في الصلوة وغيرها
ولم يعدوها من الشواذ كما صرح به ابن الجزري في نشره بل خبر الواحد
يفيد العلم النظري اليقيني اذا انضمت اليه قرينة يقطع السامع مع
وجودها بصدق الخبر كاخبار ملك عن موت ولده المريض عنده مع قرينة
البكا واحضار الكفن والات الدفن ونحو ذلك حتى انتهى علم حقيقة
ذلك الينا بالعلم اليقيني فبعضه بل اكثره بالتواتر المعنوي واللفظي
وفاضت انواره علينا فانا معشر المتاخرين عن زمنه تاملنا اياته
التي منحه ربه اياها منها القران الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه ومنها ما اخرجه اكثر من خمسمائة مصنف من اثبات العلماء
الراسخين والاتقيا الكاملين عن امثالهم وهلم جرا الى زمنه والى من
شاهدها عيانا من خوارق جمة كانشقاق القمر وسعي الشجر
وتسبيح الحصا ونطق الذئاب ونبع الما من اصابعه الكريمة واخباره
بالمغيبات وتكثير الطعام القليل وارتجاف الجبل وحنين الجذع
وغير ذلك مما لا يحصى فعلمنا ان الله عز وجل ارسله رحمة للعالمين
وعلمنا ان في اتباعه والتاسي بسيرته واقتفا اثاره سعادة لا
انتها لها فمن تبعه وتاسى به ارتقى في الدنيا الى مدارج الولاية وادرك
منازل الصديقين واصبح في جيش المقربين وكان ربه عز وجل سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به كما نطق بذلك الحديث القدسي
المروي في صحيح البخاري فظهرت من سالكي طريقته معارف حيرت الالباب

وكرامات

وكرامات سطرت في دواوين العلما وخوارق تداولتها السن الخاصة
والعامة فمن متبعيه من مشى على الما ومنهم من مشى في الهواء ومنهم من
صلى الصبح في سمرقند والظهر في مكة ومنهم من صلى المغرب في خراسان
وصلى صبح تلك الليلة في مكة وها انت تشاهد انواره ظاهرة على امته
سيما من دينه التاسي به والاقتدا بهديه اللهم لا تحرمنا من انواره
وامتنا ونحن من متبعي اثاره صلى الله عليه وسلم كثيرا حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله هو الامام الحافظ [هنا ابن سكن]
ابو علي الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصدفي السرقسطي الاندلسي
المعروف بابن سكرة استشهد في وقعة قتندة بثغر الاندلس
لست بقين من شهر ربيع الاول سنة اربع عشرة وخمسمائة وله نحو
من ستين سنة قراة مني عليه انما صرح بذلك ليعلم وجه التحمل فان
صيغة حدثنا انما تستعمل في من سمع من لفظ الشيخ واما من قرا على
الشيخ فلا ياتي بحدثنا وانما ياتي باخبرنا فان قال المتحمل قراة على الشيخ
حدثنا فلا بد ان يقيد بقوله قراة عليه وهل له ان يقول حدثنا من غير
تقييد بقوله قراة فيه خلاف فذهب عبد الله بن المبارك واحمد بن
حنبل والنسائي فيما حكاه عنه المصنف في الالماع وتبعه
ابن الصلاح في ذلك الى منع اطلاقها من غير تقييد لذلك وقال القاضي
ابو بكر انه الصحيح ونقل عن مالك وابي حنيفة رضي الله عنهما جوازه
من غير تقييد وذهب الشافعي رضي الله عنه الى اطلاق اخبرنا دون

حدثنا ولا شك ان القراءة على الشيخ احد وجوه التحمل عند الجمهور وابعد
من ابى ذلك من اهل العراق وقد اشتد انكار الامام مالك رضي الله
عنه وغيره من المدنيين عليهم في ذلك حتى بالغ بعضهم فرجحها
على السماع من لفظ الشيخ وذهب جمع جم منهم البخاري وحكاه في
اوائل صحيحه عن جماعة من الائمة الى ان السماع من لفظ الشيخ والقراءة
عليه يعني في الصحة والقوة سواء والله اعلم وقيد المصنف بقوله
قرئ عليه للاشارة الى انه هو بنفسه القارئ على الشيخ لا ان غيره قرا وهو
يسمع فان ذلك نوع اخر من انواع التحمل وهو في الرتبة مساو
لما اذا قرا بنفسه على الشيخ لكن المصنف انما قيد به لبيان الواقع
قال حدثنا الحسين بن المبارك بن عبد الجبار هذا هو كما قال
الامير ابو نصر بن ماكولا في اكماله هو صديقنا ابو الحسين بن المبارك
ابن عبد الجبار بن احمد يعرف بالحمامي بفتح الحاء المهملة والميم المخففة
سمع ابا علي بن شاذان وخلقا كثيرا بعده وهو من اهل الخير والصلاح
واظن والده حدث عن ابن شاذان انتهى وابو الفضل احمد بن
الحسن بن خيرون هو بغدادي باقلاني سمع ابا علي بن شاذان
وابا بكر البرقاني وخلقا روى عنه شيخه الخطيب ابو بكر وابو علي بن
سكرة وابو عامر العبدري ثقة عدل متقن توفي في رجب سنة ثمان
وثمانين واربعمائة وله اربع وثمانون سنة وشهر رحمه الله عز وجل
وخيرون بفتح الخاء المعجمة ثم مثناة تحت ساكنة قال البرهان الحلبي وقد

رايت

ابن خيرون

رايت عن المزي ان الاصل في خيرون الصرف ولكن المحدثون لا يصرفونه
لشبهه بجمع المذكر السالم انتهى ومراده بترك الصرف منع دخول الكسر
والتنوين عليه لانه منقول من جمع المذكر السالم والنون في هذا
الجمع مفتوحة ولا تكسر الا للضرورة كقوله • عرين من عرينة ليس منا
برئت الى عرينة من عرين ه عرفنا جعفرا وبني ابيه • وانكرنا زعانف اخرين ه
ولا يريد بكونه غير منصرف ان فيه علتين من تسع او واحدة تقوم مقامهما
فان هذا الجمع لا يؤثر في منع الصرف اذ ليس على صيغة منتهى الجموع قال
حدثنا ابو يعلى البغدادي هو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر
المعروف بابن زوج الحرة قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب هو ابو العباس
المحبوبي المروزي راوي جامع الترمذي قال حدثنا ابو عيسى بن
سورة الحافظ الترمذي هو صاحب الجامع الشهير ولد اكمه سمع قتيبة
وابا مصعب وتعلم الفن من البخاري مات في رجب سنة تسع
وسبعين ومائتين قال الذهبي ثقة جامع ولا التفات الى قول ابي محمد
ابن حزم فيه في الفرائض من كتاب الايصال انه مجهول فانه ما عرفه
قال البرهان الحلبي ولا شك ان تجهيل الترمذي يضر ابن حزم ولا عكس
قال وقول الذهبي ما دري بوجود الجامع في حفظي اني رايت في المحكم
وربما بساقه من عند الترمذي من جامعه وترمد التي ينسب اليها
هذا الامام بفتح المثناة من فوق وكسر الميم وهذا هو المتداول بين
اهلها والثاني كسرها والثالث ضمها وهو الذي يقوله اهل المعرفة

الترمذي
الحافظ

بيتان من الوافر

قال حدثنا ابو يعلى البغدادي هو عبد ... الذي ... عيسى بن ... الترمذي
النسبة الى ... ابو العباس ... ابو ... الامام

قال النووي في تهذيبه في ترجمة ابي جعفر الترمذي والذي ذكره الحافظ
ابو الخير السخاوي ان فيها ست لغات تثليث التاء مع كسر الميم او
ضمها واعجام الذال وكان مونثر لقرية بوغ بضم الموحدة وغين معجمة
احدى قرى ترمذ على ستة فراسخ منها حدثنا اسحق بن منصور
هو الكوسج توفي سنة احدى وخمسين ومائتين هو ثقة مامون قال
حدثنا عبد الرزاق هو الحافظ عبد الرزاق بن همام بن نافع ابو بكر الصنعاني
احد الاعلام توفي سنة احدى عشرة ومائتين عن خمس وثمانين سنة
اخرج له اصحاب الكتب الستة وهو احد الاعلام الثقات قال اخبرنا
معمر هو بفتح الميمين واسكان العين بينهما وهو معمر بن راشد
ابو عروة البصري عالم اليمن ثقة له اوهام كثيرة معروفة احتملت له في
سعة ما اتقن توفي في رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائة باليمن
اخرج له الجماعة قال معمر طلبت العلم سنة مات الحسن البصري ولي
اربع عشرة سنة عن قتادة هو ابن دعامة بن قتادة بن عزيز بن
عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن سدوس بن شيبان السدوسي
من اهل البصرة كنيته ابو الخطاب كان اعمى وكان من علماء الناس بالقران
والفقه وكان من حفاظ اهل زمانه جالس سعيد بن المسيب اياما
فقال له سعيد قم يا اعمى فقد نزفتني وجالس الحسن ثنتي عشرة سنة
يروي عن انس بن مالك روى عنه شعبة والناس مات بواسط على
قدر فيه سنة سبع عشرة ومائة عن انس هو ابن مالك خادم النبي
صلى

صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبناء للمفعول اي اتاه جبريل
بالبراق على زنة غراب هي الدابة التي هي مركوبة سيد المرسلين صلى
الله عليه وسلم ليلة الاسراء وركبها الانبياء مشتق من البرق الذي يلمع
في الغيم سمي براقا لنصوع لونه وشدة بريقه وقيل لسرعة حركته
لشبهها ببرق السحاب كما روي في حديث المرور على الصراط فمنهم
من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس
الجواد وفي الصحيح انه دابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع
خطوه عند منتهى طرفه ويوخذ من هذا انه اخذ من الارض الى السماء
في خطوة والى السموات السبع في سبع خطوات وبه يرد على من
استبعد من المتكلمين احضار عرش بلقيس في لحظة واحدة
وقال انه اعدم ثم وجد وعلل بان المسافة البعيدة لا يمكن قطعها في
هذه اللحظة وهذا اوضح دليل على الرد عليه وفي شرح مسلم للمصنف
سمي براقا لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان في خلال صوفها
الابيض طاقات سود وقد وصف في الحديث بانه ابيض وقد
يعد من نوع الشاة البرقاء وهي معدودة في البيض قيل ان وجهه
كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه
كذنب الغزال لا ذكر ولا انثى اي ليس له آلة الذكور ولا آلة الاناث
لانه على اسلوب الملائكة لم يخلق بالتوالد وانما خلق بامر الله عز وجل
واما قول جبريل له يا براق لا تنفري فهو ناظر الى كونه دابة فانثه بهذا

بهذا الاعتبار لا باعتبار انه ذو فرج فكان كتانيث ظلمة ونقل ان جسده
كجسد الانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوايمه
كقوايم الابل واظلافه كاظلاف البقر وصدره كانه ياقوتة وظهره
كانه درة بيضا وله جناحان في فخذيه يمر كالبرق كذا قاله الثعلبي
ليلة اسري بالبنا للمفعول اي اسرى الله عز وجل به فليلة ظرف للاتي
وافاد ان الاسرا كان ليلا فقيل كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر
وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب وبه جزم النووي في الروضة
في باب السير وخالف في الفتاوى فقال انها ليلة سبع وعشرين
من ربيع الاخر تابعا في ذلك المصنف وعن الماوردي انه في شوال
وانما كان الاسرا ليلا لتظهر الخصوصية بين جليس الملك ليلا
وجليسه نهارا وكان سن النبي صلى الله عليه وسلم حين اسري به
خمسين سنة وتسعة اشهر واسري معناه سير ليلا يقال سرى
واسرى اذا سار ليلا فسرى واسرى لغتان كسقى واسقى قال الشاعر

من البسيط

اسرت عليه من الجوزا سارية … تزجي الشمال عليه جامد البرد

وقال من الكامل

حي النضير وربة الخدر … اسرت الي ولم تكن تسري

فجمع بين اللغتين في البيتين وفرق بعضهم بين اسرى وسرى قائلا
ان اسرى سار من اول الليل وسرى سار من اخره والاول اعرف
ثم انهم اختلفوا في المعراج والاسرا هل كانا في ليلة واحدة ام لا
وايهما كان قبل الاخر وهل ذلك كان في اليقظة او في المنام او بعضه

في اليقظة وبعضه في المنام او انه اسري به ولا يقال يقظة ولا مناما
حكى هذا ابن قيم الجوزية في الهدي وهل كان المعراج مرة او مرات
وقد انكر هذا الاخير ابن القيم في الهدي وقال مغلطاي في سيرته الصغرى
ان الاسرا كان في اليقظة بجسده وانه مرات وانه راى ربه عز وجل
بعيني راسه ملجما مسرجا حال من البراق وفيه ضمير يرجع اليه لان
الحال المشتقة تتحمل ضميرا يرجع الى ذي الحال فان قلت البراق مذكر
ام مونث قلت في نفسه ليس بذكر ولا انثى وقد وقع في كلام
نبينا صلى الله عليه وسلم ما يشعر بتذكيره وما يشعر بتانيثه ففي الصحيح
انه دابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه
وفي الحديث وانا احشر على البراق اخص به دون الانبيا عليهم
الصلوة والسلام ففي هذه الاحاديث عاد اليه ضمير المذكر وفي الحديث
الذي ذكره المصنف اعاد اليه ضماير مذكرة وقد وقع في بعض
الروايات عود الضمير اليه مونثا وكلا الامرين جايز فانه ليس هنالك
تانيث حقيقي وقد قال عبد القاهر في شرح تكملة ابي علي الفارسي
اعلم ان الاسم قد يجي ذا به التذكير والتانيث لانه لما لم يكن هنالك تذكير
حقيقي ولا تانيث جاز ان تكون الكلمة محمولة على لفظ التانيث مرة
وعلى التذكير اخرى الا ان التذكير اولى من حيث انه الاصل انتهى
فان قلت تانيث البراق باي اعتبار يكون اما اللفظ فانه مذكر
وما صدق عليه لفظ ليس مونثا حقيقيا قلت تانيثه باعتبار اطلاق

انه البراق مذكر او مونث

الدابة عليه وقد ذكر ابن الاثير في نهاية ان دابة يجوز تذكيره
وتانيثه اما تانيثه فقد وقع في القران في قوله عز وجل وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها وقد وقع تذكيره في حديث
الجساسة في قصة الدجال من حديث تميم الداري رضي الله عنه
ان الجساسة دابة اهلب ولم يقل هلبا وقد وقع في بعض
الروايات دابة هلبا فان قلت ايجوز الامران في مثل جبريل
وميكائيل قلت هناك يتعين التذكير وليس مراد عبد القاهر بقوله
اولى انه يجوز الوجه الاخر كما يقتضيه صيغة اولى بل مراده
ان ملاحظته اولى وقد يصير ذلك الاولى متعينا واما البراق
فلولا ملاحظة انه دابة لما جاز فيه الامران فافهم فان قلت
كيف لا يكون البراق ذكرا ولا انثى وقد قال ربنا عز وجل ومن كل شيء
خلقنا زوجين فانه يدل على ان في البراق ذكرا وان غيره انثى
قلت ليس المراد في الاية بالزوجين الذكر والانثى وانما المراد
به نوعين يشير بذلك الى ان التعدد من خواص الممكنات وان
الواجب بالذات لا تعدد فيه ولا يقبل التعدد والانقسام ولا شك
ان البراق انواع متعددة وصدق عليه انه ذو نوعين وليس عاما
مخصوصا ولا عاما اريد به المخصوص كما توهم فافهم فاستصعب
اي البراق عليه اي على نبينا صلى الله عليه وسلم اي صار صعبا والصعب
العسر الابي وفي رواية اخرى فشمس عليه البراق اي نفر والدابة
الشموس

الشموس هي النفور من الدواب الذي لا يستقر لشغبه وحدته
وفي رواية لابن سعد في شرف المصطفى فكان الذي امسك
بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل عليهما الصلوة والسلام قال
ابن بطال انما شمس لبعد عهده بالانبياء عليهم السلام وطول الفترة
بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قال السهيلي في الروض الانف
قال جبريل حين شمس به البراق لعلك يا محمد مسست الصفراء
اليوم فاخبره صلى الله عليه وسلم بانه ما مسها الا انه مر بها فقال تبا لمن
يعبدك من دون الله عز وجل قال وما شمس الا لهذا ذكر هذه
الرواية ابو سعيد النيسابوري في شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم
وقد ذكر الصفراء في مسند البزار وانها كانت صنما بعضه من
ذهب فكسرها نبينا صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وفي تفسير الثعلبي
في سورة سبحان ان جبريل عاتب البراق في شماسه فقالت
البراق انه مس الصفراء ويحتمل ان يكون مسها مهينا لها وربما اراد
كسرها فما امكن او مسها لغير ذلك من المصالح اللائقة كان مسها
منكرا مستقذرا على ان حافظ عصره الشهاب بن حجر جزم بان هذا
الحديث من الاخبار الواهية وقال ابن المنير انما استصعب
البراق تيها وزهوا بركوب النبي صلى الله عليه وسلم عليه واراد جبريل
استنطاقه فلذلك خجل وارفض عرقا وقريب من ذلك رجفة الجبل
به حتى قال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فانها

هزة طرب لا هزة الغضب وقيل لان البراق لم يسبق لاحد ركوبه بعينه فلم يذلل وقال الجنيد شمس خوفا من ان يقع منه تقصير في اعطاء النبي صلى الله عليه وسلم حقه اللائق به ويمكن ان يكون انما شمس ليعده بان يكون مركوبه في الجنة كحنين الجذع فانه لم يهدأ حتى وعده بان يكون شجرة في الجنة **فقال له** اي للبراق **جبريل** هو الملك الكريم رسول رب العالمين قال النووي فيه تسع لغات حكاهن ابن الانباري وابن الجواليقي وفي القاموس فيه اربع عشرة لغة قال فيه وجبريل اي عبد الله فيه لغات كجبرعيل وخرقيل وخبرعل وسمويل وجراعيل وجبراعل وكجبرعل وخرشعال وطرهبال وبسكون البا بلا همز جبريل وبفتح البا بلا همز جبريل وبيائين جبرييل وجبرين بالنون وبكسر قال النووي قال جماعات من المفسرين وصاحب المحكم والجوهري وغيرهما من اهل اللغة في جبريل وميكال ان جبر وميك معناه بالسريانية عبد فتقديره عبد الله قال ابو علي الفارسي هذا الذي قالوه خطا من وجهين احدهما ان ايل وال لا يعرفان في اسماء الله عز وجل والثاني انه لو كان كذلك لم يتصرف اخر الاسم في وجوه العربية ولكان اخره مجرورا ابدا كعبد الله قال النووي وهذا الذي قاله ابو علي هو الصواب فان ما زعموه باطل لا اصل له انتهى لكن في القاموس ايل بالكسر اسم لله عز وجل قال شيخ اشياخنا الجلال السيوطي اخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال

جبرئيل

جبريل عبد الله وميكائيل عبد الله وكل اسم فيه ايل فهو معبد لله عز وجل واخرج ابن جرير عن عبد الله بن الحرث قال ايل الله بالعبرانية واخرج ابن ابي حاتم عن عبد العزيز بن عمير قال اسم جبريل في الملائكة خادم الله عز وجل فان قلت لم منع من الصرف للعجمة والعلمية وهو تركيب اضافي والتركيب الاضافي لا يمنع من الصرف قلت لعله في تلك اللغة العبرانية لا يلاحظ فيها شوق تراكيبنا العربية ولعل الاضافة في لغتهم على اسلوب اخر وهو عليه السلام المعبر عنه في الصحيحين بالناموس وقع ذلك في حديث المبعث قال اهل اللغة الناموس صاحب سر الرجل الذي يطلع على باطن امره وقيل الناموس صاحب خبر الخير والجاسوس صاحب خبر الشر **الحمد** متعلق بقوله **تفعل هذا** اي الاستصعاب والشماس وانما قدم الجار والمجرور للاشارة الى الحصر اي انكر عليك هذا الفعل في محمد صلى الله عليه وسلم بخصوصه ولا انكر ذلك عليك في غيره فان قلت غيره ممن يركب على البراق نبي ايضا فلو فعل البراق هذا به لاستحق ان ينكر عليه انكار توبيخ قلت نعم لكن لا يبلغ مبلغ انكاره عليه في شان النبي صلى الله عليه وسلم كما يشعر به العلة الاتية وهذا استفهام انكاري توبيخي وهو ان يكون ما بعده واقعا لكن ينبغي ان ينفى فالنفي فيه قصدي والاثبات ايضا قصدي بخلاف الاستفهام الانكاري الابطالي فان الاثبات فيه ليس قصديا والنفي قصدي ثم ان الاستفهام الانكاري التوبيخي يتضمن نفيا كما قلنا فكانه قال لا ينبغي

ان تفضل محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه علل النفي بقوله فما ركبك احد اكرم
على الله عز وجل منه اكرم اسم تفضيل من الكرم والكريم قال في النهاية
الاثيرية هو الجامع لانواع الخير والشرف والفضائل ومنه قول نبينا
صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب لانه اجتمع
له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الاخلاق ورياسة الدنيا
والدين انتهى لكنه لم يدان في ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم كما هو مقرر
والنفي هنا متوجه الى القيد فقد نفى كون راكبه اكرم من نبينا صلى الله
عليه وسلم فيدل على ان غير نبينا صلى الله عليه وسلم ركبه فان الذات الموصوفة
بوصف اذا نفيت فقد يكون النفي للصفة فقط كما هنا ومنه وما
جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام فالنفي توجه الى قوله لا ياكلون الطعام
فصار المعنى هم جسد ياكلونه فهو من قبيل

هذي الحرائر لا ربات اخمرة سود المحاجر لا يقرأن بالسور

وقد يكون الى الذات والقيد معا ومنه قوله عز وجل لا يسالون الناس
الحافا اي لا سوال لهم اصلا فلا يحصل منهم الحاف ومنه ما للظالمين من
حميم ولا شفيع يطاع اي لا شفيع لهم اصلا بدليل فما لنا من شافعين
وهذا الحديث لا يدل قطعا على ان البراق ركبه غير نبينا صلى الله عليه وسلم
من الانبياء لجواز ان يكون النفي متوجها الى القيد والمقيد لكن قامت
دلائل على ان البراق ركبه غير نبينا صلى الله عليه وسلم ففي رواية للنسائي
في هذا الحديث وكانت اي البراق تسخر للانبياء قبله ونحوه في حديث

ابي سعيد

ابي سعيد عند ابن اسحق ففي هذه الروايات دلالة على ان البراق كان
معدا لركوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام خلافا لمن نفى ذلك كابن دحية
واول قول جبريل فما ركبك احد اكرم على الله عز وجل منه اي ما ركبك احد
قط فكيف يركبك اكرم منه وجزم السهيلي ان البراق انما استصعب
عليه لبعده بركوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبله قال النووي رحمه الله
قال الزبيدي في مختصر العين وتبعه صاحب التحرير كان الانبياء عليهم
الصلوة والسلام يركبون البراق قال وهذا يحتاج الى نقل صحيح ثم ان
النقل ذكرناه انفا ويؤيده ظاهر قوله في رواية الصحيحين فربطته
بالحلقة التي تربط بها الانبياء عليهم الصلوة والسلام ووقع في المسند
لابن اسحق من رواية وثيمة في ذكر الاسرا فاستصعب البراق
وكانت الانبياء عليهم الصلوة والسلام تركبها قبلي وكانت بعيدة
العهد بركوبهم لم تكن ركبت في الفترة وفي مغازي ابن عائذ من طريق
الزهري عن سعيد بن المسيب قال البراق هي الدابة التي كان يزور
ابرهيم عليها اسمعيل عليهما الصلوة والسلام فان قلت لعله يرد على
النووي رحمه الله ما رواه القرطبي في تذكرته عن ابن عباس ومقاتل
والكلبي في قوله عز وجل الذي خلق الموت والحيوة ان الموت والحيوة
جسمان فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشيء الا مات ولا يجد ريحه
شيء الا مات وخلق الحيوة على صورة فرس انثى بلقاء وهي التي
كان جبريل والانبياء عليهم الصلوة والسلام يركبونها خطوها مد البصر

فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشي تجد ريحها الا جي وفي التذكرة ايضا ان
البراق يركبه الانبياء عليهم الصلوة والسلام مخصوص بذلك في ارضه
قلت تكرر هذا الايراد على النووي الا ان يرد بسند صحيح وقد عد الحافظ الشيخ
شهاب الدين بن حجر ان هذا الحديث من الاحاديث الواهية والنووي
يطلب حديثا صحيحا فان قلت هل ركب جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم
او ركب نبينا وحده ولم يركب معه جبريل قلت قد وقع في حديث حذيفة
عند احمد بن حنبل رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالبراق فلم يزايل ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس فلم
يسنده حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد
ويحتمل ان يكون قوله هو وجبريل يتعلق بمرافقته في السير لا في الركوب
قال ابن دحية وغيره معناه وجبريل قائدا او سائقا او دليلا قال
وانما جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة لنبينا صلى الله
عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها قال الشهاب بن حجر العسقلاني ويرد
التاويل المذكور ان في صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود ان جبريل
حمله على البراق رديفا له وفي رواية الحارث في مسنده اتي بالبراق
فركبه خلف جبريل فسار بهما فهذا صريح في ركوبه معه وايضا فان
ظاهره ان المعراج وقع والنبي صلى الله عليه وسلم على ظهر البراق الى ان
صعد السموات كلها ووصل الى ما وصل ورجع وهو على حاله وفيه نظر
لان الروايات صريحة في انه نزل وصلى ببيت المقدس وانه ركب

الرفرف

الرفرف وانه دخل الجنة ولعل حذيفة انما اشار الى ما وقع في ليلة
الاسرا المجردة التي لم يقع فيها معراج فان من المقرر ان الاسراء وقع
مرتين وقع في احداهما معراج وفي الاخرى لم يقع ثم ان مقتضى القاعدة
الشرعية في الترادف وهي ان صاحب الدابة احق بصدرها وقد
وقع في سنن ابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل انت احق
بصدر دابتك الا ان تجعله لي وقد رواه ابو داود وسكت عنه
فهو عنده صالح قال العراقي في الفيته عن سنن ابي داود
وما به وهن شديد قلته   وحيث لا فصالح خرجته ه
والمراد بالصالح الصالح للاحتجاج ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم هو صاحب
البراق واخرج الترمذي من حديث بريدة وقال فيه حسن غريب وقد
اخرج احمد بن حنبل رضي الله عنه في مسنده من حديث قيس بن سعد بن
عبادة ومن حديث عمر بن الخطاب قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
صاحب الدابة اولى بصدرها وقد روى الطبراني في الاوسط من رواية
محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن ابيه ان جبريل اتى نبينا صلى الله
عليه وسلم بالبراق فحمله بين يديه الحديث قال الطبراني لا يروى عن ابن
ابي ليلى الا بهذا الاسناد انتهى قال البرهان الحلبي ابن ابي ليلى
معطل ومحمد سيء الحفظ قال ثم اني رايت في مسند ابي يعلى حديثا
قال فيه ابو يعلى حدثنا هدبة بن خالد وشيبان بن فروخ قال حدثنا
حماد بن سلمة عن ابي حمزة عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق فركبته خلف جبريل فذكر
الحديث فهذان نقلان في المسئلة وهما متعارضان وحديث ابي يعلى
فيه ابو حمزة وهو القصاب قال احمد في شانه متروك الحديث وفيه كلام
لغير احمد رضي الله عنه بالتضعيف ولو صح الجمع بينهما بانه تارة ركب هذا
ذهابا وتارة ركب النبي صلى الله عليه وسلم وحده ايابا او بالعكس هذا
ان قلنا ان الاسرا مرة وان قلنا انه متعدد فالجمع سهل هذا وانا اقول
يظهر لي ان جبريل حين لقي النبي صلى الله عليه وسلم بالبراق لم يكن نبينا صلى الله عليه
وسلم مما الف ركوبه وهو دابة ركوبها عسر على من هو في دائرة البشرية
فاردفه خلفه ليذهب عنه روع ركوبها مع ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو
صاحب الدابة وهو احق بصدرها لكنه اردفه خلفه لتطمئن نفسه لا
لانه احق فلما تالف صلى الله عليه وسلم عليه واطمان فيه ركوبه ركب امام
جبريل عليه السلام او ان جبريل مشى وحينئذ يكون قوله في حديث
ابن مسعود حمله على البراق رديفا له فرديفا حال من الضمير المنصوب
في حمله العائد الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا ضير في ذلك ولا ينافي كون
صاحب الدابة احق بصدرها لما قررنا ولا يحتاج الى ان يؤول بانه
حال من الضمير المرفوع في حمله العائد الى جبريل فتامله فان قلت
قول جبريل فما ركبك احد اكرم الى الله منه فيه نفي للاكرم ولا يلزم منه
نفي المساوي قلت هذه العبارة باعتبار مدلولها المطابقي تدل
على نفي الافضل فقط لكن باعتبار العرف تستعمل في نفي الافضل

مطلب في انواع التفضيل

والمساوي

والمساوي له في العلم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم اذ هو اقرب مذكور يمكن
عود الضمير اليه اذ لا يمكن عوده الى جبريل وعوده الى انس خلاف الظاهر
لانه لم يشاهد ذلك وان اخبر به فهو مخبر عن البراق بواسطة النبي صلى الله
عليه وسلم والمخبر الاصلي مذكور في الكلام فعود الضمير اليه متعين وعوده الى
غيره خلاف الظاهر فارفض عرقا على زنة احمر في القاموس الرفض
العرق ثم قال وارفضاض الدموع تفرقها وفي النهاية الاثيرية ثم
ارفض عرقا اي جرى عرقه وسال ثم سكن وانقاد وترك
الاستصعاب ومنه حديث الحوض حتى يرفض عليهم اي يسيل هذا
وان حديث استصعاب البراق رواه كما ترى الترمذي وقد حسنه
واخرجه ايضا احمد بن حنبل والبيهقي الباب
الاول في ثنا الله عز وجل عليه اي وصف الله عز وجل اياه بالمدح
وفي القاموس الثنا بالفتح والتثنية وصف بمدح او ذم او خاص
بالمدح وقد اثنى عليه وثنى واظهار عظيم قدره لديه من كونه عز وجل قال في
شانه ما لم يقله في شان نبي مرسل ولا ملك مقرب كقسمه به وقسمه
له وامره الناس والجن باتباعه وذكر نعوته التي لم يبعث بها نبي ومن
كونه عز وجل فعل به افعالا لم يفعلها مع نبي غيره كاسرائه ومعراجه
وظهور سطوته على الجن والانس فان قلت ما الفرق بين ثنا الله
عز وجل عليه واظهار عظيم قدره لديه قلت الفرق بينهما عموم
وخصوص من وجه فانه لا يخفى ان كون قدره صلى الله عليه وسلم عظيما

امر اضافي اي بالاضافة الى ساير الانبيا وليس المراد اظهار عظيم قدره
بالنسبة الى ساير الناس فان ذلك امر معلوم وانما المراد بيان عظيم
قدره بالنسبة الى ساير النبيين فان الثنا خاص بالقول فيجتمعان
في مثل قوله تعالى ورفع بعضهم درجات فانه تعظيم قدر وثنا من الله
عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم وينفرد الثنا عنه في مثل بل جاء
بالصدق وصدق المرسلين فانه ثنا من الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه
وسلم وليس فيه اشعار بتعظيم قدره على غيره من النبيين واسراؤه
به ومعراجه فيه اظهار تعظيم قدره على غيره اذ لم ينل هذه المرتبة غيره
وليس فيه ثنا لانه ليس بالقول فعطف قوله واظهار عظيم قدره
لديه على قوله ثنا الله عز وجل عليه عطف مباين على مباين مباينة
جزئية لان الامرين اللذين بينهما عموم من وجه متباينان تباينا
جزئيا اعلم ان في كتاب الله العزيز عز وجل اي الغالب وهو صفة لكتاب
وانما كان القران غالبا لانه غلب فصحا العرب الذين يفتخرون
بالفصاحة فجعلهم في مقام الحيرة ويجوز ان يكون صفة لله عز وجل
لانه اسمايه عز وجل العزيز وفي النهاية الاثيرية هو الغالب القوي
الذي لا يُغلَب والعزة في الاصل القوة والشدة والغلبة ايات
كثيرة هي جمع اية قال الجعبري الاية قران مركب من جمل ولو تقديرا
ذو مبدا ومقطع مندرج في سورة واصلها العلامة ومنه قوله عز وجل
ان اية ملكه لانها علامة للفصل والصدق او الجماعة لانها جماعة من
الكلمات

مطلب في معنى الاية

الكلمات وقال غيره طايفة من القران منقطعة عما قبلها وما بعدها
وسميت بالاية لانها علامة على صدق من اتى بها وعلى عجز المتحدى بها
وقيل لانها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاع ما بعدها
قال الواحدي وبعض اصحابنا يجوز على هذا القول تسمية اقل من
الاية اية لولا ان التوقيف ورد بما هي عليه الان والصحيح ان الاية
انما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السورة قال بعضهم فالاية
طايفة من حروف القران علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذي
بعدها في اول القران وعن الكلام الذي قبلها في اخر القران وعما قبلها وما
بعدها في غيرهما غير مشتمل على مثل ذلك قال وبهذا القيد خرجت السورة قال
الزمخشري الايات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه مفصحة بجميل ذكر
المصطفى في القاموس افصح تكلم بالفصاحة وفي النهاية افصح عن الشي
افصاحا اذا بينه وكشفه فان قلت قضية ذلك ان افصح يتعدى بعن
والمصنف قد عداه بالبا قلت لعل البا فيه بمعنى عن بنا على الاصح ان
مجيها بمعنى عن لا يختص بمادة السوال كما قيل بذلك وقد جا من غير مادة
السوال قوله عز وجل فاسال به خبيرا اي عنه ويجوز ان يضمن مفصحة
معنى ناطقة وناطق يتعدى بالبا يقال نطقت بكذا ونسبة النطق الى
الايات مجاز عن الدلالة وعد محاسنه اي تفصيلها وتعظيم امره
وتنويه قدره في الصحاح ناه الشي ينوه اذا ارتفع فهو نايه ونوهته
تنويها اذا رفعته ونوهت باسمه اذا رفعت ذكره اعتمدنا منها اي من

يوم ترى المومنين والمومنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
ومن مادة السوال قوله عز وجل

من تلك الآيات **على ما ظهر معناه وبان فحواه** المراد بالمعنى المنطوق
وبالفحوى المفهوم فان الذي يستفاد من اللفظ ان استفيد من حيث
النطق به يسمى منطوقا وظهور المعنى شامل لان الايات دلت على رفعة
قدره صلى الله عليه وسلم نصا حيث افادت ذلك مع عدم احتمال غيره او كانت
دلالتها على ذلك ظاهرة حيث كانت محتملة لغير ذلك فان قلت المصنف
وصفها بالظهور فلا ينبغي ان يشمل ما كان نصا قلت ليس المراد
بالظهور في عبارة المصنف الظهور الذي اصطلح عليه الاصوليون
المقابل للنص بل المراد بالظهور ما ليس خفيا وهو شامل للنص
والظاهر الذي اصطلح عليه الاصوليون وان استفيد من اللفظ
لكن لا من حيث النطق به بل من حيث السكوت اللازم للفظ يسمى
مفهوما والاصوليون يقسمون مفهوم الموافقة وهو ما وافق
فيه حكم المسكوت حكم المنطوق الى قسمين الاول يسمونه فحوى الخطاب
وهو ما وافق حكمه حكم الاصل بالاولى فان معنى الفحوى مفهوم الشيء
على سبيل القطع قال الجوهري انه بالقصر والمد قال الزمخشري في
الاساس فحوى الكلام ما يفهم منه من النحو وهو ايراد القرآن وفي
القاموس فحوى الكلام وفحواؤه كغلوائه معناه ومذهبه مثال
ذلك قوله عز وجل ولا تقل لهما اف فان معناه ومنطوقه تحريم التافيف
ومفهومه وفحواه النهي عن الضرب ونحوه من باب اولى وان كان
مفهوم الموافقة مساويا للمنطوق سماه الاصوليون لحن الخطاب اي

معناه

معناه كما قال تعالى ولتعرفنهم في لحن القول هذا اصطلاح الاصوليين
واما من حيث اللغة فالمعنى والفحوى واللحن الفاظ مترادفة لكن ينبغي
ان يحمل كلام المصنف على انه اراد بالمعنى المنطوق وبالفحوى المفهوم
مطلقا بمعنى شامل للفحوى واللحن ولو اريد المعنى في كلام المصنف
في الموضعين لزم التاكيد والتاسيس خير منه على انا لو جعلنا
الفحوى في عبارة المصنف شاملة لمفهوم المخالفة الذي هو حجة
عندنا معشر الشافعية لم يكن بعيدا فان كثيرا من تنويه قدر نبينا
صلى الله عليه وسلم مستفاد من ايات القرآن بطريق مفهوم المخالفة
فان قلت المصنف مالكي وقد نقل امام الحرمين في المعالم عن مالك
رضي الله عنه انه لا يحتج بمفهوم المخالفة قلت لكن نقل القاضي عبد الوهاب
وهو من اجلاء المالكيين في الملخص عن اصحاب مالك رضي الله عنه انه
حجة قال وانه ظاهر قول مالك على ان حجة الاسلام خالف شيخه
فنقل عن مالك انه يحتج به وكذا الآمدي والرازي في محصوله فان قلت
الفحوى الف تانيث فلم لم يؤنث الفعل المسند اليه قلت لان
تانيثه غير حقيقي مع ان تذكير الفعل اولى لمشاكلة ظهر او انه ذكر
لملاحظة لفظ نحوى وهو المعنى ومن الاصول الشائعة في كلام العرب
الحمل على المعنى فتارة يذكرون المؤنث اذا كان معناه مذكرا وتارة
يؤنثون المذكر اذا كان معناه مؤنثا ولكن الاول احسن فانه رد
فرع الى اصل **وقد جمعنا ذلك في عشرة فصول الفصل**

الفصل الاول

الاول وفيما جا من ذلك مجي المدح والثنا عطف الثنا على المدح عطف
عام على خاص لان المدح اخص من الثنا فكل مدح ثنا وليس كل ثنا
مدحا وتعداد المحاسن قال البرهان الحلبي هو منصوب معطوف على
مجي كذا في الاصل الذي وقفت عليه والذي يظهر الجر انتهى واقول
الاصل المذكور ان صح عزوه الى المصنف فوجه النصب اما على انه
حال من فاعل جا اي جا من ذلك معددا المحاسن نحو جا زيد ركضا اي
راكضا واما على حذف مضاف هو مفعول مطلق اي مجي تعداد المحاسن
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب اعرابه واما وجه
الجر فظاهر كقوله تعالى لقد جاكم رسول من انفسكم الاية اي اقرا الاية
ولم يذكر باقيها مع انه محل شاهد ايجازا قيل ان هذه الاية اخر ما نزل
على نبينا صلى الله عليه وسلم كذا قاله القاضي البيضاوي ونقله القرطبي
عن ابي بن كعب لكن اقول روى البخاري عن البرا بن عازب قال اخر اية
نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة واخر سورة نزلت سورة
براة واخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اخر اية نزلت اية
الربا وروى البيهقي عن عمر مثله والمراد بها قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا واخرج النسائي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال اخر شي نزل من القران واتقوا يوما ترجعون فيه الى
الله قيل كان بين نزولها وبين موت النبي صلى الله عليه وسلم احد
وثمانون يوما وقال سعيد بن جبير اخر ما نزل من القران كله واتقوا
يوما

يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية
تسع ليال فان قلت هذه الروايات متنافية فبايها ناخذ قلت لا
منافاة في اية الربا واتقوا يوما لان الظاهر انها نزلت دفعة واحدة
كترتيبها في المصحف فانها قصة واحدة فاخبر كل عن بعض ما نزل بانه
اخر وهو صحيح وقول البرا اخر ما نزل اية الكلالة اي في شان الفرايض
قال القاضي ابو بكر الباقلاني في الانتصار هذه الاقوال ليس فيها شي
مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وكل قال بما قال بضرب من الاجتهاد وغلبة
الظن ويحتمل ان كلا منهم اخبر عن اخر ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم في
اليوم الذي مات فيه او قبل مرضه بقليل وغيره سمع منه بعد ذلك اليوم
وان لم يسمعه هو وفي هذه الاية سوال مشهور وهو انه
وقع في صحيح البخاري ان زيد بن ثابت قال في قصة جمع القران بامر
ابي بكر رضي الله عنه وجدت اخر سورة التوبة مع ابي خزيمة
الانصاري لم اجدها مع غيره لقد جاكم رسول حتى خاتمة براة وفي صحيح
البخاري ايضا ان زيد بن ثابت قال لما نسخنا الصحف في المصاحف
فقدت اية من سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقراها لم اجدها مع احد الا مع خزيمة الانصاري الذي جعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين من المومنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه وفي ذلك اشكال لان ظاهره انه اكتفى في ذلك
بخزيمة وحده والقران انما يثبت بالتواتر والذي يظهر في الجواب ان

جمع عسيب وهو سعف النخل وكانوا يكتبون عليها ٥

الذي اشار اليه ان فقده اياها فقد وجودها مكتوبة لا فقد وجودها
محفوظة بل كانت محفوظة عنده وعند غيره ويدل على هذا قوله في حديث
جمع القرآن فاخذت اتتبعه من الرقاع والعسب ثم انه ربما يتوهم ان
الذي وجدت معه آيتا التوبة هو ابو خزيمة وهو اوس بن زيد بن اصرم
مشهور بكنيته دون اسمه وقيل هو الحرث بن خزيمة واما الذي
وجدت معه اية الاحزاب فهو خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين واخرج
ابن ابي داود من طريق محمد بن اسحق بسنده الى عبد الله بن الزبير
رضي الله عنهما قال اتى الحرث بن خزيمة بهاتين الايتين من اخر
سورة براءة فقال اشهد اني سمعتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعيتهما فقال عمر وانا اشهد لقد سمعتهما منه ثم قال له لو كانت
ثلاث ايات لجعلتها سورة على حدة ثم انه لا يلزم من عدم وجدانه
اياها حينئذ ان لا يكون تواترت عند من يتلقاها من النبي صلى الله
عليه وسلم وانما كان زيد يطلب التثبت عمن تلقاها بغير واسطة
ولعلهم لما وجدها زيد عند ابي خزيمة تذكروها كما تذكرها زيد وفائدة
التتبع المبالغة في الاستظهار والوقوف عند ما كتب بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الخطابي هذا مما خفي معناه ويوهم انه كان
يكتفي في اثبات الاية بخبر الشخص الواحد وليس كذلك فقد
اجتمع في هذه الاية زيد بن ثابت وابو خزيمة وعمر وحكى ابن الاثير
عن الداودي قال لم يتفرد بها ابو خزيمة بل شاركه زيد بن

ثابت

ابو الليث السمرقندي الحنفي

ثابت فعلى هذا تثبت برجلين انتهى وكانه ظن ان قولهم لا يثبت
القرآن بخبر الواحد اي الشخص الواحد وليس كما ظن بل المراد بخبر
الواحد ما لم يبلغ حد التواتر واذا اخبر به اثنان او ثلاثة او عشرة
لم يخرج عن كونه خبر الواحد والحق ان المراد بالنفي نفي وجودها
مكتوبة لا نفي كونها محفوظة قال السمرقندي نسبة الى سمرقند
باسكان الميم وفتح الراء كذا قيل وفي القاموس اصله سمركنت
وسمر كلتف اسم رجل وكنت القرية فعرب سمرقند واسكان
الميم وفتح الراء لحن والسمرقندي هذا هو الامام الجليل المفسر نصر بن
محمد بن احمد بن ابرهيم السمرقندي الفقيه الحنفي ابو الليث المعروف
بامام الهدى تفقه على الفقيه ابي جعفر الهندواني له الاقوال المفيدة
والتصانيف المشهورة توفي ليلة الثلاثاء لاحدى عشرة خلت من
جمادى الاخرة سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة له تفسير القرآن
اربع مجلدات والنوازل في الفقه وخزانة الفقه في مجلد وتنبيه
الغافلين وكتاب البستان ولهم ابو الليث السمرقندي متقدم
في الزمان يلقب بالحافظ وهو الفرق بينهما ذكره السمعاني كذا
قاله البرهان الحلبي وقرا بعضهم من انفسكم بفتح الفاء هذه القراءة
منقولة عن ابن محيصن وهو اسم تفضيل من النفاسة اي من
اشرفكم ونقلت عن عبد الله بن قسيط المكي وروينا ايضا
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم

وقراءة الجمهور بالضم في القاموس الجمهور من الناس جلهم اي اكثرهم
ومعظمهم والمراد بالضم ضم القاف على الرجح نفيس اعلم الله عز وجل
المومنين اي كل فرد فرد من افراد المومنين سوا كانوا حاضرين في
مجلس الخطاب عند نزول الاية ام غايبين عن المجلس ام معدومين
بالكلية ثم وجدوا فان الخطابات الواردة في الكتاب او في السنة
لاخلاف في عمومها وشمولها لعين المشافهين ولا خلاف في شمولها
حكما لغير المشافهين وانما الخلاف في غيرهم هل الحكم شامل لهم
باللغة او بدليل اخر ذهب جمع من الحنابلة والحنفية الى انه من
اللفظ وذهب الاكثرون الى انه بدليل اخر وذلك بما علم من عموم
دينه صلى الله عليه وسلم بالضرورة الى يوم القيمة ويدل عليه قوله تعالى
لانذركم به ومن بلغ وقوله صلى الله عليه وسلم وبعثت الى الناس كافة
واصرح من ذلك قوله عز وجل هو الذي بعث في الاميين رسولا
الى قوله عز وعلا واخرين منهم لما يلحقوا بهم على ان ابن دقيق العيد
من الشافعية قال في شرح العنوان الخلاف في عموم خطاب
المشافهة قليل الفائدة ولا ينبغي ان يكون فيه خلاف عند التحقيق
لان اللغة تقضي بان لا يتناول غير المخاطب والقطع بان الحكم
شامل لكل مومن بالنظر الى ما دلت عليه شريعة نبينا صلى الله عليه
وسلم من شمولها جميع المكلفين من الجن والانس وهذا امر
متفق عليه لاخلاف فيه فان قلت المنة ببعثة نبينا صلى الله عليه

وسلم

وسلم شملت المومن والكافر بدليل قوله عز وجل وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين فلم كان هذا الاعلام خاصا بالمومنين قلت لان المومن
مذعن معترف بهذه النعمة ولان المنتفع النفع التام بهذه النعمة
هم المومنون ليس الا لان الكافر انتفاعه بنبينا صلى الله عليه وسلم
نفع دنيوي اذ بسببه امن من المسخ والخسف ومما كانوا يعذبون به
قبل بعثته صلى الله عليه وسلم فان قلت اعلام المومنين بذلك لا جدوى
له كيف وهم عالمون بما تضمنته هاتان الايتان فكان اعلامهم
بذلك تحصيلا للحاصل قلت لا شك ان الخبر قد يلقى الى من هو
عالم به لعدم جريه على موجب العلم فلعل احدا من المخاطبين بهذا
الخطاب يقصر في شكر هذه النعمة ولم يجر على مقتضى ما عرفه الله
عز وجل من مقام نبيه صلى الله عليه وسلم على ان في الاية بشارة
عظيمة لكل مومن وهو ان محمدا صلى الله عليه وسلم عزيز عليه عنتهم
وانه روف رحيم بهم ومن كان مثل هذا السيد الجليل صاحب المقام
المحمود يعز عليه عنته وهو به روف رحيم فليكن في امان من
عذاب الله عز وجل يوم الفزع الاكبر كما قال تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر
وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون ولعمري ان مثل هذه
البشارات لا يحيط بها علما كثير من المومنين وايضا فهذا الخطاب
ان كان لعالم فلاظهار المنة عليه وكثير من مثل هذه الخطابات يقصد
به مجرد اظهار المنة على من خوطب به كقوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين

الايات فان كل احد يعلم ذلك الا ان الله اظهر منته وابدى قدرته عز وعلا وان كان لغير العالم فلذلك ايضا والاعلام **او العرب** بدليل ما بيناه من قوله عز وجل من انفسكم فان المراد به من جنسكم عربي مثلكم وقوله عز وجل حكاية عن ابرهيم واسمعيل عليهما السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ووجه الدلالة ان ضمير فيهم عائد الى الامة المسلمة السابق ذكرها وهي من ذرية ابرهيم واسمعيل معا وليس لنا امة هي من ذريتهما معا الا العرب والرسول المدعو به في قوله وابعث فيهم رسولا وصفه بكونه منهم فلا جرم ان يكون من العرب فالمراد بقوله من انفسكم اي من العرب **او اهل مكة** فان قلت ذكر يوهم التخصيص مع ان النعمة في مجيء هذا النبي صلى الله عليه وسلم لا تختص بعربي دون عجمي ولا مكي دون خراساني قلت للقوم الذين جاء النبي صلى الله عليه وسلم منهم مزية خاصة ونعمة لا يشاركون فيها الا ترى الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سئل من اكرم الناس قال اتقاهم لله عز وجل قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسالوني الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فالعرب لهم مزية خاصة ولاهل مكة مزية اخص من ذلك ولبني هاشم مزية هي اخص من القسمين فالله عز وجل من عليهم بهذا الشرف الذي ظهر منهم وقد شمل العالم بركته ونوره واما كونه صلى الله عليه وسلم جاء الى غيرهم وبعث الى غيرهم كما بعث اليهم فقد استفيد من ايات اخرى ودل عليه دلائل اخرى

جلية

جلية واضحة ولا يلزم من تخصيص قوم بذكر منة ان ينفي غيرهم عن اثر تلك المنة **او جميع الناس** اي جميع المكلفين الشامل للجن ايضا وفي القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انس وقد اريد منه الجن والانس في قوله عز وجل ان ربك احاط بالناس اي هو قادر على جميع الناس لا يفوتونه ولا يعجزونه فحاصل ما ذكر المصنف في من وجه اليه الخطاب وخص بهذا الاعلام اربعة اوجه الاول ان المراد به المومنون فعليه يكون في قوله عز وجل بالمومنين روف رحيم التفات من الخطاب الى الغيبة لان مقتضى الظاهر ان يقول بكم روف رحيم فهو على حد قوله عز وجل حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم فان قلت الالتفات له نكات عامة ونكتة خاصة فالنكات العامة موجودة هنا وهي تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه الانفس من حب التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد فما نكتته الخاصة به في هذا المقام قلت انما اتى به ليشير بتعبيره بالاسم الظاهر الذي هو غائب الى سبب رافته ورحمته للمومنين فانه لو قال بكم روف رحيم لتوهم ان رافته ورحمته لهم من حيث ذواتهم فلما وصفهم بنعت الايمان افاد ان رافته بهم ورحمته لهم من حيث انهم مومنون واما ان قلنا ان المواجه بهذا الخطاب العرب او اهل مكة او جميع الناس فلا التفات في قوله بالمومنين روف رحيم ولا وضع الظاهر موضع المضمر

لان شرط الالتفات صدق اللفظين على مصدق واحد ولا يتاتى ذلك الا في
الوجه الاول كما لا يخفى فان قلت اي الاقوال ارجح قلت الذي عليه
جمهور المفسرين ان المخاطب بهذا الخطاب العرب والذي قاله الزجاج
ان المخاطب بهذا جميع العالم اي جميع المكلفين فهو اقرب الى الصحة
فان قلت حيث كان شاملا لجميع الناس فما وجه المنة قلت
وجهها حينئذ ان الرسالة نعمة من الله عز وجل على بعض الخواص
فمن الله على جميع الناس اذ جعل فيهم من يتاهل لنزول الوحي وتلقي
الروحانيين لاسيما من وصل الى مرتبة عالية بحيث تقصر العقول
عن ادراك قصاراها وانت اذا امعنت النظر في هذه الاية علمت ما
منح الله عز وجل هذا النبي صلعم من المنح التي لا احصر لها ولا منتهى لغايتها
بحسب ادراكنا وفهمنا ولم يجعل الله عز وجل من جنس الملائكة من
يتاهل لهذه المرتبة وقد بين التبياني المغربي وجه المنة على هذا القول
بانهم يشاهدون ما ياتي به من المعجزات فيعلمون انها ليست من جنس
ما يقدر عليه البشر اذ لو كان الرسول من غير البشر لما علم هل في وسعه
ان ياتي بتلك المعجزات اولا واقول في هذا البيان نظر لان الرسول اذا كان
ملكا وعلم المرسل اليهم انه ملك لا يطالب بمعجزة والمرسل اليهم انما طلبوا
من رسل البشر المعجزة لانهم بشر مثلهم لا مزية لهم عليهم من حيث البشرية
فطلبوا منهم ما يقتضي بصدقهم واذا كان الرسول ملكا فمجرد كونه
ملكا وعلمهم بكونه ملكا كاف في صدقه ولهذا لما استبعدوا رسالة

البشر

البشر قالوا لولا انزل عليه ملك ثم قال التبياني وقيل بل الاشارة بذلك الى
انه لم يجعل من الملائكة رفقا بالعباد قال والسر في ذلك ان الجنس الى
الجنس اميل ولما ياتي به اقبل فلو كان الرسول ملكا لما تمكن احد من
البشر ان يسمع تبليغا لضعف القوى البشرية عن ذلك انتهى واقول
على تقدير ان الله عز وجل جعل الرسل من الملائكة لا يكونون على صورتهم
الملكية لعدم قدرة القوى البشرية على رويتهم فالله عز وجل يكسوهم
هيئة بشرية ليتمكن الناس من مكالمتهم ورويتهم كما قال تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وبالجملة فالمنة الجلية في
ذلك على تقدير ان يكون الخطاب لجميع الناس هي ان الله عز وجل اهل
البشر لان يكون فيهم من يصل الى رتبة هذا النبي الكامل صلى الله عليه وسلم
على اختلاف اي ترددنا في تعيين المواجه بهذا الخطاب مبني على
اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب من استفهامية في محل
رفع مبتدا والمواجه خبره اي اختلافهم في تعيين المواجه فالاختلاف
مصدر له مفعول مقيد بحرف الجر على حد قوله عز وجل اولم يتفكروا
ما بصاحبهم من جنة لان فكر يتعدى بفي وقد علق الاختلاف عن
العمل في لفظ الجملة فعمل في المحل فجملة من المواجه في محل نصب مفعول
الاختلاف فان قلت التعليق مختص بالافعال القلبية او ما
وافقها او قاربها عند جمهور النحاة والاختلاف ليس من هذا
الوادي فكيف يعلق عن العمل في اللفظ ويعمل في المحل قلت هو

مبني على قول يونس المجوز للتعليق في غير ما قارب افعال القلوب
وجعل من ذلك ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد فجعل ايا استفهامية
مبتدا واشد خبر والجملة معلق عنها لننزعن ويونس
كوفي والمصنف بجلده يميل الى مذهب الكوفيين كثيرا ويمكن ان
يكون جاريا على مذهب الجمهور بان يجعل جملة من المواجه في محل
نصب على انها معلق عنها العامل المحذوف والتقدير على اختلاف
المفسرين يعرفون بتشديد الرا من المواجه بهذا الخطاب كما قالوا في
قوله تعالى يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم ان التقدير ينظرون ايهم
يكفل وقيل يتعرفون ايهم يكفل مريم ويمكن ان يكون التقدير على
اختلاف المفسرين في جواب سائل يسال قائلا من المواجه
بهذا الخطاب كما ذكره ابن هشام في مغني اللبيب في قولهم علمت
ازيد قائم ان التقدير علمت جواب ازيد قائم فان قلت قيل يمكن
ان يقال لما ذكر الاختلاف ولم يذكر صلته بان يقول في تعيين المواجه
بهذا الخطاب كان المقام مظنة ان يقال فيم حصل الاختلاف
اي تعيين المواجه بهذا الخطاب ام في غيره قال من المواجه بهذا
الخطاب طالبا تعيينه صورة مجيبا بما فيه الاختلاف حقيقة
كانه قال هذا الذي تطلبه مني هو الذي اطلبه منك فتكون هذه
الجملة مستانفة عارية عن معنى حقيقة الاستفهام مثلها في قوله
عز وعلا ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون على

قراءة

قراءة ابن عباس بفتح الميم من من فرعون ورفع فرعون فانه لا معنى
لحقيقة الاستفهام فيها بواسطة ان الله عز وجل يعلم السر
واخفى ولكنه عز وجل لما وصف العذاب بالشدة والفظاعة
زادهم تهويلا بقوله من فرعون قال التفتازاني اي هل تعرفون
من هو في فرط عتوه وشدة شكيمته فما ظنكم بعذاب يكون
المعذب به مثله انتهى فهل هذا القول معتد به مقبول ههنا قلت
على ما في هذا الوجه من السماجة والتكلف فيه نظر من وجوه
الاول انا لا نسلم تولد هذا السؤال من ذكر الاختلاف خاليا عن صلته لانه
بناء على ما سبق وما سبق تردد في تعيين المواجه حيث اتى با و
المفيدة احد الشيئين او الاشيا فمن اين ياتي توهم غير المواجه حتى
يكون الاختلاف هل هو في تعيين المواجه او في غيره الثاني ان المصنف
لم يقصد ان يجعل هذه الجملة الاستفهامية جوابا وانما هي بيان
متعلق الاختلاف الذي انصب اليه وتوجه اليه الثالث انه على
ما زعمتم ان الذي يطلبه منه السامع هو الاختلاف في تعيين
المواجه بهذا الخطاب او في غيره والذي يطلبه منه المجيب تعيين
المواجه به فقط فكان مطلوبه غير مطلوبه فقوله كانه قال هذا الذي
تطلبه مني هو الذي اطلبه منك ابى بعكس الرابع انه اذا حصر مطلبه
في تعيين المواجه بهذا الخطاب فهو استفهام حقيقي ودعواه انه
مثل اية سورة الدخان الواقعة في شان فرعون مردودة بل هي

عنها بمراحل كيف وان الاستفهام هناك صادر ممن يعلم السر والنجوى فلا
يكون على حقيقته بل هو لتقرير التهويل لعذابه الذي وقع منه كما قرره
القائل فتامل في المقامين تجد هذا من واد وذاك من واد اخر ان اي الله
الله عز وجل بعث فيهم رسولا اي ارسل من انفسهم ان كان الخطاب
للمؤمنين فمعنى كونه من انفسهم انه من دينهم وملتهم وان كان للعرب فمعنى
كونه من انفسهم انه من نسبهم وصنفهم وان كان لاهل مكة فمعناه
انه من بلدهم نشا بين اظهرهم لم يرحل الى بلد اخر الا بعد النبوة وقبلها
لما سافر الى الشام كان معظم اكابر قريش واهل مكة في صحبته وان
كان جميع الناس فمعنى كونه من انفسهم انه من نوعهم يعرفونه ان كان
الخطاب للمؤمنين فمعرفتهم به على قدر امكانهم ظاهرة فقد عرفوه ذاتا
وصفة وعرفوا ما منحه الله من النبوة والرسالة والسيادة على جميع
الانبياء وان كان الخطاب للعرب من حيث هم عرب مع قطع النظر
عن ايمانهم فقد عرفوا نسبه وكماله وامانته وصدقه وهذا امر
اشترك في تسليمه ومعرفته الخاصة والعامة والمومن والكافر
من العرب وان كان الخطاب لاهل مكة فقد عرفوا كمالاته التي لا حصر
لها وما رغبت خديجة في نكاحه مع انها كانت مخطوبة لاكابر
الاغنياء فاثرته عليهم مع فقره من الدنيا الا كماله وعرفوا ما ظهر له من
الخوارق قبل ان يدعي النبوة كظهور الانوار ليلة ميلاده واخبار الجان
الكهان بشانه واخبار ميسرة غلام خديجة باظلال الغمامة له

وبتسليم

وبتسليم الاحجار عليه وما جرى له مع نسطورا الراهب وما جرى له مع
بحيرا الراهب وهو طفل صغير ونحو ذلك كان ذلك كله مشهورا بين اهل
بلده وما حولها وهم يتواردون اخباره وينقلون اثاره ولم يكن احد منهم
يكذبه ولا ينسب اليه فرية ولا جهالة وانما كان في رايهم في اوج الكمال
والجلالة غير ان الحسد صدهم عنه والقاهم في دائرة الشقا والعياذ بالله
عز وجل واما اذا كان الخطاب موجها لجميع الناس فمعرفتهم به ظاهرة
اذ شاع وذاع ان محمدا صلى الله عليه وسلم ادعى النبوة واظهر المعجزة
ولم يبق بر ولا فاجر الا وقد شملته هذه المعرفة ويتحققون مكانه
اي قدره ويعلمون صدقه وامانته اي كانوا قاطعين بصدقه ولهذا
لما سال هرقل ابا سفيان وكان ابو سفيان اذ ذاك مشركا فقال له هل
كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فقال له لا فقال له هرقل ما
كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله عز وجل ومما يصرح
بكونهم كانوا يصفونه بغاية الصدق فيما بينهم حديث البخاري
بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت وانذر عشيرتك
الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا
اليه فقال ارايتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل
اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد قال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت تبت

يدا ابي لهب و قد تب هكذا قراها الاعمش ولا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة
لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة في القاموس القبيلة بنوا
اب واحد وقال القبيل الروح والجماعة من الثلاث فصاعدا من اقوام
شتى وقد يكونون من نجد واحد وربما كانوا بني اب واحد انتهى
والمعروف ان القبيلة هي الطبقة الثانية من الطبقات التي عليها
العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة
فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون
والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة
قبيلة وقريش عمارة ومضر بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة
وقد نظم العلامة بدر الدين محمد بن ايوب التاذفي الحنفي لذلك ضابطا فقال

شعب بفتح الشين والقبيلة من بعدها العمارة الجليلة
وهي بكسر العين تروى ثم قل بطن وفخذ بعدها ولا تخل
وسادس فصيلة تووية وهي العشيرة التي تتميه
خزيمة شعب وقل كنانة قبيلة فاستمعوا ابيانه
وقل قريش وهي العمارة ومضر لبطنها المختارة
وهاشم فخذ وقل عباس فصيلة كانها النبراس

واصل القبيلة واحدة قبائل الراس وهي القطع المشعوب بعضها الى
بعض وفي الراس اربع قبائل الاولها زعم الزمخشري ان مثل هذه الجملة
صفة لقبيلة وان الواو الداخلة عليها لتاكيد لصوق الصفة بموصوفها

مطلب في دخول الواو بين الصفة وموصوفها

وافادة

وافادة ان اتصافه بها امر ثابت وقد قلد الزمخشري في ذلك جماعة وحملوا على
ذلك مواضع كقوله عز وجل وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وقوله عز وجل
سبعة وثامنهم كلبهم وقوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
وما قاله الزمخشري ومتابعوه مردود لانه يمتنع ان يكون صفة له
لانه لا يجوز التفريغ في الصفات فلا يجوز ان يقال ما مررت باحد الا قائم
نص على ذلك ابو علي وغيره والثاني اقترانها بالواو فان الصفة متصلة
بموصوفها كمال الاتصال والواو تنافي ذلك والحق ان هذه الواو واو الحال
والجملة بعدها في محل نصب حال من قبيلة والمسوغ لمجي الحال من النكرة
وهي قبيلة وجعل قبيلة ذا حال امران الاول تقدم النفي فان النكرة المسبوقة
بالنفي يصح ان تقع ذا حال كما يصح ان تقع مبتدا والثاني امتناع الوصفية
اذ الحال متى امتنع كونها صفة جاز مجيها من النكرة ولهذا اجاءت عند تقدمها
نحو في الدار قائما رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة بان يكون له
صلى الله عليه وسلم جدا وجدة بواسطة او بدونها من جهة ابائه او من جهة
امهاته او قرابة عطف القرابة على الولادة عطف مغاير على مغاير لان المراد
بالقرابة ما عدا الولادة وليس هو من عطف العام على الخاص لان ذلك
لا يكون الا بالواو كعكسه ولا يكون باو فان قلت كيف لا تكون الولادة من
افراد القرابة قلت بمقتضى العرف فان العرف لا يدخل الاجداد والاباء
والاولاد والاحفاد في القرابة بنا على مرجح النووي من اصحابنا في
منهاجه انه لو اوصى لاقارب فلان لم يدخل في ذلك اصوله وفروعه لانهما لا

ان تكون جملة الواقعة بعد نكرة بعد النفي الاول
الواو صفة لامتناع اقتران الجملة بالا وما بعد
الا يمتنع صح

يعرفان بالقريب عرفا وهو ظاهر ما مشى عليه الشيخ ابو اسحق الشيرازي
في تنبيهه حيث قال وان اوصى لاقارب فلان دفع الى من يعرف
بقرابته نعم لاصحابنا قولان اخران في هذه المسئلة غير ما ذكره النووي
في منهاجه احدهما دخول الاصول والفروع في الاقارب وصححه ابن الرفعة
في الكفاية ثانيهما يدخل الاحفاد والاجداد ولا يدخل الوالدان والاولاد
فان قلت فقد قالوا لو اوصى لاقرب اقارب زيد يدخل دخل الاصول
والفروع في ذلك قلت اقرب الاقارب بصيغة اسم التفضيل اذا
صدق على من له ولادة لا يلزم ان يصدق الاقارب عليه لانه جرى في العرف
ان يقال للاصول وللفروع انهم اقرب الاقارب ولا يقال انهم اقارب
وجرى في العرف ان يقال لما عدا الاصول والفروع اقارب ولا يقال انهم
اقرب الاقارب وبالجملة فعطف القرابة على الولادة عطف مباين على
مباين عرفا فان قلت قول المصنف وانه لم يكن الى اخره معطوف على
ماذا قلت هو معطوف على كونه من قوله لكونه منهم فهو معطوف على تعليل على ما
كونهم لا يتهمونه بترك النصيحة لهم اي انما لم يتهموه بترك النصيحة لامرين
الاول كونه منهم والثاني انه لم يكن في العرب قبيلة الى اخره فان قلت
هذا المدعى وهو انه ليس في العرب قبيلة الى اخره امر توقيفي فمن اين
للمصنف ذلك قلت اخرج ذلك ابو نعيم في الدلائل من طريق الكلبي عن
ابي صالح عن ابن عباس في قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم قال ليس
من العرب قبيلة فذكره فهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله عز وجل

الا المودة في القربى انما قال عند ابن عباس احترازا عن قول غيره من المفسرين
فان مذهب ابن عباس في هذه الاية ان معناها الا ان تصلوا ما بيني
وبينكم من القرابة فانه لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة وهذا
هو الاصح في تفسير هذه الاية لكن اخرج الطبراني وابن ابي حاتم من طريق
قيس بن الربيع عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا
مودتهم الحديث واسناده واه وهو ساقط لمخالفته هذا الحديث الصحيح فانه ضعيف
مروي في البخاري فقد بسنده الى طاوس عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه سئل عن قوله تعالى الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير
قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس عجلت ان النبي صلى
الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان
تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وقد جزم جماعة من المفسرين بان
المعنى الا ان تودوا قرابتي كما فهمه في بادئ الرأي سعيد بن جبير
ومستندهم ما رواه الطبراني عن ابن عباس وما رواه عن ابن عباس
واه ضعيف ورافضي وذكر الثعلبي هنا حديثا وهو انه صلى الله ضعيف
عليه وسلم قال من مات على حب آل محمد مات شهيدا ومن مات على
حب ال محمد صلى الله عليه وسلم جعل الله عز وجل زوار قبره الملائكة
والرحمة ومن مات على حب ال محمد مات على السنة والجماعة ومن مات
على بغض ال محمد صلى الله عليه وسلم جاء يوم القيمة مكتوبا بين عينيه آيس

من رحمة الله عز وجل ومن مات على بغض ال محمد صلى الله عليه وسلم لم يرح
رائحة الجنة ومن مات على بغض اهل بيتي فلا نصيب له في شفاعتي
وذكر هذا الخبر الزمخشري في تفسيره باطول من هذا فقال وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب ال محمد مات مومنا مستكمل
الايمان الا ومن مات على حب ال محمد مات مومنا مستكمل الايمان
الا ومن مات على حب ال محمد صلى الله عليه وسلم بشره ملك الموت بالجنة
ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب ال محمد صلى الله عليه وسلم فتح له في قبره
بابان الى الجنة الا ومن مات على حب ال محمد صلى الله عليه وسلم جعل الله
عز وجل قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب ال محمد صلى
الله عليه وسلم مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض ال
محمد صلى الله عليه وسلم مات كافرا الا ومن مات على بغض ال محمد صلى الله
عليه وسلم جا يوم القيمة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله عز وجل
الا ومن مات على بغض ال محمد صلى الله عليه وسلم لم يشم رائحة الجنة
قال الشهاب بن حجر رحمه الله ان هذه الاحاديث موضوعة وضعها
ظاهر وحيث ضعف ذلك كان معنى الاية الا ان تودوني لقرابتي
فتحفظوني والخطاب لقريش خاصة والقربى قرابة العصوبة
والرحم وسبب نزولها ما ذكره ابن عباس قال لما قدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة كانت تنوبه نوائب وليس في يده شي فجمع له
الانصار مالا فقالوا يا رسول الله انك ابن اختنا وقد هدانا الله عز وجل
بك

بك وتنوبك نوائب وحقوق وليس لك سعة فجمعنا لك من اموالنا
ما تستعين به عليها فنزلت وهذا من رواية الكلبي ونحوه من الضعفاء
واخرج الواحدي من طريق مقسم عن ابن عباس ايضا قال بلغ النبي
صلى الله عليه وسلم عن الانصار شي فخطب فقال الم تكونوا ضلالا
فهداكم الله عز وجل الحديث وفيه فجثوا على الركب وقالوا انفسنا
واموالنا يا رسول الله قال ابن حجر وهذا ايضا ضعيف ويبطله ان
الاية مكية قال والاقوى في سبب نزولها ما اخرجه عن قتادة قال
قال المشركون لعل محمدا صلى الله عليه وسلم يطلب اجرا على ما يتعاطاه
فنزلت والحاصل ان للعلما في الاية وجهين الاول وهو الاظهر بها
ان معناها لا اسالكم اجرا على تبليغ الرسالة الا ان تودوني لقرابتي منكم
ففي في قوله في القربى للتعليل على حد قوله صلى الله عليه وسلم ان امراة
دخلت النار في هرة ويمكن ان تكون للظرفية المجازية كانه جعل القربى
ظرفا للمودة وعلى هذا التقدير فالاستثنا منقطع لان قريشا كانوا
يودون ارحامهم بل العرب كلهم على هذا النمط فلا يكون مودتهم لنبينا
صلى الله عليه وسلم مكافاة لما هو بصدده من تبليغ الرسالة وحمل
اعبا النبوة ويمكن ان يكون متصلا فان العرب لما خالف النبي
صلى الله عليه وسلم قام عليه جفوه فقال لهم ما اريد اجرا الا ان
تودوني لقرابتي منكم الثاني ان معنى الاية لا اسالكم الا ان تودوا
قرابتي واهل بيتي وعلى هذا التقدير تكون في للظرفية المجازية

والجار والمجرور في محل نصب حال اي الا المودة ثابتة في القربى
والاستثنا متصل فان قلت حيث كان الاستثنا متصلا يلزم
ان يكون المودة في القربى اجرا فيلزم ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم
طالبا اجرا على تبليغ الرسالة وهذا مناف لقوله بل ما سالتكم عليه من
اجر فهو لكم فينبغي ان يتعين كونه منقطعا والمعنى لا اسالكم
عليه اجرا لكن اذكركم المودة في القربى قلت لا منافاة بين الاثنين
لان من جعل الاستثناء متصلا نظر الى انه اجر صورة وفي الحقيقة
المودة في القربى ليست باجر لان قرابته قرابتهم وصلتهم لازمة
عندهم مروة لا في مقابلة عمل فلا يكون اجرا حقيقة فمن جعله
متصلا لاحظ الصورة ومن جعله منقطعا لاحظ الحقيقة ومعنى
قوله عز وجل قل ما سالتكم عليه من اجر اي اجرا حقيقيا يسمى في
نفس الامر اجرا او كونه وجد في النسخ مضبوطا بالرفع والجر اما
رفعه فعلى انه معطوف على كونه الواقع في قوله لكونه منهم فيكون علة
ثانية لعدم تركه نصيحتهم من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة
الفتح وهذه نهاية المدح فان قلت النهاية ما كان منتهى لشي وغاية له
فلا يكون قد بقي من الشي درجة بعدها وكون نبينا صلى الله عليه وسلم
من انفس المخاطبين بفتح الفا لا يقتضي ان يكون ذلك نهاية سواء
كان المخاطبون بذلك جميع المومنين ام العرب ام اهل مكة ام قريشا
ام جميع الخلق وذلك لان اللازم من كونه من انفسهم ان يكون واحدا

من

[illegible]

من حاز هذه الدرجة فيجوز ان يكون غيره قد شاركه في ذلك وقد جعل
المصنف ذلك هو النهاية ولم يجعله فردا من افراد النهاية قلت انما كان
هذا نهاية في المدح بحيث لم يبق درجة من درجات المدح الا وجدت
في ضمن هذه الدرجة لانه ثبت كونه من انفسهم بفتح الفا وانضم الى
ذلك كونه رسولا من عند الله وغير نبينا من المخاطبين وان كان
من الانفس الا انه لم يتصف بما بقي من الصفات الموجودة في الاية
فلم يحز النهاية اما اذا كان المخاطب جميع المومنين فظاهر انه من كان من الانفس
منهم لم يتصف بباقي الصفات واما اذا كان المخاطب جميع الخلق
فهذا نهاية المدح باعتبار ان محمدا صلى الله عليه وسلم من انفس جميع
الخلق اعني قريشا فان قريشا انفس جميع خلق الله عز وجل فامتاز
عمن عدا قريشا بكونه قرشيا وعمن عداه من قريش بكونه رسولا
من رب العالمين واما اذا كان المخاطب العرب او قريشا او اهل مكة
فذلك ظاهر فان قلت اما يكون قوله عز وجل وانك لعلى خلق عظيم
اعلى مدحا من هذا قلت لا لانه لا يلزم من كونه على خلق عظيم ان يتفرد
بذلك المقام فيكون هذا نهاية المدح وبهذا يندفع الاعتراض
الوارد على قوله صلى الله عليه وسلم انا افصح من نطق بالضاد بيد اني
من قريش وتقرير الاعتراض ان بيد اذا كان بمعنى من اجل لا
لا تقتضي هذه العلة ثبوت الافصحية له صلى الله عليه وسلم وحده فانها
موجودة في باقي قريش فلا يكون هو افصح بل يكون من الافصح

بحث
يتعلق بقوله صلى الله
عليه وسلم انا افصح من
نطق بالضاد بيد
اني من قريش
ه

والجواب عن ذلك بامرين الاول ما اشرنا اليه من ان كونه من قريش
اعتضد بالتأييد الالهي وهو كونه رسولا من رب العالمين وسكت
عنه للعلم به من قرينة الواقع فكانه قال انا افصح من نطق بالضاد
لكوني من قريش مع اني رسول الله وهذه صفة لا توجد في غيره
صلى الله عليه وسلم فكان افصح من نطق بها الثاني ان بيد بمعنى غير وهي
اداة استثناء لكنه من تأكيد المدح بما يشبه الذم فانه لما قال انا افصح
من نطق بالضاد واراد ان يستثني توهم السامع انه يريد ان ياتي
بما ينافي الافصحية فلما قال بيد اني من قريش علمت انها صفة
مدح فاكد كونه افصح من نطق بها بذلك وهذا نوع شريف من البلاغة
قد وقع منه في القران قوله عز وجل وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله
العزيز الحميد **ثم وصفه** اي وصف الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
في هذه الاية **بعد** اي بعد ان وصفه بما سبق لكن لا يخفى ان ثم
المقتضية للترتيب مع التراخي هنا ليست على معناها الحقيقي وانما
هي بمعنى الفاء المفيدة للترتيب مع التعقيب لان وصفه تعالى بما ذكر
واقع بعد الاعلام على سبيل التعقيب فهي هنا على حد قوله
كهز الرديني تحت العجاج ۞ جرى في الانابيب ثم اضطرب ۞ — من المتقارب
لان الهز متى جرى في انابيب الرمح يعقبه الاضطراب ولا يتراخى
عنه فيكون بعد تاكيدا لما استفيد من ثم من كون ما بعدها واقعا
بعد ما قبلها وزعم بعضهم ان بعد تاسيس وافادت الترتيب في
الحكم

في الحكم وثم افادت الترتيب في الاخبار وهو ضعيف لان الترتيب
في الاخبار انما يصار اليه اذا تعذر الترتيب في الحكم فاما اذا امكن
افادة ثم الترتيب في الحكم فلا حاجة الى ان يرتكب جعل الترتيب في
الاخبار وقد افتقروا الى ان يقولوا بذلك في مثل قوله عز وجل هو
الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وفي قوله عز وجل وبدا
خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة الاية لان الترتيب
في الحكم غير ممكن هنا فتامله **باوصاف** جمع وصف وليس المراد منه
المعنى المصدري وانما المراد النعت الموصوف به **حميدة** اي محمودة
واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم
الواقع في الاية قوله حريص عليكم والمعنى لحرصه على ذوات المخاطبين
فافتقر الى صحة المعنى الى تقدير شيء يتوجه الحرص اليه وقد علم ذلك
المقدر من حال نبينا صلى الله عليه وسلم فانه كان في غاية الحرص على
هداية الناس جميعا والحرص معناه الجشع وهو الامساك عن
العطاء والمراد هنا ان نفس نبينا صلى الله عليه وسلم لا تسمح ان تسلمنا
لزبانية جهنم اعاذنا الله عز وجل من ذلك ببركته او لا تسمح نفسه
الكريمة ان يقع احد من امته في مهامه الضلال والهداية والهدى
اصلها التقدم ومن ثم قيل للعنق هادي لتقدمه على الجسد ثم
استعمل في الارشاد ثم جعل بين الارشاد في الدين والارشاد في
الطريق فرق في المصدر فقالوا في الدين هدى وفي الطريق هداية

كذا في المجمل
الجشع اشد الحرص

والفرق بين الهدى والارشاد ان الهدى يكون في الخير والشر يقال هداه
الى الشر والمكروه ومنه قوله عز وجل فاهدوهم الى صراط الجحيم
ولا يكون الارشاد الا الى الخير ولما كانت الهداية اعم من الرشاد
فعطف الرشد عليها عطف خاص على عام والمراد بالهداية في كلام
المصنف ما فسرها به الاشاعرة وهي خلق الاهتداء فيهم وهو
الايمان وليس المراد هنا بالهداية ما فسرتها به المعتزلة وهو الدعوة
الى الايمان والطاعة وايضاح سبيل الراشد وتيسير مقاصده
والزجر عن طريق الغواية كما اريد ذلك من قوله عز وجل واما ثمود
فهديناهم فان حرص نبينا صلى الله عليه وسلم ليس على مجرد دعوتهم ايانا
فان ذلك كان حاصلا له وكان ديدنه ودابه وانما كان حرصه
على اهتدا قومه وسائر الناس صلى الله عليه وسلم ثم ان عطف اسلامهم
على ما قبله من قبيل عطف الخاص على العام ومن شأنه ما يعنتهم
العنت المشقة ومنه قوله عز وجل ولو شاء الله لاعنتكم اي لكلفكم ما
يشتد عليكم اداؤه كما فعل بمن كان قبلكم ويقال عنتت الدابة
تعنت اذا حدث في قوائمها كسر بعد جبر لا يمكنها معه الجري ويقال
عقبة عنوت شاقة المصعد ويقال عنت البيطار الدابة اذا
فعل بها فعلا تتضرر منه قال ابن الانباري اصل العنت التشديد اذا
قالت العرب فلان يتعنت فلانا ويعنته اي يشدد عليه ويلزمه
ما يصعب عليه اداؤه ثم نقل الى معنى الهلاك وقوله عز وجل ذلك لمن خشي

العنت

العنت منكم يريد الهلاك في الزنا وان تحمل الشبق على الفجور وقوله
عز وجل عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه ما شق عليكم
وفي الحديث فيعنتوا عليكم دينكم اي يدخلون عليكم الضرر في
دينكم وفي النهاية الاثيرية العنت المشقة والفساد والهلاك
والاثم والغلط والخطا والزنا كل ذلك قد جاء واطلق العنت عليه
وما في قول المصنف ومن شأنه ما يعنتهم موصول اسمي والضمير المرفوع
عائد الموصول وما في الاية يحتمل ان تكون مصدرية وهو الظاهر ففي
وصلتها في موضع رفع فاعل عزيز اي يعز عليه مشقتكم فهي على حد قول
الشاعر يسر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابهن له ذهابا ه
اي يسر المرء ذهاب الليالي ويجوز فيما في الاية ان تكون موصولا اسميا
والعائد منصوب محذوف والتقدير عزيز عليه ما عنتموه وقد تقدم منا
ما هو صريح في ان عنت متعد بنفسه ولا يجوز ان يقال ان التقدير
ما عنتم به لان العائد المجرور لا يحذف الا اذا جر بما جر به الموصول
لفظا ومعنى كما هو مقرر في محله ويضرهم في دنياهم واخراهم يجوز فيه
فتح حرف المضارعة على انه من ضر يضر المجرد وهو يتعدى بنفسه
وبالبا يقال ضره وضر به اذا اوصل اليه الضرر ويجوز فيه ضم حرف
المضارعة على انه من اضر يضر المزيد فان قلت اضر متعد بنفسه
فكيف يتعدى بالبا مع ان صاحب القاموس قال يقال ضره وبه
واضره ولم يقل اضر به فهذا يدل على عدم مجي اضر به اذا كان من المزيد

فان قلت اضر متعد بنفسه فكيف يتعدى بالباء مع قلت ما كان
على زنة افعل لا يلزم ان يكون متعديا بنفسه فكثيرا ما جاء لازما
واما سكوت صاحب القاموس عن اضر به فلا يقتضي نفي مجيئه
وفي الحديث الصحيح عن معاذ رضي الله عنه انه كان يصلي فاضر به
غصن فكسره اي دنا الغصن منه دنوا شديدا فاذاه وفي الغريبين
للهروي يقال مر بي فاضر بي فهذا من معاذ الذي هو من افصح العرب
ومن الامام الهروي صريح في انه يقال اضر به كما يقال ضربه من غير
فرق **وعزيز** اي عزة ما يعنتهم **عليه** اي على النبي صلى الله عليه وسلم عطف على
قوله وشقة ما يعنتهم للاشارة الى ان المراد بالعزة في الاية المشقة
وكان ينبغي ان يعكس الامر فيذكر العزة اولا ثم يفسرها بالمشقة
ليكون عطفا تفسيريا وتبيينا بعد ابهام لكنه انما عكس ليلقى
ابتدا الى ذهن المخاطب ما هو جلي واضح ثم يشير الى انه هو المراد
من ذلك الخفي الواقع في الاية ليريح المخاطب من مشقة انتظار
الايضاح فكان المصنف عز عليه عنت المخاطب فبادر الى اراحته
وهو نوع من اللطف في الكلام يتحراه البلغاء في مقاصدهم ثم ان
المصنف اشار الى ان عزيزا في الاية معناه شديد وفي الغريبين
للهروي يقال عز الشيء يعز بفتح العين اذا اشتد يقال يعز علي ان
اراك بحال سيئة اي يشتد ويقال للعليل اذا اشتدت به العلة
قد استعز به وفي الحديث فاستعز برسول الله صلى الله عليه وسلم

اي اشتد

اي اشتد به المرض واشرف على الموت وفلان معزاز المرض اي
شديد المرض وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما انكم لمعزوز بكم اي مشدد
ورافته ورحمته لمومنيهم الرافة ارق من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة
والرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة والرحمة اصلها الرقة وقيل
ذووا الارحام لان بعضهم يرق لبعض ورحمة الله عز وجل انعامه
واقالته العثرة وقبوله التوبة وليست في حقه عز وعلا على معناها
الاصلي كما يطلق عليه تعالى العفو وهو في الاصل الترك والتنزل لا
يجوز على الله عز وجل يقال عفا المنزل اذا ترك حتى درس ودلالة
التعظيم ايضا توجب انتفا الرقة والضمير في مومنيهم عائد الى
المخاطبين بقوله عز وجل لقد جاءكم فان كانوا المومنين يقع التدافع
بين الكلامين اذ يصير في المومنين من ليس مومنا واقول يمكن
دفع توهم التدافع بان الاضافة في قوله لمومنيهم بيانية اي
بالمومنين الذين هم المخاطبون وانما صرح بالاسم الظاهر لاظهار
علة الرحمة والرافة بهم وهي الايمان ولو انه اتى بالضمير العائد الى
المومنين لما كان مصرحا بالعلة على ان المصنف انما قال لمومنيهم
بناء على عود الضمير الى المخاطبين بناء على انهم العرب او قريش او اهل
مكة او جميع الناس ولم يلاحظ القول الاول وهو كون المخاطب
بذلك المومنين فقط فان قلت ما باله قدم الرافة على الرحمة مع ان
الرافة ابلغ من الرحمة والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى

قلت لموافقة الاية واما في الاية فانما قدم الروف على الرحيم لان الروف
يشمل روف الدنيا والاخرة وكان يكفي الاتيان به للدلالة على رافته
بالمومنين في الدارين ورحمته اياهم لكنه صرح بما علم للتنصيص على ان
رافته بالمومنين واقعة في الاخرة لا محالة فيشفع فيهم ويحضرون
اعمالهم ويسقيهم من حوضه شربة لا يظماون بعدها ابدا جعلنا الله
عز وجل منهم ثم ان الجار في قوله بالمومنين متعلق برافته او برحمته على
التنازع لتاخره عنهما بخلاف قوله عز وجل بالمومنين روف رحيم فانه
متعلق بروف فقط ولا يجوز في مثل هذا ان يكون من باب التنازع
لان شرط المتنازع فيه ان يكون متاخرا عن العاملين كما صرح باشتراط
ذلك الشلوبيني ثم اجاز بعض المغاربة التنازع في المتقدم نحو زيدا ضربت
واكرمت قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه روف رحيم اسماء الله عز وجل
كل ما دل على ذاته تعالى وتقدس سوا دل مع ذلك على صفة من صفاته
تقوم بذاته كالعالم والقادر او على فعل من افعاله كالخالق والرازق او لم
يدل على زائد على الذات كالكلمة المعظمة وهي لفظة الله والفرق بين اسماء
الله عز وجل وصفاته ان الاسم ما دل على الذات كما قلنا واما الصفة
فهي ما دل على معنى يقوم بالذات العلية فقط من غير ان يدل بلفظه على
الذات المعظمة كعلمه جل وعلا وقدرته وارادته ومعنى كون الله عز وجل
اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم اسمين من اسمائه انه سماه بهما واطلقهما
عليه ولم يطلق على نبي من الانبيا اسمين من اسمائه الا نبينا صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم فان قلت اطلاق هذين الاسمين على الله عز وجل ثم على نبينا
صلى الله عليه وسلم هل هو من قبيل المشترك اللفظي او المعنوي قلت
الذي فهمناه من كلام حجة الاسلام ابي حامد الغزالي انه من قبيل المشترك
اللفظي لانهما اذا اطلقا على الله عز وجل كان لهما معنى غير معناهما اذا اطلقا
على نبيه صلى الله عليه وسلم لان رحمة الله عز وجل ورافته هي افاضة
الخير على المحتاجين وارادته لهم عنايته بهم ورحمته تعالى تتناول
المستحق وغير المستحق وتعم الدنيا والاخرة وتتناول الضرورات
والحاجات والمزايا الخارجة عنهما واما رافة النبي صلى الله عليه وسلم
ورحمته فهي ان يرحم عباد الله الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة
الى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف وان ينظر الى العصاة بعين
الرحمة لا بعين الازدراء وان كل معصية تجري في العالم كمصيبة
له في نفسه فلا يالو جهدا في ازالتها بقدر وسعه رحمة لذلك العاصي
ان يتعرض لسخط الله عز وجل ويستحق البعد من جواره وان لا
يدع فاقة لمحتاج الا سدها بقدر طاقته ولا يترك فقيرا في جواره
وبلده الا ويقوم بتعهده ودفع فقره اما بماله او بجاهه والسعي
في حقه بالشفاعة الى غيره فان عجز عن ذلك اعانه بالدعاء له
واظهار الحزن بسبب حاجته رقة عليه وعطفا حتى كانه
مساهم له في ضره وحاجته ولعمري ان هذه الرافة والرحمة
كانت سجية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت نجد كثيرا من

يطلق عليه شي من اسمائه تعالى كالعزيز والكريم والملك والحكيم والرشيد
قلت يظهر لي في ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطي هذين الاسمين
على نمط يقرب مما اطلقا به على الله عز وجل فان الله عز وجل ربما يمنح عبدا
من عباده ان يتخلق ويتحلى بما يمكن من صفاته التي تشتمل عليها اسماؤه
وبه يصير العبد ربانيا اي قريبا من الرب عز وجل ويصير رفيقا للملا
الاعلى من الملائكة فانهم على بساط القرب فمن ضرب الى شبه من صفاتهم
نال شيا من قربهم بقدر ما نال من اوصافهم المقربة لهم الى الحق سبحانه كذا
قاله حجة الاسلام ثم استشعر سوال الافعال فان قلت طلب القرب من
الله عز وجل بالصفة امر غامض تكاد تشمئز القلوب عن قبوله والتصديق
به فزده شرحا تنكسر به سورة المنكرين انه لم تنكشف حقيقته ثم انه
شرع في تقرير ذلك على وجه يطول ذكره وحاصله ان الله عز وجل الالهية
المطلقة التي لا يشاركه فيها شي في كل كمال يليق بجلاله اذ ذلك مرتبة
الربوبية وهي له بالذات وكمال المخلوقين متفاوت فكلما كان ارقى من
غيره في مرتبة الكمال كان قريبا الى الله عز وجل من حيث الصفة لا من حيث
المكان على ان ما حصل لمخلوق كالنبي صلى الله عليه وسلم من
ان ذلك بمنحة الله عز وجل ليس الا وكمال الله عز وجل ذاتي له وعلى كل
حال فمعنى كون ربنا اعطى نبيه صلى الله عليه وسلم اسمين من اسمائه انه
الملقبهما عليه لوجود معناهما فيه على وجه يقرب من وجوده من الله عز وجل
بطريق التفضل من الله عز وجل والمنحة الالهية والكرم الواسع ومثله
في الاية

في الاية الاخرى قوله تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم الاية مثله مبتدا وفي الاية صفة له لا حال لان مثل
لا يصح ان يقع ذا حال لكونه نكرة وان اضيف لتوغله في الابهام ولانه
مبتدا والمبتدا لا يكون ذا حال على قول الجمهور وقوله تعالى هو الخبر وانما
كانت هذه الاية مماثلة لتلك الاية لانها تتضمن الثنا على النبي صلى الله عليه
وسلم من وجوه الاول ان الله عز وجل جعل بعثته منة عظيمة بدليل
اخباره بها موكدا بالقسم وقد المفيدة للتحقيق ومعنى من اعطى فهو
ماخوذ من المن وهو العطاء لا من المنة ومن اسمائه تعالى المنان وهو
المنعم المعطي من المن وهو العطا وكثيرا ما يرد المن في كلامهم بمعنى
الاحسان الى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزا عليه ومنه قول النبي صلى
الله عليه وسلم في شان الصديق ما احد امن علينا من ابن ابي قحافة
رضي الله عنهما اي ما احد اجود بماله وذات يده ويطلق المن على
تعديد النعمة وذكرها وهو مذموم لان المنة تفسد الصنيعة
وهو من الكبائر وفي الحديث ثلاثة يشناهم الله عز وجل منهم البخيل
المنان وفي الحديث ايضا لا تتزوجن حنانة ولا منانة وهي التي
تتزوج بها لمالها فهي ابدا تمن على زوجها ومن الاول قول النبي
صلى الله عليه وسلم الكماة من المن اي من الاحسان والعطاء
وتعداد النعم مستقبح الا من مالك الملك عز وجل فانه ذو الكمال
المطلق وهو مذموم من العبيد وان كثرت النعمة بل هو من الكبائر

المن من الكبائر
[illegible]

على الاطلاق وهي صنيعة فرعونية اذ قال فرعون لموسى عليه السلام الم
نربك فينا وليدا الاية ولا يقال بنفي استقباحهم عند كفران النعمة
استدلالا بقول من قال المنة تهدم الصنيعة وتوجب القطيعة
وتحسن ذكرها عند الكفران وقول من قال اذا كفرت النعمة حسنت
المنة لان قائل ذلك ليس الله عز وجل ولا رسوله ولا احدا من اهل
العصمة والعمل انما هو بعموم النهي عن المنة الوارد في الايات والاحاديث
وانما خص المومنين بالذكر مع ان نعمة بعثته صلى الله عليه وسلم عامة
لزيادة انتفاعهم بها والمراد بالمومنين في هذا المقام قيل المومنون
من قومه وقيل من العرب وقيل من جميع الناس ويراد بقوله من
انفسهم على قراة الضم من جنسهم او من مثلهم بنا على ان المراد بالمومنين
جميع الناس الثاني في تنكير رسولا من المدحة له ما لا يخفى لان
التنكير فيه اما للتعظيم على حد قوله عز وجل فاذنوا بحرب اي حرب
عظيم واما للدلالة على الوحدة اي بعث فيهم رسولا واحدا وعلى كل
حال ففيه مدحة لنبينا صلى الله عليه وسلم اما على الاول فظاهر واما على
الثاني ففيه تنبيه على انه يغني عن ارسال كثيرين لظهور اياته وقوة
حججه الثالث انه عز وجل نعت نبيه صلى الله عليه وسلم بانه يتلو على
المومنين ايات الله عز وجل اي يقرؤها عليهم وسمي القاري تاليا
لانه يتبع ما يقرؤه والتالي التابع وقد تلاه يتلوه اذا تبعه وقوله
فالتاليات ذكرا يعني الملائكة ياتون بالوحي فيتلونه على انبياء الله عز وجل

والمراد

الغنى الكفاية
جمل

والمراد بالايات القران يعني يتلو عليهم القران بعد ما كانوا جهالا لا
لم يسمعوا الوحي الرابع ان الله عز وجل نعت نبيه صلى الله عليه وسلم
بانه يعلم المومنين الكتاب وهو القران المعجز سمي كتابا لما جمع فيه
من القصص والامر والنهي والامثال والشرايع والمواعظ
وكل شي جمعت بعضه الى بعض فقد كتبته ويقال للخرز في
المزادة الكتب لتداني بعضها من بعض واصواتها كتبة ومنه قيل
للقطعة المجتمعة من الجيش كتيبة والسادس انه تعالى وتقدس
نعت نبيه صلى الله عليه وسلم بانه يعلم امته الحكمة والحكمة عند العرب
ما منع به الجهل يقال احكمت فلانا اي منعته قال
ابي حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا
وبه سميت حكمة اللجام لانه يمنع بها الدابة ويقال احكمت الشي اذا
جعلته ممتنعا من العيب وبه سمي الحاكم لانه يمنع الظالم السابع
انه عبر في ذلك كله بصيغة المضارع المفيدة للاستمرار التجددي
فكان تعليمه اياهم الكتاب مستمرا متجددا وقتا بعد وقت حين كان
موجودا بين اظهر الناس وحين فقد جسده الكريم من هذا العالم
لا ينقطع تعليمه الناس الى ان ياتي امر الله وهي الريح التي تهب
قرب ـــ فتقبض كل انسان مومن عملا بقول النبي صلى الله
عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من
خذلهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك الثامن انه تعالى وتقدس نبه

بانه يزكي المومنين اي يطهرهم من
دنس الطباع وسوء العقائد
والاعمال ويمكن ان يراد
بجعلهم ان كيح جميع ذنوبهم وهو
الذي بما صلاحهم اوان الله
عز وجل علم نبيه الطريق
التقرب الى الله عز وجل الا بكل
من تقرب الى الله عز وجل بعمل
صالح فقد تزكى اليه ومنه
قوله عز وجل يوتي ماله يتزكى
وقوله تعالى قد افلح من زكاها
اي من قربها اليه بعمل صالح
الا ميتة انه تعالى نعت
نبيه صلى الله عليه وسلم

على ان محمدا صلى الله عليه وسلم ذو ايات بينات ودلالات ظاهرات
فعلى تقدير ان قومه الذين ارسل منهم انغمسوا في الضلال حتى صار
الضلال ظرفا لهم بحيث احاط بهم احاطة الظرف بالمظروف وكان ذلك
الضلال ظاهرا بينا يفهمه كل احد فمحمد محمد صلى الله عليه وسلم
ومواعظه الحسنة واقواله السديدة تنقذهم من ذلك فكيف
اذا لم يكونوا في ضلال اصلا كالنصارى الذين انقذهم الله عز وجل
من النصرانية الى الحنيفية وكانوا قبل ذلك على حق ثم امنوا به
صلى الله عليه وسلم فاتاهم الله عز وجل اجرهم مرتين او كانوا في ضلال
لكن غير مبين كالصديق فانه رضي الله عنه لم يكن قبل اسلامه متدينا
بدين لكنه لم يزل بعين الرضا لم يسجد لصنم ومثله في هذه المدحة
في الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية
فانها تشتمل على مدائح لنبينا صلى الله عليه وسلم مثل المدائح السابقة
والاميون نسبة الى الام سموا بذلك لانهم على اصل ولادة امهم
ولم يتعلموا الكتابة ولا حسابا وهم على جبلتهم الاولى ومنه الحديث
بعثت الى امة امية وقيل للعرب الاميون لان الكتابة كانت فيهم
عزيزة او عديمة قال ابن عباس الاميون العرب كلهم من
كتب منهم ومن لم يكتب لانهم لم يكونوا اهل كتاب وروى منصور عن
ابرهيم قال الامي الذي يقرا ولا يكتب والمراد بكونه منهم انه
امي مثلهم وانما وصفه بكونه منهم وامتن على عباده بكونه منهم

ويكونه

ويكونه اميا لموافقته ما تقدم من بشارة الانبياء به فانه كان منعوتا
في الكتب السابقة بانه النبي الامي وفي حديث الجساسة المروي في
صحيح مسلم عن الدجال انه قال ما فعل نبي الاميين ولان كونه
اميا مع كثرة علمه ابلغ في معجزته ولو لم يكن معجزة سواه لكفاه ذلك
ولله در الابوصيري حيث قال

من البسيط

كفاك بالعلم في الامي معجزة ، في الجاهلية والتاديب في اليتم ،
وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الاية هذه الاية تتضمن انواعا
من المدح الاول ان ارساله صلى الله عليه وسلم شرط للخشية الثاني
انه موذن باتمام النعمة وهذا مبني على ان الكاف من صلة ما قبلها قال محمد
ابن جرير الطبري ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام دعا بدعوتين فقال
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فهذه الدعوة
الاولى والثانية قوله عز وجل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية
فبعث الله عز وجل الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعد في هذه
الاية بان يجعل من ذريته امة مسلمة فمعنى الاية ولاتم نعمتي عليكم
ببيان شرائع ملتكم الحنيفية واهديكم لدين خليلي ابرهيم عليه الصلوة
والسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يعني فكما اجبت دعوته ببعثي
الرسول كذلك اجبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين
فهذا على قول من يجعله متصلا بما قبله وجوابا للاية الاولى
وهو اختيار الفراء وقيل انها متعلقة بما بعدها وهو قوله عز وجل

فاذكروني اذكركم تقديره كما ارسلنا فيكم رسولا فاذكروني اذكركم
فيكون لقوله فاذكروني جوابان احدهما كما والاخر اذكركم كقولك
اذا اتى فلان فاكرمه فانه يرضيه فقوله فانه جواب ثان لقوله اذا
جاء فلان كقولك اذا اتاني احسن اليك اكرمك قاله مجاهد وعطاء
والكلبي ومقاتل والاخفش وابن كيسان والزجاج وهذه
الاية خطاب للعرب او اهل مكة الثالث انه عز وجل نعمته بانه يتلو
عليهم ايات الله طبق ما دعا ابرهيم خليل الله عليه الصلوة والسلام
وقد تقدم الكلام على قوله يتلو عليهم اياتنا في الاية السابقة
الرابع انه يزكيهم وتقدم الكلام على معناه فان قلت لم قدم يزكيهم
في هذه الاية على تعليم الكتاب والحكمة واخره في اية دعوة ابرهيم
عنها حيث قال فيها ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم قلت اجاب عن ذلك القاضي فقال
قدمه باعتبار القصد واخر في دعوة ابرهيم باعتبار الفعل انتهى ومعناه
ان التزكية هي المقصودة بالذات من تعليم الكتاب والحكمة فكانها علة
غائية لتعليمها ولكن التزكية بالفعل لا توجد الا بعد تعلم الكتاب والحكمة
فكانت متاخرة عنه في الوجود متقدمة التصور ففي موضع قدمها
باعتبار التصور وفي اخر اخرها باعتبار الوجود الخامس
انه يعلمهم الكتاب السادس انه يعلمهم الحكمة وقد تقدم الكلام على معنى
ذلك السابع انه صلى الله عليه وسلم يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ما هو خارج
عن الكتاب

عن الكتاب والحكمة كاخبار النبيين وقصص القرون الماضية وعلوما
اخرى باطنية وظاهرية مما هو مشاهد في امته صلى الله عليه وسلم وانما
اعاد قوله ويعلمكم مع ان العطف على ما مضى كاف في تادية المعنى
للاشارة الى ان ما وقع بعد قوله ويعلمكم جنس اخر غير الجنس السابق
ولعمري ان المصنف لو استشهد على ما هو بصدده باية دعوة
ابرهيم عليه الصلوة والسلام لكانت اوفى بالمقصود من جهة انها
مشتملة على هذه المدائح مع زيادة انها تفيد ان ذكره عليه الصلوة
والسلام كان موجودا على السنة الانبياء السابقين وانهم يعلمون به
وبكماله وروي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عنه اي عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى من انفسكم اي بفتح الفاء قال نسبا وصهرا
وحسبا هذا بيان للتمييز الذي دل عليه اسم التفضيل فانه افاد انه
انفسهم في شي مبهم والنبي صلى الله عليه وسلم فسره بذلك وانما كان
النبي صلى الله عليه وسلم من انفسهم نسبا لان الله عز وجل لم يبعث نبيا
الا وهو ذو نسب في قومه قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا اراد الله عز وجل ان يبعث نبيا نظر الى اهل الارض قبيلة خيرة
فبعث خيرها رجلا وفي الترمذي ما بعث الله عز وجل بعد لوط عليه
الصلوة والسلام نبيا الا في ثروة من قومه وظاهر قول في حديث
ابي سفيان كان اشرفهم نسبا لما روى عن العباس بن عبد المطلب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل خلق الخلق

فجعلني من خيرهم وتخير القرون فجعلني من خير قرنهم ثم تخير القبائل
فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم
نفسا وخيرهم بيتا ولهذا قال عمه ابو طالب اذا اجتمعت ...

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت اشراف عبد منافها ... ففي هاشم اشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا ... هو المصطفى من سرها وكريمها

وفي القاموس النسب القرابة مطلقا او في الآباء خاصة وفي النهاية
النسب الولادة القريبة واما الصهر ففي النهاية الصهر حرمة التزوج
والفرق بينه وبين النسب ان النسب ما رجع الى ولادة قريبة
من جهة الآباء والصهر ما كان من خلطة تشبه القرابة يحدثها التزوج
ومعنى الصهر هنا ان آباءه لم يتزوجوا الا من خير نسا العرب واما
الحسب بفتح السين فهو في الاصل الشرف بالآباء وما يعده الانسان
من مفاخرهم وقيل الحسب والكرم يكونان في الرجل وان لم يكن له
آبا لهم شرف والشرف المجد لا يكون الا بالآبا فان قلت ما معنى قول
النبي صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى فانه يقتضي ان
يكون الحسب هو المال قلت جعل صلى الله عليه وسلم المال بمنزلة
شرف النفس او الآبا والمعنى ان الفقير ذا الحسب لا يوقر ولا يحتفل
به والغني الذي لا حسب له يوقر ويجل في العيون ومن هذا القبيل
قوله صلى الله عليه وسلم حسب الرجل خلقه وكرمه دينه وقيل الحسب

عدد ذوي القرابات ماخوذ من الحساب وذلك انهم اذا تفاخروا عد
كل واحد منهم مناقبه ومآثر آبائه وحسبها فالحسب العد والمعدود
ليس في آبائي هذه الجملة مستانفة بيان لكونه صلى الله عليه وسلم انفسهم
نسبا وصهرا وحسبا كان سائلا سال وقال لم كان انفسهم
فقال لانه ليس في آبائي من لدن آدم لدن بمعنى عند الا انها لا تستعمل الا
في ابتداء غاية وعند تكون فيها وفي غيرها قال الراغب لدن اخص
من عند وابلغ لانها تدل على ابتداء نهاية الفعل اي ابتدا من هنا آبائي
من آدم وانتهاؤها الي سفاح اي زنى وفي القاموس السفاح
الفجور وفي النهاية السفاح الزنى ماخوذ من سفحت الماء اذا
صببته كلهم نكاح كذا في نسختي التي بيدي الان وفي نسخة اخرى هي
بيدي ايضا الان كلنا باضافة كل الى ضمير المتكلم مع الغير والضمير
المجرور على النسخة الاولى عائد الى الوطآت التي خلق منها آبا النبي
صلى الله عليه وسلم واسناد نكاح الى كلها اسناد السبب الى المسبب
لان الواطي فيها انما وطي بسبب النكاح فهو مجاز عقلي على راي
من اجاز وقوعه في غير الفعل وما اشبهه والضمير المجرور على
النسخة الثانية عائد الى النبي صلى الله عليه وسلم وآبائه واسناد نكاح
اليهم باعتبار انه اراد بالنكاح معناه الحقيقي الذي وضع له لكنه
صلى الله عليه وسلم للكثرة ما جرى هو وآباؤه عقود الانكحة صاروا
كانهم نتجوا من النكاح او يقال انه ذكر النكاح واراد الناكح

اي كلنا ناكحون او على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي
كلنا ذوو النكاح لكن اول الاوجه اولى لان المقصود المبالغة في كثرة
النكاح وكثرة وقوعه من اباي وامهاتي فهو على حد قوله
فانما هي اقبال وادبار فان قلت ماذا اراد من النكاح العقد ام
الوطء قلت يتعين ارادة العقد وهذا يدل على ما هو الاصح
عندنا معشر الشافعية ان النكاح حقيقة في العقد مجاز في
الوطء وفي ذلك للعلماء ثلاثة اقوال الاول انه حقيقة في العقد
مجاز في الوطء الثاني عكس ذلك الثالث انه مشترك بينهما
الاصح منها الاول وقال ابو حنيفة رضي الله عنه بالثاني وهو اقرب
الى اللغة والاول اقرب الى الشرع قال الزمخشري وهو من
الحنفية في الفروع لم يرد النكاح في القران الا بمعنى العقد لان كونه
بمعنى الوطء من باب التصريح ومن داب القران الكناية عنه بلفظ
الملامسة والمماسة ولا يرد قوله عز وجل حتى تنكح زوجا غيره لان
المراد به العقد والوطء مستفاد من حديث العسيلة وقال
الراغب يستحيل ان يكون النكاح حقيقة في الجماع ويكنى به عن العقد
لان الجماع يستقبح من ذكره كما يستقبح من فعله والعقد لا يستقبح
اي فلا يكنى بالاقبح عن غيره ولانه يصح نفيه عن الوطء اذ يقال في
الزنى سفاح لا نكاح ويقال في السرية ليست زوجة ولا منكوحة
وصحة النفي دليل المجاز فان قلت ما المراد بكون اباءه لم يجتمعوا مع
امهات

امهاته الا على عقد هل هو العقد الاسلامي المطابق لدين الاسلام
او العقد المطابق لدين من الاديان السالفة قلت قد ورد في حديث
رواه البيهقي في سننه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني
من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح الاسلام فان قلت من اين
نعرف اباؤه السالفون عقد دين الاسلام قلت يجوز ان يكون
ذلك بالهام من الله عز وجل صيانة لذاته الشريفة من ان توجد بغير
عقد يعتبره الاسلام ويجوز ان يكون بعقد ماخوذ عن دين من
الاديان السالفة على اختلافها وذلك العقد لو عرض على دين الاسلام
لاجازه واقره لانا نقر الكفار على عقود انكحتهم ولهذا قال النبي صلى
الله عليه وسلم لغيلان وقد اسلم وتحته عشر نسوة امسك اربعا
وفارق سائرهن ولم يامره بتجديد النكاح مع الاربع اللاتي
امسكهن والله عز وجل سمى امراة فرعون زوجته وكذا امراة
ابي لهب ونحو ذلك وروى البيهقي في السنن الكبير عن جعفر بن محمد
قال لم يصب النبي صلى الله عليه وسلم شيء من ولادة الجاهلية قال
وقال النبي صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح غير سفاح واخرج
الحافظ ابو القسم في تاريخه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب ادم
ولم تزل تنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من افضل حيين
من العرب هاشم وزهرة وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتق ابواي قط على سفاح لم يزل الله
عز وجل ينقلني من الاصلاب الطاهرة الى الارحام النقية مصفى
مهذبا ولا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما هذا وان
حديث علي رضي الله عنه المذكور رواه ابن ابي عمر العدني في مسنده
وقال ابن الكلبي هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي ابو النضر الكوفي ترجمة ابن الكلبي
يروي عن الشعبي وابن صالح باذام وجماعة ويروي عنه ابنه
هشام والسفيانان وابن المبارك وابن معاوية الضرير ويزيد
ويعلى وخلق قال البخاري تركه القطان وابن مهدي مات سنة
ست واربعين ومائتين والمراد بابن الكلبي هنا محمد بن السائب
فان السائب كلبي منسوب الى كلب وهي قبيلة وهذا الاثر رواه
ابنه هشام عنه كما صرح بذلك شيخ اشياخنا الشهاب القسطلاني
في المواهب اللدنية ولفظه فيها وروى ابن سعد وابن عساكر
عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي صلى
الله عليه وسلم الى اخره فالكاتب انما هو محمد بن السائب وهو المعبر
عنه هنا بابن الكلبي واما ابنه هشام فهو راو عن ابيه وليس
كاتبا ولا مامورا بالكتابة وانما روى عن ابيه وابوه الكاتب كتبت للنبي
صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام قال التجاني يستحيل على مقتضى التاريخ
ان يكون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ادم خمسمائة ام او نصف
ذلك او ربعه فان الدنيا اقرب من ذلك فقد جاء في الحديث ان رسول الله
صلى

صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سبعة الاف سنة بعثت في اخرها الفا
وهذا الحديث وان كان ضعيف الاسناد فقد روي مرفوعا عن
ابن عباس رضي الله عنهما من طرق صحاح انه قال الدنيا سبعة ايام
كل يوم الف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر يوم منها
وقد مضت منها سنون او قال مئون وانما يتاول قول ابن الكلبي
على ان يكون قد عد من امهاته صلى الله عليه وسلم امهات اعمامه واعمام
اجداده فان زوجة ابي الرجل ام فتكثر امهاته صلى الله عليه وسلم
بهذا الاعتبار والا فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين عدنان
عشرون جدا باجماع والاختلاف فيما بين عدنان وادم فيقلل
ويكثر والذي ذكره ابن اسحق في السيرة وغيره من المورخين ان
بينهما ستة وعشرين جدا فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين ادم على هذا سبعة واربعون جدا فيهم عدنان وهذا اتفاق
كثير انتهى كلامه واقول لم يظهر لي وجه حكمه على ذلك بالاستحالة مع
انه يتصور للانسان ان يكون له من جهة واحدة من جهات نسبه
خمسمائة ام فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم امه امنة ولها ام ولامها ام
ولابيها ام ولام ابيها ام ولابي ابيها ام ولابي امها ام ولابي ام امها ام
ولام ام امها ام ~~ولام ام امها لم~~ وهكذا ويقال بمثل هذا في ابيه عبد الله
وفي ام ابيه وفي جده عبد المطلب بحيث اذا استقريت الامهات التي
ينتمي اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكن انه يوجد له من جهة اصل من

اصوله الطاهرة خمسمائة ام واعجب من هذا قاويل كلام ابن الكلبي
بما لا يقوله عاقل بان يكون قد علم من امهاته صلى الله عليه وسلم
امهات اعمامه واعمام اجداده فان زوجة ابي الرجل امه وان بعد
اطلاق الام عليها من قبيل التغليب وان ذلك من قبيل دخول من
هو من اعمامه تحت ابائه بطريق التغليب في قوله عز من قائل قالوا
نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق فان ذاك لم يحتج
اليه الا لما كان كلام اصدق القائلين عز وعلا وجعل من جملة اباء
يعقوب اسمعيل اول ذلك بانه من قبيل التغليب واما هذا فانه
كلام رجل يجوز ان يكون مصيبا وان يكون مخطئا على ان كلام ابن الكلبي
طرق سمع علماء ماهرين فنقلوه في كتبهم واقروه ولم يستبعده
فما من عالم الف في نسب المصطفى صلى الله عليه وسلم شيا الا وتعرض
لمقالته وقبلها فالعجب استبعاد ذلك واعجب منه عده من قبيل
المحال فتدبر واما الكلام على نسب النبي صلى الله عليه وسلم وكم بينه وبين
عدنان وكم بين عدنان وادم واسمعيل والاختلاف في نسبه وفي
جواز رفع نسبه الى ما فوق عدنان فسنذكره مفصلا تفصيلا
شافيا عند شرح قول المصنف فصل واما شرف نسبه وكرم بلده
ومنشاه ان شاء الله تعالى **فما وجدت فيهن** اي في امهات النبي صلى الله
عليه وسلم **سفاحا** اراد به الزنى ويمكن ان يراد به ما كان عليه اهل
الجاهلية من ان المراة تسافح الرجل اياما ثم ينكحها **ولا شيء مما كان**

عليه

عليه اهل الجاهلية هي ما كان عليه العرب قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه
وسلم وفي النهاية الاثيرية هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الاسلام
من الجهل بالله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين
والمفاخرة بالانساب والكبر والتجبر وغير ذلك فان قلت اراده ما
قبل البعثة من لفظ الجاهلية مطلقا حيث اتى هل هي صحيحة
اولا قلت الذي جزم به النووي في عدة مواضع من شرح مسلم ان
هذا هو المراد حيث اتى لكن فيه نظر فان هذا اللفظ وهو الجاهلية
تطلق مضافة للشخص والمراد ما قبل اسلامه وضابطه غالبا
فتح مكة ومنه قول مسلم في مقدمة صحيحه ان ابا عثمان وابا رافع
ادركا الجاهلية وقول ابي رجا العطاردي رايت في الجاهلية قردة زنت
وقول ابن عباس رضي الله عنهما سمعت ابي في الجاهلية يقول
اسقنا كاسا دهاقا وابن عباس انما ولد بعد البعثة فان قلت
لم عطف قوله ولا شيء مما كان عليه اهل الجاهلية على قوله سفاحا قلت
كان اهل الجاهلية يفعلون امورا لا يعدونها فيما بينهم سفاحا وان
كان الاسلام يبطلها ويعدها زنى ويوجب على مرتكبها الحد فمنها
نكاح المسافحة وهو ان يسافح الولي الزوج بغير لفظ ويجعل المسافحة
قائمة مقام الايجاب والقبول وهو باطل وكان نكاحا في الجاهلية
وبعض اعراب البادية يفعله الى اليوم ومنها نكاح الراية وكان
اهل الجاهلية اذا كان فيهم زانية نصبت على بيتها راية فمن اراد الزنى

بحث
معنيه فيما نكحه الجاهلية التي برا الله منها امهات نبينا صلى الله عليه وسلم اكراما له

دخل اليها فلو جعل نصب الراية علامة على الاجانب والعقول لم يكف
ومنها البغاية وكانت المراة في الجاهلية اذا ارادت نجب الولد مكنت
من نفسها جماعة نجباء في خلق فيطؤها فتحمل من احدهم وفي صحيح
البخاري بسنده الى عروة بن الزبير عن عائشة ام المومنين رضي الله عنها
انها اخبرته ان النكاح في الجاهلية كان على اربعة انحاء فنكاح منها
نكاح الناس اليوم يخطب الرجل الى الرجل وليته او ابنته فيصدقها
ثم ينكحها ونكاح آخر كان الرجل يقول لامراته اذا طهرت من طمثها
ارسلي الى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها ابدا حتى
يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فاذا تبين حملها
اصابها زوجها اذا احب وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا
النكاح نكاح الاستبضاع ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة
فيدخلون على المراة كلهم يصيبها فاذا حملت ووضعت ومر عليها
ليال بعد ان تضع حملها ارسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع
حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت
فهو ابنك يا فلان تسمي من احبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع
ان يمتنع به الرجل ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المراة
لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على ابوابهن رايات
تكون علما فمن ارادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت
حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط

قوله تكون محل نظر تدبر

به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم
بالحق هدم نكاح الجاهلية كله الا نكاح الناس اليوم انتهى ما في الصحيح
وزاد بعضهم على ذلك نكاح الخدن وهو الصاحب وكان اهل الجاهلية
يعدون ما برز من الزنى مسافحة وما خفي مخادنة وكانوا يقولون
ما استتر فلا باس به وما ظهر يلام صاحبه ونكاح المتعة وقد عده
ابن حجر العسقلاني من انكحة الجاهلية وكان مباحا في اول الاسلام
ثم حرم في السنة العاشرة واستمر تحريمه قال ابو حامد في الرونق
وصفة نكاح المتعة ان ياتي الرجل الى المراة فيقول امتعيني نفسك
اياما معدودة بشيء معلوم على ان لا تلحقي بي نسبا وان مات احدنا
لم يرث صاحبه وان الخيار في اي الصاحبين شئت فان انقضت
المدة واردت المقام تقيمين على ما مضى من الشرط بيننا وانطلق
من عندك بغير طلاق ولا عدة لي عليك ولا نفقة لك علي فهذا
حرام حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقت تحريمه مذكور في
صحيح مسلم ومنها نكاح البدل وقد اخرج الدارقطني من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل
انزل لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي وازيدك ولكن اسناده
ضعيف جدا ومنها نكاح الشغار وكان عند العرب تكبر يمنعهم
من ان يزوجوا حتى يزوجوا وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح الشغار والشغار ان يزوج

ثم ابيح ثم حرم ثم ابيح ثم حرم

الرجل ابنته على ان يزوجه الاخر ابنته ليس بينهما صداق قال
ابن عبد البر اجمع العلما على ان نكاح الشغار لا يجوز ولكن اختلفوا فى
صحته فالجمهور على البطلان وفي رواية عن مالك يفسخ قبل
الدخول لا بعده وحكاه ابن المنذر عن الاوزاعي وذهب الحنفية الى
صحته ووجوب مهر المثل وهو قول الزهري ومكحول والثوري
والليث ورواية عن احمد رضي الله عنهم اجمعين فهذه انكحة الجاهلية
وقد برا الله عز وجل امهات نبينا صلى الله عليه وسلم عن مثل هذه
الانكحة الباطلة المكروهة فان قلت لم عطف قوله ولا شيء مما
كان عليه اهل الجاهلية على قوله سفاحا قلت ان اراد بالسفاح ما
كان يسميه اهل الجاهلية سفاحا وبما كان عليه اهل الجاهلية الانكحة
التي كانوا يفعلونها وقد قدمناها وكانوا لا يسمونها سفاحا فعطف
قوله ولا شيء الى اخره على قوله سفاحا عطف مغاير على مغاير لان
المراد بالمعطوف غير المعطوف عليه وان اراد بالسفاح ما بعد
الاسلام سفاحا دخل فيه بعض هذه الانكحة المذكورة وبعضها غير
داخل فيه كنكاح المتعة فانه ليس بزنى ولا يحد فاعله لقول
ابن مسعود بجوازه وكنكاح الشغار فانه وان كان باطلا لا حد فيه
فلا يعد فاعله زانيا فعلى هذا بين السفاح وبين ما كان عليه اهل
الجاهلية عموم من وجه لاجتماعهما فى نكاح البغايا فهو سفاح شرعا
وكان عليه اهل الجاهلية وينفرد السفاح عما كان عليه اهل الجاهلية

فيما

فيما اذا زنى بامراة من غير طريق من الطرق السابقة وينفرد ما
كان عليه اهل الجاهلية عن السفاح في نكاح المتعة والشغار
ولا يستقيم ان يراد بالسفاح ما لم يوافق شريعة فانه يرد عليه نكاح
الاخت وكان حلالا في شريعة ادم عليه الصلوة والسلام مع انه زنى
باجماع الامة فان قلت حيث نزهتم امهات نبينا صلى الله عليه وسلم
عما كان عليه اهل الجاهلية فما القول في ما ذكر الزبير بن بكار وغيره ان
كنانة بن خزيمة وهو احد اجداد نبينا صلى الله عليه وسلم خلف اباه
خزيمة على زوجته برة بنت اد بن طابخة بعد موته فولدت له ابنه النضر
وهو جد للنبي صلى الله عليه وسلم وبرة بنت اد بن طابخة جدته صلى الله عليه وسلم
ونكاح زوجة الاب حرام لم يحل في ملة من الملل قلت هذا من غلط
الزبير فان برة بنت اد بن طابخة لم تلد لكنانة ولدا لا ذكرا ولا انثى
وام النضر ابنه انما هي برة بنت مر بن اد قاله الجاحظ وفى السيرة
الهشامية قال ابن اسحق فولد كنانة بن خزيمة اربعة نفر النضر بن
كنانة ومالك بن كنانة وعبد مناة بن كنانة وملكان بن كنانة
فام النضر برة بنت مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وسائر
بنيه لامراة اخرى وخالفه ابن هشام فقال وام النضر ومالك وملكان
برة بنت مر وام عبد مناة هالة بنت سويد بن الغطريف من
ازد شنوءة قال ابن هشام النضر قريش فمن كان من ولده فهو
قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي قال جرير بن عطية يمدح

هشام بن عبد الملك بن مروان

من الوافر

فما الام التي ولدت قريشا بمقرفة النجار ولا عقيم
فما قرم بانجب من ابيكم ولا خال باكرم من تميم

يعني برة بنت مر اخت تميم بن مر وهي ام النضر انتهى فهذا صريح
في ان ام النضر اما بعده واما مع اخويه ملك وملكان انما هي برة
بنت مر بن اد بن طابخة وزوجة خزيمة الذي خلف ابنه عليها انما كانت
برة بنت اد بن طابخة وليست من امهات النبي صلى الله عليه وسلم قال
الجاحظ وانما غلط كثير من الناس لما سمعوا ان كنانة خلف على زوجة
ابيه لاتفاق اسمها وتقارب نسبها ومن اعتقد غير هذا فقد
اخطا وعلى مثل ابن اسحق وابن هشام المعول في مثل ذلك واليهم
يساق هذا الحديث فان قلت اما يجوز ان يقال ان نكاح زوجة
الاب كان مباحا بشرع متقدم قلت لم يات شرع بحله ولا احلته
ملة من الملل نعم كان اهل الجاهلية يفعلونه من عند انفسهم من غير
استناد الى مقالة نبي ولا شرع وفي صحيح البخاري كانوا اذا مات الرجل
كان اولياؤه احق بامراته ان شا بعضهم تزوجها وان شاوا زوجوها
وان شاوا لم يزوجوها فهم احق بها من اهلها فنزل قوله عز وجل
لا يحل لكم ان ترثوا النسا كرها الاية لكن قضية كلام القرطبي ان ذلك
كان مباحا في بدء الاسلام ولفظه كان الناس يتزوجون امراة
الاب برضاها بعد نزول قوله عز وجل لا يحل لكم ان ترثوا النساء
كرها

كرها حتى نزل قوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا فصار حراما
في الاحوال كلها واقول ليس مراد القرطبي ان ذلك كان مباحا باباحة
شرعية وان نبينا صلى الله عليه وسلم اباح ذلك لهم بدليل قوله عز وجل
انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا فان كان هنا بمعنى لم يزل
اي انه متصف بالفحش في الماضي والحال والاستقبال وكثيرا ما
يستعمل كان بمعنى لم يزل قال ابو بكر الرازي كان في القران
على خمسة اوجه بمعنى الازل والابد كقوله عز وجل وكان الله عليما
حكيما الى اخر ما قال فان قلت لم لم تقولوا بزيادتها كما قال المبرد فلا
تحتاجون الى جعلها بمعنى لم يزل قلت لان كان الزائدة لا خبر لها والخبر
هنا موجود على ان المبرد ما اراد بزيادتها انها مثل كان في قولك زيد
كان قائم بل اراد انها زائدة من حيث المعنى اي لا يراد بها تقييد خبرها
بكونه في الزمان الماضي والحق ما قررنا انها بمعنى لم يزل فان قلت
هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امراة ابيه
عبد مناف وهي واقدة قلت هي ليست جدة للنبي صلى الله عليه
وسلم لانه صلى الله عليه وسلم انتمى الى هاشم من عبد المطلب فعبد المطلب
ابن هاشم وام عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن
خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار واسم النجار تيم الله بن
ثعلبة بن عمرو بن الخزرج فهي انصارية فهاشم تزوج امراة
انصارية من بني النجار فولدت له عبد المطلب ولهذا كان النبي صلى

الله عليه وسلم لمجل بني النجار اخواله واما واقدة المذكورة فتزوجها
اولا عبد مناف وهي واقدة بنت عمرو المازنية مازن بن منصور
ابن عكرمة وولدت له نوفل بن عبد مناف ثم تزوجها ابنه هاشم
فولدت له ام حلة وضعيفة وبالجملة فهذه لبست اما للنبي صلى
من سورة الشعراء
الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك
في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا فهذه الرواية
عن ابن عباس رضي الله عنهما تدل على انه صلى الله عليه وسلم يتقلب في
الساجدين وهم الانبيا عليهم الصلوة والسلام وكنى بالساجدين
عنهم لان السجود كان ديدنهم ومعنى تقلبك خروجك من ساجد
الى ساجد بمعنى انك تكون في صلب ساجد فتنتقل الى صلب ساجد
اخر فهذه الاية يستشهد بها على نزاهة آبا النبي صلى الله عليه وسلم على
هذه الرواية عن ابن عباس واما على ما روي عنه من ان المراد
بالساجدين المصلون ومعنى تقلبك فيهم انك تصلي معهم فيكون الله
عز وجل اخبره بانه عز وجل يراك في حالتي قيامك للصلوة للتهجد
وصلاتك مع المصلين وبهذه استشهد مقاتل على وجود صلوة
الجماعة في القران اذ سال ابا حنيفة رحمه الله فقال له هل تجد
صلوة الجماعة في كتاب الله عز وجل فقال الحضرني ذلك فتلا مقاتل
هذه الاية نقله صاحب الكشاف ولا شك ان حالة التهجد حالة
خفية فالله عز وجل اخبره انه يراه في الحالتين فهو حري بان يتوكل
عليه

عليه وانما اخبره بذلك لانه تعالى امره ان يتوكل على العزيز الرحيم
اي على الغالب الذي يقهر اعداءه الذين كذبوه بعزته وبنصره
عليهم برحمته ثم اتبع ذلك ببيان ما هو من اسباب الرحمة
وهو ذكر ما كان صلى الله عليه وسلم يفعل في جوف الليل من قيامه في
التهجد وتقلبه اي تردده في تصفح احوال المتهجدين ليطلع عليهم من
حيث لا يشعرون ويستبطن سرائرهم كيف يعبدون الله
وكيف يعملون لاخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل
طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه
عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله عز وجل
والتلاوة وعندي ان رواية ابن عباس هذه انسب بمبدا الاية
فان الله عز وجل امره في مبدئها بان يتوكل عليه ونعت نفسه
تعالى وتقدس بانه العزيز الرحيم اي الذي في الحقيقة لا عزيز
سواه ولا رحيم غيره ثم وصف نفسه بانه يراه حين قيامه
للصلوة فيكلوه ويراه ايضا في حالات خفية وهي كونه في صلب
ادم ثم في صلب نوح ثم في صلب ابرهيم ثم في صلب اسمعيل حتى
اخرجك نبيا فالذي علم احوالك وانت في هذه الحالات حقيق
بان تتوكل عليه ولا يقال انه لا ملايمة بين رويته حين يقوم وبين
تقلبه في اصلاب النبيين لانا نقول ان بينهما كمال الملايمة من حيث

انه الاية مسوقة لحث الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم على ان يفوض
شوونه الى الله عز وجل وان الله عز وجل نبهه على انه يعلم احواله
ويراها فيراه حين يقوم للتهجد اذا جن الظلام بل يراه وهو
نطفة في صلب نوح وابرهيم واسمعيل يتقلب من صلب
الى صلب اخر فمن دبره وكلاه وراه وهو في شان لا يمكن ان
يراه احد الا هو سبحانه حقيق بان يتوكل عليه ويفوض امره اليه
وقد ذكر ابو سعيد في كتاب شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم ان الله
تبارك وتعالى اظهر اسم نبيه صلى الله عليه وسلم على اللوح منورا اربعة
الاف سنة ثم اظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبتا
سبعة الاف سنة الى ان وضعه الله سبحانه وتعالى في صلب
ادم ثم ان الله تعالى نقله من صلب ادم الى صلب نوح عليه
الصلوة والسلام ثم من صلب الى صلب حتى اخرجه من صلب
عبد الله بن عبد المطلب ولله در ابي زكريا يحيى الصرصري
اذ قال في نونيته

وبصلب ادم كان وقت هبوطه ... وبصلب نوح وهو في الطوفان
وبصلب ابرهيم حين رمى به ... في ناره اشقى بني كنعان

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان قريشا كانت نورا بين يدي
الله تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة
بتسبيحه فلما خلق الله سبحانه وتعالى ادم عليه الصلوة والسلام

التي

التي ذكر النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله عز وجل
الى الارض في صلب ابرهيم ادم عليه الصلوة والسلام وجعلني سبحانه وتعالى
في صلب نوح عليه الصلوة والسلام وقذف بي في صلب ابرهيم عليه
الصلوة والسلام ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة
والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط
وسياتي ذكر هذا الخبر في الباب الثالث واستشهد المصنف على
صحته بشعر العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم الذي من جملته قوله

تنقل من صالب الى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق

ويعجبني في هذا المعنى قول ابي الخطاب الاندلسي

فمن لي وانى لي برتح تحطني ... الى ذروة البيت الرفيع المطنب
الى الهاشمي الابطحي محمد ... الى خاتم الرسل المكين المقرب
الى صفوة الله الامين لوحيه ... ابي القاسم الهادي الى خير مشعب
الى المنتقى من عهد ادم في الذرى ... تردد في السر الصريح المهذب
الى من توالى الله تطهير بيته ... وعصمته من كل عيص موشب
نقي بري العرض من كل وصمة ... فما شئت من ام حصان ومن اب
اذا اعرضت اعراقه عن قبيلة ... فما اعرضت الا لامر مغيب
وما عبرت الا على مسلك الهدى ... ولا عبرت الا على كل مطلب

فان قلت فقد احتج الامام فخر الدين الرازي في كتابه اسرار التنزيل بهذه
الاية على ان اباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مومنين فقال قال بعضهم

جعفر الصادق رضي الله عنه

معنى قوله وتقلبك في الساجدين انه صلى الله عليه وسلم كان ينتقل نوره
من ساجد الى ساجد قال ففيه دلالة على ان جميع اباء نبينا صلى الله
عليه وسلم كانوا مسلمين ثم قال ومما يدل على ان اباء محمد صلى الله عليه
وسلم ما كانوا مشركين قوله صلى الله عليه وسلم لم ازل انتقل من
اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقد قال الله سبحانه انما
المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد من اجداده نجسا قلت
لا دلالة في ذلك على ان كل من انتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى صلبه
يكون مومنا لان المراد من الطهارة الطهارة من الفاحشة وانه
لم يخرج من صلب بجامع الاجماع حلالا لا الا لباء عن وصمة العيب
والزنى ولم يقع الا في رحم امراة لم تزن في حال كونه في رحمها على ان
تقلبه في اصلاب المومنين يجوز ان يقع مع تخلل وقوعه في
اصلاب غيرهم وفي ذلك بحث بطول سنذكره في محله هذا وان هذا
الاثر المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه ابن سعد في
الطبقات والبزار وابو نعيم في الدلائل بسند صحيح وقال
جعفر بن محمد هو ابو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي
ابن ابي طالب الهاشمي المدني الصادق امه ام فروة بنت القاسم
ابن محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه روى عن ابيه والقاسم
ابن محمد ونافع وعطا ومحمد بن المنكدر والزهري وغيرهم وروى عنه
محمد بن اسحق ويحيى الانصاري ومالك والسفيانان وابن جريج

وشعبه

وشعبة ويحيى القطان واخرون واتفقوا على امامته وجلالته وسيادته
قال عمرو بن ابي المقدام كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت انه
من سلالة النبيين قال البخاري في تاريخه ولد جعفر سنة
ثمانين وتوفي سنة ثمان واربعين ومائة رضي الله عنه وعن اسلافه
وقد وثقه الشافعي وابن معين وقال ابو حاتم في الثقات بعد ان
عده منهم ما لفظه كنيته ابو عبد الله روى عن ابيه وكان من سادات
اهل البيت فقها وعلما وفضلا روى عنه الثوري ومالك وشعبة
والناس كان مولده سنة ثمانين سنة سيل الجحاف الذي ذهب بالحاج
من مكة ثم قال يحتج بروايته ما كان من رواية غير اولاده عنه لان في
حديث ولده عنه مناكير كثيرة انما مرض القول فيه من مرض من المتنا
لما راوا في حديثه من رواية اولاده وقد اعتبرت حديثه من حديث
الثقات عنه مثل ابن جريج والثوري ومالك وشعبة وابن عيينة
ووهيب بن خالد فرايت احاديث مستقيمة ليس فيها شيء يخالف
حديث الاثبات ورايت في رواية ولده عنه اشياء ليس من حديثه
ولا من حديث ابيه ومن المحال ان يلزق به ما جنت يدا غيره انتهى وقد
ذكره الذهبي في الميزان ترجمة الا انه صحح عليه علم الله تعالى وتقدس عجز
خلقه عن طاعته الى اخره يشير بذلك الى معنى رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم
وهو موقوف على معنى مطلق الرسالة والنبوة فنقول معنى النبوة
والرسالة عند اهل الحق من الاشاعرة وسائر المليين من قال له

الله سبحانه وتعالى ممن اصطفاه من عباده ارسلتك الى قوم كذا وكذا او الى
الناس اجمعين او بلغهم عني او نحو ذلك مما يفيد هذا المعنى ولا يشترط
فيه شرط من الاعراض والاحوال المكتسبة بالرياضات
والمجاهدات في الخلوات والانقطاعات ولا استعداد ذاتي من
صفا الجوهر وذكا الفطرة كما يزعمه الحكما بل الله تعالى يختص برحمته
من يشا من عباده فالنبوة رحمة وموهبة متعلقة بمشيته سبحانه
فقط وهو تعالى اعلم حيث يجعل رسالته وهذا مبني على القول بالقادر
المختار فان قلت قد ذكر بعض الفضلا كشارح المطالع انه ينبغي
للعاقل ان يستعين في جميع اموره وكل شوونه بجناب الحق سبحانه
وتعالى ويسأله افاضة طلبته وانجاح بغيته لكن لا بد من نوع
ملايمة وقرب معنوي بين المفيض والمستفيض ولكوننا
متعلقين غاية التعلق بالعلايق البشرية والعوايق البدنية ومتدنسين
بادناس اللذات الحسية والشهوات الجسمية وكونه تعالى وتقدس
في غاية التجرد ونهاية التقديس تكون الملايمة منتفية راسا
فاحتجنا في سلوك سبيل الاستفاضة منه جل وعلا الى متوسط له
وجه تجرد ووجه تعلق وبوجه التعلق يفيض علينا لان وجه التجرد
بتسبب لملايمة لجوار الحق تعالى ووجه التعلق لملايمته لنا وهذا
المتوسط اصحاب الوحي فما تقولون في هذا قلت هو كلام مقبول لو
لم يتدنس بوساوس فلسفية لان الحق ان الله عز وجل قد يتفضل

بالنبوة

بالنبوة على عبد من عباده من غير ملايمة والله اعلم حيث يجعل رسالته
والله يختص برحمته من يشا واما ارسالهم عليهم الصلوة والسلام
الى العباد ففايدته ان الناس لهم عقول لا يكلفون الا انا نمنع
تحسين ما حسنه العقل وتقبيح ما قبحه كما راى الاشعري وغالب
اهل الحق ولين سلمنا حكم العقل بالحسن والقبح ان الشرع فايدته
تفصيل ما اعطاه العقل اجمالا وتفصيل مراتب المنفعة والمضرة
كما اشار اليه الامام جعفر الصادق في مقالته هذه رضي الله عنه وعن
اسلافه الطاهرين علم الله سبحانه عجز وفي نسخة ضعف خلقه
اي مخلوقاته من المكلفين كالجن والانس عن طاعته الطاعة اسم
مصدر هو الاطاعة يقال اطاعه يطيعه فهو مطيع وطاع له يطوع
ويطيع فهو طايع اي اذعن وانقاد والاسم الطاعة وقيل طاع اذا
انقاد واطاع اتبع الامر ولم يخالفه كذا في النهاية فان قلت كيف
يكون الخلق عاجزين عن طاعة الله عز وجل وقد خلق لهم عقولا يدركون
ما هو طاعة مقربة الى الله سبحانه وما هو بخلاف ذلك قلت هذه
مقالة معتزلية والحق ان العقل ليس له استقلال الحكم من احكام
الشرع اصلا فان ادراك المصلحة والمفسدة انما يتلقى من الشرع
لان الله سبحانه هو الحاكم الفعال لما يريد فلا يعلم حسن فعل بمعنى ترتب
المدح عاجلا والثواب اجلا ولا قبحه بمعنى ترتب الذم عاجلا
والعقاب اجلا الا من قبل الشرع ولا ايراد بالحسن ملايمة الطبع

وبالقبح منافرته وهو مخالف لما عليه المعتزلة من ان العقل
مستقل بادراك ترتب المدح والذم والثواب والعقاب وان
الحاكم هو العقل والشرع تابع له فعجزهم اي الله تعالى ذلك اي عجزهم
عن نيل الصفو من طاعته وعن ارتكاب ما يرضيه وترك ما لا
يرضيه ولهذا اقام الله تعالى العذر لمن لم ياته رسول اذا قصر في
خدمته تعالى فقال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لكي
يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته في الصحاح صفوة الشيء خالصه
ومحمد صلى الله عليه وسلم صفوة الله تعالى من خلقه ومصطفاه قال
ابو عبيدة يقال له صفوة مالي بتثليث الصاد فاذا نزعوا الهاء قالوا
صفو مالي بالفتح لا غير انتهى فالمراد بصفو خدمته خالصها اي الامر
الذي يعد خدمة خالصة لا يشوبه شي من حظوظ النفس والامن امور
مبعدة عن الله تعالى فاقام الله تعالى بينه وبينهم اي بين خلقه
مخلوقا من جنسهم اراد به الجنس اللغوي وهو كل ضرب من الشي
فالابل جنس من البهائم وليس المراد من الجنس ما يريده المنطقيون ع وهو الكلي
المقول على الكثرة المختلفة الحقائق فالجنس هنا بمعنى الضرب في القاموس
الجنس بالكسر اعم من النوع فالانسان نوع ويقال له جنس بهذا المعنى
والحيوان جنس ويقال له نوع واما الجوهر فانه جنس وليس بنوع
في الصورة تقييد لكونه من جنسهم واما باطن الانبياء عليهم الصلوة
والسلام فانه احتوى على الولاية الخاصة التي هي عبارة عن فناء

العبد

العبد في الحق اي فلنا جهة بشريته في الجهة الربانية اذ لكل عبد جهة
من الحضرة الربانية وكذلك بواطن الانبياء عليهم الصلوة والسلام
مستعدة للكشف التام وهو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني
الغيبية والامور الحقيقية وجودا وشهودا استوا كان معنويا ام
صوريا ونعني بالصوري ما يحصل في العالم المثالي من طريق الحواس
الخمس اما على طريق المشاهدة كرؤيته صور الارواح المتجسدة
والانوار الروحانية واما على طريق السماع كسماع نبينا صلى
الله عليه وسلم الوحي النازل عليه كلاما منظوما او مثل صلصلة الجرس
ودوي النحل فانه كان يسمع ذلك ويفهم المراد منه واما على سبيل
الاستنشاق وهي التنسم بالنفحات الالهية كقوله صلى الله عليه وسلم
اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن او على سبيل الملامسة
وهي بالاتصال بين النورين كما نقل عبد الرحمن بن عوف رضي الله
عنه وابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رايت ربي تبارك وتعالى في احسن صورة فقال فيم
يختصم الملا الاعلى يا محمد قلت انت اعلم اي رب مرتين فوضع
الله سبحانه وتعالى يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت
ما في السموات وما في الارض ثم تلا هذه الاية وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض واطلاع المرتبة النبوية على اعلى
المراتب في طريق السماع وهو سماع كلام الحق عز وجل من غير واسطة

كسماع نبينا صلى الله عليه وسلم كلام رب العزة سبحانه ليلة معراجه وفي
الاوقات التي اشار اليها صلى الله عليه وسلم بقوله لي مع الله عز وجل وقت
لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل وكسماع موسى عليه الصلوة
والسلام كلامه ويلي هذا سماع كلامه عز وجل بواسطة جبريل كسماع
نبينا صلى الله عليه وسلم القران الكريم فلهذا كانت بواطن الانبيا عليهم
الصلوة والسلام مخالفة لبواطن ساير البشر البسه الضمير المرفوع
عايد الى الله سبحانه والمنصوب الى النبي صلى الله عليه وسلم من نعته اي نعت
الله عز وجل اي وصفه الرافة والرحمة في النهاية الاثيرية الرافة
ارق من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهية والرحمة قد تقع في الكراهية
للمصلحة والرحمة اصلها الرقة وقيل ذووا الارحام لان بعضهم يرق
للبعض والرحيم في اسمايه تعالى بمعنى المنعم المقبل للعثرة القابل
للتوبة وليس معناه الرقة كما ان اصل العفو الترك والترك لا يجوز
على الله عز وجل يقال عفا المنزل اذا ترك حتى درس ودلالة
التعظيم توجب انتفا الرقة عن الله عز وجل مع ان نعمه عز وجل في
الاتساع تقع موقع ما يبعث على الرقة وفي الكشاف فان قلت
ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها الحنو والعطف ومنها
الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان
الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه
كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه
انتهى

انتهى وحاصله ان معناها الحقيقي الحنو والعطف النفساني وهو
الشفقة والرفق وهما من الكيفيات التابعة للمزاج والله تعالى
منزه عن ذلك وقضية تشبيه صاحب الكشاف ذلك بالرحم
لانعطافها انه مجاز عن الميل الجسماني وليس هذا معنى الرحمة وان
صاحب الكشاف لم يرد بذكر الرحم ومثناه انها مجاز عن الميل
الجسماني وان شابهه في مجرد الميل والانعطاف لانه جعل
الانعام مسببا عن الرقة والحنو لا عن الميل الجسمي فاطلاقها
عليه تعالى مجاز مرسل من قبيل اطلاق اسم السبب وارادة المسبب
ويمكن ان يكون اطلاق الرافة والرحمة على الله سبحانه من قبيل
الاستعارة التمثيلية بان يكون قد شبه حال الله سبحانه مع عباده
المومنين في ايمانهم به وبما جا به رسله وارادته بهم الخير وانزال
النعمة السرمدية بهم بحال الملك اذا اراد ايصال المبرات الى من
يطيعه ويعظمه فيرق عليه ويرحمه فان قلت لم قدم الرافة على
الرحمة مع انكم قلتم ان الرافة ارق من الرحمة واخص منها والقاعدة
تقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى قلت تبع في ذلك الاية فانه
تعالى لما نعت نبيه صلى الله عليه وسلم قدم في ذكر نعوته الروف ثم
ذكر الرحيم فان قلت فلم قدمها في الاية قلت قال البيضاوي وقدم
الابلغ وهو الروف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على
الفواصل وعندي ان الاولى ان يقال ان هذا الاسلوب لم

ويمكن ان يقال اطلقت الرحمة
الرقة واريد بها ارادة
التي هي ثم اريد منها الانعام فهي
الانعام مجاز واطلاق اسم
مجاز عن السبب على المسبب م

بلاحظ فيه معنى الترقي وانما لوحظ فيه معنى التتميم وهو ان يقيد
الكلام بتابع يفيد مبالغة وذكر انه سبحانه وتعالى لما ذكر ما دل على
ابلغ الرحمة واشدها اراد المبالغة والاستيعاب فتمم بما دل على
الرحمة المخصوصة ليدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشذ عنه شي
من انواع الرحمة فهو صلى الله عليه وسلم موصوف بالرحمة بجميع انواعها
ولو اريد الترقي لفاتت المبالغة المذكورة وذهب معنى التعميم المطلوب
في هذا المقام وذكر انه الترقي يحصل فيما اذا قلت فلان يعلم النحو
والتصريف ومعاني كلام الله تعالى المجيد والتتميم الاخذ بما هو الاعلى
في الشي ثم بما هو احط منه ليستوعب جميع ما يدخل تحت ذلك الشي
لانهم لا يعدلون عن الاصل والقياس الا لتوخي نكتة والذي عليه
ظاهر كلام الامام انه من باب التكميل وهو ان يوتى بكلام في فن فيرى
انه ناقص فيه فيكمل باخر فانه تعالى وتقدس لما وصف نبيه
صلى الله عليه وسلم بانه روف فتوهم ان النبي صلى الله عليه وسلم اتصف
بابلغ الرحمة المعبر عنه بالرافة وان الرحمة القليلة لا ينبغي ان
تنتسب اليه لكونها اقل شانا من الرافة وانه لا يعزى اليه الا الرافة
البليغة فكمل بقوله رحيم ويويد ذلك ما روينا عن انس بن مالك رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسال احدكم ربه حاجته
كلها حتى يسال شسع نعله اذا انقطع وزاد حتى يساله الملح
اخرجه الترمذي فان قلت ما معنى كون الله عز وجل التبسه من نعته

الرافة والرحمة قلت معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في غاية
الفنا في عزة الله عز وجل فلما فني في الله خلع عليه من نعوته هذين
النعتين فنعت النبي صلى الله عليه وسلم بالنعت بالنعت الذي اتصف
به الله عز وجل واما رافة الناس ورحمتهم فانها بشرية بالمعنى
الذي يتصف به البشر فان قلت كيف هذا وكيف تكون رحمة
النبي صلى الله عليه وسلم ورافته هي رافة الله عز وجل ورحمته
قلت يجوز ان الله عز وجل يتجلى ببعض صفاته او افعاله في بعض
مخلوقاته الا ترى ان الله عز وجل تجلى لموسى عليه الصلوة والسلام
بكلامه من الشجرة فيجوز ان الله عز وجل يتجلى برحمته ورافته في
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما تجلى برميه في نبيه صلى الله عليه وسلم
اذ قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فان قلت كيف
يجوز ان يتصف الحادث بصفة القديم قلت كما يجوز ان يظهر
كلام الله من الشجرة ظهرت رحمة الله عز وجل في نبينا صلى الله عليه
وسلم وكما جاز ان يظهر رمي الله تعالى في النبي صلى الله عليه وسلم واخرجه
اي اخرج الله النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق اي المخلوقات فاللام
للاستغراق اي كل المخلوقات وهم ذووا العقول كالانس والجن
والملائكة فهو مشير الى عموم رسالته صلى الله عليه وسلم فان جميع
الانبياء عليهم الصلوة والسلام مشتركون في الدعوة الى الله تعالى
والهداية والتصرف في الخلق وغيرها مما لا بد منه في النبوة ويمتاز كل منهم

عن الاخر في المرتبة بحسب الحيطة التامة كاولي العزم من المرسلين
وغير التامة كانبياء بني اسرايل فالنبوة دائرة تامة مشتملة على
دوائر متفاوتة في الحيطة واعظمهم حيطة نبينا صلى الله عليه
وسلم وفي الفتوحات المكية للعارف بالله عز وجل محيي الدين بن عربي
ما لفظه اعلم انه ورد في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا سيد
ولد ادم ولا فخر بالراء وفي رواية بالزاي وهو التبجح الباطل وفي
صحيح مسلم انا سيد الناس يوم القيمة فثبتت له السيادة والشرف
على ابناء جنسه من البشر وقال عليه الصلوة والسلام كنت نبيا وادم
بين الما والطين يريد على علم بذلك فاخبره تعالى بمرتبته وهو روح
قبل ايجاده الاجسام الانسانية كما اخذ الميثاق على بني ادم قبل
ايجاده اجسامهم والحقنا الله عز وجل بانبيائه بان جعلنا شهداء
على اممهم معهم حتى يبعث من كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وهم
الرسل فكانت الانبياء في العالم نوابه صلى الله عليه وسلم من ادم الى اخر
الرسل عليهم الصلوة والسلام وقد ابان النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا
المقام بامور منها قوله صلى الله عليه وسلم والله لو كان موسى حيا ما وسعه
الا ان يتبعني وقوله صلى الله عليه وسلم في نزول عيسى عليه الصلوة والسلام
يؤمنا اي يحكم فينا بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ويكسر الصليب
ويقتل الخنزير ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم قد بعث في زمان ادم
عليه الصلوة والسلام لكانت الانبياء وجميع الناس تحت حكم شريعته
الى

الى يوم القيمة حسا ولهذا لم يبعث عامة الا هو خاصة فهو الملك
والسيد وكل رسول سواه بعث الى قوم مخصوصين فلم تعم رسالة
احد من الرسل سوى رسالته صلى الله عليه وسلم فمن زمان ادم الى زمان
بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة ملكه وتقدمه في الاخرة على
جميع الرسل وسيادته منصوص على ذلك في الصحيح فروحانيته موجودة
وروحانية كل نبي ورسول منه وجدت فكان الامداد ياتي اليهم من
تلك الروح الطاهرة بما يظهرون به من الشرائع الى اخر ما قال وهو كلام
حسن فارجع اليه وقد ذكره في الباب التاسع من الفتوحات سفيرا
صادقا في القاموس سفر بين القوم اصلح يسفر ويسفر سفرا
وسفارة فهو سفير انتهى وسميت الانبياء عليهم الصلوة والسلام
سفرا لانهم يسفرون بين الله عز وجل وبين الناس اي يصلحون
فيوقعون الناس في رضا الله عز وجل بعد ان باؤا بسخط ولانهم
يظهر منهم وحي الله عز وجل ودينه وما يقع به الصلاح بين الناس
فشبهوا بالسفير الذي يمشي بين الرجلين فيصلح شانهما يقال
سفرت بين القوم اي اصلحت ولهذه العلة سميت الملائكة عليهم
الصلوة والسلام سفرا او سفرة وقوله صادقا يعجبني في ذلك قول
هرقل لابي سفين بن حرب حين كان كافرا عدوا للنبي صلى الله عليه وسلم
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لا فقد اعرف
انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله عز وجل وما احسن

قال ابو سفين لا فقال له هرقل
وسالتك هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل ان يقول ما قال ح

فهم مرقيل لولا ان الله عز وجل اضله اذ سأله عن التهمة بالكذب ولم
يسأله عن نفس الكذب كما سأله عن نفس الغدر لبعيد ذلك زيادة
تقرير لصدقه عليه الصلوة والسلام لان التهمة اذا انتفت انتفى
سببها لانها لازمة لزوما عاديا لوقوع الكذب واذا انتفى اللازم انتفى
الملزوم وكان انتفا الكذب ببينة فيقال لو وقع منه كذب وحاشاه
من ذلك لاتهم به لكنه لم يتهم فلم يقع منه كذب وانت تعلم ان الدليل
البرهاني المذكور في الكتب الكلامية على عصمة الانبيا من الكذب
وسيأتي جواب من المصنف عن كذبات ابرهيم عليه الصلوة والسلام
وبيان ذلك منا باحسن بيان في محله **وجعل** اي صير الله عز وجل **طاعته**
طاعته وموافقته موافقته الطاعة اسم مصدر يقال اطاعه
يطيعه فهو مطيع وطاع له يطوع ويطيع فهو طائع اي اذعن
وانقاد وقيل طاع المجرد معناه انقاد واطاع المزيد اتبع الامر ولم
يخالفه كذا في النهاية وفي القاموس طاع له يطوع ويطاع انقاد
وطاع له المرتع امكنه كاطاعه وهو طوع يديك منقاد لك انتهى
فان قلت مصدر طاع طوع ومصدر اطاع اطاعة واما الطاعة
فانها اسم مصدر لا لهما قلت الظاهر انه اسم مصدر للمزيد واما
الموافقة ففي القاموس هي الاتفاق والتظاهر اي من اتفق مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه من دينه وخدمته لربه
عز وجل فانه وافق الله عز وجل ثم انه يجوز ان يكون الضمير في طاعته

الاولى

الاولى عائدا الى الله عز وجل والضمير في طاعته الثانية عائدا الى محمد صلى الله
عليه وسلم اي صير الله عز وجل طاعته نفسه طاعة محمد صلى الله عليه وسلم
اي لا طاعة لله الا من الطريق المحمدي فمن اطاع الله من غير الطريق
المحمدي فطاعته كلا طاعة ويجوز العكس اي صير الله عز وجل طاعة
محمد صلى الله عليه وسلم هي طاعته فان قلت ما معنى جعل طاعته
طاعته أتكون طاعة الله تعالى شيئا وطاعة محمد صلى الله عليه وسلم
شيئا اخر ثم اتحدتا فصارتا شيئا واحدا او امرا اخر غير ذلك قلت
قال بعض الفضلاء المراد الاتحاد الحقيقي وذلك لانه لا ينطق
عن الهوى فهو مبلغ والامر هو الله عز وجل او لان الله عز وجل
امر بطاعته انتهى واقول لا يستقيم ان يكون المراد الاتحاد
الحقيقي لان الاتحاد الحقيقي هو ان يصير شي بعينه شيئا اخر
ومعنى اخر ومعنى قولنا بعينه انه صار شيئا اخر من غير ان يزول
عنه شي او ينضم اليه شي وانما كان هذا مفهوما حقيقيا للاتحاد
لانه المتبادر عند الاطلاق وههنا اوامر النبي صلى الله عليه وسلم
ونواهيه انضم اليها وحي من الله تعالى ليست كاوامره
الطبيعية التي كانت قبل النبوة فان تلك كانت من قبل نفسه
واما هذه فانه صلى الله عليه وسلم فيها سفير محض ولا يقال ان ظهورها
من النبي صلى الله عليه وسلم كظهور كلام الله عز وجل لموسى عليه الصلوة
والسلام من الشجرة لان النبي صلى الله عليه وسلم له فيها اختيار لكنها تكون

هذا الفاضل صفي الدين
عيسى الايجي ه

١٦٥

كوزير يامره السلطان بانك قل للناس وامر رعيتي بكذا فان ذلك
صادر من الوزير صورة ويعد امرا للوزير وفي الحقيقة هو امر
السلطان فالمتعين ان يكون هذا الاتحاد اتحادا مجازيا هو
صيرورة شي ما شيا اخر بطريق الانتقال والتغير كما يقال صار
الما هواء اي زالت حقيقة الما بزوال صورته النوعية عن
هيولاه وانضم الى تلك الهيولى الصورة النوعية التي للهوا او من
قبيل صار الاسود ابيض فان معناه زالت صفة السواد
عن الموصوف بها واتصفت بصفة اخرى هي البياض وههنا
اوامر النبي صلى الله عليه وسلم ونواهيه بعد ان كانت من نوع اوامر
البشر ونواهيهم قبل النبوة ارتقت حتى صارت بحيث لم ينطق
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة الا هي وحي من الله عز وجل
فصارت بذلك اوامر الله او يقال بعد ان كان مضمون ما يصدر
منه من الاوامر والنواهي حادثا صار مضمون ما يصدر منه منها
قديما ازليا لانه خطاب الله عز وجل المتعلق بافعال المكلفين
بالاقتضا او التخيير واقول ايضا انه يمكن ان يحمل هذا الاتحاد على
نوع اخر من الاتحاد المجازي وهو ان ينضم شي الى شي ثان فيحصل
منهما شي ثالث كما يقال صار التراب طينا والخشب سريرا وههنا
انضم الى اوامر النبي صلى الله عليه وسلم ونواهيه انها صدرت منه
بامر الله عز وجل ووحيه فمعانيها ربانية والفاظها محمدية وبالجملة

فالاتحاد

فالاتحاد هنا مجازي وكيف يكون حقيقيا وقد قام البرهان على استحالة
الاتحاد الحقيقي كما برهن عليه في الكتب الحكمية فان قلت قال بعض
تلامذة هذا الفاضل وتوضيح ما ذكر اي ما ذكره شيخه السابق ان من
اطاع الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فليست له اطاعة لا تكون
مطاعها الحق تبارك وتعالى قلت لا يستقيم ان يكون هذا الكلام توضيحا
لكلام شيخه بعد ان جعل الاتحاد حقيقيا وقد قررنا معنى الاتحاد
الحقيقي فتامل ثم قال وهذا كما قال التفتازاني من ان معنى وجود
العرض في الموضوع هو ان وجوده في نفسه هو وجوده في
الموضوع بمعنى انه ليس للسواد وجود لا يكون تابعا للموضوع
ولهذا قال بعد ذلك ولهذا يمتنع الانتقال عنه بخلاف وجود
الجسم في الحيز فان وجوده في نفسه امر ووجوده في الحيز امر
اخر فلهذا انتقل عنه انتهى واقول لا يخفى ان شيخه جعل الاتحاد
حقيقيا والعرض له حقيقة مغايرة لحقيقة موضوعه وهو
مع حلوله في موضوعه لا يتحد معه فلا يقال ان حقيقة السواد
هي حقيقة الجسم وهذا من واد وما نحن فيه من واد اخر فهذا
الفاضل جعل حقيقة طاعة النبي صلى الله عليه وسلم هي حقيقة طاعة
الله عز وجل واين الوجود من الحقيقة كيف ومن المقرر ان وجود
العرض والجوهر زائد على ماهيتهما ولهذا لم يصدق تعريف الجوهر بانه
ماهية اذا وجدت في الخارج لم تكن في موضوع على ذات الباري عز وجل

المراد بالتلميذ ههنا ال[illegible] ابن سلى كانه المولى عيسى الاخي البد منه

لان وجوده عين ذاته ثم ان معنى قولهم ان وجود العرض هو وجوده في
موضوعه اي بحيث لا يتمايزان في الاشارة الحسية وقد توهم من هذه
العبارة ان وجود السواد في نفسه مثلا هو وجوده في الجسم وقيامه
به وهذا ليس بشي اذ يصح ان يقال وجد في نفسه فقام بالجسم
فالعطف يقتضي المغايرة والاتيان بالفا يقتضي التعقيب فقال تعالى
من يطع الرسول فقد اطاع الله تحتمل الاية امرين الاول ان يكون
معناها من وجد منه فرد من افراد طاعة الرسول فذلك الفرد هو
طاعة الله تعالى و يكون ذلك الفرد طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
ظاهرا وفي الحقيقة هو طاعة الله فان كان ذلك امتثال امر فذلك
الامر وان كان امر الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا ففي الحقيقة
هو امر الله عز وجل وهذا مقتضى كلام القاضي حيث قال في تفسير
ذلك لانه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله عز وجل انتهى فقوله هو الله
صيغة حصر تقتضي انه لا آمر غيره تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم وان امر
فلا امر له وانما الآمر الله تعالى فقد امر النبي صلى الله عليه وسلم ونهى وفي
الحقيقة لا امر ولا نهي والآمر والناهي هو الله سبحانه وتعالى لان
امره صلى الله عليه وسلم انما هو بوحي من الله عز وجل الثاني ان يكون المعنى من
وجدت منه طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يلزم منها ان يكون اطاع الله
سبحانه وتعالى لان الله عز وجل امر بطاعته بطريق الاجمال فمن وجد
منه طاعة له صلى الله عليه وسلم فهو لم يطع الا ملاحظا ان الله عز وجل امر
بطاعته

بطاعته في كل ما يقول به من امر او نهي وقد استدل بهذه الاية على ان
طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة مثل طاعة الله قيل وقوله عز
وجل قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول هي الدالة على انه عز وجل جعل
طاعته في اصل الوجوب مثل طاعته لا التي ساقها المصنف فلا يصح القول
بان معنى انه جعل طاعته طاعته انه جعلها مثلها في اصل الوجوب ولا
في وصفه لان فقال تعالى الى اخره مما ياباه انتهى واقول لا ينبغي حصر
الدلالة على وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله اطيعوا الله واطيعوا
الرسول فان قلت هو حصر اضافي بالنسبة الى قوله عز وجل من يطع
الرسول فقد اطاع الله قلت لا نسلم انتفاء دلالة قوله عز وجل من يطع
الرسول فقد اطاع الله على مشاركتها لطاعة الله عز وجل في اصل الوجوب
بل يدل عليه فان مضمونها انه تعالى جعل طاعة نبيه صلى الله عليه وسلم
طاعته و ينتظم من ذلك قياس من الشكل الاول صغراه مضمون هذه
الاية وهو الذي فهمها جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه وكبراه
مقدمة مسلمة تقديره طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة الله
وطاعة الله عز وعلا واجبة عقلا كما انها واجبة شرعا فطاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة شرعا وعقلا فيدل ذلك على انه
يجوز ان يكون مراد الصادق في قوله فجعل طاعته طاعته اي مثلها
في اصل الوجوب نعم ليس مراده انها مثلها في وصف وجوبها لان وجوب
طاعة الله عز وجل ذاتي و وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم انما ثبت

بقول الله اطيعوا الرسول وقد اشار الى ذلك الامام جعفر حيث قال
وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين تجوز ان يكون رحمة
مفعولا له فالمعنى حينئذ وما ارسلناك الا لتنال رحمتنا العالمين بك
وذلك لان الله عز وجل ارسله بكتاب وبدين من اتبعه سعد
سعادة لا يشقى بعدها ابدا فان قلت فهو اذن رحمة لمن اتبعه لا
للعالمين قلت قال المفسرون ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالفه ولم يتبع فانما
اتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا
غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم ويبقى ناس مفرطين
في السقي فيضيعوا فالعين المنفجرة في نفسها نعمة من الله تعالى
ورحمة للفريقين ولكن الكسلان جناية على نفسه حيث حرمها ما
ينفعها وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قيل يا
رسول الله ادع الله عز وجل على المشركين قال اني لم ابعث
لعانا انما بعثت رحمة وعن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة اي اهديت
اليكم رواه في الوفا ورواه غيره مرسلا وموصولا والمهداة اسم
مفعول من اهديت الهدية فانا مهديها وهي مهداة وقيل
كونه رحمة للفجار من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا
به عذاب الاستيصال والى القول الاول اشار ابو زكريا يحيى

الصرصري

الصرصري في قصيدته النونية اذ قال

هو رحمة للناس مهداة فمن ... قبل الهداية فاز بالرضوان

وتجوز ان يكون رحمة حالا من الكاف في ارسلناك اي ارسلناك
ذا رحمة ويجوز ان يكون بمعنى راحما للعالمين قال ابن عطية يحتمل
ان يكون معناه ما ارسلناك للعالمين الا رحمة انتهى اي فعليه الجار
والمجرور متعلق بارسلناك ورد بان المشهور انه لا يجوز تعلق
الجار الواقع بعد الا بما قبلها الا اذا كان العامل مفرغا له نحو ما مررت
الا بزيد وعلى قوله يلزم خروج قوله للعالمين عن ان يكون مفرغا له
العامل فافهم فان قلت استشهاد جعفر رضي الله عنه بهذه الاية
لماذا قلت ان جعل رحمة مفعولا له فالمعنى ما ارسلناك الا لان
ترحم العالمين بك فيكون ذلك استشهادا على قوله علم ضعف
خلقه عن نيل الصفو من خالصه فاقام بينهم وبينه الى اخره اي فرحم
الله عجزهم فاقام بينهم وبينه مخلوقا والدليل على ذلك قوله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين وان جعل حالا من الكاف كانت الاية
استشهادا على ان الله عز وجل البس نبيه صلى الله عليه وسلم نعتين من
نعوته وهما الرافة والرحمة والدليل على ذلك قوله عز وجل وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر قال الشمني هو ابن مفوز
ابو احمد المعافري الشاطبي وعندي ان ابا بكر بن طاهر هو عبد الله
ابو بكر بن طاهر الابهري رضي الله عنه فان هذا الرجل مشهور بالولاية

ترجمة الشيخ ابي بكر بن طاهر الابهري رضي الله عنه وارضاه

وتعمير الباطن وجرت عادة المصنف انه يستشهد كثيرا بكلام ارباب
القلوب البررة وهذا الامام من كبار مشايخ الجبل وكان من اقران
الشبلي رضي الله عنه صحب يوسف بن الحسين ورافق مظفرا
القرميسيني وغيرهما من المشايخ وكان عالما ورعا قال مهلب بن احمد
المصري ما نفعني صحبة شيخ من المشايخ الذين لقيتهم كما نفعني صحبة
ابي بكر بن طاهر الابهري مات قريب الثلاثين وثلاثمائة ومن
كلامه اطلع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يكون في امته من
بعده من الخلاف وما يصيبهم فيه وكان اذا ذكر ذلك وجدا غاية
في قلبه منه فاستغفر الله تعالى لامته صلى الله عليه وسلم وقال رضي الله
عنه احتياج الاشرار الى الاخيار اصلاح للطائفتين واحتياج الاخيار
الى الاشرار فتنة للطائفتين روي عنه انه حضر جنازة مع جماعة
من اصحابه فراى اخوان الميت يكثرون البكاء عليه فنظر وانشد

ويبكي على الموتى ويترك نفسه • ويزعم ان قد قل عنه عزاؤه
ولو كان ذا راي وعقل وفطنة • لكان عليه لا عليهم بكاؤه

زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة الاضافة بيانية
اي بزينة هي الرحمة والزينة اللباس اي البسه الرحمانية التي اعطاه
اياها حتى غدت شاملة له وفي هذا اشارة الى ان الرحمة التي من الله
عز وجل بها على نبيه صلى الله عليه وسلم ليست بشرية وانما هي منة
من الله تعالى بها عليه فكان كونه رحمة الكون هو الوجود والحدوث

مطلب

من الطويل

اخذا

اخذا له من قولهم كون الله تعالى الاشياء اوجدها واحدثها وكان هنا
معناها التصيير اي صير الله وجوده رحمة ومن هذا القبيل قوله عز
وجل وكان من الكافرين اي صار منهم ومنه قوله عز وجل كنتم خير امة
اي صرتم خير امة فهو كقوله تعالى وكذلك جعلناكم اي صيرناكم امة
وسطا وجميع شمائله اي طباعه جمع شمال على زنة كتاب وهو الطبع
وصفاته عطف عام على خاص لان الصفات تشمل ما كان بالطبع
وما كان بالعرض بخلاف الشمائل رحمة على الخلق ان قلت كيف يكون
غضبه رحمة قلت ان غضب صلى الله عليه وسلم على مومن صده غضبه
عن الامر الذي هو سبب الغضب وان غضب على كافر فاما ان
يصده عن كفره وان مات على كفره فغضبه عليه بامر الله عز وجل
وليس طبيعيا اذ كان طبيعته وسجيته الرحمة فان قلت لو قتل
احدا كيف يكون قتله رحمة قلت ان قتل مومنا استحق القتل كرجمه
لماعز والغامدية رضي الله عنهما بالزنى وهما محصنان فذلك رحمة
للمقتول واي رحمة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في شان ماعز اني رايته
ينغمس في انهار الجنة وفي حق الغامدية انها تابت توبة لو قسمت
على اهل المدينة لوسعتهم وهل اقوى من ان جادت بنفسها لله عز وجل
وان قتل كافرا فلم يقتل كافرا الا اذا اطلعه الله عز وجل على انه لن يومن
ابدا وان الله عز وجل قضى عليه بالشقا حتما كعقبة بن ابي معيط
وابي جهل وقتلى بدر وكعب بن الاشرف اليهودي وابي رافع اليهودي

ويهود بني قريظة ونحو ذلك فكون قتله رحمة لانه تقل ذنوبه فيخف عذابه
في جهنم فان قلت لم لم يرحمه الله عز وجل بالايمان قلت لانه سبق
في قضاء الله عز وجل وقدره ان الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يموتون والعياذ بالله تعالى على الكفر فبقيت ازالتهم من هذا
الهيكل رحمة في حقهم لتقل اثامهم فيحصل لهم نوع خفة في العذاب
في دركات جهنم فانه لا يخفى ان عذاب جهنم متفاوت ولهذا
لما اطلعه الله عز وجل على ان ابا سفين بن حرب وابا سفين بن
الحارث بن عبد المطلب وصفوان بن امية وشيبة الشادن
وعكرمة بن ابي جهل يؤمنون تحمل مشاق اذاهم وجفاهم حتى اذن
الله عز وجل بسعادتهم ففازوا بالايمان به فظهر ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يصدر منه شيء في رضا ولا غضب الا كان ذلك الشيء رحمة
للذي فعله به وربما كان رحمة لغيره ايضا فان قلت قيل في وجه كون
غضبه رحمة لا منع من كونه رحمة لجواز ان يقطع الناظر اليه بان من
كان هذا خلقه فليس بكذاب فيؤمن به فتناله رحمته وقد روي
عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة جئت فلما تبينت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه
كذاب قلت هذا وجه حسن الا انه لا يفيد ان غضب النبي صلى
الله عليه وسلم رحمة في حق من ظهرت فيه اثار غضبه وما قلناه
يقتضي ان غضب النبي صلى الله عليه وسلم رحمة حتى للمغضوب عليه

وان

وان قتله رحمة حتى للمقتول فان قلت اذا غضب النبي صلى الله عليه وسلم
على احد وقتله فقد فهمنا كون ذلك رحمة في حقه مما قررتم لكن اذا غضب
على احد ولم يقتله بل دام غضبه عليه فكيف يكون ذلك رحمة في حقه
قلت ان تاب عن سبب الغضب فغضب النبي صلى الله عليه
وسلم عليه داع الى توبته وان لم يتب بل مات وهو متلبس بموجب [هو ح]
الغضب فغضب النبي صلى الله عليه وسلم عليه يخفف عنه العذاب
لانه نوع انتقام كما ان سبه لاحد يعد كفارة للمسبوب
ودعاؤه على احد يعد كفارة للمدعو عليه وبالجملة فهو رحمة حيثما توجه
صلى الله عليه وسلم **فمن اصابه من رحمته فهو الناجي في الدارين** الدار هي محل
التوطن والاجتماع وهي المنازل المسكونة وللانسان سكنان
احدهما احدهما في هذه الدار والاخر في الاخرة والبرزخ معدود من
الاخرة لان دخول الانسان الى الجنة او الى النار والعياذ بالله مبداه
من البرزخ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الجنة اقرب الى احدكم من
شراك نعله والنار مثل ذلك وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم موضع
القبور دارا في قوله صلى الله عليه وسلم اذ زار القبور سلام عليكم دار
قوم مؤمنين تشبيها بدار الاحياء لاجتماع الموتى فيها وقول نبينا صلى
الله عليه وسلم في حديث الشفاعة فاستاذن على ربي تعالى وتقدس
في داره اي في حضرة قدسه وقيل في جنته فان الجنة تسمى دار السلام
من كل مكروه يقع في الدارين فيحفظ في الدنيا مما يلحق من لم يهتد به من

[قوله نبينا مبتدا تامل]

قتل وسبي وجلاء واذلال باخذ الجزية وضرب الخراج وانواع
الاهانة وفي الاخرة بما ينالهم والعياذ بالله عز وجل في البرزخ من
عذاب القبر ثم في الاخرة بالخلود في النار وما يصيبهم من انواع
العذاب الاخروي وقد قال عز وجل في شانه فالذين امنوا به
وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم
المفلحون فان قلت قول ابن طاهر الابهري فمن اصابه شي من
رحمته صادق باي شي كان فلو ان انسانا امن به وبالله عز وجل
غير انه لم يفعل حسنة سوى الايمان به فقد صدق عليه انه اصابه شي
من رحمته افينال النجاة من كل مكروه والوصول الى كل محبوب قلت
نعم ويشهد له حديث البطاقة مع قوله عز وجل فمن ثقلت موازينه
فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية ومن
لقي الله عز وجل مومنا فلن يخف له ميزان لان الايمان لا يساويه
معصية ولا تعادله كبيرة ولا صغيرة كما ان الكفر والعياذ بالله منه
لا تعادله طاعة فان قلت قوله الناجي من كل مكروه مشكل فانا
نرى من اصابه شي من رحمته ينالهم مكروهات في الدنيا كالاسقام
والالام ونحو ذلك وهذه امور مكروهة قلت قد اخرجها عن حيز
المكروهية ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما لمن اصابته من الثواب
وتمحيص الخطايا فصارت بحسب ظاهرها مكروهات وفي باطنها
محبوبات يشهدها المومن ولهذا كان الطاعون رجزا على بني اسرايل

ورحمة

ورحمة وطهرة لهذه الامة ومن مات به كان شهيدا ومن صبر عليه كان
له اجر مجاهد في سبيل الله عز وجل وفي الحديث الصحيح ما يصيب
المومن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم
حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عز وجل بها من خطاياه رواه
البخاري ومسلم ولفظ مسلم ما يصيب المومن من وصب ولا
نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر به من سيئاته كذا
روياه عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة رضي الله عنهما وروى
ابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وحده فالمصائب
والالام اكبر المحبوبات عند المومن بما يترتب عليها وكيف لا تكون
محبوبة له وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
ابن ابي الدنيا عن انس بن مالك رضي الله عنه اذا احب الله عز وجل
عبدا واراد ان يصافيه صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا
فاذا دعا العبد قال يا رباه قال الله تعالى لبيك عبدي لا تسالني
شيئا الا اعطيتك اما ان اعجل لك واما اوخر لك فمن يصدق — ادخر
بما في ضمن البلاء من امثال المكروهات لا يعده مكروها والواصل
به الى كل محبوب من الامن وسلامة المال والولد ورفعة القدر والنجاة
من عذاب القبر اذ يساله عنه الملكان وهو تحت الثرى فيقولان
له ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعثه الله عز وجل فيكم فيجيب
قايلا انه محمد رسول الله جانا بالبينات والهدى فامنا واتبعنا

فيصير ذلك المكان الضيق روضة من رياض الجنة ثم يوم القيمة
يحل في الجنة واعظم محبوب ينال النظر الى وجه الله عز وجل
الكريم في دار الرضا اللهم انلنا ذلك برحمتك ولا ينال ذلك
بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الا من اصابه من رحمته في حديث
البخاري بسنده الى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال جاءت ملائكة
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم ان العين نائمة
والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا
فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب
يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مادبة
وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة
ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فقالوا اولوها
له يفقهها فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين نائمة
والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه
وسلم فمن اطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد اطاع الله سبحانه وتعالى
ومن عصى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله عز وجل ومحمد فرق بين
الناس صلى الله عليه وسلم الا ترى هذه صيغة يسميها العلماء تنويرا
لانها تشير الى ان ما بعدها يوضح الامر ويحقق المقال الذي قبلها
ان الله عز وجل يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين المراد بهم الملائكة
والانس والجن وهو في الاصل اسم لما يعلم به كالخاتم والغالب غلب

فيما

فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها
لامكانها وافتقارها الى موثر واجب لذاته تدل على وجوده
تعالى وتقدس وانما جمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة
وغلب العقلاء منهم فجمع بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل
اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم
على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد
منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من
الجواهر والاعراض يعلم به الصانع جل وعلا كما يعلم بما ابدعه في
العالم والله عز وجل ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للانس والجن
وذلك معلوم وللملائكة وسياتي ما يدل على نيل جبريل عليه الصلوة
والسلام من هذه الرحمة فكان حياته رحمة ومماته رحمة قبل الان وجوده
رحمة وهو صلى الله عليه وسلم بعد موته موجود في قبره لان الله حرم على
الارض اجساد الانبياء وهذا حاصل كون حياته رحمة ومماته
رحمة انتهى واقول ان كون حياته رحمة ظاهر واما كون مماته
رحمة كما نطق به قوله صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم ومماتي خير لكم
اما حياته فظاهر لان الله يدفع به العذاب عن قوم هو فيهم كما قال
تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فكانت حياته امانا من
نزول العذاب فلما مات توجه الناس الى التوبة والاستغفار كما
روى المدائني قال كان رجل من العرب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم

خ
كما قال صلى الله عليه وسلم انا

هذا المحل
غير فيه الشارح رحمه الله
نظم المتن ولم يحرر الشرح
فليحرر ذلك

مسرفا على نفسه لم يكن يتحرج فلما ان توفي النبي صلى الله عليه وسلم لبس
الصوف ورجع عما كان عليه واظهر الدين والتنسك فقيل له لو
فعلت هذا والنبي صلى الله عليه وسلم حي لفرح بك قال كان لي امانان
فمضى واحد وبقي الاخر قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وهذا امان والثاني وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
ولانه صلى الله عليه وسلم يشرع الشرايع ويبرز منه مادام حيا
علوم نصيحة وامامات فعنه من الخبر انه فرط لامته وتعظم
اجور امته بمصيبتهم به التي لا تعدلها مصيبة وثقل موازينهم
به وقد قال الحسن وقتادة ان قدم الصدق في قوله عز وجل وبشر
الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قالا هو محمد صلى الله عليه وسلم
فانه شفيع مطاع يتقدمهم كما قال صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على
الحوض وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال هو شفاعتي
وتوسلكم بي الى ربي عز وجل وفي نوادر الاصول للحكيم الترمذي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبض قيل له الى اين يا رسول الله
قال الى سدرة المنتهى فلكل رسول في السماء مستقر اذا قبض
فلادم صلوات الله عليه وسلامه في السماء الدنيا وليحيى وعيسى
عليهما السلام في السماء الثانية وليوسف عليه السلام في السماء
الثالثة ولادريس عليه السلام في السماء الرابعة ولهرون عليه
السلام في السماء الخامسة ولموسى عليه السلام في السماء السادسة

ولابرهيم

ولابرهيم عليه السلام في السماء السابعة ولمحمد صلى الله عليه وسلم
بسدرة المنتهى بباب الله عز وجل عند الحجاب فهو متشمر
هنالك يسال الله عز وجل لامته هنالك في كل يوم لكل صنف
ولملتهم فتين التوبة وللتائبين الثبات وللمستقيمين الاخلاص
ولاهل الصدق الوفا وللصديقين وفارة الحظ قال ولذلك روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حياتي خير لكم وموتي خير لكم
وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اني لكم مكان صدق حياتي واذا مت فقال عمر رضي الله عنه
يا رسول الله اذا مت قال لا ازال انادي في قبري رب امتي
امتي حتى ينفخ في الصور النفخة الاولى ثم لا تزال دعوتهم لي
مجابة حتى ينفخ في الصور النفخة الثانية قال فطنين الاذن
من قبل الروح فانه محله بصره وخفته وطهارته وحياته وسطوعه
الى المقام ادرك في وقت سوال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بباب الله عز وجل له شيا وذكر الله عز وجل اياه فحمر ثم رجع
الى اصله المتمكن في راسه وقلبه بذلك الخبر والبشرى فطنت
الاذن لصوته وما جا به من الخير فلذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم
بالصلوة عليه عند طنين الاذن لانه ذكره عند الله عز وجل في ذلك
الوقت وطلب له من الله عز وجل فاوجب منه الصلوة ليكون فيه
ادا حقه ثم انه جعل العطاس من هذا القبيل انتهى فهذا خير عظيم

يحصل لامة محمد صلى الله عليه وسلم منه بعد موته وفي رسالة للشيخ محيي الدين
ابن عربي تسمى بالمسايل ما لفظه كان علم اخر هذه الامة اتم من علم
وسطها واولها بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى
الله عليه وسلم لما بعثه الله عز وجل بعثه والشرك قايم والكفر ظاهر
فلم يدع القرن الاول وهو قرن الصحابة رضي الله عنهم الا للايمان
خاصة وما اظهر لهم ما كان يعلم من العلم المكنون وانزل عليه القران
العظيم وجعله يترجم عنه بما تبلغه افهام عموم ذلك القرن فصور
وشبه ونعت بنعوت المحدثات فلاح من ذلك لخواص القرن
الاول دون عامته بل لبعض خواصه من خلف خطاب التنزيل
اسرار عظيمة ومع هذا لم يبلغوا فيها مبلغ المتاخرين من هذه الامة
لانهم اتم في العلم وكان القرن الاول اعم في العمل واما الايمان فعلى
التساوي فان هذه النشاة لما فطرت على الحسد وبعث فيها
نبي من جنسها فما امن به الا قوي على دفع نفسه لما فيها من الحسد
لا سيما اذا كان الحاكم عليها من جنسها فينسب الى المومن من
الصحابة من القوة في الايمان ما لا ينسب الى من ليست له
مشاهدة فكان اشتغالهم بدفع قوة سلطان الحسد ان يحكم فيهم
بالكفر يمنعهم من ادراك غوامض العلوم واسرار الحق في عباده
ولم يحصل لهم الايمان بغيب صورة الرسول صلى الله عليه وسلم
وما جاء به لكونهم مشاهدين له فلما جاز زماننا وجدنا اوراقا

مكتوبة

مكتوبة سوادا في بياض واخبارا منقولة ووجدنا القبول عليها
ابتدا لا نقدر على دفعه من نفوسنا ووفقنا الله عز وجل علمنا ان
قوة نور الايمان اعطى ذلك ولم نجد ترددا ولا طلبنا اية ولا دليلا
على صحة ما وجدناه مكتوبا من القران ومنقولا من الاخبار علمنا
على القطع قوة الايمان الذي اعطاناه الله سبحانه وتعالى عناية
منه لنا وكنا في هذه الحالة مومنين بالغيب الذي لا درجة للصحابة
فيه ولا قدم كما لم يكن لنا قدم في قوة دفع ما يعطيه سلطان الحسد
عند المشاهدة فقابلنا هذه القوة بتلك القوة فتساوينا ثم قال
وهذا كله جبر لقلوبنا لما فقدناه من مشاهدة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان خير لنا فانا لا نعرف كانت احوالنا عند المشاهدة
هل يغلب علينا الحسد او نغلبه فكفى الله سبحانه المومنين القتال
وكان الله قويا عزيزا انتهى وهو كلام مفيد على ما فيه ومما ناله امته
بعده من الخير اجرهم بمصيبته وثقل موازينهم به قال التجاني
وبهذا المعنى سادت فاطمة رضي الله عنها امها وجميع اخواتها رضي
الله عنهن كلهن فانهن كلهن مُتْنَ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم
فكُنَّ في ميزانه ومات ابوها سيد العالمين صلى الله عليه وسلم فكان رزوه
في صحيفتها وميزانها واقول لا شبهة ان فاطمة رضي الله عنها
اثيبت بمصابها بابيها صلى الله عليه وسلم لكنها لم تفضل امها بمجرد
ذلك وانما فضلت امها بكونها بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم وقد

ع
وقع في خط الشارح
ولا منقولا باثبات
حرف النفي وكانه
سهو ه

ح
حيث كان كلاما يقال فيه
على ما فيه فلاي شي يا
مولانا توردة وتصطفيه
ه

قيل لابي داود صاحب السنن من افضل خديجة ام فاطمة فقال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني فلا اعدل ببضعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا واما كونها افضل من باقي بنات
النبي صلى الله عليه وسلم فلان اباها صلى الله عليه وسلم نطق وهو لا ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى بان فاطمة افضل نساء العالمين الا
مريم بنت عمران اذ قال صلى الله عليه وسلم اما ترضين ان تكوني
سيدة نساء اهل الجنة الا مريم ولو كان مجرد زوجها بالنبي صلى الله
عليه وسلم موجبا لافضليتها على امها لفضلت عائشة رضي الله عنها
على خديجة بل كل نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي مات عنهن صلى
الله عليه وسلم مع ان اكثر العلماء على افضلية خديجة على عائشة رضي
الله عنها وعلى غيرها بالطريق الاولى فان قلت قيل ان من الخير الذي
حصل بعده فتح باب الاجتهاد فهل ذاك صحيح قلت نعم هو صحيح ان
اراد قائله بالفتح الاكثار واما اذا اراد بالفتح الوقوع فالاصح ان
الاجتهاد جائز في العصر النبوي بل واقع لان النبي صلى الله عليه وسلم حكم
سعد بن معاذ سيد الاوس في بني قريظة فقال تقتل مقاتلتهم
وتسبى ذريتهم قال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله عز وجل رواه
الشيخان فان قلت قيل من فوائد موته ما ذكره الصفي عيسى الايجي
عرض الملائكة صلوة من صلى عليه والتوجه في آن واحد الى ما لا
يحصى من امور الامة قال ولم يثبت ذلك في الحيوة فمن بلا عيب

مطلب ان خديجة افضل من عائشة رضي الله عنها

فعليه الاثبات

فعليه الاثبات فهل هو صحيح اولا قلت نعم صلوة من صلى عليه وسلامه
يبلغانه حيا وميتا كما هو مقتضى اطلاق الاحاديث الواردة في ذلك
فانها تكاد ان تكون ناصة على بلوغها اياه في الحالتين ففي سنن
ابن ماجة بسنده الى ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكثروا من الصلوة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود يشهده
الملائكة وان احدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها
قال قلت وبعد الموت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تاكل
اجساد الانبياء فنبي الله حي يرزق وفي الطبراني الكبير قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يصلي علي الا بلغني صوته
حيث كان قلنا وبعد وفاتك قال وبعد وفاتي ان الله سبحانه
حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء فقولهم وبعد الموت
انما بوا العطف والمعطوف عليه شيء معلوم التقدير في الحيوة وبعد
الموت وبلوغ الصلوة والسلام اياه في الحيوة غير مستبعد لان الصحابة
علموا من قوة حواسه ما يدفع هذا الاستبعاد لكنهم استبعدوا وقوع
ذلك بعد الموت فراموا كشف الغطاء عنه فقالوا وبعد الموت فانهم
لما فهموا من الاطلاق شموله للحالتين والحالة الواحدة لم تكن
مستبعدة فاحتاجوا الى كشف الغطاء عن الحالة الاخرى فقالوا وبعد
الموت هذا وان حديث حياتي خير لكم الى اخره اخرجه الحارث بن ابي اسامة
في مسنده من حديث بكر بن عبد الله المزني والبزار من حديث ابن مسعود

تقديره

بسند صحيح وكما قال ابي النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله عز وجل رحمة
بامة قبض نبيها يقال قبض المريض اذا توفي واذا اشرف على الموت
كذا في النهاية قبلها متعلق بقبض فجعله لها سلفا وفرطا السلف ماخوذ
من سلف المال كانه قد اسلفه وجعله ثمنا للاجر والثواب الذي
يجازى به على الصبر عليه وقيل سلف الانسان من تقدمه بالموت
من ابائه وذوي قرابته ولهذا يسمى الصدر الاول من التابعين السلف
الصالح والفرط المتقدم الى الشي يقال فرط يفرط فهو فارط وفرط
اذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم الدلاء والارشية
ومنه الدعاء للطفل الميت اللهم اجعله لنا فرطا اي اجرا يتقدمنا يقال
افترط فلان ابنا صغيرا اذا مات قبله وفي الحديث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انا والنبيون فراط لقاصفين وفراط جمع فارط اي
متقدمون الى الشفاعة او الى الحوض وقال ابن عباس لعائشة
رضي الله عنهم تقدمين على فرط صدق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابا بكر رضي الله عنه واضافهما الى صدق وصفا لهما ومدحا هذا
وان هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه من حديث ابي موسى الاشعري
رضي الله عنه ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اذا اراد
رحمة امة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها
واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر
عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا امره وانما كان قبض النبي
خيرا

خيرا لانهم اذا قبضوا انقطعت اعمالهم واذا اراد الله سبحانه بهم خيرا جعل
خيرهم مستمرا ابقاهم محافظين على ما امروا به من العبادات وحسن
المعاملات نسلا بعد نسل وعقبا بعد عقب كذا قيل واقول انما كان
قبض النبي خيرا في حق امته لانه بقبضه يعلم ان الله عز وجل لم
يغضب عليهم اذ لو غضب عليهم لعمهم بالعقاب قبل ان يقبض
نبيهم كما فعل بقوم صالح وهود وشعيب ولوط فانه تعالى لم يقبض
هولاء النبيين حتى اقر اعينهم بعقاب مكذبيهم وقال السمرقندي
هو ابو الليث الفقيه الحنفي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل
لجميع الخلق لا يخفى ان العالمين الواقع في قوله عز وجل وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين جمع محلى باللام فالمتبادر منه الاستغراق وان
استغراقه يشمل الافراد كلها ودلالة العام على ما صدقاته قطعية
عند الحنفية وظنية عندنا لاحتمال التخصيص وانه جمع بالياء
والنون فالمتبادر منه العقلاء ولا احتياج الى شموله لغير ذوي العقول
وانه جمع بالياء والنون لتغليب ذوي العقول على غيرهم ثم ان عمومه
لذوي العقول شامل للملائكة ايضا فان قلنا انه مرسل اليهم كما
اختاره التقي السبكي لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا فان العالمين
شامل لجميع المكلفين والمراد بالعبد في الاية محمد صلى الله عليه وسلم
قطعا فلو قيل لمدعي خروج الملائكة من هذا العموم اقم الدليل على
خروجهم لعجز عنه ولا يلزم ان يكون انذرهم بالشريعة كلها وانما

ارشدهم بامور في مصالحهم وتقربهم الى الله عز وجل فاذن يكون رحمة لهم
قطعا واما اذا لم يكن مرسلا اليهم فيجوز ان يكون رحمهم به بصلاته عليهم
كما نص ربنا عز وجل على ذلك في قوله ان الله وملايكته يصلون على النبي
وبصلاتهم على امته كما قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملايكته
واستغفارهم لامته بدليل قوله ويستغفرون للذين امنوا ثم قال
فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فان قلت اي رحمة تنالهم بذلك
قلت هم في ذلك ممتثلون امر الله عز وجل وامتثالهم لامره تعالى زيادة
في قربتهم وحصول الزلفى لهم فان قلت من قال انه رحمة للعالمين بمعنى
جميع الخلق كما هو احد قولي السمرقندي ما مراده قلت اراد بجميع الخلق
ما يتبادر منه وهو الشمول لكل المخلوقات حتى الجمادات فان قلت كيف
يكون رحمة للجمادات قلت لا يخفى ان العذاب الذي كان يصيب
الامم قبل نبينا صلى الله عليه وسلم كان يشمل الجمادات ولهذا كره النبي
صلى الله عليه وسلم الصلوة في الارض المغضوب عليها كابار ثمود وكره
الوضوء من ماء مغضوب عليه كابار ثمود وان الانبياء السابقين
كانوا اذا عذب الله عز وجل قومهم ارتحلوا من تلك الارض التي اصاب
قومهم العذاب فيها لانها ارض مغضوب عليها وقد جا في الاخبار وصف
الارض التي بني فيها مسجد الضرار بانها ملعونة ثم لا يخفى ان الجمادات
تفرح بذكر ربها على ظهرها وبسببه وبسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليها امتلات الارض ذكرا وتوحيدا وتسبيحا وصلوة وعبادة

ولولم

ولولم يكن الا راحتها من عبادة الاصنام على ظهرها فان قلت ما رحمته
للسما قلت السما هي مصعد الاعمال ولا شك ان السما تتالم من
عصيان خالقها تحتها وتفرح بطاعة ربها عز وجل تحتها وبسبب هذا
النبي الكريم صلى الله عليه وسلم استراحت من مشاهدة قوم يعبدون غير
الالاهها الذي خلقها وفطرها عز وعلا ومن صعود الشياطين اليها
وحرست بالشهب وبالجملة فكونه رحمة لجميع المخلوقات امر ظاهر
وقوله رحمة للمومن بالهداية الى اخره ليس بيانا لجميع الخلق ليكون المراد
بجميع الخلق الثقلين ايضا كما توهم بل هو كشف لما عسى ان يستشكل
من كونه رحمة للكافر والمنافق مع انهما انغمرا في عذاب الله عز وجل
بسببه وذكر المومن معهما تكملة للمقصود والهداية هنا بالمعنى
الذي فسرها به الاشعري وهو خلق الاهتدا وهو الايمان والمعتزلة
فسروها بالدعوة الى الايمان والطاعة وايضاح سبيل المراشد
وتيسير مقاصده والزجر عن طريق الغواية كما في قوله عز وجل
واما ثمود فهديناهم اذ لا شبهة في امتناع حمله على خلق الهداية
وتفسير المعتزلة لها بذلك باطل لامور الاول اجماع الامة على
الاختلاف فيها فيقال فلان مهدي وفلان غير مهدي والدعوة
عامة لجميع الخلق لا اختلاف فيها والثاني الدعا بها فيقال اللهم اهدنا
الصراط المستقيم ولو اريد بها الدعا لكانت حاصلة لانه عام
فلا يطلب الداعي امرا حاصلا الثالث ان كون فلان مهديا صفة

النفاق لفظ اسلامي

مدح وكونه مدعوا ليس صفة مدح ورحمة للمنافق بالامان من القتل
المنافق من اتصف بالنفاق وهو اسم اسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى
المخصوص به وهو الذي يستر كفره ويظهر ايمانه وان كان اصله في اللغة
معروفا يقال نافق ينافق منافقة ونفاقا وهو ماخوذ من النافقاء
احد جحرة اليربوع اذا طلب من واحد هرب الى الاخر وخرج منه
وقيل هو من النفق وهو السرب الذي يستتر فيه لستره كفره وهو
قسمان نفاق كفر ونفاق عمل ومنه قول حنظلة نافق حنظلة اراد انه
اذا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم اخلص وزهد في الدنيا واذا خرج عنه
ترك ما كان عليه عنده ورغب في الدنيا فكانه نوع من مخالفة الظاهر
للباطن وكان حنظلة لا يرضاه لنفسه وفي الحديث اكثر منافقي
هذه الامة قراؤها اراد بالنفاق الريا لان كليهما اظهار خلاف ما يبطن
وامان المنافق من القتل لانه نطق بالشهادتين في الظاهر فعامله
الله عز وجل بجنس عمله فسلم جسده من القتل واما نار جهنم
اعاذنا الله عز وجل منها فهي التي تطلع على الافئدة فلا ينجو منها الا من اتى
الله عز وجل بقلب سليم فان قلت الكافر المعاهد اذا كان كتابيا او
نحو وادى الجزية فانه ينجو من القتل فلا تختص النجاة من القتل بمن
كان منافقا قلت المراد انه يدخل في عداد المسلمين ويكون له ما لهم
وعليه ما عليهم وحكمه حكمهم في كل الاحوال الا في الصلوة خلفه فانه لا
تصح عندنا ورحمة للكافر بتاخير العذاب المراد بالكافر الجاحد لما اتى به رسول

الله

قوله لمن كفر [illegible]
فتدبر

الله صلى الله عليه وسلم سوا كان معلنا لكفره ام مخفيا له كالزنديق والمنافق
فتاخير العذاب شامل لهما والمراد بالعذاب ما اوعد الله به لمن كفر به
وكذب نبيه صلى الله عليه وسلم وكان الكفار في الامم السابقة اذا كذبوا
انبياءهم نزل بهم عذاب يليق بهم كما وقع لقوم نوح وهود وصالح وشعيب
ولوط عليهم الصلوة والسلام ولكن بنبينا صلى الله عليه وسلم لم نفعل ذلك
بمن كذبه رحمة من الله عز وجل له فالمنافق من حيث كفره داخل
في هذا القسم وان كان من حيث اظهاره للاسلام له حكم لا يشاركه
فيه باقي الكفرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو رحمة
للمومنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة
ان قلت قد قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويوم حنين وفي غزوات
متعددة وكذلك قتل بني قريظة واخرج بني النضير الى اريحا
وسبي ذريتهم فهل هذا الا عذاب واي فرق بين هذا وبين ما اصاب
من مضى من الامم قلت القتل ليس عذابا كذلك العذاب الذي اصاب
الامم المكذبة لانه عذاب جرى على ايدي الناس كما قال تعالى
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وايضا في القتال اثارة لدواعي الخير
فان الكافر اذا راى ان القتل يندفع عنه بالايمان يظهر الايمان وان
كان نفاقا ثم ان التوحيد اذا جرى على اللسان سرى الى القلب كثيرا
ودخل الايمان في قلب الناطق بالتوحيد شاء ام ابى ولهذا قال
الله عز وجل في هذه الاية ويتوب الله على من يشا وقال ابو سفيان

ابن حرب رضي الله عنه حتى ادخل الله علي الاسلام وانا كاره واسلم
عكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه وشيبة بن طلحة السادن وعثمان
ابن طلحة وغيرهم بخلاف العذاب الذي كان يرسله الله تعالى على من
سلف فانه يدع الحليم حيران ولا يتمكن من الاسلام ولا يدفع
الايمان فكان فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لهم رحمة وحكي بالبناء
للمفعول ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل
اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة هي اخر
الشي اي كنت اخاف عاقبة سوء فامنت اي ذهب عني الخوف
لثنا الله علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
فانه تعالى اقسم اولا ثم اقسم بقوله تعالى فلا اقسم بالخنس الى ان قال
انه لقول رسول كريم والمراد به جبريل وقد مدحه في الاية بامور
الاول انه رسول سفير بين الله تعالى وبين نبيه صلى الله عليه وسلم
الثاني انه كريم والكريم هو الجامع لانواع الخير والشرف والفضل بل
الثالث انه ذو قوة قال الكلبي ومن قوته انه اقتلع مدائن قوم لوط
من الما الاسود فحملها على جناحه حتى رفعها الى السما حتى سمع اهل
السما نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها ومن شدته ايضا انه
ابصر ابليس لعنه الله يكلم عيسى عليه الصلوة والسلام على بعض
عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة القاه باقصى
جبل الهند ومن شدته صيحته بثمود في عددهم وكثرتهم فاصبحوا
جاثمين

النفح بالنون والفا والحا
المهملة الضرب والرمي ه

جاثمين خامدين ومن شدته هبوطه من السما على الانبيا عليهم
الصلوة والسلام وصعوده اليها في اسرع من الطرف الرابع انه مكين
اي ذو مكانة ومنزلة عند مالك العرش جل جلاله فقوله عند ذي العرش
ظرف متعلق بمكين ومن مكانته ان له منصة عند سدرة المنتهى
ومنها انه صاحب الموازين يوم القيمة وانه امين الله تعالى الى رسله
وانه يدخل سبعين سرادقا بغير اذن الخامس انه عليه السلام مطاع
ثم اي هناك اي في السموات عند الملا الاعلى قال ابن عباس رضي الله
عنهما من طاعة الملائكة جبريل انه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنة افتح له ففتح ودخلها
فراى ما فيها وقال لمالك خازن النار افتح له جهنم حتى ينظر اليها
فاطاعه وفتح له السادس انه امين اي موتمن على الوحي الذي يجي به
وهذا مبني على ان المراد برسول في قوله انه لقول رسول جبريل وهو
الاصح بقرينة قوله ولقد راه بالافق المبين فان الضمير المرفوع
في راه عائد الى النبي صلى الله عليه وسلم المعبر عنه بصاحبكم في قوله
وما صاحبكم بمجنون اي راى صاحبكم وهو النبي صلى الله عليه وسلم
جبريل في صورته التي خلق عليها وله ستمائة جناح بالافق المبين وهو
المشرق الذي هو مطلع الشمس وانما كان مبينا لان من جهته ترى
الاشيا واما ان اريد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فلا يكون هذا دليلا
لجبريل عليه السلام على حصول الامن له ومراد جبريل بقوله فامنت

اي في الجملة والا فالاحاديث مصرحة بان الخوف لم يفارق جبريل ولا
غيره من الملائكة والانبيآء عليهم الصلوة والسلام فقد اخرج احمد بن
حنبل رضي الله عنه في الزهد عن رباح قال حدثت ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام لم تاتني الا وانت صار بين
عينيك قال اني لم اضحك منذ خلقت النار واخرج ابو الشيخ
عن عبد العزيز بن ابي داود قال نظر الله عز وجل الى جبريل وميكائيل
عليهما السلام وهما يبكيان فقال الله تعالى ما يبكيكما وقد علمتما
اني لا اجور فقالا يا رب انا لا نامن مكرك قال هكذا فافعلا فانه
لا يامن مكري الا كل خاسر واخرج احمد رضي الله عنه في الزهد عن
ابي عمران الجوني انه بلغه ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال وما
لي لا ابكي فوالله ما جفت لي عين منذ خلق الله عز وجل النار
مخافة ان اعصيه فيقذفني فيها فان قلت جبريل عليه السلام
قد امن بمقتضى عصمة الله عز وجل له وبمقتضى قربه من ربه
عز وجل قلت خوفه كخوف الانبيآء عليهم الصلوة والسلام مع امنهم
وفي الاحيا لحجة الاسلام رضي الله عنه وانما كان خوف الانبياء مع
ما فاض عليهم من النعم لانهم لم يامنوا مكر الله عز وجل ولا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون حتى روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل
عليهما السلام بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحى اليهما لم تبكيان وقد
امنتكما

امنتكما فقالا ومن يامن مكرك فكانهما اذ علما ان الله عز وجل هو علام
الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يامنا ان يكون قوله قد
امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر
انهما قد امنا المكر وما وفيا بقولهما ثم ان الخوف من مكر الله تعالى لا
يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله عز وجل وخفايا افعاله ومعاني
صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر منها بالمكر وما لاحد من البشر
الوقوف على كنه صفات الله عز وجل ومن عرف ان حقيقة المعرفة
القصور عن الاحاطة بكنه الامر عظم خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى
عليه الصلوة والسلام لما قيل له أأنت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله قال ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في
نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم فانهم عبادك الاية
فوض الامر الى المشية واخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه
بانه ليس له من الامر شي وان الامور مرتبطة بالمشية ارتباطا
يخرج عن حد المعقولات والمالوفات فلا يمكن الحكم بقياس وحدس
وحسبان فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع
قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشية من لا
يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك من لا يحصى من امثالك ولم يزل
في الدنيا يعذبهم بانواع الالام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم
بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ثم قال وكيف يومن تغير الحال

وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه اشد تقلبا من
القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مامون
في سورة المعارج
فاجهل الناس من امنه وهو يناديه بالتحذير من الامن ولولا ان الله
عز وجل لطف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجا لاحرقت
قلوبهم بنار الخوف انتهى فخوف جبريل من ربه عز وجل مبني عن كثرة
علمه بالله عز وجل ومن هذا القبيل ما روي عن اسرافيل عليه
الصلوة والسلام انه مع كونه راسه تحت العرش ورجلاه تحت
الارض السابعة يتصاغر حتى يصير كالوضع من خوفه من الله عز
وجل ومنه حديث الحلس وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى جبريل كانه حلس لاطي وذلك لخوفه من الله عز وجل هذا
وان في هذا الحديث وما تضمنه من الاية ابحاثا الاول ان قلت لا
ابحاث مع ابن الحنبلي والتلمساني
ريب في ان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يعلم ان رحمة الله عز وجل
بسببه اصابت كل موجود فلم سال جبريل مع علمه بانها اصابته
قلت لا شك انه ان علم ذلك من قوله للعالمين بجعل اللام فيه
للاستغراق والجمع المحلى يفيد عموم الافراد كما ذهب اليه ائمة
الاصول والنحو والتفسير فذلك غير قطعي لجواز ارادة الثقلين
كما اريد من قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا كما ذهب اليه الجمهور
بل قد يراد بالعالمين ما هو اخص من ذلك كعالمي زمانهم كما وقع
في قوله وفضلتكم على العالمين اي عالمي زمنكم وبالجملة ففهم شمول
العالمين

العالمين للملائكة من هذه الاية غير مقطوع به والظاهر انه لم يعلم ذلك
ذلك من غير هذه الاية اذ لو علم ذلك لما سال عنه فيكون السوال عن
اثبات دخوله في هذا العموم لان هل لطلب التصديق فالمعنى هل
دخلت في عموم العالمين وليس هل بمعنى الهمزة وان السوال
بالنظر الى الزمن اي اصابك من هذه الرحمة شي ام يصيبك في
الزمن المستقبل لان في ذلك اخراج هل عن موضوعها وجعلها
لطلب التصور وهي لا تكون الا لطلب التصديق ومن اجاب
عن ذلك بان سواله كان للتوسل الى ان يعترف جبريل عليه السلام
فيكون محدثا بالنعمة فلم يصب لان جبريل عليه السلام لا يتوهم
فيه انكار ما هو الحق حتى يحتاج الى الاعتراف وكذا من قال للتلذذ
بكلامه لان جبريل عليه السلام كان مكثرا من الاجتماع بنبينا
صلى الله عليه وسلم وكذا من قال انه من باب طرح المسئلة للاختبار
فان كل ذلك تكلف سمج والصواب ما ذكرنا الثاني ان قول جبريل
فامنت على زنة فرحت مبني للفاعل ماخوذ من الامن ضد
الخوف وهو لازم فالقول بانه مبني للمفعول اخذا من امنه كسمعه
هذا شي راجع الى الرواية فتامل
غير صحيح لانه ان كان من الامن ضد الخوف فهو لا ياتي الا لازما ولا
يبنى للمفعول وان كان من الامانة ضد الخيانة اي فجعلني الله عز
وجل امينا اي مامونا فهو بعيد جدا لان مراد جبريل عليه السلام ان
حالته التي كان عليها بسبب هذه الرحمة تغيرت وانقلبت الى ما

بضدها والحالة التي كان عليها الخشية والخوف من مكر الله فحصل على
ضدها وهو الامن واين الامن من الامانة فان قلت اما يجوز ان
يكون معنى قوله فامنت بالبناء للمفعول جعلت امينا وظهرت اماتتي
لثناء الله عز وجل علي بما فيه وصفي بالامانة على وحيه فلم اكن
لاخشى بل صرت امنا ولما كانت رتبة جبريل عليه السلام بواسطة
جعله امينا على هذا الوحي الذي لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
يجعل امينا عليه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راحالة بهذا الاعتبار
قلت جبريل عليه السلام لا يلزم من وصف الله عز وجل له بالامانة
ان يامن العاقبة التي كان يخشاها وانما حصل له الامن من قوله عند
ذي العرش مكين اي له رتبة عالية عند الله عز وجل ومن كان ممكورا
به والعياذ بالله لا يكون ذا رتبة عند الله ورحمة الله عز وجل له من
نعته بهذه الصفة الشريفة التي لم يسمعها الا بواسطة النبي صلى الله عليه
وسلم لا من جعله امينا على الوحي فانه كان امينا على الوحي قبل نبينا
صلى الله عليه وسلم اذ هو السفير بين الله عز وجل وبين جميع انبيائه
عليهم السلام الثالث ان قلت لم اقتصر في الخبر على ما سوى قوله
رسول كريم من الصفات قلت اقتصر على ذكر الاثنين المشتملتين
على ذكر ما اوجب امنه من مكر الله عز وجل اما الاولى ولاشتمالها على
وصفه بانه ذو مكانة ومرتبة علية عند ذي العرش عز وعلا والثانية
مشتملة على انه مطاع في الملا الاعلى والله عز وجل لا يجعل خيار عباده
المكرمين

المكرمين الذين يسبحون له الليل والنهار لا يفترون يطيعون الامن
هو محبوب عند الله مقرب اليه وعلى انه امين ويابى الله عز وجل ان
يامن على سره الا من احب من عباده واما الكريم فانا فسرناه بانه
الجامع لانواع الخير والشرف والفضائل فرب من يجمع ذلك حالا
ويسلبه والعياذ بالله مآلا فلا دلالة فيه على الامن من سوء
العاقبة والقول بان اقتصاره على ما سوى كريم من الصفات
لانه مبني على ان وصفه به من باب وصف الشيء بوصف صاحبه
مجازا والمعنى انه لقول رسول كريم مرسله بخلاف ما سواه
من الصفات فان وصفه به على الحقيقة فالشيء به اظهر
فالتعرض له اجدر غير مرضي لعدم احتمال ما ذكر فضلا عن القطع
به واي قرينة دلت على ذلك وليس هذا من قبيل التي الى كتاب
كريم فانهم جوزوا فيه ان يراد كريم مرسله لبعد اتصاف الكتاب
المذكور بانه كريم على انهم لم يجوزوا ذلك في قوله انه لقران كريم بل
جعلوا الكريم صفة للقران ليس الا ولكل مقام مقال وروي عن
جعفر بن محمد الصادق في قوله عز وجل فسلام لك من اصحاب
اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله
عليه وسلم وذلك ان الله عز وجل قسم احوال الذين يموتون وبينها في
البرزخ وجعلها ثلاثة اقسام القسم الاول المقربون وذكر ابن عطية
في كتابه تحرير المقال في موازنة الاعمال في تعيينهم وجهين الاول

قوله والقول مبتدا
خبره غير مرضي

ان يكونوا جميع الاصناف المذكورين في قوله تعالى ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وانما قلنا ذلك لان الله تعالى اخبر في هذه
الاية ان هولاء الاصناف الاربعة هم الذين انعم الله عز وجل
عليهم وقد فرض الله سبحانه على هذه الامة في كل صلوة ان يسالوه
الهداية الى صراط المنعم عليهم بوجوب قراة ام القران في كل ركعة
وفيها اهدنا الصراط المستقيم ثم فسره تعالى باثبات ونفي فالاثبات
قوله صراط الذين انعمت عليهم والذين انعم الله عز وجل عليهم هم
الذين ذكرهم في الاية الاولى على ما تقدم والنفي قوله غير المغضوب
عليهم ولا الضالين والمغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم
النصارى جاء ذلك في حديث عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم
وسوال هذه الامة الهداية الى صراط الذين انعم عليهم مع كونهم من
افضل الامم يدل على ان المنعم عليهم هم النهاية في الهداية والاستقامة
على الطريقة المثلى وان كانوا في ذلك طبقات بحسب درجاتهم
فان قيل كيف يكون المقربون هم الاصناف الاربعة ومراتبهم
مختلفة اذ بعضها فوق بعض فالجواب ان نقول ان مراتب
الانبياء مختلفة وقد شملهم وصف النبوة فلا ضير في ان
يشمل وصف التقريب هولاء الاصناف الاربعة ويكون
الصالحون هم الصنف الاخير من المقربين والنبيون هم الصنف
الاعلى

الاعلى ويسمى جميعهم بالمقربين لكونهم لا يرون في الاخرة الا الخير المجرد
في الجملة فان قلت ما الصالح الذي يكون من جملة المقربين قلت
هو المتقي الخاشع الذي لا يذنب بالقصد وان كانت له ذنوب
من صغائر فتكون قليلة متبددة ويكون معفوا عنها لاذهاب
الحسنات لها الوجه الثاني في تعيين المقربين ان يكونوا من
لا حساب عليهم من المومنين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب فقال له عكاشة
ادع الله عز وجل ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم وهذا
الوجه في تعيين المقربين وجه حسن وقد جاء في تفسير قوله تعالى
ومنهم سابق بالخيرات انه الذي يدخل الجنة بغير حساب والسابق
والمقرب واحد بدليل قوله عز وجل والسابقون السابقون
اولئك المقربون ثم قال ابو طالب بن عطية القضاعي في
كتابه تحرير المقال في موازنة الاعمال في تعيين اصحاب اليمين
جعلنا الله منهم بمنه وكرمه انهم من دون الصالحين في الرتبة
وتقدم ان الصالح هو المتقي الخاشع الذي لم يذنب بالقصد
وان كانت له صغائر فتكون قليلة متبددة فان رتبة الصالحين
هي ادنى رتبة المقربين وبعدهم تكون رتبة اصحاب اليمين على
حسب درجاتهم فيدخل فيهم من يستكثر من الصغائر من
غير اصرار عليها ومن يستكثر منها عن اصرار ومن فعل كبيرة او

كبائر ثم فجئته المنية قبل التوبة ومن فعل كبائر ثم مات مصرا عليها
ممن رجحت حسناته على سياته وممن رجحت سياته على حسناته
فعفي عنه او لم يعف عنه فاقتص منه بدخول النار لحظة الى اخر
من يخرج منها بالشفاعة او بفضل الله سبحانه وتعالى ويدخل
فيهم من لا عقاب عليهم مثل اصحاب الاعراف الذين استوت
حسناتهم وسياتهم فيكون هولاء كلهم يعبر عنهم باصحاب
اليمين اذ لا يبقى الا المخلدون في النار والعياذ بالله كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق في النار الا من حبسه القران
ووجب عليه الخلود يعني الكفار الذين اخبر الله عز وجل في
القران انه لا يغفر لهم اصلا هذا تعيين المقربين واصحاب اليمين واما
ماذكره المفسرون في هذه الايات التي ختمت بها سورة الواقعة
فذكر ابن سلام في تفسيره عن الحسن البصري انه قرا هذه الاية
فروح وريحان وجنة نعيم فقال ذلك في الاخرة وذكر النحاس
عن الربيع بن خثيم انه قال هذا عند الموت والجنة مخبوءة له الى ان
يبعث وقال ابو الجوزا اذا قبض روح المومن تلقى بضبا ير
الريحان فجعل روحه فيه وذكر عن الحسن انه قال الروح الرحمة
يعني على قراءة من ضم الراء واما على من فتحها ففيه اقوال قال مجاهد
الروح الفرح وقال الضحاك الروح الاستراحة قال النحاس وقال
مجاهد والضحاك الريحان الرزق وقال الفرا من قرا فروح بالفتح

فمعناه

فمعناه روح في القبر ومن قرا فروح بالضم يقول حيوة لا موت فيها
وقال الزجاج الروح بالفتح الاستراحة وبالضم معناه حيوة
لا موت بعدها ابدا والريحان الرزق ويجوز ان يكون الريحان التحية
لاهل الجنة وفي الهداية لمكي قال ابو العالية لم يفارق احد من
المقربين وهم السابقون الدنيا حتى يوتى بغصن من ريحان الجنة
فيشمه ثم يقبض وقال الحسن يقبض الملك نفس المومن في
ريحانه وقال بعضهم فروح في الدنيا وريحان في القبر وجنة نعيم في
الاخرة واما قوله فسلام لك من اصحاب اليمين قال مكي في
الهداية معناه فسلام لك من عذاب الله اي تسلم من ذلك انتهى
كلام مكي فعلى هذا المخاطب بقوله لك المحتضر الذي هو في صدد
خروج الروح ومن في قوله من اصحاب اليمين تعليلية واصله
فتسلم ايها المحتضر سلاما حاصلا لك ثم حذف عامل المفعول
المطلق ثم رفع للدلالة على الدوام والاستمرار والجار والمجرور
في قوله لك في محل رفع صفة لسلام ومن تعليلية اي من
اجل انك من اصحاب اليمين وهو بمعنى قول من قال ان المعنى
فيقال سلام لك انك من اصحاب اليمين فانه لم يرد ان ان واسمها
محذوفان وبقي الخبر بل اراد ان ذلك امر مراد بحسب المعنى
وقيل معناه فلست ترى منهم الا ما تحب من السلامة فعلى هذا
القول وهو عندي اقرب الاقوال ان المخاطب بقوله لك محمد صلى الله عليه وسلم

قوله قال مكي
ينبغي فقال
صح

وان قوله سلام مبتدا ولك جار ومجرور خبره ومن اصحاب اليمين حال
من الضمير المستكن في عامل الخبر اي فلك يا محمد سلامة من جهة
اصحاب اليمين ويمكن ان يكون قوله سلام مبتدا وقوله من اصحاب
اليمين خبره ولك حال واللام للتعليل اي سلام وامن من عذاب الله
من جهة اصحاب اليمين حال كون ذلك لاجلك ولكونك الشفيع
فيهم وهذا هو ملحظ جعفر الصادق رضي الله عنه وعن اسلافه
الطاهرين وقدم الجار الذي هو حال على عامله وهو متعلق قوله
من اصحاب اليمين لافادة الحصر اي انما سلم اصحاب اليمين لاجلك
ومن في قوله من اصحاب اليمين لابتداء الغاية اي سلامة اتت من
جهتهم واللام في لك للتعليل ولهذا قال جعفر رضي الله عنه انما وقعت
سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم فعبر بانما للاشارة
الى الحصر وليست لمجرد المبالغة لان اصحاب اليمين اذا لم يكونوا
مقربين ففيهم ما يقتضي عدم السلامة فكانه يقول انما سلموا لاجلك
ولكرامتك على الله عز وجل فلا قلب في الاية على مرتضى جعفر
الصادق رضي الله عنه ومراده في هذه الاية وقوله انما وقعت سلامتهم
بيان للحاصل وقال قتادة معناه سلموا من عذاب الله عز وجل
وسلمت عليهم الملائكة وقيل المعنى لك يا محمد منهم سلام اي
يسلمون عليك اي يدخلون الجنة فيرونك فيها فيسلمون عليك
وقيل المعنى يدعون لك بان يصلي الله عز وجل عليك ويسلم وقيل

المعنى

المعنى ان اصحاب اليمين يحيون بالسلام اكراما لهم فعلى هذا في محل
هذا السلام ثلاثة اقوال الاول عند قبض روحه في الدنيا يسلم
عليه ملك الموت الثاني عند مسايلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير
الثالث عند بعثه يوم القيمة يسلم عليه الملائكة وقال الله سبحانه وتعالى
الله نور السموات والارض اصل النور في اللغة النفور عن السوء
والبعد عنه من ذلك قولهم نارت المراة تنور نورا اذا نفرت عن
الفاحشة وامراة ~~نوور~~ نوار من نسا نور اذا نافرت الفاحشة
وبعدت عن السوء ونافرت المراة باعدت ذلك ونافرته وانار النور اي
نفى الظلام ومن ذلك سميت النار لاضائة ما حولها عند ايقادها
فتطرد الظلام عما هنالك فمعنى النور من جهة اللغة انه المنزه عن
الادناس المتبعد عن الافات ثم انه عز وجل اطلق على نفسه في
هذه الاية انه نور السموات والارض وفي صحيح البخاري ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يقول في دعائه اللهم لك الحمد انت نور السموات
والارض ومن فيهن الحديث ولما كان النور في الاصل كيفية
تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة
من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهذا قول المتكلمين
وزعم الحكما الاقدمون انه اجسام صغار تنفصل من المضي وتتصل
بالمستضي وهو باطل كما اقيم الدليل على بطلانه في الكتب الكلامية
وعلى كل حال فهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله عز وجل الا مجازا بان

يراد منه منور السموات والارض فاطلق عليه من قبيل تسمية السبب
باسم المسبب واسند اليه تعالى فهو مجاز عقلي كما اطلقوا على الناقة
المقبلة المدبرة الاقبال والادبار كما في قول الشاعر
ترتع ما رتعت حتى اذا ذكرت فانما هي اقبال وادبار وهذا وجه صحيح
فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عنها وبالملائكة والانبيا الذين
ينورون البواطن باشراق انوار الهداية فهو بمعنى اسم الله عز وجل الهادي
والمبين والمرشد لانه عز وجل يهدي بالنور الباطن البصائر
الباطنة الى المعارف الباطنة وقد قال العارفون ان هذا النور ليس
شيا يكتسب بل هو موهبة من الله عز وجل ونتيجة تتولد من
التقوى والتزكي مفتاحها الافتقار والتضرع الى الله عز وجل وقد
اشار الى ذلك ربنا عز وجل في كتابه حيث قال يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا
تمشون به فعلى قدر ملازمة التقوى ينعكس النور في بصيرة
القلب حتى يمتلى القلب نورا ثم يفيض على ساير الجوارح فيبصر
بالنور ويسمع بالنور ويتكلم بالنور ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث المروي في صحيح البخاري في دعا النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعل لي في سمعي نورا وفي بصري نورا وفي قلبي نورا وفي رواية
وفي فوادي نورا وفي قبري نورا وفي شعري نورا وفي بشري نورا ونورا
من امامي ونورا من وراي الحديث او يراد بنور السموات والارض

مدبرها

مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير فلان نور القوم لانهم
يهتدون به في الامور وقال حجة الاسلام ابو حامد الغزالي النور
في حق الله عز وجل معناه الظاهر الذي به ظهور كل شي فان الظاهر
في نفسه المظهر لغيره يسمى نورا ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور
لا محالة للوجود ولا ظلام اظلم من العدم فالبري عن ظلمة العدم بل عن
امكان العدم المخرج كل الاشيا من ظلمة العدم الى ظهور الوجود جدير
بان يسمى نورا والوجود نور فايض على الاشيا كلها من نور ذاته عز وعلا
فهو نور السموات والارض واقول فعلى هذا اطلاق النور عليه عز وجل
بطريق المجاز الذي هو الاستعارة فكانه شبه نفسه بالنور بجامع
الظهور فان قلت وجه الشبه في الله عز وجل وهو الظهور اقوى
منه في النور فكيف يجعل النور مشبها به قلت لا شك ان ظهور
الحق عز وعلا اظهر من النور عند ذوي البصاير لا عند عامة الناس
فكانه قال ان الله عز وجل ظاهر كظهور النور فان قلت كثير من الناس
من ارتاب في ظهوره فكيف يكون اقوى من ظهور النور عند
ذوي البصاير قلت انما خفي مع ظهوره لشدة ظهوره فظهوره
سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره وكل ما جاوز حده انعكس
لضده ويمكن ان يكون المراد بقوله الله نور السموات والارض
انه مدبرها التدبير الحسن من قولهم للرئيس الفائق هو نور
القوم لانهم يهتدون به في الامور فيكون ايضا اطلاق النور عليه تعالى

من قبيل الاستعارة التصريحية وقيل المراد به موجدهما فان النور ظاهر
بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفا العدم والله
عز وجل موجود بذاته موجد لما عداه قال كعب هو كعب الاحبار

كعب الاحبار

وهو ابن ماتع بالمثناة فوق ابن هيسوع ويقال هيسوع الحميري
ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره واسلم في خلافة ابي بكر وقيل
عمر رضي الله عنهما وقيل ادرك الجاهلية وصحب عمر واكثر الرواية عنه
وروى عن جماعة من الصحابة وروى عنه جماعة منهم ومن التابعين
وكان يسكن حمص وكان قبل اسلامه على دين اليهودية وكان يسكن
اليمن توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين متوجها
للغزو ودفن بحمص ويقال له ايضا كعب الحبر ايضا بفتح الحاء
وكسرها لكثرة علمه رضي الله عنه وابن جبير هو سعيد بن جبير احد الاعلام

سعيد ابن جبير

راوية ابن عباس انفرد بكثرة العلم في زمنه مات شهيدا قتله الحجاج صبرا
سنة تسع وخمسين المراد بالنور الثاني اي في قوله مثل نوره ههنا
اي في هذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مثل نوره اي نور محمد صلى الله
عليه وسلم قال التجاني هذا الكلام غير محرر ينقض اخره اوله فان من جعل
النور الثاني كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم انما يجعل الضمير المتصل
به عائدا على الله سبحانه وتعالى اي مثل نبيه فكيف يصح ان يقال
بعد ذلك اي نور محمد صلى الله عليه وسلم انتهى واقول المنقول عن كعب
الاحبار وسعيد بن جبير انما هو ميلهما الى ان الضمير المجرور عائد الى محمد
صلى

صلى الله عليه وسلم ففي تفسير القرطبي ما لفظه واختلف المتأولون في عود
الضمير في نوره على من يعود فقال كعب الاحبار وابن جبير هو عائد
على محمد صلى الله عليه وسلم اي مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال
قال ابن الانباري الله نور السموات والارض وقف حسن ثم
تبتدئ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح على معنى نور محمد صلى الله عليه وسلم
انتهى فعلى هذا قول المصنف المراد بالنور الثاني محمد اي المقصود
من النور الثاني بيان شان محمد صلى الله عليه وسلم ولا يلزم ان يكون
محمد محمولا على النور بحمل هو هو او يكون المصنف قد تجوز في نقل
فالعبارة على هذا التقرير محررة لا سيما مع بيان ما هو المنقول
عن هذين الامامين فعلى هذا كل من الجملتين منقول لكعب وسعيد
وليس ذلك كلامين صدر اولهما من الثاني وثانيهما من الاول
على طريق اللف والنشر المشوش فانا لا نعلم حينئذ ما قال هذا
ولا ما قال هذا وليس هنا قرينة تصرف هذا المنقول لهذا القائل
والمنقول الاخر للقائل الاخر وليس هذا مثل قولك سيظهر المسيح
ابن مريم والمسيح الدجال الكاذب والصادق فان القرينة توجب
كل صفة الى موصوفها وليس قوله مثل نور محمد من قبيل الاضافة
البيانية اي مثل نور هو محمد فان ما نقله القرطبي عنهما لا يساعد
على ذلك فما ذكرناه في اظهار مقصود المصنف هو المتعين فتدبر
وقوله اي قال ان الضمير المجرور في الاية عائد الى محمد صلى الله عليه وسلم

سهل بن عبد الله التستري

اول سور وضع بعد الطوفان سور تستر

سهل بن عبد الله اي التستري نسبة الى تستر في القاموس تستر
لجنوب بلد و ششتر بشينين معجمتين لحن وسورها اول سور
وضع بعد الطوفان انتهى قال النووي هي بلد بخورستان قال ابن خلكان
هي بلد من كورة الاهواز وبها قبر البراء بن مالك ولله در المصنف
فانه يكثر من الاستشهاد على مقاصده بمقالات ارباب القلوب المشرقة
ذوي الكرامات كهذا الامام فانه الولي الصالح العارف ابو محمد سهل بن
عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري احد ائمة
القوم وكبار علمائهم والمتكلمين في علوم الاخلاص والرياضات
وعيوب الاحوال صحب خاله محمد بن سوار ولقي ذا النون المصري
سنة خروجه الى مكة ولد رحمه الله ورضي عنه سنة مائتين وقيل
سنة احدى ومائتين قيل توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين والصحيح
ما قاله الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي انه مات سنة ثلاث وثمانين في
المحرم له مناقب وكرامات يضيق عنها المقام المعنى الله هادي اهل
السموات والارض قال الفخر الرازي في شرح اسماء الله الحسنى بعد ان
نقل هذا الوجه اعني تفسير قوله عز وجل الله نور السموات والارض
بانه هادي اهل السموات والارض واعلم ان تفسير الاية بهذا
الوجه حسن الا ان تفسير النور في الاسماء التسعة والتسعين
لو كان هو الهادي لكان ذكر الهادي بعده تكرارا محضا وانه لا
يجوز واقول لا يلزم من تفسير النور بالهادي ان يكون معنى

مطابقا

مطابقا له بل يجوز ان يكون الهادي اعم من النور ويكون تفسيره به
تفسير الاخص بالاعم ولا يكون ذلك تكرارا الا ترى ان من اسمائه عز وجل
الرحيم والروف وهما بمعنى غير ان الروف معناه البالغ في الرحمة
فلم يعد ذكرهما في اسمائه عز وجل تكرارا ويمكن ان يراد بالنور الهادي
هداية بالغة ثم ان تفسير النور بالهادي مروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال شيخنا العلامة رضي الدين محمد بن الحنبلي
وحمل الاية على تشبيهه تعالى بالنور في الهداية وجعل كلام
ابن عباس مبنيا عليه مستبشع عندي واقول لما كان النور في
اصل الوضع كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر
المبصرات وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله عز وجل وقد
راينا انه هو عز وجل اطلقه على نفسه بقوله الله نور وكذا نبيه
صلى الله عليه وسلم حيث كان يقول في دعائه اللهم انت نور
السموات والارض علمنا ان اطلاقه ليس حقيقة بل مجاز والمجاز
اما على سبيل الاستعارة او يكون مجازا مرسلا ولا استبشاع
في ذلك فكم من اسم اطلق على الله عز وجل بطريق الاستعارة او
يكون كالرحمن الرحيم فان معناهما الحقيقي يستحيل اطلاقه
على الله عز وجل وقد اطلقا عليه تعالى على طريق التشبيه او على
طريق المجاز المرسل ثم قال اي سهل مثل نور محمد صلى الله
عليه وسلم اذ كان اي نور محمد صلى الله عليه وسلم كذا قيل والظاهر ان

خ في الاصلاب

الضمير في كان عائد الى محمد صلى الله عليه وسلم نفسه اي مثل نوره صلى الله عليه وسلم
وقت كون محمد صلى الله عليه وسلم مستودعا في اصلاب ابائه لان محمدا صلى
الله عليه وسلم كان في اصلاب ابائه لا نوره واما نوره فانه كان يبدو على
جبهات ابائه ولم يستودع الله عز وجل نوره في الاصلاب وقضيته
ما في الاخبار انه كان نورا حسيا مضيئا مشرقا اشراق الانوار
قال الصرصري في نونيته

انواره كانت بجبهة ادم   لا تختفي عمن له عينان
وبجبهة الزهرا حوا اشرقت   لما حملت بالمبعوث بالفرقان

وفي حديث كعب الاحبار لما خلق الله عز وجل ادم سمع لحطط
جبهته كنشيش الذر فقال ما هذا قال الله عز وجل هذا تسبيح
سيد ولدك محمد بعهدي وميثاقي ولا تودعه الا في اصلاب
الطاهرين قال وكان نور محمد صلى الله عليه وسلم يرى في غرة جبين
ادم كالشمس في دوران فلكها او كالقمر في ديجور ليلة ظلما فلم يزل حتى
وضعه في حوا وبشرت حوا بشيث ابي الانبياء وراس المرسلين
فحملت به واصبح ادم والنور مفقود من جبهته ثم انتقل الى حواء
الى ان ولدت شيثا ثم انتقل الى جبهة شيث الى اخر خبر كعب
المذكور في الكتب المطولة والحاصل ان نوره عرض لانه كيفية من
الكيفيات والكيفية من مقولة العرض هذا قول المتكلمين وقال
الحكما انه جوهر وبيان دلائل الفريقين مذكور في الكتب الكلامية

والذي

والذي كان مستودعا في الاصلاب انما هو مادة جسده الشريف والنور
تابع لتلك المادة وكان يظهر على جبين من هي مودوعة عنده ان كان
ذا صلب او ذا رحم ومعنى استيداعه في اصلاب ابائه وجوده
فيها قال الصرصري في نونيته

وبصلب ادم كان وقت هبوطه   وبصلب نوح وهو في الطوفان
وبصلب ابرهيم حين رمى به   في ناره اشقى بني كنعان

والاصلاب جمع صلب والصلب الظهر وكل شيء من الظهر فيه فقار
فذلك الصلب ويجوز فيه اربع لغات صلب على زنة قفل وصلب
على زنة حبك وصلب على زنة ادب وصالب على زنة ضارب
كمشكاة هي الكوة في الحائط غير النافذة قاله ابن جبير وجمهور المفسرين
وهي اجمع للضوء والمصباح فيها اكثر انارة منه في غيرها واصلها الوعا
يجعل فيه الشيء والمشكاة وعاء من ادم كالدلو يبرد فيها الما وهو
على وزن مفعلة كالمقراة والمصفاة قال الشاعر

كان عينيه مشكاتان في حجر   مصراع من البسيط

وقيل المشكاة عمود القنديل
الذي فيه الفتيلة وقال مجاهد هي القنديل صفتها كذا فانه عز وجل
نعتها بصفات الاولى ان فيها مصباحا وهو السراج الضخم الثاقب
وقيل المصباح الفتيلة المشتعلة الثانية انه وصف المصباح
بانه في زجاجة اي في قنديل من الزجاج الثالثة انه وصف الزجاجة
بانها مشابهة لكوكب دري قرئ بكسر الدال وقرئ بضمها فمن قرا بكسرها

فهو على زنة فعيل من درا النجم يدرا اذا طلع ومن قرا بالضم فعلى انه
انه منسوب الى الدراي كوكب مضي كاضاة الدر فان قلت اذا
كان من الدر فهو مهموز فلم يقرا باليا قلت لان الهمزة قلبت
يا ويدل عليه قراة حمزة بالهمزة على الاصل الرابعة ان ذلك
المصباح الذي في الزجاجة توقد اي كان وقوده من شجرة اي من
زيت شجرة مباركة فحذف المضاف بان روب ذبالته بزيت
تلك الشجرة وفي ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة
منها تفخيم لشانها ووصف شجرة الزيتون بانها مباركة والمباركة
هي المنماة والزيتون من اعظم الثمار نماكما يقتضيه العيان
قال ابو طالب يرثي مسافر بن ابي عمرو بن امية بن عبد شمس
ليت شعري مسافر بن ابي عمرو وليت يقولها المحزون ۞
بورك الميت الغريب كما بو رك نبع الرمان والزيتون ۞
من بركتها ان اغصانها تورق من اسفلها الى اعلاها قال ابن عباس
رضي الله عنهما في الزيتونة منافع يسرج بالزيت وهو ادام ودهان
ودباغ ووقود يوقد بحطبه وتفله وليس فيه شي الا وفيه منفعة
حتى الرماد يغسل به الابريسم وهي اول شجرة نبتت في الدنيا
واول شجرة نبتت بعد الطوفان وتنبت في منازل الانبيا والارض
المقدسة ودعا لها سبعون نبيا بالبركة منهم ابرهيم ومحمد صلى الله
عليهما وسلم فانه صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك في الزيت والزيتون قاله

مرتين

في بركة شجرة الزيتون

من الخفيف ۞

اول شجرة نبتت في الدنيا شجرة الزيتون ۞

مرتين الخامس ان تلك الزيتونة لا شرقية ولا غربية وقد قيل في معناه
اقوال الاول انها لا تقع عليها الشمس حينا ولا تقع حينا اخر بل
تقع عليها الشمس طول النهار كالتي تكون على قلة او صحرا واسعة وذلك
لان الشجرة التي تصادفها الشمس كل وقت تكون ثمرتها انضج وزيتها
اصفى والزيت اذا صفا يسارع اليه الوقود والثاني ان معناه لا
هي في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان
زيتونه اجود الزيتون الثالث ان معناه لا هي في مضحى تشرق
عليها الشمس دايما فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها الشمس
دايما فيترك زيتونها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ونبات في مقناة
ولا خير فيهما في مضحى ذكر هذه الاوجه القاضي البيضاوي واقول
انما قدم اولها لان الله عز وجل يريد ان زيت تلك الشجرة في غاية
الصفا والنضارة ولا يكون كذلك الا شجرة تشرق عليها الشمس
دايما وزيت الشام فيه الجيد والردي وربما كان زيت المغرب
احسن منه والشجرة التي تشرق عليها الشمس دايما ثمرتها
احسن من التي تشرق عليها تارة وتغيب اخرى كما يشاهد ذلك
الاستقرا فالوجه الاول هو الوجيه كيف وقائله ابن عباس حبر
الامة السادس انه وصف تلك الزيتونة بان زيتها لصفائه يكاد
ان يضي بنفسه ولو لم تمسسه نار فهو نور على نور وتفسير هذا المثل
على قول التستري رضي الله عنه ان محمدا صلى الله عليه وسلم اي هيكله الشريف

وذاته كمشكاة واراد بالمصباح قلبه اي قلب محمد صلى الله عليه وسلم
والمراد بالقلب روحه والروح لا سيما ارواح الانبيا عليهم
الصلوة والسلام ولا سيما روح سيد الاولين والاخرين لها اشراق
عظيم يليق ان تشبه بالمصباح والزجاجة صدره الذي هو وعاء
القلب الصنوبري والروح الناطق لم ارتباط بالقلب الصنوبري
لسر لا يعلمه الا الله وارباب الكشف من اهل الله اي كانه اي قلب
محمد صلى الله عليه وسلم كوكب دري وتقدم معنى الدري فان قلت لم
لم يشبهه بالشمس والقمر قلت لان هذا التشبيه اوفق من
التشبيه بالنيرين باعتبار ان النيرين لا يحويهما مكان ضيق ينيران
فيه ويستوعب نورهما جوانبه وانما ينيران الكائنات وكانه
يشير بذلك الى ان قلب النبي صلى الله عليه وسلم مشرق في نفسه غاية
الاشراق ولا يمنعه من الاشراق ما حواه من الصدر والهيكل
الجثماني وايضا النيران اشراقهما عام على البر والفاجر واما نور
النبي صلى الله عليه وسلم فانه لم يشرق الا على من وفقه الله عز وجل كالمصباح
فانه لا يشمل ضوءه كل احد ومن زعم ان سبب الاوفقية كون النيرين
يطرا عليهما الخسوف والكسوف بخلاف المصباح لم يصب المحز
كيف وان المصباح يطرا عليه انه ينطفي بالكلية لما فيه اي في قلب
النبي صلى الله عليه وسلم من الايمان والحكمة فيه دلالة على ان الايمان ← محل تامل
هو التصديق فقط وان الايمان يزيد وينقص فليس اشراق

قلب

قلب النبي صلى الله عليه وسلم كاشراق قلب غيره بروالحكمة قال ابن عرفة
ما منع من الجهل يقال احكمت فلانا اي منعته قال الشاعر
ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضب ← من الكامل
وبه سميت حكمة اللجام لانه يمنع الدابة ثم ان المصنف تلا
باقي الاية مفسرا اياها فقال توقد وحيث كان المصنف
تاليا للاية فيجوز في متلوه ما جاز في القران كيف وهو تال للقران
ومراده ايراد لفظه ولم يظهر من المصنف انه اثر قراءة على
قراءة فقول من قال انه اثر قراءة من قرا بلفظ الماضي كتنكسر
على قراءة توقد بضم التاء المثناة الفوقية وفتح القاف المخففة مبتدا
لان الضمير فيها اما للمشكاة او للزجاجة والضمير في القراءة الاولى
انما هو للمصباح مرادا به القنديل الذي في الزجاجة ونسبة
التوقد اليه اولى من نسبة الايقاد اليها وان قيل او قرت المسجد
حسن لو وقع من المصنف شي مما يقتضي الايثار على انا لا نسلم
ان قراءة توقد على زنة تنكسر اولى لان الوقود الحقيقي انما هو خبر
ذبالة السراج والمصباح والزجاجة انما يقال انها او قدا
بواسطتها فسوا اسند الفعل الى الزجاجة ام الى المصباح ليس
ليس الوقود فيها الا بواسطة ومع ذلك ففي قراءة توقد بالبنا
للمفعول سواء قرئ بالياء ام بالتاء الاشارة الى ان هذا الوقود
الذي حصل لهما ليس من انفسهما وانما هو من موجد اوجده وهذا

شان الايمان الذي اشير بذلك اليه فانه من فيض المنعم المتفضل
ليس بالاكتساب ولا بالتكلف وان كان الاكتساب له دخل في
مباديه ومقدماته وهذا غير مناف على قراة توقد على زنة تكسر
من شجرة مباركة اي من نور ابرهيم عليه الصلوة والسلام اي المراد
بالشجرة المباركة نور ابرهيم عليه الصلوة والسلام **وضرب المثل**
بالشجرة المباركة اي ان اصل الكلام ان نور محمد صلى الله عليه وسلم
توقد من نور ابرهيم عليه الصلوة والسلام الذي هو كالشجرة المباركة
الزيتونة الموصوفة بما ذكر فكانه شبه الهيئة المنتزعة من نبوة
ابرهيم عليه الصلوة والسلام في بركتها وشمولها لاولاده وذريته
وعموم النفع بها بالهيئة المنتزعة من الشجرة المباركة وهذا
تمثيل غير ان الممثل حذف وذكر الممثل به فهو استعارة تمثيلية
فالمراد بذلك نور ابرهيم عليه الصلوة والسلام وعبر عنه بالشجرة
المباركة كما ان المراد بالمصباح قلب محمد صلى الله عليه وسلم
وضرب المثل بالمصباح والمراد بالزجاجة صدره الشريف وعبر
عنه بالزجاجة فان قلت كيف يتوقد نور نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم من نور نبوة ابرهيم عليه الصلوة والسلام قلت لانه ابوه
ونبينا صلى الله عليه وسلم دعوته قال النبي صلى الله عليه وسلم انا دعوة
ابي ابرهيم ولهذا امره الله عز وجل ان يقتدي بهداه وان يتبع
ملته ولا يلزم ان يكون ابرهيم افضل من نبينا صلى الله عليه وسلم
فان

فان الله عز وجل من على نبينا صلى الله عليه وسلم بما لم ينله ابرهيم
عليه الصلوة والسلام وسياتي ذكر ذلك في اثناء هذا الكتاب
وقوله يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
تبين للناس اي تتضح وتظهر لهم **قبل كلامه** المشتمل على دعواه
النبوة واظهار المعجزات **كهذا الزيت** الذي يكاد ان يضيء الناس
قبل ان تمسه النار فان قلت الزيت المذكور انما هو من الشجرة
المباركة التي هي عبارة عن ابرهيم عليه الصلوة والسلام فعلى هذا
التقدير ينبغي ان يكون المعنى تكاد نبوة ابرهيم عليه الصلوة والسلام
تظهر للناس قبل ان يتكلم بها قلت ذلك الزيت الذي توقد منه
المصباح المعبر به عن نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم هو ايضا من
زيت تلك الشجرة فتكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس
وان لم يدع النبوة **وقد قيل في الاية غير هذا والله اعلم** فقيل وقاله
كعب الحبر المشكاة رسول الله صلى الله عليه وسلم او صدر النبي صلى الله
عليه وسلم والمصباح هو النبوة وما يتصل بها من علمه وهداه والزجاجة
قلبه والشجرة المباركة هي الوحي والملائكة الذين ارسلهم الله عز وجل به
والزيت هو الحجج والبراهين والايات التي تضمنها الوحي وقال ابي بن
كعب الممثل به المومن فالمشكاة صدر المومن والمصباح الايمان
والعلم والزجاجة قلبه وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها ويويد
هذا القول قراة من قرا في الشواذ مثل نور المومن فان قلت قال

الحسن الضمير في قوله مثل نوره عائد الى القران ولم يبين احد تطبيق
التمثيل عليه فكيف تطبيقه قلت يمكن ان يقال ان المشكاة هي
الفاظ القران المتلوة بالسنتنا المرقومة في مصاحفنا المحفوظة
في صدورنا والزجاجة هي معانيه الاولية والمصباح هو معانيه
الثواني والشجرة المباركة صفة الكلام النفسي القائمة بذات ربنا
عز وجل ودلالته على انه ليس كلام البشر يكاد ان يبرهن سامعه
والناظر فيه انه كلام رب العزة وان لم يعزه النبي صلى الله عليه وسلم
الى الله عز وجل الا ترى ان كثيرا من بلغاء العرب لما سمع القران قطع
بانه كلام خارج من مشكاة الربوبية بل قيل لو وجد هذا القران في
ارض فلاة لقطع العارف البليغ بانه كلام رب العزة عز وعلا وقال
محمد بن كعب المشكاة ابرهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد
صلى الله عليه وسلم سماه مصباحا كما سماه سراجا فقال وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة هي ادم عليه الصلوة
والسلام بورك في نسله وكثر منه الانبياء والاولياء يكاد زيتها
يضيء اي تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان
يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي وقد سماه يريد بذلك دفع
استبعاد ان يراد بالنور محمد صلى الله عليه وسلم فقال لا بعد في ذلك
فان الله عز وجل سماه في القران في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا
فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين فانه عز وجل قال يا اهل الكتاب

مريدا

مريدا بهم اليهود والنصارى واللام في الكتاب للجنس الشامل
للتوراة والانجيل وكانوا يخفون كثيرا من امور ذكرت فيهما كنعت
نبينا صلى الله عليه وسلم وقصة القرية التي كانت حاضرة البحر
ومسخ اهلها قردة وخنازير فانها لشناعتها كانوا يخفونها وكتبشير
عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل وثم امور كثيرة كتموها لم
يخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي المرادة بقوله عز وجل ويعفو عن
كثير اي يسكت عنه لعدم الاحتياج الى الاخبار به ثم قال لهم قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين قيل المراد بها القران فانه نور لكشفه
ظلمات الشك والاوهام وازاحته شبه الضلال ووصفه بانه
كتاب مبين اي ظاهر الاعجاز وعلى هذا الاستشهاد في الاية نعم
الاستشهاد انما يتم على قول من فسر النور بمحمد صلى الله عليه وسلم
ويؤيد القول الاول توحيد الضمير في قوله بعد ذلك يهدي به الله
فانه مبني على ان المراد بهما واحد وهو القران ويمكن ان يقال بناء
على ان المراد بالنور محمد صلى الله عليه وسلم انما وحد الضمير باعتبار توحد
الطريق فان الطريق الذي يهدي به محمد صلى الله عليه وسلم هو الطريق الذي
يهدي به القران ولهذا قالت عائشة اذ سئلت كيف كان خلق
النبي صلى الله عليه وسلم قالت خلقه القران فان قلت كيف اطلق على محمد
صلى الله عليه وسلم انه نور وعلى القران انه نور قلت باعتبار الاستضاءة
من ظلمات الجهل والشكوك والاوهام وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم

الصلوة نورا باعتبار انها توجب اشراق قلب المومن من مناجاة ربه
عز وعلا وقال اي الله عز وجل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم فهو حال
مقدرة فان قلت هل شهادته على كل من بعث اليهم بذلك اوان ذلك
خاص باهل زمنه قلت الظاهر ان شهادته مطلقة فهو يشهد
للانبياء عليهم الصلوة والسلام الماضين يوم القيمة بالبلاغ اذا جحدت
اممهم التبليغ وعلى المصدقين لهم كلهم سوا الذين كانوا في حياته ام بعد
موته فقد ذكر ابن المبارك قال اخبرنا رجل من الانصار عن المنهال بن
عمرو حدثه انه سمع سعيد بن المسيب يقول ليس من يوم الا يعرض
على النبي صلى الله عليه وسلم امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم
فلذلك يشهد عليهم ومبشرا للمومنين بالجنة ونذيرا للكافرين بالنار
وداعيا الى الله اي الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان بصفاته
وقوله باذنه ايذان بان الدعوة الى الله عز وجل امر صعب لا يتاتى
للنبي صلى الله عليه وسلم الا باذن الله عز وجل وتيسيره ولا يمكن احدا
من البشر تحمل اعبائه الا بمعونة قدسه عز وجل وسراجا منيرا
يستضاء به عن ظلمات الجهل ويقتبس من نوره انوار البصائر
فالمراد بالسراج المنير محمد صلى الله عليه وسلم لكن الهروي قال اي ذا سراج
منير وهو القران وانما وصفه بقوله منيرا لان من السرج ما لا يضي
اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول

لطيفه

بطي

الكلام على قوله تعالى الم نشرح السورة

بطي وسراج لا يضي ومائدة ينتظر لها من يجي ومن هنا اي من
قبيل ثنا الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم ما تضمنه قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة ان قلت تعبير المصنف بهذه
الغاية يقتضي ان السورة كلها مشتملة على الثنا على النبي صلى الله عليه وسلم
مع انها لم يوجد فيها ثنا عليه الا الى قوله ورفعنا لك ذكرك قلت هذه
السورة ظاهرها مشتمل على تعديد نعم الله عز وجل التي انعم الله عز وجل
بها على نبيه صلى الله عليه وسلم وفي كل نعمة من هذه النعم ثنا عليه بان الله
عز وجل من عليه بهذا الكمال الذي اخرجه به عن ان يدانيه احد من ابناء
جنسه وهذا ثنا عظيم ثم ان قوله عز وجل فان مع العسر يسرا ان مع
العسر يسرا ايذان بانه صلى الله عليه وسلم اقتحم شدائد وثبت لها جنانه
واركانه كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال قومه وايذائهم
اياه وهو مع ذلك متجلد لاعبا النبوة ثابت على ما هو عليه من مداومة
التبليغ واخلاص النصيحة ثم انه تعالى بشره باني ايسر عليك تيسيرا
بليغا حيث كرر التيسير بعد التعسير واتى به على طريق الاستئناف
ولا شك ان اليسر الثاني ~~غير~~ غير اليسر الاول حيث اعاده وهو
نكرة واعادة الشي نكرة توذن بكون الثاني غير الاول بخلاف
اعادته معرفة فان الغالب ان يكون الثاني عين الاول ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان قلت ما اليسران
قلت اما الاول ففي هذه الدار من حصول ضد العسر له واما الثاني

فعي الآخرة من حصول الثواب الذي اشار اليه قوله عز وجل ولسوف
يعطيك ربك فترضى ولا تخفى عليك ان تيسير تبليغ النبي صلى الله
عليه وسلم من ارسل اليهم والثبات لذلك حتى بلغ العرب والعجم
والجن والانس وتقوية نفسه الكريمة على حمل هذا العبء فيه
نبأ عظيم وكيف لا وفيه اشارة الى ان همته العلية على سائر
النبيين والمرسلين الذين لم تبلغ هممهم هذا المبلغ فان قلت
كيف حكمتم ان هنا عسرا واحدا ويسرين قلت لان العسر معرف
فالثاني عين الاول لان اللام فيه ان كانت للعهد فالحصة
المعهودة في الاول هي المعهودة في الثاني لان الاصل عدم المغايرة
اذ لم تقم قرينة عليها وان كانت للجنس اي الذي يسميه علماء
البلاغة بالاستغراق فيكون المعنى ان مع كل فرد فرد من افراد
العسر يسرا فيتعين ان يكون الثاني عين الاول ولا يستقيم ان
يكون اللام للماهية من حيث هي فانه لا معنى لوجود اليسر مع
ماهية العسر اذ الماهية من حيث هي لا وجود لها في الخارج ولا
يجوز ان تكون للعهد الذهني وهو ان يشار بها الى الماهية في ضمن
فرد لا على التعيين وهو في المعنى كالنكرة لانه لا معنى لذلك
فلهذا حصر القاضي البيضاوي اللام فيها في القسمين الاولين
فقال فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او للجنس
واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول واما

قوله

قوله عز وجل فاذا فرغت فانصب اي اذا فرغت من التبليغ
فانصب في العبادة فانه من توابع ما سبق من تعداد نعمه
عليه المتضمن للثناء عليه اردفه به ليحثه على شكر نعمة الله عز
وجل التي عددها والنعمة الآتية ثم امره بان يرغب الى ربه
عز وجل بالسؤال والابتهال اليه حيث قدم المعمول فافاد ذلك
الحصر فانه عز وجل القادر وحده على اسعاف سؤله وبالجملة
فالسورة كلها متضمنة تعداد نعمه عليه وفي ضمنها امره بالحمد
والثناء عليه وامره بشكره على ما اولاه وبالابتهال اليه لا الى غيره في كل
ما ينوبه فكانت السورة من هذا القبيل بهذا التقرير شرح اي وسع
فسر المصنف بصيغة الاثبات والواقع في الآية منفي لانه وان كان
منفيا لفظا فهو مثبت معنى لان الهمزة للاستفهام الانكاري وهو
في معنى النفي فهي للانكار الابطالي وهو ان يكون ما بعد الهمزة غير واقع
وما بعد الهمزة هنا نفي الشرح والهمزة نفت نفي الشرح فبقي اثباتا
فان قلت لم آثر التعبير بنفي النفي ولم يعبر بالاثبات ابتداء بان
يقول شرحنا لك صدرك قلت قال البيضاوي في قوله الم نشرح مبالغة
في اثباته وأقول ان في الم نشرح من المبالغة ما ليس في شرحنا ووجه
المبالغة ان اثبات الشرح لم يلزمه نفي نفيه فقد ذكر اللازم واراد
الملزوم فقد اثبت له الشرح مصحوبا بذكر لازمه وذلك اثبات له ببينة
فان من القواعد المقررة ان اثبات الشيء باثبات لازمه اثبات له

ببينة قال من القواعد المقررة ان اثبات الشيء بالنفي ابلغ من اثبات
الشرح وعبر بصيغة الماضي مع ان الفعل الواقع في الاية مضارع
لان لم تنفي المضارع وتقلبه ماضيا والهمزة لنفي نفي الماضي
فهي لاثبات الفعل في الزمن الماضي وفسر شرح بوسع اي وسعنا
صدرك للوحي او المعنى وسعناه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة
الخلق فكان غائبا حاضرا او وسعناه حتى يلقى الحكم وازلنا عنه
ضيق الجهل او وسعناه للثبات في حمل اعباء الرسالة وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قالوا يا رسول الله اينشرح الصدر
قال نعم وينفسح قالوا يا رسول الله وهل لذلك من علامة قال نعم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاعتداد للموت قبل
نزول الموت واخرج الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث
ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله اي المومنين اكيس
قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم له استعدادا واذا دخل النور
في قلب المومن انفتح واستوسع قالوا فما اية ذلك يا رسول الله قال
الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزوله ويدل على ان معنى الشرح الاتساع مقابلته
بالضيق في قوله عز وجل فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء
والمراد بالصدر هنا القلب ثم ان المراد بالقلب اللطيفة المودعة

في الانسان التي بها يمتاز عن سائر الحيوانات وهي محل العلم والمعرفة
ويعبر عنها ايضا بالعقل وبالروح وبالنفس ولهذه اللطيفة
ارتباط بالعضو المودع في الصدر المسمى بالقلب الذي هو عضو
للانسان ولسائر الحيوانات لسر لا يعلمه الا الله ومن ارتضى من
عباده وكثيرا ما يعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه اللطيفة
بهذا العضو الصنوبري الشكل ومن ذلك قول نبينا صلى الله عليه
وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا
فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب ويعبر عن ذلك بالصدر
لان المضغة المعهودة في الصدر واللطيفة المشار اليها لها ارتباط
بهذه المضغة وكل ذلك من اطلاق اسم المحل وارادة الحال كيف
وقد قال الله عز وجل فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور وقال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فان
القلب اعني هذا العضو المخصوص معدن الروح الحيواني المتعلق
بالنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وقال ابن عباس
رضي الله عنهما شرحه بالاسلام وقال سهل بن عبد الله التستري
شرحه بنور الرسالة وقال الحسن هو ابن ابي الحسن البصري
العالم الثقة الكبير التابعي بل قيل انه افضل التابعين مكث
ثلاثين سنة لم يضحك واقام اربعين سنة لم يمزح استدعاه
الحجاج يوما فدخل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحبا بابي سعيد

الحسن البصري رضي الله عنه

ودعا بكرسي فاجلسه عليه الى جانبه ثم قال له مالي اراك منهوك الجسم
لعل ذلك من سوء ولاية او قلة نفقة الا امرت لك بخادم لطيف
ونفقة يوسع بها عليك فقال انا من الله عز وجل في كفاية ثم التفت
الى جماعة وذكر عليا رضي الله عنه فنالوا منه خوفا من الحجاج والحسن
ساكت عاض على يديه فقال له الحجاج اخبرني برايك في ابي تراب
فقال سمعت الله عز وجل يقول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها
الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الى قوله ان الله
بالناس لرؤف رحيم ما اقول فيه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه
على ابنته واحب الناس اليه وصاحب سوابق مباركات سبقت
له من الله عز وجل لا تستطيع انت ولا احد من الناس ان يحول
بينه وبينها اقول قولي هذا ولا اعدل فتغير وجه الحجاج وقام
مغضبا عن سريره فدخل بيته وخرج الحاضرون واما مسئلة
انه هل سمع من علي بن ابي طالب رضي الله عنه او لبس الخرقة منه ففيها
خلاف قال البرهان الحلبي وفي لبس الخرقة ان الحسن البصري
صحب عليا كرم الله وجهه وهذا باطل باتفاق اهل المعرفة فانهم
متفقون على ان الحسن لم يجتمع بعلي كرم الله وجهه وقال ابن حجر
بعد ان ذكر انه ليس في شيء من الطرق المروية في لبس الخرقة شيء
يثبت ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف ان النبي صلى الله عليه
وسلم البس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لاحد من

الصحابة

الصحابة ولا امر احدا من اصحابه بفعل ذلك وكل ما يروى من ذلك صريحا باطل
غير صحيح ثم من الكذب المفترى قول من قال ان عليا كرم الله وجهه البسها
الحسن البصري فان ائمة الحديث لم يثبتوا للحسن البصري من علي
رضي الله عنه سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقة ~~شيئا بالاتفاق~~ فكيف يلبسه ممن قال وفي الجملة فان
الصحابة والتابعين لهم باحسان لم يكونوا يلبسون مريدا خرقة
وانما كانوا يجتمعون بهم ويتعلمون منهم ولم يثبت في لبس الخرقة
نقل على شرط الصحيح وانما تداولها الناس للتبرك بآثار السلف
الصالحين وآثارهم في الغالب صالحة انتهى ونقل البرهان الحلبي
الديري عن شيخه عبد الرحمن بن داود الحنبلي القادري ان الحسن
البصري راى عليا كرم الله وجهه وروى عنه وللجلال السيوطي
رسالة سماها اتحاف الفرقة برفو الخرقة فقال فيها مسئلة انكر
جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصري من علي بن ابي طالب رضي
الله عنه وتمسك بهذا بعض المتاخرين فخدش به في طريق لبس
الخرقة واثبته جماعة وهو المرجح عندي لوجوه ثم ذكر منها
ترجيح المثبت على النافي لان معه زيادة علم كذا ذكره شيخنا الرضي
محمد بن الحنبلي الحنفي في شرحه على الشفا واقول تجوز في
البصري كسر البا وفتحها وهو انصاري مولاهم مولى زيد بن ثابت
وقيل مولى جميل بن قطبة وامه اسمها خيرة مولاة لام سلمة
ام المومنين رضي الله عنها ولد رضي الله عنه لسنتين بقيتا من خلافة

سماعا فضلا عن ان
يلبسه الخرقة وكذا قال
البرهان الحلبي لم يسمع الحسن
من علي رضي الله عنه صح

قوله في شرحه
يوهم انه شرح الكتاب
جميعه وليس كذلك
وانما كتب قطعة
على اول الشفا
ه

عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالوا فربما خرجت امه فتعطيه ام سلمة
ثديها فيدر عليه فيرون ان تلك الفصاحة والحكم من ذلك ونشا
الحسن بوادي القرى وكان فصيحا راى طلحة بن عبيد الله وعائشة
ولم يصح له سماع منهما وقيل انه لقي علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
ولم يصح وسمع ابن عمر وانسا وسمرة ادرك مائة وثلاثين
صحابيا وحيث اطلق الحسن في الكتب الحديثية فهو المراد ثم
اقول ايضا ولد الحسن في سنة احدى وعشرين فيكون سنه
حين مات علي بن ابي طالب تسع عشرة سنة واي مانع يمنع من
ان يكون علي رضي الله عنه البسه خرقة جعلها عنوانا على امر باطني
ودرجة قلبية فان الحسن والمحدثون لهم شان والصوفية لهم
شان اخر فالمحدثون يريدون التثبت في الامور حراسة لحديث النبي
صلى الله عليه وسلم من كذب الكذابين واما الصوفية فان دابهم
تزكية النفس وقرع باب الله عز وجل بانامل الذلة والتضرع
فلعل الحسن دخل في زمرة الناس واجتمع بعلي ونورانية
بصيرة علي لم تمنعه من ان يطلع على ما الحسن ايل اليه فالبسه
هذه الخرقة على ان الحسن كانت ام سلمة ام المومنين رضي الله عنها
تخرجه وتخرجه الى الصحابة رضوان الله عليهم يباركون عليه واخرجته
الى عمر رضي الله عنه فدعا له اللهم فقهه في الدين وحببه الى الناس وحضر
يوم الدار وله اربع عشرة سنة ومن المعلوم انه كان يحضر الجماعات
وسنه

وسنه سبع سنين لانه مامور بها اذ ذاك فراى عثمان وصلى خلفه
الى ان استشهد وعلي كرم الله وجهه اذ ذاك بالمدينة فانه لم يخرج
منها الا بعد قتل عثمان رضي الله عنه فكيف يستنكر سماعه منه
وهو كل يوم يجتمع به في المسجد خمس مرات من حين ميز الى ان
بلغ عمره اربع عشرة الى ان خرج علي من المدينة وكان علي رضي الله عنه
يزور امهات المومنين ومنهن ام سلمة والحسن في بيتها هو
وامه وقد روى المزي في تهذيبه من طريق ابي نعيم بسنده الى يونس
ابن عبيد قال سالت الحسن قلت يا ابا سعيد انك تقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانك لم تدركه قال يا ابن اخي لقد سالتني عن شي ما
سالني عنه احد قبلك ولولا منزلتك مني ما اخبرتك اني في زمان
كما ترى وكان في عمل الحجاج وكان الحجاج عاملا لبني امية وكانوا يبغضون
امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ويبغضون من احبه
ثم قال له كل شي سمعتني اقول فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه غير اني في زمان لا استطيع
ان اذكر عليا كرم الله وجهه وقد روى الحسن عن علي كرم الله وجهه
عدة احاديث وقد روى الحسن عن عثمان فكيف لا يروى عن علي
رضي الله عنه قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ووقع في
مسند ابي يعلى قال حدثنا جويرية بن اشرس قال اخبرنا عقبة
ابن ابي الصهباء الباهلي قال سمعت الحسن يقول سمعت عليا كرم

الله وجهه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر الحديث
قال محمد بن الحسن الصيرفي شيخ شيوخنا هذا نص صريح في سماع
الحسن من علي ورجاله ثقات جويرية وثقه ابن حبان وعقبة
وثقه احمد بن حنبل ويحيى بن معين واما قول من قال ان لبس
الخرقة لم يثبت في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف فاقول
قد ذكر القوم في كتبهم لها اصولا ثابتة فانها عبارة عن تاكيد البيعة
للشيخ في اطاعته على الكتاب والسنة فالمريد لم يدخل تحت حكم
الشيخ الا ليدله على طريق السعادة الذي هو التمسك بالكتاب
والسنة في الاعمال الظاهرة والباطنة وقد قال عبادة بن الصامت
رضي الله عنه بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
في العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا ننازع الامر اهله
وان نقول بالحق حيث كنا وان لا نخاف في الله لومة لائم ففي
الخرقة معنى المبايعة للشيخ فكان الشيخ نائب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمريد التزم طاعته في اصلاح نفسه وفي عوارف
المعارف للسهروردي ووجه لبس الخرقة من السنة ثم ذكر
سنده الى ام خالد بنت خالد قالت اتي النبي صلى الله عليه وسلم بثياب
فيها خميصة سوداء صغيرة فقال من ترون اكسو هذه فسكت القوم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوني بام خالد قالت فاتي بي
فالبسنيها بيده وقال ابلي واخلقي يقولها صلى الله عليه وسلم مرتين
وجعل

وجعل ينظر الى علم في الخميصة اصفر او احمر ويقول يا ام خالد هذا
سنا هو الحسن بلسان الحبشة وكان المريد ايضا فوض حكم الشيخ
في نفسه وكانت الصحابة رضي الله عنهم يحكمون رسول الله صلى الله
عليه وسلم في نفوسهم كما قال عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم وفي كتب التصوف ان الشيخ ابا الوفاء
تاج العارفين قدس الله سره لبسها من الخضر عليه السلام
وذكر الشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات انه تقمص لباس
البسه الخضر عليه السلام قال وقد شاهدت ذلك ملاءه اي
ملا قلبه حكما وعلما الحكم هو الحكمة وفي الحديث ان من الشعر لحكما
ومعناه ان من الشعر كلاما نافعا يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما
ويقال الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة وقيل معناه الم نطهر
قلبك حتى لا يوذيك الوسواس هو حديث النفس يقال وسوست
اليه نفسه وسوسة ووسواسا بكسر الواو ويقال لهمس الصائد
والكلاب ولاصوات الحلي وسواس وفي الحديث الحمد لله الذي
رد كيد الشيطان الى الوسوسة اي حديث النفس والافكار
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل تجاوز عن امتي ما وسوست به صدورها
ما لم تعمل به او تتكلم وذلك انهم قالوا ان الوسوسة على قسمين ضرورية
واختيارية فالضرورية ما يجري في القلب من الخواطر ابتداء ولا يقدر

الذي وجد بخط المصنف وسوسة فاعلم

الانسان على دفعه فهذا معفو عنه في امة محمد صلى الله عليه وسلم وعن
غيرها من الامم لان الله عز وعلا قال لا يكلف الله نفسا الا وسعها
والوسع الطاقة والقدرة والاختيارية الدوام والاصرار على ما
يجري في الخاطر بان يردد ما يجري في القلب من الخواطر ويقصد
ان يعمل به ويتلذذ به كان يجري في قلبه حب امراة ويدوم على
ذلك الحب ويقصد الوصول الى تلك المراة او يجري في قلبه قتل
من يحرم قتله ويعزم على قتله فهذا النوع اختياري وهذا هو
الذي عفا عن امة محمد صلى الله عليه منه وقيل المراد بشرح ما في
الصحيح عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينما انا عند البيت بين النائم واليقظان اذ سمعت قائلا
يقول هو احد الثلاثة فاتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم
فشرح صدري الى كذا وكذا قال قتادة قلت ما يعني قال اي اسفل
بطني قال فاستخرج قلبي فغسل قلبي بماء زمزم ثم اعيد مكانه ثم
حشي ايمانا وحكمة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاءني
ملكان في صورة طائر معهما ماء وثلج فشرح احدهما صدري وفتح
الاخر بمنقاره فيه فغسله وروي في حديث اخر قال جاءني ملك
فشق عن قلبي فاستخرج منه عذرة وقال قلبك وكيع وعيناك
بصيرتان واذناك سميعتان انت محمد رسول الله لسانك
صادق ونفسك مطمئنة وخلقك قثم وانت قثم ومعنى وكيع

القثوم الرجل الجموع للخير ه مجمل

يحفظ

يحفظ ما يوضع فيه يقال سقاء وكيع اي قوي يحفظ ما فيه وقوله قثم اي
جامع يقال رجل قثوم للخير اي جامع له وفي صحيح مسلم باسناده
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وهو يلعب
مع الصبيان الغلمان فاخذه فصرعه وشق قلبه واستخرج القلب
ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك
قال فغسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم اعاده في
مكانه قال وجاء الغلمان يسعون الى امه يعني ظئره فقالوا ان
محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل قال فاستقبلوه وهو منتقع اللون
وسياتي الكلام على قصة شق البطن باكثر من هذا في غير هذا المحل
فان قلت لم لم يقل الم نشرح صدرك بدون لك ولم زاد لك قلت
قال البيضاوي انما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة
واقول وجه افادته المبالغة ان النفس تدركه مرتين المرة الاولى
تدركه مبهما والثانية تدركه مفسرا موضحا فان قوله لك يشعر بموصوف
محذوف وقع الجار والمجرور صفته اي الم نشرح شيئا لك ثم فسره
بقوله صدرك فقد اشار الى المشروح مرتين الاولى مبهما والثانية
معينا فان قلت قد قيل ان في ذكر لك اشارة الى ان الله عز وجل
غني عن العالمين فما وجه الاشارة قلت وجهها ان معنى لك انا
شرحنا صدرك لاجلك ومنفعة شرح الصدر عائدة اليك لا الينا
فانا غنيون عن ذلك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك

الظئر المرضعة غير ولدها وتقع على الذكر والانثى ه نهاية

وضع اي اسقط وطرح وفي الحديث ان كنت وضعت الحرب بيننا
اي اسقطتها ومنه وضع الدين عن المديون اي اسقاطه والوزر
الحمل والثقل واكثر ما يطلق على الذنب والاثم يقال وزر يزر فهو وازر
اذا حمل ما يثقل ظهره من الاشياء المثقلة والذنوب وقال تعالى حتى
تضع الحرب اوزارها اي تحط اثقالها وانقض ظهرك قال
ابن عرفة اي اثقله حتى جعله نقضا وهو الذي اتعبه السفر والعمل
فنقض لحمه وقال الازهري اي اثقله حتى سمع نقيضه اي صوته
قبل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة اي من الذنوب الصغائر
التي يجوز صدورها من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبل البعثة ما عدا
صغائر الخسة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية يجوز في ثقل ان يكون
على زنة عنب وهو ضد الخفة كذا في القاموس ثم قال فيه والاثقال
كنوز الارض وموتاها والذنوب والاحمال الثقيلة واحدها الكل ثقل
بكسر الثاء وسكون القاف والامران جائزان هنا فيما كان ايام
الجاهلية من رؤيته لعبدة الاصنام واعلانهم بما يغضب الله عز
وجل ودعائهم الالهة مع الله سبحانه وتعالى وكل ذلك كان امرا
ثقيلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان ظهور معصية
يعصي بها الله عز وجل يثقل اعلانه على احاد من سكن خوف الله
عز وجل في قلبه فكيف لا يثقل الكفر والشرك واستحلال المعاصي
الشنيعة والفواحش الردية على حبيب الله وافضل انبيائه صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم مع عجزه عن منعهم فان قلت هو صلى الله عليه وسلم اذ ذاك لم يكن بعث
فكيف يشق عليه امر لم يعلم تحريمه قلت كان يانس من نفسه ومن
نورانية بصيرته ان ما عليه المشركون امر شنيع جدا فكان يثقل
عليه ذلك لما فيه من تجريهم على مولاهم عز وجل مع عجزه عن ردعهم
وعدم اذن الله عز وجل له في ذلك ومن اعظم ما راى من ثقل ايام
الجاهلية انه كان يبغض الاصنام بغضا عظيما قبل ان يكرمه الله
عز وجل برسالته ومع ذلك كان يراها معظمة عند قومه ولا شيء
اثقل على قلب العاقل من ان يرى من يبغضه معظما فقد روى صاحب
الوفا باسناده عن ام ايمن رضي الله عنها قالت كانت بوانة صنما
تحضره قريش وتعظمه وتنسك له النسائك ويحلقون رؤسهم
عنده ويعكفون عنده يوما الى الليل وذلك يوم في السنة فكان
ابو طالب يحضره مع قومه وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يحضر ذلك العيد مع قومه فيابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
حتى رايت ابا طالب غضب عليه ورايت عماته غضبن عليه
يومئذ اشد الغضب وجعلن يقلن له ما تريد يا محمد ان تحضر
لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم
ما شاء الله عز وجل ثم رجع مرعوبا فزعا فقلن عماته ما شانك
قال اني اخشى ان يكون بي لمم فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك
بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رايت قال اني كلما

دنوت من صنم منها تمثل لي رجل ابيض طويل يصيح بي وراك يا محمد
لا تمسه قالت فما عاد الى عيدهم ولما سأله بحيرا الراهب باللات
والعزى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألني باللات والعزى
فوالله ما ابغضت شيئا بغضها وروى صاحب الشرف باسناده
عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
هل عبدت وثنا قط قال لا قيل فهل شربت خمرا قط قال لا وما زلت
اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان وبالجملة
فاثقال الجاهلية التي يتحملها كثيرة وقيل ما اثقل ظهره من الرسالة حتى
بلغها فانه بلغ الرسالة قوما ذوي جهالة وشدة باس وقوة شكيمة
وتمسك تام بما عليه اسلافهم فلا جرم انه كان يستخفي هو واصحابه
بالصلوة في الشعاب ولولا حوب ابي طالب على ابن اخيه صلى الله
عليه وسلم لناله من ضررهم ما ناله ثم انهم لشقائهم اشتدوا في عداوته
وعداوة من اسلم معه فاغروا به سفهاءهم فكذبوه واذوه ورموه
بالشعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر
لامر الله عز وجل لا يستخفي به مبادئهم بما يكرهون من عيب دينهم
واعتزال اوثانهم وفراقه اياهم على كفرهم حتى ظهر امر الله وهم كارهون
فهذا من الثقل الذي ناله في اداء الرسالة صلى الله عليه وسلم
حكاه الماوردي هو ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الامام الجليل — الماوردي رحمه الله
القدر الرفيع الشان ابو الحسن الماوردي صاحب الحاوي والاقناع في

الفقه

الفقه والتفسير وادب الدين والدنيا ودلائل النبوة والاحكام
السلطانية وقانون الوزارة وسياسة الملك وغير ذلك تفقه على الشيخ
ابي حامد الاسفرايني وكان من وجوه الفقهاء الشافعيين وله تصانيف
عدة في اصول الفقه وفروعه وغير ذلك بينه وبين القاضي ابي الطيب
في الوفاة احد عشر يوما مات يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الاول سنة
خمسين واربعمائة ودفن من الغد في مقبرة باب حرب قال وكان قد
بلغ ستا وثمانين سنة والسلمي هو بضم السين وفتح اللام وهو محمد — السلمي النيسابوري رحمه الله
ابن الحسين بن موسى الازدي ابا ابو عبد الرحمن السلمي جدا سبط
ابي عمرو اسماعيل بن نجيد السلمي النيسابوري بلدا كان شيخ
الصوفية وعالمهم بخراسان له اليد الطولى في التصوف والعلم الغزير
والسير على سنن السلف سمع الحديث من جماعة وروى عنه
ابو القسم القشيري والحاكم ابو عبد الله وابو بكر البيهقي ولد في رمضان
سنة ثلاثين وثلاثمائة وقيل سنة خمس وعشرين وثلاثمائة
قال الحافظ عبد الغافر هو شيخ الطريقة في وقته الموفق في جميع
الحقائق ومعرفة طريق التصوف وصاحب التصانيف المشهورة
العجيبة في علوم القوم وقد ورث التصوف عن ابيه وجده وجمع
من الكتب ما لم يسبق الى ترتيبه حتى بلغ فهرسة تصانيفه
المائة واكثر قال الخطيب قال لي محمد بن يوسف النيسابوري
القطان كان السلمي غير ثقة وكان يضع الحديث للصوفية قال

الخطيب قدر ابي عبد الرحمن عند اهل بلده جليل وكان مع ذلك محمودا
صاحب حديث قال التاج ابن السبكي في طبقات الشافعيين عند
ذكر ترجمته قول الخطيب هو الصحيح وابو عبد الرحمن ثقة ولا عبرة بهذا
الكلام قال الخطيب واخبرنا ابو القسم القشيري قال كنت بين يدي
ابي علي الدقاق فجرى حديث ابي عبد الرحمن السلمي وانه يقوم في
السماع موافقة للفقرا فقال ابو علي مثله في حاله لعل السكون اولى به
امض اليه فستجده قاعدا في بيت كتبه وعلى وجه الكتب مجلدة
صغيرة مربعة فيها اشعار الحسين بن منصور الحلاج فهاتها ولا
تقل له شيا قال فدخلت عليه فاذا هو في بيت كتبه والمجلدة
بحيث ذكر ابو علي فلما قعدت اخذ في الحديث وقال كان بعض
الناس ينكر على واحد من العلما حركته في السماع فرؤى ذلك
ذلك الانسان يوما خاليا في بيت وهو يدور كالمتواجد
فسئل عن حاله فقال كانت مسلة مشكلة علي فتبين لي معناها
فلم اتمالك من السرور حتى قمت ادور فقل لهم مثل هذا يكون حالهم
فلما رايت ذلك منهما تحيرت كيف افعل بينهما فقلت لا وجه
الا الصدق فقلت ان ابا علي وصف هذه المجلدة وقال احملها
الي من غير ان يعلم الشيخ وانا اخافك وليس يمكنني مخالفته فايش
تامر فاخرج لي اجزاء من كلام الحسين بن منصور الحلاج وفيها
تصنيف له سماه الصيهور في نقض الدهور وقال احمل هذه اليه

قال التاج

قال التاج السبكي الذي افهم من هذه الحكاية ان ابا عبد الرحمن
السلمي يقول جوابا لابي علي عن قوله ان مثله في حاله لعل السكون
اولى به ما حاصله ان الحركة لم ينشها السماع واني لست بحيث
ياخذني السماع ولكن يعرض لي امر لا مدخل للسماع فيه فيحصل
معه من السرور ما يتعقبه الحركة من غير تمالك ولا اختيار وليس
للسماع هناك اثر لان مثله يتفق للانسان وهو خال في بيت مفرد
ثم يوجد متواجدا لذلك فمثل هذا حالي وليس كما توهم في ان السماع
ياخذني فان حالي كما ذكر ابو علي ارفع واقول يظهر لي ان ابا علي عاب
على ابي عبد الرحمن حركته في السماع ومن المعلوم ان الحركة السماعية
انما نشات من غلبة الواردات الالهية وما طرا على الشيخ ابي علي
انما هي حركة نفسانية فكانه يقول انت تتواجد من ظهور مسلة
علمية مرت في ادراكونيه وقد عبت علي في تواجدي في وارد الهي
فكان هذا عفا بالك حيث ابتليت برتبة هي ادنى من رتبتي
ومقام ادنى من مقامي وهذه سنة الله عز وجل في عباده ما عاب
احد على احد الا ابتلي ولله درهما حيث كشف كل منهما حال صاحبه
وهو في بيته وهذه القصة ابانت عن ان الرجلين وليا ن
كاملان ثم قال السبكي واما رسالة كتاب الصيهور في نقض الدهور
فلعل فيه اشارة خفية من الشيخين لم افهمها واقول لعل الاشارة
من ابي عبد الرحمن في ذلك كانه يقول للشيخ ابي علي انت تطالبني بما هو

قوله فايش هذه الكلمة اصلها اي شي فخففت الى ايش كذا قالوه ه

قوله ويظهر لي [illegible] كلام لم يتقيد [illegible] عليه [illegible]

مقتضى حالي واللائق بمقامي والله عز وجل له عادات في نقض الدهور
فكيف لا ينقض الاحوال وينزل المشايخ الكمل الى مرتبة المريدين
المبتديين في السلوك وكانه يشير الى ان هذه الحركة فعل رباني
ليس لي فيه اختيار وان كان مقامي لا يقتضيه ورتبتي لا ترتضيه
كما قال ابو القسم الجنيد كانت ترد علينا الاحوال فنتشطح والان
ترد علينا الاحوال ونحن نيام فلا تحرك من لحيتنا طاقة ثم تلا قوله عز وجل
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب قال الذهبي كان
يعني السلمي وافر الجلالة له املاك ورثها من امه وورثتها هي من
ابيها وتصانيفه يقال انها الف جزء وله كتاب سماه حقائق
التفسير ليته لم يصنفه فانه تحريف وقرمطة فدونك الكتاب
فسترى العجاب انتهى واقول ما اخبث كلام الذهبي وياليته
سكت وقد احرم نفسه محبة اناس وفقهم الله ورضي عنهم وما
اكثر وقيعته في اولياء الله وكيف جوابه اذا وفد على ربه عز وجل
انظر كيف ترجم هذا الولي الصالح بترجمة لا يترجم بها بقال ولا سمان
ومن الذي قال له ان السلمي كان يفتخر بالاملاك والله ما كان فخره
الا بتقوى الله واما كتابه حقائق التفسير فاني تصفحته كثيرا وعندي
منه نسختان ولله الحمد والمنة وقد رايت مبنى هذا الكتاب على امور
الاول انه ينظر في مضمون الاية فيرى انها تتضمن حقيقة من الحقائق
كان تتضمن التوكل او التفويض او التسليم لله عز وجل فيستخرج
منها

منها ما افادته من ذلك الثاني يستخرج من الاية معاني لا ياباها الشرع
ولا يدعي ان هذا المعنى معنى مطابقي للاية وانما يقول اني استنبطت
من هذه الاية ذلك وهو لا يدعي ان هذا المعنى معنى قطعي للاية
الثالث انه جمع في كتابه هذا كلام من قبل كلامه كل احد وسلم له جميع
الطوائف من اهل الظاهر والباطن كالجنيد والسري وسهل بن عبد الله
التستري وابن طاهر والحارث المحاسبي وحاتم الاصم وشقيق
البلخي وابن عطا وابي بكر الشبلي وابي يزيد البسطامي وهذا
الكتاب موجود في ايدي الناس فدونكم فان رايت فيه كلمة لا
يسوغ التكلم بها فدع الكتاب ولا تجنح اليه والا فرد كلام الذهبي عليه
والذهبي طعان في الناس لا سيما الصوفية ولا سيما الاشاعرة من
الصوفية فانه كثير الحط على الاشاعرة وبالجملة فكلامه في مثل هذا الكامل غير
مقبول هذا وقد قال الحسين بن الفضل في هذه الاية المراد بالوزر
الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك اضافها اليه لاشتغال قلبه بها
وقيل خففنا عنك اعباء النبوة والقيام بها حتى لا تثقل عليك وقيل
كان في الابتدا يثقل عليه الوحي حتى كاد يرمي نفسه من شاهق
الجبل الى ان جاءه جبريل عليه السلام واراه نفسه وازيل عنه
ما كان يخاف من تغير العمل وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت
الذنوب ظهرك انما اخر المصنف هذا القول لان ارادة عصمناك
من وضعنا عنك وزرك بعيدة جدا لامرين الاول انه لم يعهد في اللغة

وضع بعضهم اصلا وفي القاموس وضع الجناية عنه اسقطها وهو
يقتضي انها وجدت ثم سقطت وان فسر بالعصمة فقد استعمل وضع
في العصمة مجازا عن عدم الايجاد او عن عدم القدرة كالحذف اذا
استعمل في عدم الاتيان بالمحذوف فانه مجاز فيه بالنسبة الى اللغوي
وان كان حقيقة عرفية بالنسبة الى اهل العربية وبالجملة فليس
المراد وضع الوزر بعد ثبوته كوضع عيسى بن مريم عليه السلام الجزية
عن اهل الكتاب بعد ثبوتها عليهم في حديث الشيخين عنه صلى الله عليه
وسلم قال والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام
حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية الحديث
ونظير هذا الوضع الرفع المستعمل في قوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن
الصبي ولو لم يكن القلم موضوعا عليه الثاني انه وصفه بقوله الذي انقض
ظهرك فيقتضي انه ثبت له هذا الوصف وتحقق فيه ووجد لمن ان
يوجد هذا الشرط الذي يقول فيه ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك وقد
نقل القرطبي هذا الوجه فقال اي عصمناك عن احتمال الوزر وحفظناك
قبل النبوة الى ان بلغت الاربعين من الادناس حتى نزل عليك الوحي
وانت مطهر من الادناس ويمكن ان يكون المراد عصمناك عن اوزار
وقعت من عشيرتك وقومك الذين نشات فيهم وانت بينهم صباحا
ومساء ومع ذلك فالعصمة عن هذه الاوزار غريبة وكيف يعصم منها من
مازج اهلها وخالط مرتكبيها ليلا ونهارا وهم قومه واعمامه وبنو عمه

وقد

السمرقندي

وقد انقضت ظهره مع ان مرتكبها غيره فكيف لو ارتكبها هو واضافتها
اليه مع انه لم يرتكبها لادنى ملابسة حكاه السمرقندي هو الامام الجليل
نصر بن محمد بن احمد بن ابرهيم السمرقندي الفقيه ابو الليث الحنفي المعروف
بامام الهدى تفقه على ابي جعفر الهندواني له تفسير القران اربع مجلدات
والنوازل في الفقه وخزانة الفقه وتنبيه الغافلين وكتاب
البستان وللحنفية ابو الليث السمرقندي متقدم في الزمان يلقب
بالحافظ وهو الفرق بينهما ذكره السمعاني ورفعنا لك ذكرك قال
القاضي وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة انتهى
واقول انما افاد ذلك المبالغة لان قوله لك صفة موصوف محذوف
تقديره الم نشرح شيئا لك ثم قال مبينا له ذكرك فيكون قوله ذكرك
بيانا لذلك المبهم فافاد المبالغة حيث ذكره مرتين مع ان التعيين
بعد الابهام له وقع في النفس قال يحيى بن ادم اي ابن سليمن الاموي
مولاهم الكوفي ابو زكريا احد الاعلام اخرج له اصحاب الكتب الستة
وثقه ابن معين وغيره قاله البرهان الحلبي وفي تهذيب النووي
يحيى بن ادم بن على الكوفي ابو زكريا المخزومي مولاهم سمع مالك بن
مغول ومسعرا وسعيد بن سالم وسفيان الثوري واسرائيل بن
يونس وسفين بن عيينة وابن المبارك وابا بكر بن عياش
وفضيل بن عياض وحماد بن سلمة ووكيعا وعبد الله بن ادريس
وروى عنه احمد بن حنبل وابن راهويه ويحيى بن معين قال ابن معين

يحيى بن ادم

وابو حاتم هو ثقة توفي سنة ثلاث ومائتين وهو من العلماء المصنفين
واقول ان يحيى بن ادم المذكور هنا هو هذا الامن سبق **بالنبوة** اي
جعلنا ذكرك مرفوعا بالنبوة ان قلت رفعنا يقتضي انا جعلنا
ذكرك رفيعا على كل من سواك من المخلوقين لانها الرفعة المطلقة
اللائقة بمقام المخلوقين لا الرفعة المطلقة على الاطلاق واذا كان
رفعته بالنبوة فكله فيها مشارك فيكون ذكره مساويا لذكر ذكر المشارك
كموسى وعيسى وابرهيم ونوح ونحوهم قلت اراد بالنبوة الكاملة
التي نالها وهو روح قبل ايجاد الاجسام الكونية وفي الفتوحات
المكية للشيخ محيي الدين محمد بن عربي الصوفي ما لفظه اعلم ايدك الله
انه ورد في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا سيد ولد ادم ولا فخر
بالراء وفي رواية بالزاي وهو التبجح الباطل وفي صحيح مسلم انا سيد
الناس يوم القيمة فثبتت له السيادة والشرف على ابنا جنسه
من البشر وقال عليه الصلوة والسلام كنت نبيا وادم بين الماء
والطين يريد على علم بذلك واخبره الله عز وجل بمرتبته وهو روح
قبل ايجاده الاجسام الانسانية ثم قال فكانت الانبيا عليهم الصلوة
والسلام في العالم نوابه صلى الله عليه وسلم من ادم الى اخر الرسل
وقد ابان صلى الله عليه وسلم عن هذا المقام بامور منها قوله صلى الله
عليه وسلم والله لو كان موسى عليه السلام حيا ما وسعه الا ان
يتبعني الحاضر ما قاله وقد ذكر ذلك في ابواب متعددة من الفتوحات

تصريحا وتلويحا منها في الباب التاسع مئة فقد رفع الله تعالى ذكر
عبده ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم على سائر خلقه بهذه النبوة
التي لم يصل اليها مخلوق **وقيل** معنى قوله عز وجل ورفعنا لك
ذكرك **اذا ذكرت ذكرت معي** التا الاولى تا المتكلم فهي مضمومة
والثانية تا المخاطب فهي مفتوحة **قيل في قول لا اله الا الله
محمد رسول الله** ان قلت كثيرا ما يذكر الله عز وجل ولا يذكر النبي صلى الله
عليه وسلم نحو سمع الله لمن حمده قلت الذكر الصادر من العبد اما ان يكون
من مومن بالنبي صلى الله عليه وسلم او من غيره فان كان صادرا من غير مومن
به صلى الله عليه وسلم فهذا يذكر الله ولا يخطر بباله نبيه صلى الله عليه وسلم
لانه غير مومن به لكن ذكره غير معتد به فهو كلا ذكر وكان صاحبه
غافل غير ذاكر كيف وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما لو ان رجلا
عبد الله جل ثناؤه وصدق بالجنة والنار وكل شي ولم يشهد ان
محمدا رسول الله لم ينتفع بشي وكان كافرا بقي الذكر الصادر ممن يومن
بالنبي صلى الله عليه وسلم المتحري امتثال امره الواثق بمواعيده فهذا
لا يذكر الله عز وجل الا ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم في قلبه وسره فاذا
قال المصلي سمع الله لمن حمده هل يقولها الا وقد حضر في ذهنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم امره بها وامتثال امره مامور به لانه رسول الله على انه
ليس المراد بالذكر الذكر القولي فقط بل الاذكار الفعلية والتركية
داخلة في ذلك فهل يزكي مزكي ويصلي مصلي ويحج حاج ويتصدق

متصدق الامتثال لامر الله الجاري على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وبدخل
في ذلك الذكر الاعتقادي فهل يعتقد معتقد اعتقادا صحيحا الا وهو
فيه ممتثل امر ربه عز وجل الجاري على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وليس
المراد بالذكر مجرد الذكر اللفظي بل هو ما هو اعم من اللفظي والفعلي والاعتقادي
والاخطاري فلا يذكر الله عز وجل الا ويذكر النبي صلى الله عليه وسلم معه
فان قلت قد يقول الانسان لا اله الا الله ولا يقول محمد رسول الله
بل الصوفية يامرون مريديهم بان يختاروا من الاذكار لا اله الا الله
فتراهم يلهجون بها غير ذاكرين محمد رسول الله ويقولون ان هذه الكلمة
جامعة لسائر الاذكار ويضربون بها المثل يقولون كل الصيد في جوف
الفرا قلت وهل يقولها الصوفي الا وهو مخطر بباله ان الله عز وجل امر بها
على لسان حبيبه وهل يجعلها ديدنه الا وقد اخطر بباله ما اخبر به واجب
الصدق صلى الله عليه وسلم بما فيها من المثوبة والفضل وانها التي تجادل عن
صاحبها يوم القيمة وانها العاصمة له من القتل في الدنيا ومن عذاب
النار ان قالها من قلبه غير منافق فيها على ان الشيخ محيي الدين بن عربي
ذكر في بحث الوصايا من الفتوحات انه يقتصر على لا اله الا الله لانها قرينة
محمد رسول الله وانه لم يقلها الا بعد ان صدق ان محمدا رسول فكانه قالها
معا فان قلت قد اجيب عن ذلك بان اذا في الجمل الشرطية لا تدل على
استغراق الازمنة بخلاف متى والمنطقيون يحكمون على القضية التي فيها
اذا بانها في قوة الجزئية فما القول في هذا الجواب قلت هذا المجيب هم

ان

ان المراد بالذكر الذكر اللساني اللفظي وهذا فهم من لم يتتبع مقاصد
الشريعة المطهرة فان الذكر فيها ليس مقصورا على الذكر اللساني كما قررنا
واذا قال القائل سمع الله لمن حمده فلا يلزم ان يتلفظ بذكر النبي صلى الله
عليه وسلم في حال تلفظه بهذه الجملة بل يكفي خطوره بباله كما قررنا فان
ذلك ذكر واي ذكر واما ما ذكره من عدم استغراق اذا للازمنة
ففيه بحث لان اذا من اسماء الشرط وقد عدوا اسماء الشرط من ادوات
العموم على ان الفعل الواقع فعل شرط يتضمن مصدرا منكرا والتقدير
اذا وقع ذكري ذكرت انت فالنكرة التي تضمنها الفعل وقعت في
سياق الشرط فافادت العموم كما نص عليه الاصوليون فالتقدير كل
ذكر يقع لي تذكر انت معي فيه والمنطقيون لا يتقيدون بمثل هذه
المقاصد التي لا يبحث عنها الا علماء العربية وقبيل الاذان وجد
في بعض النسخ ذكر الاذان فقط فيدخل فيه الاقامة لانها تسمى اذانا
ايضا كما وقع في قوله صلى الله عليه وسلم اذا نودي للصلوة ادبر الشيطان
له ضراط حتى لا يسمع التاذين فاذا قضي النداء اقبل حتى اذا ثوب
بالصلوة ادبر حتى اذا قضي التثويب اقبل حتى يخطر بين المرء
ونفسه ويقول اذكر كذا الحديث فقوله اذا ثوب اي رجع الى الاذان
والمراد برجوعه الى الاذان رجوعه الى الاقامة فانها تسمى اذانا
ولهذا اجرى الفقهاء حكم الاذان على الاقامة فاستحبوا لسامع الاقامة
ان يجيب المقيم كما يستحب ان يجيب المؤذن وان يقول بعدها الدعاء

مسـ
يستحب لسامع
الاقامة ان يجيب
المقيم كما يستحب ان
يجيب المؤذن

المشهور في سوال الله عز وجل الوسيلة لنبيه صلى الله عليه وسلم كما يستحب ان
يقوله بعد الاذان ووجد في بعض النسخ الجمع بينهما قال الفقيه القاضي
وفقه الله عز وجل هذا اي ما وقع في هذه السورة تقرير من الله عز وجل
لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته
عليه يجوز ان يراد بالتقرير التثبيت اي تثبيت من الله عز وجل
لنبيه صلى الله عليه وسلم على ما احاط به علمه من عظيم نعمه وذلك لان
هذه النعم عليه وخشي لعدم امنه من مكر الله عز وجل ان لا تكون نعما
فثبت ربه عز وجل فواده على شهود انها نعم عظيمة والاء جسيمة
وان منزلته عند ربه عز وجل رفيعة وكرامته عليه غير خفية والبا في
قوله بان شرح للسببية ويمكن ان يراد بالتقرير حمله على الاقرار
والتقرير يتعدى بالبا فيجعل قوله بان شرح هو متعلق التقرير اي حمله
ربه عز وجل على ان يقر بان شرح وقوله على عظيم نعمه متعلق بمحذوف
تقديره منبها له على عظيم نعمه وهذا مبني على ما اصطلح عليه جمع من
المتقدمين من تسمية مثل هذا تقريرا ويجعلون هذا الاستفهام تقريريا
لان حمل المخاطب على الاقرار بما بعد النفي فهو كالاستفهام في قوله عز
وجل لنبيه عيسى عليه السلام انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
واصطلح متاخرو علماء العربية على تسمية هذا الاستفهام انكاريا
ابطاليا لان النظر فيه الى ما بعد الهمزة وما بعدها هو حرف النفي وهو
منفي بدخول الاستفهام الانكاري الذي هو بمنزلة النفي فيفيد اثباتا

لان

اغفلات ربعمة
من المتن ما عليه
منه الى ه

لان نفي النفي اثبات ويصير الكلام بسببه خبريا ويخرج عن الانشا بيد
وقد تقدم انه ابلغ من الاثبات فلا حاجة الى ما قيل ان على فيه بمعنى البا
مثلها في قوله عز وجل حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق بان شرح
قلبه للايمان والهداية فان قلت ما هذا الشرح الواقع في هذه
الاية وفي مواضع من القران قلت هو جعل الصدر واسعا منفسحا
حتى يقبل الحق وذلك ان اثار العبد قسمان محمودة ومذمومة
فالمحمودة تزيد مراة القلب اشراقا ونورا وضيا حتى يتلالا فيه حلية
الحق وتنكشف حقيقة الامر المطلوب من الدين وهذا القلب هو الذي
يستقر فيه الذكر قال الله عز وجل الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الاثار
المذمومة كالشهوات والصفات السبعية فانها مثل دخان مظلم
يتصاعد الى مراة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد مرة الى ان
يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله عز وعلا وهو الطبع
والرين الذي قال الله عز وجل فيه كلا بل ران على قلوبهم ولما تراكمت
الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق
وصلاح الدين ويستهين بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير
مقصور الهمة عليها فاذا قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من
الاخطار دخل من اذن وخرج من اخرى ولم يستقر في القلب
ولم يحركه الى التوبة او لكن يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار
من اصحاب القبور وهذا معنى اسوداد القلب بالذنوب وقد

قال صلى الله عليه وسلم قلب المومن اجرد وفيه سراج يزهر وقلب الكافر
والعياذ بالله عز وجل اسود منكوس وطاعة الله عز وجل
بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعصيته مسودات له
فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة محا
اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمراة التي يتنفس فيها
ثم تمسح ولا تخلو من كدورة خفية قال صلى الله عليه وسلم القلوب
اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المومن وقلب اسود
منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك
قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان كمثل
البقلة يمدها الما الطيب ومثل النفاق فيه مثل القرحة يمدها
القيح والصديد فاي المدتين كان اغلب حكم له بها فالمراد من الطاعات
واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاوه وقد
افلح من زكاه والمراد من تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعني
اشراق انوار المعرفة وهو المراد من قوله عز وجل فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي
وهذا الايمان له ثلاث مراتب الاولى ايمان العوام وهو ايمان
التقليد المحض الثانية ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع
استدلال ودرجته قريبة من درجة ايمان العوام السابقة
والثالثة ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين فشرح

صدر

صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالايمان والهداية كما تقرر وايضا شرح بان
وسعه لوعي العلم وحمل الحكمة وذلك لان القلب مراة مستعدة
لان يتجلى فيها الحق حقيقة والامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم
التي خلت منها لاسباب خمسة اولها نقصان في ذات القلب
كقلب الصبي فانه لا يتجلى فيه العلوم لنقصه والثاني لكدورة المعاصي
والخبث الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع
صفا القلب وجلاه فيمتنع ظهور الحق فيه لقدر ظلمته وتراكمه
الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة بسبب
صرف الفكر الى غير معرفة ربه عز وجل الرابع الحجاب كاعتقاد سبق
له في الصبا وصمم عليه لحسن الظن بقائله فان ذلك مما يحول بينه
وبين حقيقة الحق الخامس الجهل بالجهة التي يقع بكون سببا
للعثور على حقيقة الحق فهذه الاسباب كالحجاب المنسدل الحائل
بين مراة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما
قضى الله عز وجل به الى يوم القيمة وتجلى حقائق العلوم من مراة
اللوح في مراة القلب فالعلوم التي تحصل في القلب تارة تهجم
على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب
بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الكسب
يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا
ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واختيار من العبد ينقسم الى ما

لا يدري العبد انه كيف حصل ومن اين حصل والى ما يطلع معه على
السبب الذي منه استفيد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي
في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني وحيا
ويختص به الانبياء مع مشاركتهم للناس في باقي العلوم فقلب النبي
صلى الله عليه وسلم اذا رفعت عنه الموانع الجسمية اي اندفاع فاطلع على ما في
اللوح المحفوظ بل علمه اوسع من ذلك كما يشعر به حديث فعلمت علم
الاولين والاخرين والمراد من الحكمة قال السدي النبوة وابن عباس
رضي الله عنهما هي المعرفة بالقران فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه
وغريبه ومقدمه وموخره وقيل الحكمة الفقه في القران وقيل
الاصابة في القول والفعل وقيل الحكمة العقل في الدين وقال
مالك بن انس وناهيك به من قائل هي المعرفة لدين الله عز وجل
والفقه في الدين والعمل وقيل الخشية وقيل الحكمة الورع ورفع
عنه ثقل امور الجاهلية عليه المعبر عنه في السورة بوزرك الذي
انقض ظهرك وذلك انه كان يشاهد ما يقع من قومه من عبادة الاصنام
وارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن وكان يثقل عليه ذلك لامرين
الاول حنوه وشفقته على عباد الله عز وجل حيث يقع منهم ما يوجب
غضب خالقهم عز وجل عليهم والثاني عجزه عن دفع ذلك وازالته
لضعفه اذ ذاك وقلة اتباعه فالله عز وجل رفع ذلك عنه باقداره
على ازالته وبعدم مشاهدة ما هم عليه لهجرته من بلادهم ولما دخل مكة

استاصل

استاصل الاصنام وعابديها فجعلها جذاذا وازالها من الكعبة وهدم
العزى صنم اهل الطائف وهدم مناة فاستراح فكره اذ جاء الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا والمراد بالجاهلية الحال التي
كانت عليها العرب قبل الاسلام من الجهل بالله عز وجل ورسوله
صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين والمفاخرة بالانساب والتكبر والتجبر
وغير ذلك فثقل هذه الامور كان يتحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن الله عز وجل اراحه بعد ذلك اذ ازال هذه الصفات من اتباعه
وقومه ولئن وجد شيء منها فذاك اختلاسات ابليسية لا ثبات
لها بعد ظهور الانوار المحمدية وبغضه بالتشديد عطف على شرح قلبه
وليس عطفا على رفع لان المتعاطفات اذا تعددت فكل منها معطوف
على المعطوف عليه اولا لسيرها المذكورة ويجوز ان يقال في ذلك
وبغضه بضم الباء وسكون الغين وكسر الضاد عطف على امور الجاهلية
اي ورفع عنه ثقل بغضه لسيرها وليس معطوفا على ثقل لانه يلزم ان
يكون بغضه لسيرها ارتفع والحال انه لم يرتفع عنه اصلا نعم ارتفع
عنه ثقل ذلك البغض وهو رؤيته لما يكره ولمن يكره كراهة شديدة
مع عجزه عن دفع ما يكره وعن اذلال من يكرهه لله عز وجل لا لنفسه
فارتفع ذلك الثقل وان بقي البغض فان الثقل ليس لازما للبغض
فان بغض من يبغضه الله عز وجل دين المومن وهين عليه ويحلو
له ويتلذذ فيه فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم نعم للبغض اثقال وتلك

الاثقال ذهبت عن حبيب الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ان يعطف على وعي
العلم لما فيه من الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه من غير حاجة الى ذلك
الفصل فان قلت هل يمنع من العطف عليه من جهة عدم صحة المعنى
قلت المعنى صحيح عليه ولا يمنع من حمله عليه مانع بان يكون وسع الله
عز وجل صدره وشرحه لبغض سير قومهم عشيرته واهله ونشا بينهم
والطبع البشري يضيق عن مخالفة المرء قومه بل الطبع البشري يستحسن
من قومه ما هم عليه فالله عز وجل منّ عليه بان وسعه لبغض سير قومه
وما كانت عليه بظهور متعلق برفع اي رفع عنه ثقل امور الجاهلية وثقل
بغضه لسيرها بسبب ظهور دينه على الدين اي بعلوه على سائر الاديان
وارتفاعه ومنه قوله عز وجل فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوا عليه
لارتفاعه يقال ظهر على الحائط وظهر على السطح وظهر على الشي اذا غلبه
وعلاه ومنه قوله تعالى فاصبحوا ظاهرين اي غالبين عليه عالين والمراد
بالدين الجنس ولهذا اكد بقوله كله لانه ذو اجزاء وكل جزء من اجزائه
دين واذا اريد به الجنس استوى فيه المفرد والجمع وحط عنه عهدة
اعباء الرسالة والنبوة العهدة بضم العين الضمان والالتزام والاعباء
جمع عبء بكسر العين الحمل والثقل من اي شي كان والرسالة هي ان يقول
الله عز وجل لعبد من عباده ارسلتك الى قوم كذا او الى الناس جميعا
او بلغهم عني او نحو ذلك من الالفاظ ولا يشترط في ذلك المقول له شرط
من الاعراض والاحوال المكتسبة بالرياضات والمجاهدات في الخلوات

والانقطاعات

والانقطاعات ولا استعداد بل الله عز وجل يختص برحمته من يشاء من
عباده فالنبوة رحمة وموهبة متعلقة بمشيئته تعالى فقط وهو تعالى اعلم
حيث يجعل رسالته لكن مع ذلك القول الكتاب فان لم يكن معه كتاب بل امر
باتباع شرع من قبله كان ذلك القول نبوة لا رسالة فالرسول اخص من
النبي باشتراط الكتاب وقيل اشتركا في الوحي وانفرد الرسول بالامر
بالتبليغ وقيل هما مترادفان وعليه الجمهور لتبليغه للناس ما نزل
اليهم علة لكون الله رفع عنه الثقلين المذكورين فان الواجب عليه الذي
حمله الله عز وجل اياه هو تبليغ المرسل اليهم ما نزل اليهم من ربهم فاذا بلغ
خرج عن العهدة وبرئ من التقصير والتفريط ولهذا لما خطب في حجة
الوداع قال في اخرها مرارا الا فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم
حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا فاعادها مرارا الى يوم
تلقون ربكم عز وجل الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد فليبلغ
الشاهد الغائب فرب مبلغ اوعى من سامع فلا ترجعوا بعدي
كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فان قلت اعباء الرسالة لا تنحط عنه
بمجرد تبليغه للناس ما نزل اليهم بل لا بد مع ذلك من تبليغ الجن فانه
مرسل اليهم ايضا فلم يات الدليل مطابقا للمدعى فلا يتم التقريب وهو
سوق الدليل على وجه يستلزم المطلوب فيحتاج في تمام التقريب الى
ان يذكر في الدليل الجن او يكون سكوته عن ذكر الجن للعلم به على حد
سرابيل تقيكم الحر اي والبرد قلت لا يحتاج في تمام التقريب الى شي من

ذلك لان الناس يطلق على الانس والجن ففي القاموس والناس يكون
من الانس والجن وفي تفسير القرطبي في قوله عز وجل من الجنة والناس
قال وذهب قوم الى ان الناس هنا مراد به الجنة سموا ناسا كما سموا
رجالا في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
وقوما ونفرا فعلى هذا يكون والناس عطفا على الجنة ويكون التكرير
لاختلاف اللفظين قال وذكر عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جاء
قوم من الجن فوقفوا فقيل من انتم فقالوا اناس من الجن قال وهو معنى
قول الفراء وتنويههم بعظيم مكانه وجليل رتبته التنويه مصدر نوه وهو
يتعدى بنفسه وبالباء يقال نوههم ونوه به اي دعاه ورفعه واضافة
عظيم الى مكانه من اضافة الصفة الى الموصوف وكذلك اضافة جليل
الى رتبته واما اضافة رفعة الى ذكره فمن اضافة المصدر الى معموله
واضافة قرانه الى الضمير المجرور من اضافة المصدر الى فاعله ومع اسمه
ظرف متعلق بقرانه واسمه مفعول القرانه والقران بكسر القاف الجمع اي
جمع اسمه مع اسمه ومنه القران في النسك وهو الجمع بين الحج والعمرة
في نية واحدة وتلبية واحدة واحرام واحد وطواف واحد وسعي واحد
ومنه القران بين التمرتين الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي
الحديث انه صلى الله عليه وسلم نهى عن القران الا ان يستاذن احدكم
صاحبه ويروى الاقران والاول اصح وهو ان يقرن بين تمرتين
في الاكل وسبب النهي مذكور في غير هذا الكتاب فان قلت لم لم يقل

ونوه

متن
ورفعة ذكره وقرانه
مع اسمه اسمه

ونوه ورفع وقرن ويجعل ذلك معطوفا على صلة الموصول الحرفي وهو شرح
فانه انسب اذ فيه عطف فعل على فعل قلت لئلا يتوهم لطول الفصل انه
مستانف فعطف مصدر اصريحا على مصدر ماول فانه لما اتى بالمصدر
علم انه ليس بمستانف اذ لو كان مستانفا لكان مبتدا وليس له خبر فعلم
انه معطوف على ما قبله قال قتادة هو ابن دعامة ابو الخطاب السدوسي
الاعمى الحافظ المفسر يروي عن انس بن مالك ويروي عنه شعبة توفي
سنة سبع عشرة ومائة رفع الله عز وجل ذكره في الدنيا والاخرة
فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول اشهد ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد اورد على كلام قتادة اعتراضات
الاول ان خطيب نكرة وقعت في سياق النفي فعمت مع ان هذا
العموم منتقض بخطبة كانوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كقس بن
ساعدة وخطيب بني تميم الثاني ان الاتيان بالشهادتين ليس بلازم
في الخطبة على كل المذاهب الثالث ان قوله فليس خطيب الى اخره ان
كان بيانا لحاله في الدنيا فاين حاله في الاخرة وان كان بيانا لحاله في
الاخرة لان هذه احوال اخروية فاين بيان حاله في الدنيا الرابع ان قوله
ولا صاحب صلوة شامل لصلوة الجنازة والاتيان بالشهادتين فيها
لم يشترطه احد ولم يقل احد باستحبابه فيها الخامس ان المصلي ياتي في
تشهده بالشهادتين لكن لا يلزم ان يكون بهذا اللفظ فان من يلتزم تشهد
ابن مسعود كالحنفية يقولون وان محمدا عبده ورسوله ثم من يقول

قتادة
رضي الله
عنه

بتشهد ابن عباس كالشافعي فانه ياتي بهذا اللفظ وقتادة عمم واقول
ان مراد قتادة والله اعلم بذلك ان يبين رفعة ذكره في الدنيا التي هي
عنوان على رفعته في الاخرة وذلك ان قوله فليس خطيب الى اخره يريد
ان الخطباء قبله كانوا يعددون ماثرهم وماثر قومهم وهم على شركهم فقد
محى ذلك الاسم وصار اسما لمن ياتي بالخطبة على وجه مشروع باي
مذهب كان من المذاهب المرضية وهو يقول اي يشهد ويعتقد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد جعل الشارع لذلك الاسم مسميات
مخصوصة لا يجوز ان تفعل في غيرها كخطبة الجمعة والعيدين والكسوفين
والاستسقاء وخطب الحج وفاعل ذلك كله معتقد وحدانية الله عز
وجل متاس بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتثل امره ولم يتاس به
ويمتثل امره الا لعلمه واعتقاده وتصميمه انه رسول الله وكذلك المتشهد
الذي يشهد بوحدانية الله عز وجل لا يعتد بشهادته بذلك حتى يشهد
ان محمدا رسول الله وكذلك صاحب الصلوة لا يعتد بصلاته حتى
يعتقد وحدانية الله ويقول بها ومع ذلك لا بد ان يضم الى ذلك القول
بان محمدا رسول الله فان قلت هذه الرفعة مخصوصة بالنبي صلى الله عليه
وسلم وقضية تقريركم عدم تخصيصها به فان من كان من اتباع موسى عليه
السلام لا يجعل عملا صالحا الا وهو يعتقد وحدانية الله عز وجل ورسالة
موسى عليه السلام وهكذا يقال في عيسى عليه السلام قلت المراد برفعة
ذكره عموم ذلك في كل خطيب ومصل وعابد وفاعل خير فمنذ بعث الله

عزوجل

عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة لا يكون خطيب ولا صاحب
صلوة ولا فاعل قربة من القرب الا وهو يقول ويعتقد اشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان محمدا رسول الله ومن فعل شيا من ذلك غير قائل ذلك فليس
خطيبا وان اتى بصورة الخطبة ولا مصليا وان اتى بصورة
صلوة وهلم جرا وهذه رفعة عظيمة لذكره صلى الله عليه وسلم لم يشاركه
فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل وحينئذ فلا يحتاج الى ان يقيد قوله
فليس خطيب بقوله على الوجه الاكمل بل الخطيب على الوجه الواجب
اللازم ان لم يات بالشهادتين معا بان يعتقدهما ويكون قائلا بهما
فليس بخطيب ولا يصح اطلاق الخطيب عليه لان هذا الاسم نقل شرعا
الى من يتصف بهذه الصفة حتى ياتي بالخطبة ولا الى ان يقيد بقوله
بعد البعثة لان من يخطب قبل البعثة يسمى خطيبا لغة والخطيب
الشرعي خلافه كما قررنا فان قلت لم قال ولا صاحب صلوة ولم يقل
ولا صاحب صوم ولا صاحب زكوة ولا صاحب حج مع ان فاعل كل
منها يقول لا اله الا الله محمد رسول الله قلت لان كلا من العبادات
ما عدا الصلوة صاحبه متصف بالصلوة ولا ينعكس اذ كل صاحب
صوم صاحب صلوة وكل صاحب حج صاحب صلوة وكل صاحب
زكوة صاحب صلوة ولا ينعكس في الجميع فالصلوة اعم العبادات
اذ لا مندوحة للمكلف عنها روى ابو سعيد الخدري هو سعد بن مالك
ابن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الابحر وهو خدرة الذي ينسب اليه

ابو سعيد الخدري ه

ابو سعيد الانصاري الخزرجي والخدري بضم الخا المعجمة واسكان الدال
المهملة قال محمد بن سعد وزعم بعض الناس ان خدرة هي ام الابجر
والصحيح ان خدرة هو الابجر استصغر يوم احد فرد وغزا بعد ذلك
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة غزوة روينا عن سهل بن
سعد قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وابو ذر وعبادة
ابن الصامت وابو سعيد الخدري على ان لا تاخذنا في الله عز وجل
لومة لائم توفي بالمدينة يوم الجمعة سنة اربع وستين وقيل سنة
اربع وسبعين ودفن بالبقيع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل
فقال ان ربي وربك يقول تدري اي اتدري بحذف همزة الاستفهام
وهذا الاستفهام من الله عز وجل ليس حقيقيا وانما هو استفهام تقريري
فانه حمل النبي صلى الله عليه وسلم على ان يقر بعدم دراية ذلك وعلمه وحذف
همزة الاستفهام مع بقا المعنى على الاستفهام جائز نظما ونثرا فمن النثر
قوله عز وجل في قراة ابن محيصن سوآ عليهم انذرتهم وقول النبي صلى
الله عليه وسلم لجبريل حين قال له من مات من امتك لا يشرك بالله شيئا دخل
الجنة قلت وان زنى وان سرق اي أوان زنى اي اتثبت له هذه
النعمة وان زنى وان سرق وليس حذفها خاصا بالشعر بل يجي في النثر
وفيه قال عمر بن ابي ربيعة من الخفيف
ثم قالوا تحبها قلت بهرا
عدد الرمل والحصا والتراب كيف رفعت ذكرك كيف في محل نصب
حال من ذكرك والعامل فيه رفعت لا تدري لان كيف اسم استفهام وضع

للسوال

للسوال عن صفة الموصوف ويستفهم بها عن الحال ان وقعت قبل ما
يستغنى به ويتم كلاما بدون كيف نحو كيف جا زيد وان وقعت قبل
ما لا يستغنى به كان السوال عن الخبر وههنا وقع بعدها جملة تتم كلاما
بدون كيف فكيف في محل نصب على انها حال من ذكرك الذي هو مفعول
رفعت وجملة كيف وما بعدها في محل نصب على انها معلق عنها العامل
وهو فعل الدراية ولا يجوز ان يعمل تدري في كيف لان لها صدر الكلام
وعمله فيها يبطل صدارتها ولو عمل في محل الجملة لا يبطل صدارة كيف
لانها صدر في جملتها ولهذا حكموا بان كيف في قوله عز وجل افلا
ينظرون الى الابل كيف خلقت والم تر الى ربك كيف مد الظل في
محل نصب حال من الضمير المستكن في خلقت ومن الظل الذي هو
مفعول مد والجملة معلق عنها العامل قبلها وهو ينظرون وتر
ولا يجوز ان يكون كيف بدلا من الابل بدل اشتمال ولا من ربك
ويكون المعنى حينئذ الى الابل كيفية خلقها والى ربك كيفية مد
الظل لان البدل في قوة تكرير العامل وكيف لا يدخل عليها حرف جر في
الفصيح فلا يجوز تخريج القران عليه لانه ليس فصيحا واما قولهم على كيف
تبيع الاحمرين وانظر الى كيف تصنع وعن كيف صبسا فهذا من الشاذ
قلت الله عز وجل اعلم اي من كل عالم ووقع لبعض الشراح انه
شرح عبارة المتن على انه ذكر رسوله فقال الله ورسوله اعلم وفسر
الرسول بجبريل وهذه النسخة لم اجد شيا من نسخ الشفا مشى عليها

يقول الفقير الى الله عندي نسختان من الشفا وجد فيها ورسوله والحق احق ان يتبع

في ما اطلعت عليه واللائق عدم ذكرها اي الله عز وجل اعلم من كل عالم فمن
كرمه يستفيد العلم واني لا اعلم الا ما علمني ربي وليس المراد انه عز وجل
اعلم من النبي صلى الله عليه وسلم بكيفية رفعة ذكره حتى يلزم ان يكون عند
النبي صلى الله عليه وسلم علم بها وان رب العزة جل وعلا اعلم منه بها فان قلت
لم لم يجبه كما اجابه عن وقت الساعة بقوله ما المسئول عنها باعلم
من السائل قلت لان السائل هنا هو الله عز وجل وجبريل سفير محض
بصيغة السوال وان لم يرد منها حقيقة السوال وانما اراد
التقرير بخلاف مسئلة الساعة فان السائل جبريل ومما يصرح بان السائل
هنا هو الله عز وجل قول جبريل ان ربي وربك يقول لك الى اخره
فان قلت كيف لم يدر كيفية رفع الله عز وجل ذكره وقد وقع له صلى الله عليه وسلم
ان قال فعلمت علم الاولين والاخرين حيث سال فيم يختصم الملاء
الاعلى قال فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت علم
الاولين والاخرين الحديث قلت اجاب عن ذلك بعضهم بان تلك الحالة
لم تكن دائمة وبعضهم بان هذه الحالة لعلها كانت اخر احواله بعد ان
انقطع نزول جبريل عليه السلام عليه وابطا اليه واقول انه لم يرد في
اثر ولا خبر ان تلك الحالة انقطعت عنه بعد ان من الله عز وجل عليه
بها والاصل دوام النعمة فان قلت كان يحتاج كثيرا الى نزول الوحي
ولو كان يعلم لما احتاج اليه قلت احتياجه الى نزول الوحي من باب
العبودية والفقر الى الله عز وجل حتى لا يدع الفقر الى ربه عز وجل طرفة عين

واما

واما كونه لا يعلم كيفية رفعة ذكره فان كان هذا السوال وقع قبل ان
يمن الله عز وجل عليه بتلك النعمة فلا اشكال فيه وان كان بعدها فلا
نسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعلمها فيجوز ان يكون يعلمها
وطلب علمها من الله ثانيا حتى لا يخرج عن الافتقار والدليل على ذلك
انه لم يقل حين قال له جبريل اتدري كيف رفع الله ذكرك لا ادري
وانما قال له الله اعلم وبالجملة فعلمه بعلم الاولين والاخرين لا ينافي
ان يلتجي الى ربه عز وجل في بعض العلوم او في كلها تمتعا منه صلى الله
عليه وسلم بنعتي العبودية والافتقار الى الله عز وجل واما جواب من
قال انها كانت اخر احواله الى اخره فغير سديد لامرين الاول ان هذه
القصة وقعت ليلة الاسراء وكانت اول احواله والثاني ان جبريل
لم ينقطع عن نبينا صلى الله عليه وسلم حتى فارق الدنيا حتى نزل عليه في
مرض موته قال اذا ذكرت معي تقدم هنا كلام على هذا فعليك
قال ابن عطا هو ابو العباس احمد بن محمد بن سهل بن عطا
الادمي من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم له لسان في فهم القران يختص به
صحب الجنيد وابرهيم المارستاني ومن فوقهم من المشايخ وكان
ابو سعيد الخراز يعظم شانه حتى قال التصوف خلق وليس انابة وما
رايت من اهله الا الجنيد وابن عطا مات سنة تسع او احدى عشرة
وثلاثمائة كذا قاله ابن خميس الموصلي في مناقب الابرار وقال ابو ذر
ابن البرهان الحلبي حافظ بلدنا قال الجنيد صحبته علة سنين مشاد با

ابن عطا الادمي ه

بادابه وكان له في كل يوم ختمة وفي رمضان في كل يوم وليلة ثلاث ختمات
فهذا مع ما نقله ابن خميس يدل ان كلا من الجنيد وابن عطا صحب
الاخر ومن كلامه قرت عيون السمعة بسجدة واحدة فما بال عيني من
سجد خمسين سنة وسئل عن تواجد بعض المشايخ عند السماع فقال
هو صحيح فقيل له ان الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لم يبلغنا عن احد
منهم تواجد فقال اما الصحابة رضي الله عنهم فكانوا قد كوشفوا بالشريعة
في سرهم فكانوا لا يغلبون عن تحمل الاحوال بخلاف من اتى بعدهم فانه لم
ينل هذه المرتبة جعلت تمام الايمان بذكري معك وذلك لان الايمان
ان كان كما يقوله الاشاعرة هو التصديق للرسول ﷺ في ما علم مجيئه به
ضرورة تفصيلا في ما علم تفصيلا واجمالا في ما علم اجمالا فقد ذكر في
قلبه الرسول وصدقه وذكر معه توحيد الله عز وجل وتنزيهه وثبوت
صفاته الازلية واخباره الصادقة لان هذا كله جاء به الرسول صلى الله
عليه وسلم وليس المراد الذكر اللساني فقط وقد اجتمع الذكر اللساني
والذكر القلبي على قول ابي حنيفة رضي الله عنه القائل بان الايمان هو
التصديق مع الكلمتين وان قلنا بما قاله المحدثون من ان الايمان تصديق
بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فمن صدق بقلبه فتصديقه
بوحدانية الله وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ومن اقر فلا بد من الجمع بين
الكلمتين ومن عمل باركانه فلا بد ان يلاحظ ان الامر هو الله عز وجل
والمخبر محمد صلى الله عليه وسلم فلم يتم الايمان الا بذكرهما معا فذكر الله هو الركن بذكره

الاعظم

الاعظم وذكر الرسول ركن في وجود حقيقة الايمان الشرعي فان قلت لم لم يقل
بذكرك معي فان الرسول مذكور مع الله عز وجل الا ان الله عز وجل مذكور مع
الرسول صلى الله عليه وسلم قلت الاول الذي جاء به الرسول صلى الله عليه
وسلم اذا عرض على من لم يؤمن فاول ما يجب عليه تصديق الرسول في ما
جاء به ثم انه يلاحظ بعد ذلك توحيد الله عز وجل وتنزيهه عما لا يليق
بعزه فكان توحيد الله مع العلم بتصديق الرسول لان الرسول هو الذي
ارشد الناس الى التوحيد الحق ودل على ذكر الله عز وجل اللائق بجلاله
وتوحيد من لم يصدق الرسول توحيد مقرون بالباطل كتوحيد اليهود
مع نسبتهم الى الله الولد اذ قالوا عزير ابن الله والعجز وان يده تعالى
وتقدس مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان
وكتوحيد النصارى المقرون بتلك الاباطيل فجاز ان يقال ان ذكر الله
عز وجل جامع ذكر الرسول بالاعتبار المذكور ولا حاجة الى ارتكاب
انه قلب الكلام اياما الى شرفه صلى الله عليه وسلم فان قائل ذكر لا حظ ان
ان المفضول يكون مع الفاضل لا الفاضل مع المفضول بل ابن عطا
لم يرد الا ان ذكر الله عز وجل بما يليق به لم يتات الا مع التصديق بالنبي صلى
الله عليه وسلم بحيث صلى محصورا ولم يبق على وجه البسيطة احد
يذكر الله عز وجل ذكرا يرضى الله عز وجل الا اذا كان ذاكرا للنبي صلى الله
عليه وسلم على وجه يكون مصدقا بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به واي رفعة
ينالها مخلوق اعظم من هذه الرفعة وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري اي

منت عليك نعمة عظيمة فصيرت ذكرك ذكرا من ذكري اي فردا من افراد
ذكري فان لذكر الله عز وجل انواعا متعددة من الذكر كالتسبيح والتقديس
والحوقلة والتهليل والتكبير ومن جملة انواعه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
كالصلوة عليه والشهادة له بالرسالة فمن يقل شيا من ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم فكانما ذكر الله عز وجل فالكاف مفعول لجعلت وذكرا مفعول
ثان ومن للتبعيض ولهذا قال بعد ذلك فمن ذكرك فقد ذكرني
وقال جعفر بن محمد اي الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني
بالربوبية اي لا يومن احد بانك رسول الله الا اقر باني رب العالمين وحدي
لا شريك لي وصدق بذلك وليس الذكر خاصا بان يقول القائل لا اله
الا الله محمد رسول الله واشار بعضهم في ذلك اي في قوله ورفعنا لك
ذكرك الى الشفاعة اي الى شفاعته يوم القيمة في الناس وهذا
القول نقله القرطبي في تفسيره فقال فيه وقيل رفعنا لك ذكرك عند
الملائكة في السماء وفي الارض عند المومنين ونرفع في الاخرة ذكرك
بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات ولا شك ان ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم يرفعه الله عز وجل يوم القيمة رفعة يغبطه فيه
الاولون والاخرون حيث يمنحه درجة الشفاعة ولهذا سميت
الشفاعة بالمقام المحمود وقد علل النبي صلى الله عليه وسلم كونه سيد
الناس يوم القيمة بكونه اعطي الشفاعة ففي صحيح البخاري بسنده
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه

الذراع

الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال انا سيد الناس يوم
القيمة وهل تدرون مما ذلك يجمع الله عز وجل الناس الاولين
والاخرين في صعيد ثم نقل حديث الشفاعة بطوله ولا يبعد ان
يكون رفعة ذكره بكونه اعطي لواء الحمد وانما كان ذكره رفعة ذكر
لانه لا ذكر ارفع من ان يذكره جميع الجن والانس والملائكة مخلوقا بالثنا
عنه والمدح له ومن ذكره معه تعالى اي ومن جملته ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
مع الله تعالى بحيث تقترن الذكران وتتصاحبا ان قرن اي الله عز وجل
طاعته اي طاعة الله بطاعته اي بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم واسمه
باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وامنوا بالله ورسوله وذكر لان
الذكر عبارة عن عدم الغفلة قال بعضهم اصل الذكر اجابة الحق من حيث
اللزوم وقال بعضهم محل قلوب الذاكرين مختلفة فذكر هو التسبيح
والتهليل وتلاوة القران وذكر هو تنبيه القلب على افراد الله عز وجل
واسمائه وصفاته وذكر الراجين على وعده وذكر الخائفين على وعيده
وكل ما فعله من طاعة الله عز وجل فهو ذكر الله ولا يلزم ان يكون باسمه
فمطيع الله ذاكر لله عز وجل ومطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكر
لرسول الله ومطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطيع لله فمطيع رسول
الله ذاكر الله لان اطاعة الله عز وجل من حيث هي اطاعة له ذكر لله
عز وجل حقيقة لا مجازا واطلاق الذكر عليها من اطلاق الكلي المتواطي
على فرد من افراده فمن اطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق عليه

امور الاول انه اطاع الله الثاني ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر معه الله عز وجل
والثالث انه استحضر في اطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه
وايضا استحضر معه اسم الله احدا من قوله عز وجل من يطع الرسول
فقد اطاع الله ومن قوله عز وجل واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
فكل من قرن طاعته بطاعته وقرن اسمه باسمه ذكر الله عز وجل
والرسول صلى الله عليه وسلم معا حقيقة وليس هنا ذكر مجازي فمن زعم
ان الذكر الاول مجاز والثاني حقيقة وان الاية من باب عموم المجاز
اذ المراد بالذكر هنا معنى يعمهما ومفهوم كلي يشملهما فرارا من الجمع بين
الحقيقة والمجاز الذي يمنعه جمهور المحققين فقد ارتكب شططا
فتامل **فجمع بينهما** اي الله ورسوله في الايتين قوله واطيعوا الله
والرسول وقوله عز وعلا وامنوا بالله ورسوله **بالواو المشركة** اي المفيدة
لمطلق الشركة بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم لان الواو عند
سيبويه واكثر النحويين محتملة للمعية وللتاخر وللتقدم ففي نفس الامر
مرتبة طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون مرتبة طاعة الله عز وجل
ومع ذلك فالله عز وجل كرم نبيه صلى الله عليه وسلم فاتى بالواو التي لا
اشعار فيها بنزول مرتبة طاعته عن طاعته اذ هي محتملة للمعية وان
كانت لا تشعر بها ولا تدل عليها لان العام لا دلالة له على الخاص والواو
موضوعة لمطلق التشريك اعم من ان يكون بمعية او تقدم او تاخر
ولو ان الله عز وجل لم يرد اظهار شرف نبيه صلى الله عليه وسلم لاتى بثم او
بالفاء

بالفاء المفيدة لحط رتبة طاعته عن طاعته كما يقال ما شاء الله ثم شاء فلان
ولا يجوز جمع هذا الكلام يعني ان هذا الكلام وهو قوله عز وجل واطيعوا
الله والرسول وقوله عز وجل وامنوا بالله ورسوله وقع فيه جمع بين
الله ورسوله بالواو فجمعه المضاف اليه بسبب وقوعه فيه لا يجوز ان
يقع **في غير حق النبي صلى الله عليه وسلم** فليس المراد بالكلام جنس الكلام بل المراد
به هذا الكلام المعين الذي وقع فيه هذا الجمع فجمعه لا يقع في غير حق النبي صلى الله
عليه وسلم والمراد بقوله لا يجوز اي لا يباح فان الجائز يطلق على ما حلا من مدح
او ذم في فعل او ترك فكونه مكروها كراهة تنزيه لا ينافي نفي هذا الجواز
فان بعض الشارحين جعل ذلك مكروها كراهة تنزيه وحمل النهي الاتي
في حديث المشية على الكراهة التنزيهية والجواز يثبت مع الكراهة
التنزيهية لكن لا بمعنى الاباحة بل بما هو اعم من ذلك اذ يطلق
الجائز على ما ليس حراما قال فيجوز ان يقال مع الكراهة اطيعوا الله
عز وعلا والقاضي قال شيخنا الرضي ابن الحنبلي الحنفي ولبيان جوازه ورد
قوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقوله تعالى
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله وقوله صلى الله عليه وسلم حكاية
عن الله سبحانه وتعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين
اذ فيه عطف اسم عبده على اسمه مع تكرير بين لان العرب لا
تعطف على ضمير الجر الا باعادة الجار انتهى واقول مقتضى كلام حجة
الاسلام ابي حامد الغزالي في الاحياء ان ذلك حرام وانه لا يثبت معه

للجواز اصلا وان حديث المشيئة محمول على النهي التحريمي فانه قال في
الافة التاسعة عشر كذا اي من افات اللسان في الغفلة عن دقائق
الخطا في مجرى الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله عز وجل وصفاته ويرتبط
بامور الدين ولا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء
الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم ينفك كلامه عن الزلل لكن الله
سبحانه يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن
ليقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق بالواو
تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله
عنهما في بعض الامور فقال ما شاء الله وشئت فقال عليه
الصلوة والسلام اجعلتني لله عز وجل عدلا بل ما شاء الله عز وجل وحده
ثم نقل قصة الخطيب الاتية ثم قال وكان ابراهيم يكره ان يقول
اعوذ بالله عز وجل وبك ويجوز ان يقال اعوذ بالله عز وجل ثم بك
وان يقول لولا الله عز وجل ثم فلان ولا تقل لولا الله عز وجل وفلان
ثم قال بعد ذلك فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن
تامل جميع ما اوردناه من افات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه
لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه
الافات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم
من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير

وورع

وورع حاجز ومراقبة لازمة وتقلل الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع
ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم
فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين انتهى فتامل
فيه تجده يكاد ان يكون مصرحا بان ما ذكر من المحرمات حدثنا
الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني بفتح الجيم ثم مثناة تحت
مشددة بعدها الف وبعدها نون ثم يا النسبة نسبة الى بلد بالاندلس
وفي القاموس جيان كشداد بلد بالاندلس منه ابن مالك وابو حيان
اماما العربية الحافظ هو الامام الثبت ابو علي الحسين بن محمد بن احمد
الغساني نسبة الى غسان كشداد وهو ماء نزل عليه قوم من الازد
فنسبوا اليه منهم بنو جفنة رهط الملوك او غسان اسم القبيلة
ولد في المحرم سنة سبع وعشرين واربعمائة وتوفي ليلة الجمعة لاثنتي عشرة
ليلة خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين واربعمائة فيما اجازنيه
اجاز يستعمل متعديا ولازما يقال اجزت لفلان كذا واجزت فلانا فمن
عداه بحرف الجر فهو بمعنى سوغت له وابحت له ومن عداه بنفسه
فهو بمعنى عديته الى ما لم يكن متحملا له رواية او من قولهم اجزته ماء اي
اسقيته ماء لارضه او لماشيته او نحو ذلك ومنهم من قال هي من
المجاز المقابل للحقيقة لان حقيقة التحمل هو بالقراءة والسماع
فما سواه مجاز وانما قال المصنف فيما اجازنيه للاشارة الى ان
هذه المرتبة دون مرتبة القراءة والسماع ولهذا اختلف العلماء في

الشيخ ابو علي الجياني

العمل بها فالجمهور على جوازه وجعلها اهل الظاهر كالمرسل وهو ضعيف
لان فى الاجازة من اتصال المنقول بها ومن الثقة به ماليس فى
المرسل بل نقل القاضي ابوبكر الاتفاق على جواز الرواية بها وهو عجيب
فقد قال بالمنع من الرواية بها شعبة وقال ابو طاهر الدباس من الحنفية
من قال لغيره اجزت لك ان تروي عني فكانه يقول له اجزت لك ان تكذب
علي واقول هذا اجراة من هذا الحنفي فانه لم يقل له اجزتك ان تتكلم
بما شئت بل ان تروي مسموعاتي بطريق الاجمال وقد احتج ابن الصلاح
للاجازة بانه اذا اجاز له ان يروي عنه مروياته فقد اخبره بها جملة فهو
كما لو اخبره تفصيلا واخباره بها غير متوقف على التصريح قطعا كما في
القراءة على الشيخ كما سبق انتهى فمقصده بقوله اجزت لك اخبرتك اني
اروي هذا الكتاب واذنت لك ان تنقله عني وما معنى قول الراوي
اخبرنا فلان اجازة الا هذا فهو شبيه بمن يكتب الوصية ويقول
لشخص اشهد علي بما في هذا المكتوب فقد جوز محمد بن نصر المروزي
من اصحابنا الشافعية ان يشهد عليه بما فيه والرواية اولى لان
باب الشهادة اضيق واما ما حكي عن الشافعي رضي الله عنه فمحمول على
كراهة ذلك لا انه ممتنع كذا اقتضاه كلام البيهقي وحكي عن شيخه الحاكم
انه قال فرضي الله عن الامام الشافعي كيف كره المكروه عند اكثر الائمة
هذا الشان انتهى وقد صرح الشافعي رضي الله عنه بالجواز فى القديم
والجديد اما فى القديم فقال الكرابيسي ان الشافعي رضي الله عنه لما قدم

بغداد

بغداد اتيته فقلت تاذن لي ان اقرا عليك الكتب قال خذ كتب الزعفراني
فانسخها فقد اجزتها لك فاخذتها اجازة واما فى الجديد فقد روى
الربيع عن الشافعي رضي الله عنه الاجازة لمن بلغ سبع سنين وبالجملة
فمرتبتها قاصرة عن مرتبة القراءة والسماع ثم قال المصنف **وقراءة على
الثقة عنه** قاصدا بذلك الترقي عن درجة الاجازة المجردة الى القراءة التي
هي من اعلى انواع التحمل غير انه انما قدم ذكر الاجازة على ذكر القراءة لان
الاجازة اعلى سندا في هذا السند فذكر ما هو اعلى سندا ثم ما هو اعلى
منها فى التحمل وقد وقع فى قوله على الثقة من غير تصريح باسم ذلك الثقة
تعديل على الابهام وهل يقبل التعديل على الابهام فيه مذاهب الاول
لا يحتج به وبه جزم القفال الشاشي والخطيب ابوبكر والصيرفي
والقاضي ابو الطيب والشيخ ابو اسحق والماوردي والروياني وهو
كالمرسل قال لانه ربما لو سماه كان ممن جرحه غيره بل قال الخطيب
لو صرح بان جميع شيوخه ثقات ثم روى عمن لم يسمه لا يعمل به
غايته انه يكون هو قد عدل جميع شيوخه والثاني يحتج به مطلقا
لما سبق من ان ابهام العدل لا يضر ونقله ابن الصلاح عن ابي حنيفة
رضي الله عنه الثالث التفصيل بين ان يعرف من عادته اذا اطلق ذلك
ان يعني به معينا وهو معروف بانه ثقة فيقبل والا فلا حكاه شارح
اللمع عن صاحب الارشاد الرابع وهو الصحيح المختار الذي قطع به
امام الحرمين ونقله ابن الصلاح عن اختيار بعض المحققين انه ان

كان القائل لذلك من ائمة الشان العارفين بما يشترطه هو وخصومه في العدول
وقد ذكره في مقام الاحتجاج فيقبل لان مثل هولاء لا يطلق في مقام الاحتجاج
الا في موضع يامن ان يخالف فيمن اطلق عليه انه ثقة وقد كثر ذلك من
الشافعي رضي الله عنه فيقول كثيرا في مسنده اخبرنا الثقة ثم ان مراد
المصنف بالثقة ههنا يحتمل ان يكون ابن سكرة والمصنف ادرك
حياة ابي علي الغساني وكان يمكنه السماع منه ولكنه لازم ابن سكرة
قال حدثنا ابو عمر النمري هو الحافظ ابن عبد البر صاحب الاستيعاب
والتمهيد قال حدثنا ابو محمد بن عبد المومن هو عبد الله بن محمد بن
عبد المومن احد شيوخ ابن عبد البر قال حدثنا ابو بكر بن داسه
قال حدثنا ابو داود السجزي في القاموس السجزي بالفتح والكسر
نسبة الى سجستان الاقليم المعروف منه ابو داود ثم عد جماعة من
ذكر الاقليم انتهى وابو داود هو سليمن بن الاشعث وقد اتفق العلماء
على الثناء على ابي داود ووصفه بالحفظ التام والعلم الوافر والاتقان
والورع والدين والفهم الثاقب في الحديث وغيره قال ابو حاتم بن حبان
ابو داود احد ائمة الدنيا فقها وعلما وحفظا ونسكا وورعا واتقانا
جمع وصنف وذب عن السنن وقال محمد بن مخلد كان ابو داود يفي
بمذاكرة مائة الف حديث ولما صنف كتاب السنن وقراه على
الناس صار كتابه لاصحاب الحديث كالمصحف يتبعونه ولا يخالفونه
واقر له اهل زمانه بالحفظ والتقدمة فيه قال محمد بن صالح الهاشمي

قال

قال لنا ابو داود اقمت بطرسوس عشرين سنة اكتب المسند
فكتبت اربعة الاف ثم نظرت فاذا مدار الاربعة الاف على اربعة
احاديث لمن وفقه الله عز وجل اولها حديث انما الاعمال بالنيات
ثانيها حديث الحلال بين والحرام بين ثالثها حديث الله طيب لا
يقبل الا طيبا ورابعها حديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
قال النووي وقد قيل ان مدار الاسلام على حديث الدين النصيحة
ولد ابو داود سنة ثمانين ومائتين وتوفي بالبصرة لاربع عشرة
ليلة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين قال حدثنا
ابو الوليد الطيالسي هو هشام بن عبد الملك الباهلي مولاهم الحافظ
البصري يروي عن شعبة وروى عنه البخاري وابو داود قال احمد
في شانه هو اليوم شيخ الاسلام قال ابو زرعة كان اماما في زمنه
مات سنة سبع وعشرين ومائتين عاش اربعا وتسعين سنة
عن شعبة هو ابن الحجاج بن الورد العتكي الازدي مولاهم الواسطي
ثم البصري مولى عبدة بن الاغر كان من واسط ثم انتقل الى
البصرة فاستوطنها وهو من تابعي التابعين واعلام المحدثين
وكبار المحققين فراى الحسن البصري ومحمد بن سيرين قال احمد بن
حنبل لم يكن في زمن شعبة مثله في الحديث ولا احسن حديثا
منه قال الشافعي رضي الله عنه لولا شعبة ما عرف الحديث
بالعراق قال وكان يجيء الى الرجل الذي ليس اهلا للحديث

الطيالسي

شعبة

فيقول الا تحدث والا استكتب عليك السلطان قال احمد بن حنبل رضي
الله عنه كان شعبة امة وحده في هذا الشان كان مولده سنة ثلاث
وثمانين بنهران قرية اسفل من واسط ومات سنة ستين
ومائة في اولها وله يوم مات سبع وسبعون سنة وكان اكبر من
سفيان بعشر سنين وكان شعبة يسمى امير المومنين في الحديث
وانما سمي به لانه كان يذب عن الحديث ويصرف عنه شنع الجهال
كما يذب امير المومنين عن رعيته وكان يسمى بذلك ايضا البخاري
صاحب الحديث الصحيح لانه اول من نفى عن الحديث الضعيف
والمردود واقتصر في جامعه على اصح الصحيح ورايت بخط شيخنا
شيخ اشياخنا الشمس الديروطي المصري تسمية شيخ الاسلام
شهاب الدين بن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري بامير المومنين في
الحديث وسبب ذلك انه حصل له السودد التام في عصره في هذا
الفن حتى كان فيه اية من ايات الله حق كان كثير من الناس يظن
ان ما فتح الله عز وجل به على هذا الكامل امر خارق للعادة حير الافكار
وتعجب منه الخاص والعام ولو لم يكن من كماله الا انه قد بطل بعده
مجلس الاملاء فلم يعقد بعده مجلس الاملاء اصلا واذا تاملت
تاليفه علمت بارقة من بوارق فضله على انها ليست الا قطرة من بحر
علمه ولهذا جعله الله شيخ كل اهل عصره حتى اقرانه كالكمال بن الهمام
الحنفي فانه من اقرانه وتلمذ له في هذا الشان والجلال المحلي شارح

شي من اوصاف الشهاب بن حجر العسقلاني

المنهاج كان من اقرانه وتلمذ له وبالجملة فذلك فضل الله عز وجل يوتيه من يشاء
عن منصور هو ابن زادان من اهل واسط مولى عبد الرحمن بن
ابي عقيل الثقفي يروي عن الحسن وابن سيرين وقتادة مات سنة
احدى وثلاثين ومائة قال يزيد بن هرون كان منصور بن زادان
خفيف القراة وكان يختم القران بين الاولى والعصر وبين المغرب
والعشا خرج في جنازته يوم موته المسلمون والنصارى والمجوس
عن عبد الله بن يسار هو بمثناة تحت ثم سين مهملة هو الجهني الكوفي
ثقة عن حذيفة هو ابن اليمان الصحابي المكرم واسم ابيه حسل ولكن
لقب باليمان لانه اصاب دما في قومه فهرب الى المدينة فحالف بني
عبد الاشهل من الانصار فسماه قومه اليمان لانه حالف الانصار وهم من
اليمن اسلم حذيفة وابوه وهاجرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا
جميعا احدا وقتل ابوه يومئذ قتله المسلمون خطا فوهب لهم دمه واسلمت
ام حذيفة وكان صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين يعلمهم
وحده توفي رضي الله عنه بالمدائن سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمن
ابن عفان باربعين ليلة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم
ما شاء الله عز وجل وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان في نسختي التي
بيدي الان لم يذكر فيها ما بعد ثم وكذا في نسخة اخرى قرئت على حافظ بلدنا
وابن حافظ ابي ذر ابن برهان الدين الحلبي وهو الموجود في سنن ابي داود
التي نقل منها هذا الحديث لكن وجد في نسخة اخرى من الشفا ذكر ما بعد ثم

منصور الثقفي ه

حذيفة ابن اليمان ه

والامر في ذلك سهل وسبب هذا النهي امور الاول ما ذكره في النهاية الاثيرية
ان يهوديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انكم تنددون وتشركون
وتقولون ما شا الله عز وجل وشئت فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم
ان يقولوا ما شا الله عز وجل ثم شئت وفي حديث ابي الطفيل انه راى
رجلا من اليهود يقول له نعم القوم انتم لولا قولكم ما شا الله عز وجل وشا
محمد ثم راى رجلا من النصارى فقال له مثل ذلك فاخبر الطفيل بذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقام خطيبا فنهى عن ان يقال ذلك وسوغ ان يقال ما
شا الله عز وجل وحده ثم شا محمد فان قلت لم لم ينه النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذلك قبل ان يقول اليهودي والنصراني هذه المقالة قلت لعلمه
بان من دخل الايمان سويا قلبه لا يعدل برب العزة عز وعلا احدا
ويجعله هو الشائي وحده وان مشيته غيره مخلوقة لا توجد الا
بمشيته واستعمال اللفظ مع سلامة العقيدة غير مضر فلما اطلع على
اعابة الاعدا عليهم وعلم انهم نظروا الى ظاهر اللفظ امر المومنين بان
ينزهوا الفاظهم عما يوهم نقصا من مشية الله عز وجل الثاني ما في
عطف مشية المخلوق على مشية الله عز وجل من ايهام التسوية بين
المشيتين وان الامر الكائن صار وجرى باتين المشيتين وفي هذا
شرك مع انه لا تاثير لمشية المخلوق مع مشية الخالق عز ذكره فاذا ذكرت
ثم افادت ان مشية المخلوق متراخية عن مشية الخالق عز وعلا تراخي
المعلول عن العلة والاثر عن المؤثر والمخلوق عن الخالق وان كانت مشية

المخلوق

المخلوق لها سببية عادية فالشائي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى ومشية
المخلوق متراخية عن مشية الخالق عز وجل في الرتبة اذ هي المشية
القديمة الازلية التي لا يصادمها مصادم لا مانع لما اعطيت ولا معطي
لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وفي الزمن اذ لا افتتاح لمشية
الله عز وجل لانها قديمة ومشية المخلوق لوجودها افتتاح فان قلت
ينبغي ان لا يكون للمخلوق مشية لان الله عز وجل هو الشائي قلت
نعم لكن الله عز وجل قد عزى المشية الى المخلوقين لكن جعلها تابعة
لمشية الله عز وجل فقال فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا ولا يقال ان
نسبة المشية الى المخلوق مجازية بل هي نسبة حقيقية لانها قامت
بالمخلوق الشائي غير انها مخلوقة لله عز وجل وتابعة لمشية الله عز وجل
قال تعالى وما تشاون الا ان يشا الله وفي النهاية الاثيرية المشية
مهموزة الارادة وانما فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين قوله ما شا الله
وشئت وما شا الله عز وجل ثم شئت لان الواو تفيد الجمع دون
الترتيب وثم تجمع وترتب فمع الواو يكون قد جمع بين الله عز وجل
وبينه في المشية وفي ثم يكون قدم مشية الله عز وجل على مشيته
الثالث انه صلى الله عليه وسلم انما نهى عن ذلك لان ذلك موهم ان مشية
الله عز وجل موقوفة على مشية غيره تعالى عن ذلك قال ابو سليمن
الخطابي هو حمد بفتح الحا وسكون الميم وقيل اسمه احمد بن محمد بن
ابرهيم بن الخطاب ابو سليمن البستي المعروف بالخطابي قيل انه من

الخطابي رحمه الله

ولد زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي اخي امير المومنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال الذهبي ولم يثبت كان راسا في علم العربية والفقه والادب
وغير ذلك شافعي المذهب اخذ الفقه عن ابي علي بن ابي هريرة وابي بكر
القفال الشاشي راس الشافعية وغيرهما واخذ اللغة عن ابي عمر
الزاهد وصنف التصانيف الشائعة المشهورة منها معالم السنن
تكلم فيها على سنن ابي داود وله اعلام البخاري وغريب الحديث وشرح
اسماء الله عز وجل الحسنى وكتاب الغنية عن الكلام واهله وكتاب
العزلة وله شعر حسن نقل عنه النووي في التهذيب شيا في اللغة قال
ومحله من العلم مطلقا ومن اللغة خصوصا الغاية العليا توفي ببست
في ربيع الاخر سنة ثمان وثمانين وثلثمية ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب.
في تقديم مشية الله تعالى على مشية من سواه ~~ارشدهم صلى الله عليه وسلم~~
قال ابن عطا الادب الوقوف مع المستحسنات قيل ما معناه قال
ان تعامل الله عز وجل سرا وعلنا بالادب فاذا كنت كذلك كنت اديبا
وان كنت اعجميا ثم انشد

اذا نطقت جات بكل مليحة • وان سكتت جات بكل مليح (من الطويل)

واختارها اي اختارها اي لمشية من سواه فنصب الضمير العائد
اليه على الحذف والايصال على حد قوله عز وجل واختار موسى قومه اي اختار
من قومه بثم اي التعبير والعطف على مشية الله عز وجل بثم التي هي
للنسق اي لعطف النسق وانما اضيف الى النسق احترازا عن
عطف

عطف البيان فانه عطف من غير حرف من حروف العطف المعروفة
والتراخي اي التاخير بخلاف الواو التي هي للاشتراك الواو وثم
يشتركان في كون ما بعدهما مشاركا لما قبلهما في اللفظ والمعنى وان
ما بعدهما مشارك لما قبلها من جهة الاعراب ومن جهة ثبوت الحكم
لكل منهما غير ان الواو مدلولها مطلق الشركة فهي محتملة لتقديم ما
قبلها وما بعدها في الحكم لكن مع الترتيب والتراخي والمهلة وقد خالف
الفرا في افادتها للترتيب والصحيح انها للترتيب مطلقا لكنه في
المفردات معنوي وفي الجمل ذكري نحو قول الشاعر (من الخفيف)

ان من ساد ثم ساد ابوه • ثم قد ساد بعد ذلك جده • واما التراخي
فالمخالف فيه الفرا ايضا مستدلا بقولهم اعجبني ما صنعت اليوم ثم ما
صنعت امس اعجب فثم في ذلك لترتيب الاخبار ولا تراخي بين
الاخبارين ووافقه على ذلك ابن مالك وجعل منه ثم اتينا موسى
الكتاب تماما على الذي احسن قال ابن دقيق العيد في الالمام ولكونها
للترتيب امتنع ان تجاب بها الشرط لان الجزا لا يتراخى عن الشرط
ولذلك ايضا لا تقع في باب التفاعل والافتعال لمنافاة معناها
معناهما قال الراغب والعبارة الجامعة ان يقال ثم انها حرف
عطف يقتضي تاخير ما بعدها عما قبلها اما تاخرا بالذات او بالمرتبة
او بالوضع هذا وان هذا الحديث كما ترى اسنده المصنف من طريق
ابي داود واخرجه ايضا النسائي في اليوم والليلة وابن ابي شيبة في المصنف

يتعلق بالواو وثم
ما قبلها على ما بعدها وتاخيره
وتقديم ما بعدها على ما قبلها
ومعيتها واما ثم فهي ايضا
للتشريك بين ... صح

ثابت ابن قيس

ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم

قال البرهان الحلبي هذا الخطيب لا اعرفه ولا اعرف اسمه وقال بعض حفاظ
العصر انه ثابت بن قيس بن شماس انتهى واقول ثابت هذا يكنى
ابا محمد ويقال ابا عبد الرحمن يقال له خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما يقال لحسان شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قدم وفد تميم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا المفاخرة قام خطيبهم فافتخر
ثم قام ثابت بن قيس فخطب خطبة بليغة جزلة وقام شاعرهم
وهو الاقرع بن حابس فقام حسان فما كان جوابهم الا ان قالوا
خطيبكم اخطب من خطيبنا وشاعركم اشعر من شاعرنا فارتفعت
اصواتهم فانزل الله عز وجل لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية
وقال عطا الخراساني حدثتني ابنة ثابت بن قيس الانصاري الخزرجي قالت
لما نزلت يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم الاية دخل ابوها
بيته واغلق عليه بابه ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه
يساله فاخبره فقال انا رجل شديد الصوت اخاف ان يكون حبط
عملي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير
ثم انزل الله عز وجل ان الله لا يحب كل مختال فخور فاغلق بابه وطفق
يبكي ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فاخبره فقال يا رسول
الله اني احب الجمال واحب ان اسود قومي فقال لست منهم بل
تعيش حميدا وتموت شهيدا وتدخل الجنة قالت فلما كان يوم اليمامة
خرج

ثابت بن قيس

خرج مع خالد بن الوليد رضي الله عنه الى مسيلمة فلما التقوا انكشفوا
ثم ان ثابتا قتل في ذلك اليوم شهيدا وهو الذي نفذت وصيته بعد
الموت رضي الله عنه فان قلت ثابت بن قيس هو من صحابي انصاري
مكرم وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بانه من اهل الجنة وظهرت
معجزة النبي صلى الله عليه وسلم في كونه عاش حميدا ومات شهيدا وله
كرامات ومناقب فما بال النبي صلى الله عليه وسلم ذمه بقوله بئس خطيب
القوم انت قلت يجاب عن ذلك بما شارط عليه النبي صلى الله عليه وسلم
ربه ففي صحيح مسلم بسنده الى عائشة رضي الله عنها قالت دخل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان فكلماه بشي لا ادري ما هو فاغضباه
فلعنهما وسبهما فلما خرجا قلت يا رسول الله لمن اصاب من الخير
شيا ما اصابه هذا قال وما ذاك قلت لعنتهما وسببتهما قال
او ما علمت ما شارطت عليه ربي عز وجل قلت اللهم انما انا بشر فاي
المسلمين لعنته او سببته فاجعلها له زكاة واجرا وفي رواية او جلدته
وزاد فيها ورحمة وفي رواية لمسلم من رواية ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه
فانما انا بشر فاي المومنين اذيته شتمته لعنته جلدته فاجعلها له
صلوة وزكوة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فاجعل
ذلك كفارة له يوم القيمة والحاصل ان هذه المسبة الصادرة من النبي
صلى الله عليه وسلم في شان ثابت من مناقبه الرفيعة ومآثره رضي الله عنه

فقال من يطع الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد رشد في القاموس
رشد كنصر وفرح رُشْدا اي على وزن قُفْل ورَشَدا اي على وزن عَمَل
اهتدى كاسترشد ثم قال والرشد الاستقامة على طريق الحق
مع تصلب فيه **ومن يعصهما فقد غوى** في النهاية الاثيرية يقال غوى
يغوى اي من باب ضرب يضرب غيا وغواية فهو غاو اي ضل والغي
الضلال والانهماك في الباطل ومنه حديث الاسراء لو اخذت الخمر
غوت أمتك اي ضلت **فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب
القوم انت** في الترتيب للهروي بئس حرف مستوف لجميع الذم كما ان
نعم مستوف لجميع المدح **قم** ولعله كان يخطب قاعدا ولعل الخطبة
لم تكن من الخطب المشروعة كخطبة الجمعة فان القيام فيها فرض لابد
منه الا من عاجز عنه ولعلها كانت خطبة نصيحة او خطبة
مفاخرة على سنن العرب او خطبة لا يجب فيها القيام من الخطب
المشروعة كخطبة العيد والكسوفين **او قال اذهب** وقد روى
ابو داود قم اذهب بئس الخطيب انت واختلاف الفاظ الرواة
اذا توافق المعنى لا يضر وان لم تكن القصة متعددة **قال ابو سليمن**
اي الخطابي صاحب معالم السنن **كره** اي النبي صلى الله عليه وسلم **منه** اي
من ذلك الخطيب **الجمع بين الاسمين بحرف الكناية** هذه الكراهة كراهة
تنزيه والذي فهمناه من كلام الغزالي انها كراهة تحريم كما قررنا وليس
مراده بالحرف المصطلح عليه عند النحاة لانه يريد بحرف الكناية ضميرا
مخصوصا

مخصوصا ولا شيء من الضمير بحرف نحوي وانما هو اسم كما لا يخفى فان قلت
فما وجه اطلاقه الحرف على الاسم قلت الاعتماد على اللغة ففي حواشي
العماد في المنطق ان اطلاقه عليه بحسب اللغة وارد في كلام العلماء
كذا قيل واقول ان مطمح نظر المتقدمين في اطلاق الكلمات على
معانيها فكل ما وجد فيه معنى الحرف اطلقوا عليه لفظ الحرف وهذا
اصطلاح منطقي فان المناطقة يسمون الضمائر ادوات وهي بمعنى
الحروف النحوية ولا شك ان معانيها لا تفهم منها الا بضمها الى غيرها
وكذلك اسماء الاشارة فاطلق عليها الحرف لذلك وكذلك اطلاق
الهروي على بئس انها حرف مستوف لجميع الذم فمراده ان معنى
بئس معنى الحرف لافتقاره في فهم معناها الى ضميمة لان النسبة
التي تشتمل كلمة بئس عليها تدل على معنى في غيرها وليس في كلمة بئس
حدث حتى يدل على معنى في نفسه كيف وانها تجردت عن الحدث
ولهذا قيل انها اسم فلم يبق فيها الا النسبة وهي من المعاني الحرفية
ويدل على ذلك انهم قالوا ان دلالة الفعل على معنى في نفسه انما هو
باعتبار معناه التضمني والا فباعتبار معناه المطابقي لا فرق
بينه وبين الحرف والمراد من الكناية الضمير والكوفيون يسمونه
كناية والبصريون يسمونه ضميرا **لما فيه من التسوية** اي من التسوية
المخصوصة المنافية لرعاية الادب فوق ما في الجمع بين اسمه تعالى
واسم غيره بالواو من التسوية المنافية لها ايضا الا فيما سوغه

الشارع من الجمع بين اسمه تعالى واسمه صلى الله عليه وسلم تعظيما له صلى
الله عليه وسلم بدليل ما ورد انه صلى الله عليه وسلم قال للخطيب قل ومن
يعص الله ورسوله لما في مثل هذا الجمع من نوع تعظيم لله عز وجل
بواسطة مجرد التقديم اللفظي هكذا ينبغي ان يفهم هذا المقام والا فنوع
التسوية دون شخصها المذكور لا ينافي الادب مطلقا والا لكان في نحو
ومن يومن بالله ورسوله سوء ادب كما قيل واقول يظهر لي ان النبي
صلى الله عليه وسلم وقع منه النهي عن التسوية بحرف النسق المقتضي لمطلق
التشريك وهو الواو ووقع انه قال لهذا الخطيب قل ومن يعص الله
ورسوله ونهاه عن ان يدرجهما في ضمير واحد راجع اليهما معا وحديث
المشية يشعر بالمنع بالتسوية بالواو والسبب في ذلك ان شان
المشية لو وقعت المساواة فيها بين الله عز وجل وبين مخلوق لاوهم
الشرك وان ما هو كائن انما كان بكلا المشيتين مع انه لم يقع الا بمشية
الله عز وجل وحده لا شريك له ومشية الله عز وجل هي التي اوجدت
مشية العبد فنهى فيها عن المساواة بالكلية حرصا على المومن
من ان يداخله نوع شرك واما حديث المعصية فانه لا يوهم ذلك كما لا
يخفى وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول
ابي سليمن اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما
فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما فان قلت قد وقعت هذه التثنية
في قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه
مما

سواهما قلت الحق ان هذه التثنية لا باس بها واما حديث الخطيب
فليس من هذا كما توهم الخطابي واعتمده المصنف لان المراد في الخطب
الايضاح ولا ينبغي التعبير بالضمير المقتضي للخفا في الجملة واما في
حديث الايمان فالمراد الايجاز في اللفظ ليحفظ ويدل عليه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال في موضع اخر ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه
وقد اعترض عليه بان هذا الحديث ورد في خطبة النكاح اخرجه
ابو داود من طريق ابن مسعود رضي الله عنه واجيب بان المقصود
في خطبة النكاح ايضا الايجاز وقال بعضهم ان كلام الخطابي هو
الصحيح وان ما وقع من النبي صلى الله عليه وسلم لا يمنع منه لان غيره اذا
جمع اوهم اطلاقه التسوية بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فان منصبه
الشريف لا يتطرق اليه ايهام ذلك والى هذا مال ابن عبد السلام
وقيل ايضا ان قصة الخطيب ليس فيها صيغة عموم بل هي واقعة
عين فيحتمل ان يكون في ذلك المجلس من يخشى عليه توهم التسوية
ومن محاسن الاجوبة في الجمع بين حديث الايمان وقصة
الخطيب ان تثنية الضمير في حديث الايمان للايما الى ان المعتبر
هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فانها وحدها
لاغية اذا لم ترتبط بالاخرى فمن يدعي حب الله عز وجل مثلا ولا
يحب رسوله صلى الله عليه وسلم لا ينفعه ذلك واما امر الخطيب
بالافراد فلان كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام

من خصائصه كان الابد في
دعوى الاختصاص من دليل
والظاهر انه صلى الله عليه وسلم

الغوايد اذ العطف في تقدير التكرير والاصل استقلال كل من المعطوفين
في الحكم ويشير اليه قوله عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم فاعاد اطيعوا في الرسول ولم يعده في اولي الامر لانهم لا
استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول قيل ان الحق ان مقام
خطبته صلى الله عليه وسلم والمقام الذي ورد فيه مثل حديث من كان
الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم احب اليه مما سواهما سيان
في انهما اجل واعلى من ان لا يكون فيهما الايضاح ولا التجنب فيهما
الرموز والاشارات كيف وان فيهما تبليغ ما يحتاج الناس اليه في
امر المعاش والمعاد مع ان مرجع ضميري ومن يعصهما ومما سواهما
لم يبعدا بعدا خارجا عن المعتاد ليوجبا ببعدهما خفا المعنى المفاد واقول
لا نسلم المساواة بين المقامين فان قول النبي صلى الله عليه وسلم مما سواهما
كان في مجلس المخاطبة وكان الحاضرون يتمكنون من فهم مرجع الضمير
لو خفي عليهم بان يقولوا الى ماذا يعود ضمير سواهما واما مجلس
الخطبة فانه مجلس عموم وفيه من يقرب من الخطيب ومن يبعد
ومن يسمع كل الفاظ الخطيب ومن يسمع بعضها وكان الاسلام
اذ ذاك دينا متجددا والناس حديثوا عهد بالشرك لاسيما في اخر
عمر نبينا صلى الله عليه وسلم فان الوفود اذ ذاك كثروا عليه وكان
ياتيه اعراب غلاظ بعيد والفهم فوجب ان يوضح خطيب
هولاء القوم غاية الايضاح مخافة التباس الحق بالباطل بخلاف

المجلس

المجلس الذي قيل فيه مما سواهما فانه مجلس تعليم على اسلوب الدرس
الذي يجري بيننا الان فالمدرس له ان يغمض والطالب له ان
يستوضح ان خفي عليه شي وقول من قال ان كراهة النبي صلى الله عليه وسلم
انما كانت لانه وقف على قوله ومن يعصهما فاوهم انه معطوف على
الضمير المستكن في رشد فيوهم ان من يعصيهما راشدا يحتاج
مرجوح وقد رجح المصنف قول الخطابي على هذا القول بان في
الحديث ومن يعصهما فقد غوى وليس فيه ذكر الوقوف على يعصهما
ولو وقف عليه لبينه قيل انما لم يجعل المصنف هذا دليلا على فساد
هذا المذهب لاحتمال ان يكون هناك وقوف قليل لم يشر اليه الراوي
ويحتمل ان تكون القصة متعددة واقول الاصل انه لا وقوف
هناك وهذا الاحتمال مع كون المتكلم وصل الشرط بالجزاء بعيد بل
غير محتمل وعدم الوقوف مقطوع به ولكن يظهر لي ان سبب عدم جعل
المصنف لهذا المذهب فاسدا انه يحتمل ان يريد قائل هذا الكلام
اعني قوله كره الوقوف على يعصهما اي كره ان يتوهم بعض السامعين
للخطبة انه وقف على يعصهما وانه جعل من موصولة بمعصية لم تتضمن
معنى الشرط وانه لم يصل الى سمعه قوله فقد غوى ويحتمل انه يكون
عرض للخطيب سعلة او عي فوقف على يعصهما وقفة يعلم انها
ليست بوقفة ولكن قد يظن بعض السامعين انه لم يقف الا
لارادة الوقف لا للتنفس والعي وان عدم ذكر الراوي الوقوف

على بعضها لا يلزم منه ان لا يكون وقف فالراوي لم يذكر الوقف الحقيقي
ويجوز ان يكون وقف وقفا لا يعد وقفا كالوقف الذي
للتنفس والعي فان ذلك لا يمنع الوصل فان قيل كون هذا
القول ضعيفا لا يدل على قوة قول ابي سليمن قلنا لما لم يقع في قول
ابي سليمن خدش ولا انتقاد وهذا القول انتقد بما ذكر كان
قول ابي سليمن ارجح فان قلت يمنع كراهية الوقوف عليه بمعنى
فصله عما بعده بسكتة ولو كان لغير ضرورة من عي او نحوه لجواز
انه وقف لينتظر السامع جزاء الشرط فاذا اورده لم كان ذلك
اوقع في نفسه بل لو وقف عليه وترك الجزاء لفظا لم يكن مكروها
فقد ورد في القران المبين مثل قوله عز وجل ولو ان قرانا سيرت
الجبال الاية اي لكفروا بدليل قوله وهم يكفرون بالرحمن الاية وفي
الكلام السابق في هذا المقام قرينة على انه اراد فقد غوى لانه اذا
رشد المطيع فقد غوى العاصي قلت الاتيان بالشرط وحذف
الجزاء مشروط بقيام القرينة وعدم التباس المعنى ويكون في مقام
البلاغة والمطابقة لمقتضى الحال وههنا مقتضى الحال الايضاح
لان ذلك المجلس كان مشحونا بالاعراب وبمن يكون بعيد التامل فكيف
يوتى بشرط بدون جزاء وجواز ذلك في القران المامور بالتدبر فيه والتفكر
في معانيه لا يوجب ان يكون لائقا في غيره واختلف المفسرون   قدمه
اي الناقلون لتفسير القران عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وهو تفعيل

من الفسر

كذا

من الفسر وهو البيان تقول فسرت الشيء افسره فسرا اذا بينته
وفسرته بالتشديد افسره تفسيرا اذا بينته واصل الفسر نظر
الطبيب الى الماء ليعرف العلة وقيل من فسرت الفرس اذا ركبتها
محصورة لينطلق حصرها وقيل هو مقلوب من سفر كجذب وجبذ
تقول سفر اذا كشف عن وجهه ومنه اسفر الصبح اذا اضاء
واختلف في التفسير والتاويل فقال ابو عبيد وطائفة هما بمعنى
وقيل التفسير بيان المراد باللفظ والتاويل بيان المراد بالمعنى وقيل
وقيل في الفرق بينهما غير ذلك واصحاب المعاني اي الذين تكلموا على   الفرق بين التفسير والتاويل
معاني القران بحسب ما ظهر لهم على طريق القواعد العلمية واستنبطوا
منه مسائل مهمة كالزجاج وابن عطية وابي اسحق الاسفرايني
والقفال الشاشي والمفسرون هم الناقلون لما ورد في التفسير
عن النبي صلى الله عليه وسلم كمقاتل وابن عباس والسدي واصحاب
المعاني الذين تصرفوا في معاني القران وقد وقع من المفسرين ان كل
واحد مشى في تفسيره في العلم الذي غلب عليه فالنحوي شحن تفسيره
بالقواعد النحوية كالبحر والنهر لابي حيان اذ غلب عليه علم النحو
والفقيه تكلم على المسائل الفقهية كالقرطبي والماهر في علم
البلاغة شحن تفسيره بقواعد علمي البلاغة والرازي اطنب في
المسائل الكلامية في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
هل يصلون راجعة على الله عز وجل والملائكة ام لا ام المتصلة لا

تكون معادلة لهل لان هل من ادوات الاستفهام ليس لها معادل
الا اذا جعلت بمعنى الهمزة ولا يستقيم ان تكون ام منقطعة فينبغي ان هنا ء
تكون هل بمعنى الهمزة على حد قول النبي صلى الله عليه وسلم لجابر هل تزوجت
بكرا ام ثيبا فاجازه اي عود الضمير الى الله عز وجل وملائكته قوم ولا يضر
لزوم الجمع بين الله عز وجل وملائكته في ضمير واحد لان من منع هذا الجمع
انما يمنعه في كلام صدر من عبد من عباد الله عز وجل واما رب العزة تعالى
فله ان يجمع ويخص به من يشاء من عباده متى شاء تعظيما منه تعالى لذلك
المخلوق الذي ادرجه معه في مرجع الضمير ومنعه اخرون لعلة التشريك
اي بين الله عز وجل وملائكته بضمير واحد يرجع اليهما والحاصل انه على
قراءة من نصب ملائكته عطفا على اسم ان يكون يصلون خبرا عن ان
باعتبار المعطوف عليه والمعطوف وهو جائز بحسب القواعد النحوية
لكن منعه من جعله خبرا عنهما لزوم الادب في التشريك بين الله سوء ح
وملائكته بضمير واحد فلزمنا تخصيصا من سوء الادب ان نفرد الله
عز وجل بضمير يرجع اليه وحده ونجعل للملائكة ضميرا هو الضمير
المذكور وهذا كما افرد ربنا عز وجل نفسه الكريمة بضمير يرجع اليه
على حدة والملائكة بضمير اخر في قوله عز وجل هو الذي يصلي عليكم
وملائكته واما على قراءة ملائكته بالرفع فيتعين ان يكون
يصلون المذكور خبرا عن ملائكته فقط واما خبر ان التي اسمها الله
فهو محذوف لدلالة الثاني عليه لان يصلون على هذا التقدير لا

يصلح

وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلي وملائكته يصلون
منه
اغفله الش ح

يصلح ان يكون خبرا عنهما ولا يصلح ان يكون خبرا عن ان التي اسمها الله لانه
مفرد والضمير المذكور ضمير جمع فتعين ان يكون خبر ان محذوفا
والحذف من الاول حينئذ متعين وقول التجاني ان التقدير المذكور
لا يسوغ بوجه فانه يكون من قبيل الاستدلال بالثاني على الاول وهو
ضعيف وانما القوي عكسه وصون الكتاب عن الوجوه الضعيفة
اوجب مردود لان الحذف من الاول لدلالة الثاني جائز قوي يجوز تخريج
القران عليه ليس شاذا ولا نادرا نعم الحذف من الثاني لدلالة الاول
اولى ولا يلزم من كونه اولى ضعف مقابله ولا منع تخريج القران عليه
فقد جوزوا الوجهين في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان ترضوه
لكن كونه احق خبرا عن الله اولى وخبر رسوله محذوف مع كون العكس
جائزا جوازا معتدا به فصيحا لا يعتريه الضعف الذي يمنع تخريج
القران عليه فان قلت قد جعل المصنف علة من منع التشريك بين الله
عز وجل وملائكته لزوم سوء الادب واوجبوا بناء على هذا المنع
تقدير خبر لان مع ان لفظ الصلوة في هذا المقام مشترك بين معنيين
وضع لكل منهما وضعا شرعيا ومعناها ان اسندت الى الله عز وجل
الرحمة لنبيه صلى الله عليه وسلم وان اسندت الى الملائكة فمعناها
الاستغفار فتكون مشتركة اشتراكا لفظيا بين هذين المعنيين
واذا اسندت الى الله عز وجل والى الملائكة في ضمير واحد يلزم
استعمال المشترك في كلا معنييه فلم لا يجوز ان يكون المجوز للجمع في

ضمير واحد يلزم استعمال ممن يجوز استعمال المشترك في كلا
معنييه والمانع ممن يمنع استعماله في كلا معنييه قلت لعل المصنف
وقف على سبب وجوب التقدير وانه الحذر من تشريك الله عز وجل
وملائكته في ضمير ولهذا جزم بان العلة ذلك ولم يات بما يقتضي
عدم الجزم والمصنف لم يقف على مجرد المنع بدون العلة بل وقف
على هذا المنع وعلى ان علته التشريك فلم يبق لاحتمال ان يكون المنع
للزوم ارادة معنى المشترك مجال هذا وقد استدل بهذه الاية
من قال بجواز اعمال المشترك في جميع مفهوماته الغير المتضادة
وهو مذهب امامنا الشافعي رضي الله عنه وابي علي الجبائي
والقاضيين الحسين وابي بكر الباقلاني ومنع من ذلك ابو هاشم
المعتزلي والكرخي والبصري ابو الحسن وامام الحرمين من الشافعية
وهو المعز والى ابي حنيفة رضي الله عنه ومحل الخلاف فيما اذا اطلق
المشترك اطلاقا واحدا ويراد به كل واحد من معنييه كما يقال المولى
يستحق ان ينعم عليه ويراد به المعتق والمعتق وهذا هو محل
الخلاف اما اذا اريد به كل واحد على سبيل البدل والفرق بينهما ان
الحكم في الاول مسند الى كل واحد وفي هذا الى واحد مبهم غير معين او اريد
به ان يطلق اطلاقا واحدا ويراد به مجموع معانيه من حيث المجموع او اريد
به مسمى اللفظ وما لا يتجاوز عنه كما يراد بالعين مسمى العين او يراد
بالقرء ما لا يتجاوز الطهر والحيض فلا كلام في صحة هذه الثلاث ثم

اما جواب قولهم المشترك

المشترك اما ان يمكن الجمع بين معنييه بان يمكن ارادتهما في اطلاق
واحد او لم يمكن فان لم يمكن فلا يجوز ارادتهما وهو ظاهر وان امكن
الجمع فان لم يكونا متضادين فلا كلام في جوازه كما يقال يعجب زيدا
العين ويراد به الجارية والذهب وان كانا متضادين فان لم يمكن
ارادتهما في وقت واحد كما يقال اقرات هند وقت كذا ويراد
الطهر والحيض وهذا المحل جون في وقت كذا فلا يجوز ان يراد
السواد والبياض في ذلك الوقت فهذا القسم مما لا يجوز عقلا ولا نقلا
وان امكن ارادتهما في وقت كما يقال رايت الجون والعين جسم والعدة
اقراء او يكون المحكوم بالمشترك متعددا نحو ان الله وملائكته يصلون
على النبي فيجوز اتفاقا اذا عرفت ذلك فهذه الاية ليست من قبيل
المتنازع فيه بل يجوز عود الضمير الى الله عز وجل وملائكته من هذه
الحيثية ووجوب التقدير انما هو لخوف سوء الادب الحاصل من
تشريك الله عز وجل ومخلوقاته في ضمير واحد على ان المانعين اجابوا
عن الاستدلال بهذه الاية على جواز اعمال المشترك في معنييه فقالوا
انه يجوز ان يكون الصلوة مستعملا في القدر المشترك بين الرحمة
والاستغفار وهو الاعتناء باظهار شرفه كما صرح به الغزالي في
المستصفى وقد اعترض المستدلون بهذه الاية على هذا الجواب
فقالوا اطلاق الصلوة على الاعتناء مجاز وحسنه في الحقيقة والمجاز
خلاف الاصل قالوا وكذا حملكم اياه على المجموع مجاز فلم رجحتم احد

المجازين على الاخرى لانا نقول ليس الحمل في هذا على المجموع بل على كل واحد
واحد وهو حقيقة والحقيقة اولى من المجاز على ان في تقدير ان الله يصلي
وملائكته يصلون اضمارا والاضمار خلاف الاصل وقد رد صدر الشريعة
من الحنفية جواز ذلك في صورة تعدد الضمائر ايضا وجعل هذه الاية من
قبيل المتنازع فيه ايضا ثم قال والجواب الصحيح لنا ان الاية لم يوجد
فيها استعمال المشترك في اكثر من معنى واحد لان سياق الاية لايجاب
اقتداء المومنين بالله وملائكته في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فلا بد
من ايجاد معنى الصلوة من الجميع لانه لو قيل ان الله عز وجل يرحم النبي صلى الله
عليه وسلم والملائكة يستغفرون له يا ايها الذين امنوا ادعوا له لكان
هذا الكلام في غاية الركاكة فعلم انه لا بد من ايجاد معنى الصلوة سواء كان
معنى حقيقيا او معنى مجازيا اما الحقيقي فهو الدعاء ثم قال فالمراد والله
اعلم انه يدعو ذاته بايصال الخير للنبي صلى الله عليه وسلم ثم من لوازم هذا
الدعاء الرحمة فالذي قال ان الصلوة من الله عز وجل الرحمة اراد هذا
المعنى لا ان الصلوة وضع للرحمة قال السعد التفتازاني في تلويحه وفيه
نظر لان ركاكة الكلام وعدم ايجاب الاقتداء عند اختلاف معاني الافعال
المذكورة انما يلزم اذا لم يكن بينهما امر مشترك هو المقصود بالايجاب
للقطع بانه لا ركاكة في مثل قولنا ان السلطان قد اطلق زيدا والامير
قد خلع عليه فاخدموه وعظموه ايها الرعايا وكذا المراد ههنا ان الله
عز وجل يرحم النبي صلى الله عليه وسلم ويوصل اليه من الخير ما يليق بعظمته

وكبريائه

وكبريائه والملائكة يعظمونه بما في وسعهم فانتم ايها المومنون بما يليق
بحالكم من الدعاء له والثناء عليه لكان كلاما حسنا انتهى وقد بينا لك
ان المتعدد لا يدخل في صورة النزاع والضمير المذكور متعدد ومن
المتعدد التثنية والجمع لانهما في حكم تعدد الالفاظ وهو مفرع
على جواز تثنية المشترك وجمعه باعتبار معنييه او معانيه
وقد منعه اكثر النحاة كما حكاه ابن الحاجب في شرح المفصل واختاره
ورجح ابن مالك الجواز مطلقا كما في حديث الايدي ثلاث وحديث
ما لنا الا الاسودان واستعمل الحريري ذلك في المقامات في قوله
فانثنى بلا عينين يريد الباصرة والذهب وفصل ابن عصفور بين
ان يتفقا في معنى التسمية نحو الاحمرين الذهب والزعفران او لا فلا
كالعين للباصرة والذهب والجاري ما فيه وقد مال القاضي البيضاوي
الى تفسير الصلوة بالقدر المشترك فيكون على هذا صلوة الله عز وجل والملائكة
والمومنين من قبيل الكلي المتواطئ على افراده ولا يكون من قبيل المشترك
اللفظي فقال والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح
امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلا وقيل الترحم والانعطاف
المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي
هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمومنين ترحم
عليهم وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ومشى على
ذلك في منهاج الاصولي وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من

فضيلتك عند الله عز وجل ان جعل اي جعله طاعتك طاعته
فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله اي لانه مبلغ والله عز وجل
آمر وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اطاعني فقد اطاع الله عز وجل ومن عصاني فقد عصى الله
عز وجل ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني
وفي رواية من اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني
ان قلت ان هذا كلام سبق من المصنف آنفا في قوله ومن ذكره معه
ان قرن طاعته بطاعته قلت هذا ليس تكرارا لانه هناك ذكره في
كون الله عز وجل رفع ذكره وهنا ذكره في ان الله عز وجل قد عظم
مع تأدب النبي صلى الله عليه وسلم مع ربه عز وعلا فجعل طاعته نفس
طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى ان كنتم
تحبون الله قال البيضاوي المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك
فيه بحيث تحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي
ليس الا الله عز وجل وان ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من
الله وبالله والى الله عز وجل لم يكن حبه الا الله عز وجل وفي الله عز وجل
وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت
المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته
والحرص على مطاوعته انتهى وهذه المحبة محبة العامة لله عز وجل
وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى انواع المحبة في دعائه كما رواه عنه

العرباض

العرباض بن سارية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اجعل
حبك احب اليّ من نفسي وسمعي وبصري واهلي ومالي ومن الماء
البارد فكانه صلى الله عليه وسلم طلب خالص الحب وهو ان يحب الله
عز وجل بكليته والحب حبان حب عام وحب خاص فالحب العام
مفسر بامتثال الاوامر وربما كان حبا بالآلاء والنعماء وقد ذكر بعض
الصوفية الحب في المقامات فالمراد هنا الحب العام الذي يكون
لكسب العبد فيه مدخل واما الحب الخاص فهو حب الذات عن
مطالعة الروح وهو الحب الذي فيه السكرات وهو الاصطناع من
الله الكريم لعبده واصطفاؤه اياه وهذا الحب يكون من الاحوال
لانه محض موهبة ليس للكسب فيه مدخل وهو مفهوم من قول النبي
صلى الله عليه وسلم احب الي من الماء البارد لانه كلام عن وجدان روح
تلتذ بحب الذات وهذا الحب روح والحب الذي يظهر من مطالعات
الصفات ويطلع من مطالع الايمان قالب لهذا الروح ولما صحت
محبتهم هذه اخبر الله عز وجل عنهم بقوله اذلة على المؤمنين لان المحب
بذل لمحبوبه ولمحبوب محبوبه وينشد

من الطويل

لعين تفدى الف عين وتتقى • وتكرم الف للحبيب المكرم

فاتبعوني في الايمان الذي جئت به في العقائد والسنة التي امرتكم
بها فان اتباع النبي صلى الله عليه وسلم موجب للسعادة وقد قال
ابن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا

سبيل الله عز وجل ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل
على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرا وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية وهذه الاية نزلت في وفد نجران
اذ زعموا ان ما ادعوه في عيسى عليه السلام حب لله عز وجل وقال الحسن
نزلت في قوم من اهل الكتاب قالوا نحن الذين نحب ربنا عز وجل
وروي ان ناسا من المسلمين قالوا يا رسول الله والله انا لنحب ربنا
عز وجل فانزل الله عز وجل هذه الاية وقوله **يحببكم الله الا بين** قال
القاضي البيضاوي جواب الامر اي يرضى عنكم ويكشف عن قلوبكم
بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر
عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة وفي القرطبي محبة الله عز وجل
للعباد انعامه عليهم بالغفران قال الله تعالى ان الله لا يحب الكافرين اي
لا يغفر لهم قال سهل بن عبد الله التستري علامة حب الله عز وجل
حب القران وعلامة حب القران حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة
حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب الله عز وجل وحب
القران وحب السنة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة ان تحب نفسه
وعلامة حب نفسه ان يبغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ
منها الا الزاد والبلغة وروى ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قال على
البر والتقوى والتواضع وذلة النفس خرجه ابو عبد الله الترمذي الحكيم

وروى

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يحبه الله عز وجل فعليه
بصدق الحديث واداء الامانة وان لا يوذي جاره وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
سبحانه اذا احب عبدا دعا جبريل عليه السلام فقال اني احب فلانا
فاحبه قال فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادي في السما فيقول ان الله
عز وجل يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما قال ثم يوضع له القبول في
الارض واذا ابغض الله عز وجل عبدا والعياذ بالله عز وجل دعا
جبريل فقال اني ابغض فلانا فابغضه قال فيبغضه جبريل عليه
السلام ثم ينادي في السما ان الله عز وجل يبغض فلانا فابغضوه
قال فيبغضونه ثم توضع له البغضا في الارض ثم ان الله عز وجل
وعد من يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمغفرة والمراد اتباعه
في التوحيد وتصديقه في كل ما جاء به بدليل قوله عز وجل ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقال ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه والمراد بها الشرك بدليل انه قرى ان تجتنبوا
كبير ما تنهون عنه والمراد به الشرك وقال ابو داود السجستاني
سمعت احمد بن حنبل رضي الله عنه يقول المسلمون كلهم في الجنة فقلت
له وكيف ذلك قال يقول الله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سياتكم وندخلكم مدخلا كريما يعني الجنة وقال النبي صلى
الله عليه وسلم ادخرت شفاعتي لاهل الكباير من امتي فاذا كان الله عز

وجل يغفر ما دون الكبائر والرسول صلى الله عليه وسلم يشفع في الكبائر فاي
ذنب يبقى على المسلمين اللهم اجعل موتنا على اتباعه والايمان به والتصديق
صلى الله عليه وسلم برحمتك وانت ارحم الراحمين وروي انه لما نزلت
هذه الاية قالوا اي قال بعض المنافقين وهو عبد الله بن ابي ابن سلول
ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا الحنان الرحمة ومنه قوله عز وجل وحنانا
من لدنا ذكر عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية قال ما ادري
ما الحنان وقال ابن الاثير الحنان هو العطف والحنان الرزق والبركة
وقال ابن عبد السلام في قوله عز وجل وحنانا من لدنا اي رحمة
وتعطفا منا عليه او محبة وحنة الرجل امراته لتوادهما واصله
من حنين الناقة على ولدها ويقال حنانك وحنانيك قيل هما لغتان
بمعنى واحد وقيل حنانيك تثنية حنان قال ابو عبيد والعرب
تقول حنانك وحنانيك يا رب بمعنى واحد تريد رحمتك وانشد
امرء القيس   ويمنحها سواسح بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان ۞   [من الوافر]
وقال طرفة   ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض ۞   [من الطويل]
وانشد سيبويه   وقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف ۞   [منه ايضا]
وقال ابن عطية الحنان ايضا في كلام العرب ما عظم من الامور في
ذات الله عز وجل ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل في حديث بلال
رضي الله عنه والله لئن قتلتم هذا العبد لاتخذن قبره حنانا وذكر
هذا الخبر الجوهري ومر على بلال رضي الله عنه ورقة بن نوفل فقال والله

لئن

لئن قتلتموه لاتخذن قبره حنانا اي لاتمسحن به وقال الازهري
معناه لاتعطفن عليه ولاترحمن عليه لانه من اهل الجنة قيل ان
ان في هذا الحديث نظرا من حيث ان بلالا ما عذب الا بعد ان اسلم
وورقة ما مات الا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم واقول اما
بلال فانه رضي الله عنه من قدماء المسلمين وهو من اول من اظهر
الاسلام واما ما رواه الجوهري من خبر زيد بن عمرو بن نفيل فهو مردود
لان زيدا مات قبل المبعث فروى محمد بن سعد من حديث عامر بن
ربيعة قال قال لي زيد بن عمرو اني خالفت قومي واتبعت ملة
ابرهيم عليه السلام واسمعيل وما كانا يعبدان وكانا يصليان الى
هذه القبلة وانا انتظر نبيا من بني اسمعيل يبعث ولا اراني ادركه
وانا اومن به واصدقه واشهد انه نبي وان طالت بك حياة فاقره
مني السلام قال عامر فلما اسلمت اعلمت النبي صلى الله عليه وسلم بخبره
فرد عليه السلام وترحم عليه وقال لقد رايته في الجنة يسحب
ذيولا وفي مسند البزار والطبراني من حديث سعيد بن زيد المذكور
وهو احد العشرة المبشرة بالجنة قال خرج زيد بن عمرو وورقة
ابن نوفل يطلبان الدين حتى اتيا الشام فتنصر ورقة وامتنع
زيد فاتى الموصل فلقي راهبا فعرض عليه النصرانية فامتنع وفيه
قال سعيد بن زيد فسالت انا وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
زيد فقال غفر الله عز وجل له ورحمه فانه مات على دين ابرهيم عليه السلام

وروى الزبير بن بكار من طريق هشام بن عروة قال بلغنا ان زيدا كان
بالشام فبلغه مخرج النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل يريده فقتل بميفعة
من ارض البلقا وقال ابن اسحق لما توسط بلاد لخم قتلوه وقيل
انه مات قبل المبعث بخمس سنين عند بنا قريش الكعبة فهذا يدل على
انه لم يدرك اسلام بلال رضي الله عنه وان بلالا لم يعذب الا بعد ان
اسلم واما حديث ورقة فقد ذكره ابن اسحق في السيرة لكن في
صحيح البخاري انه ادرك نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وانه
اتت خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي عليه اليه فقال له هذا
الناموس الذي انزل الله عز وجل على موسى عليه السلام ياليتني فيها
جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
او مخرجي هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي
وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي
وفتر الوحي ومعنى قوله لم ينشب ورقة ان توفي اي لم يتعلق بشي
من الاشيا حتى مات ومقتضي اتصال موته بنزول الوحي ولا يقال
انه مات قبل المبعث بل مات بعده الا انه مات قبل ان يسلم احد من
الناس هنا ما يقتضيه قوله ثم لم ينشب ورقة ان توفي فكان
ظاهرها في الصحيح مخالفا لما في السيرة الاسعى فيه قال شيخ الاسلام
الشهاب بن حجر العسقلاني فان تمسكنا بالترجيح فما في الصحيح
اصح وان لحظنا الجمع امكن ان يقال الواو في قوله وفتر الوحي ليست

للترتيب فلعل الراوي لم يحفظ لورقة ذكرا بعد ذلك في امر من الامور
فجعل هذه القصة انتهاء امره بالنسبة الى علمه لا الى ما هو الواقع وبالجملة
فالظاهر ان قصة ورقة صحيحة واما قصة زيد فليست صحيحة
كما اطرت النصارى عيسى عليه السلام فانهم اتخذوه ابنا لله واتفقت
كلمتهم على قولهم انه ابن الله بكر الخلائق كلها وانه ليس بمصنوع اله حق
من جوهر ابيه الذي بيده اتقنت العوالم وانه نزل من السما وتجسد
من روح القدس وولد من مريم البتول وصلب ايام فيلاطوس
ودفن ثم قام في اليوم الثالث وصعد الى السما وجلس عن يمين ابيه
وهو مستعد للمجي تارة اخرى الى غير ذلك هذا قول الملكانية من
النصارى والنسطورية منهم قالوا بالاقانيم الثلاثة واليعقوبية
منهم قالوا ايضا بالاقانيم الثلاثة الا انهم قالوا الكلمة انقلبت
لحما ودما فصار الاله هو المسيح ثم انهم نسبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
ما نسبوا وكذبوا كيف وهو القايل لا تطروني كما اطرت النصارى
ابن مريم وقال في مرض موته صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود
والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا
والاطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه وعن انس ان رجلا
قال يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم
الشيطان انا محمد بن عبد الله ورسوله والله ما احب ان ترفعوني

فوق منزلتي التي انزلني الله عز وجل وعن قتادة قال سمعت مطرف
ابن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال انت سيد قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
السيد هو الله عز وجل فقال اعظمها فيها طولا واعلاها فيها قولا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم
الشيطان روى هذين الحديثين صاحب الوفا **فنزل قوله عز وجل**
قل اطيعوا الله والرسول فقرنها عنتر بطاعته رغما لهم
يقال رغم يرغم ورغم يرغم رغما على زنة ادب وارغما ورغما وارغم
الله انفه اي الصقه بالرغام وهو التراب هذا هو الاصل ثم
استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كره
وفي الحديث يخرج منه الرغم اي حتى يظهر ذله وخضوعه وفي
الحديث ايضا وان رغم انف ابي ذر راي وان ذا وقيل وان كان **وقد**
اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب التي هي
سورة الفاتحة وفي تسميتها ام الكتاب خلاف فقد جوزه الجمهور وكرهه
انس والحسن وابن سيرين قال الحسن ام الكتاب الحلال والحرام
قال تعالى ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات وقال انس
وابن سيرين ام الكتاب اسم اللوح المحفوظ قال تعالى وانه في ام الكتاب
وايضا اختلف في تسميتها بام القران فكرهه انس وابن سيرين
والاحاديث الثابتة ترد هذين القولين روى الترمذي عن ابي هريرة
رضي

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله ام القران وام الكتاب
والسبع المثاني وقال هذا حديث حسن صحيح قيل سميت ام الكتاب
لان ام الشيء ابتداؤه واصله ومنه سميت مكة ام القرى لان الارض
دحيت من تحتها وفي البخاري سميت ام الكتاب انه يبدا بكتابتها
في المصاحف وقيل هذا التعليل يناسب تسميتها فاتحة الكتاب
لا ام الكتاب والحق ان ما قال البخاري يتجه بالنظر الى ان الام مبدا
الولد وقيل سميت ام القران لاشتمالها على المعاني التي في القران من
الثنا على الله عز وجل والتعبد بالامر والنهي والوعد والوعيد وعلى ما فيها من
ذكر الذات والصفات والفعل واشتمالها على ذكر المبدا والمعاد
والمعاش وقضية ما في تفسير القاضي البيضاوي ان تسميتها بذلك
على طريق الاستعارة لانها لما كانت مبداة ومفتتحة فكانها اصله
ومنشؤه ولذلك تسمى اساسا ايضا **اهدنا** هذه الجملة بيان للمعونة
التي يطلبها من الله عز وجل فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا والهداية
هي الدلالة بلطف ولا تستعمل الا في الخير واما قوله عز وجل فاهدوهم
الى صراط الجحيم فوارد على طريقة التهكم وهداية الله عز وجل تتنوع
انواعا لا يحصيها عد ولكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة
القوى التي بها يتمكن المومن من الاهتدا الى مصالحه كالقوة
العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة الثاني نصب
الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار

بقوله عز وجل وهديناه النجدين وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى الثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها
عنى بقوله وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقوله ان هذا
القران يهدي للتي هي اقوم ويبشر الرابع ان يكشف عن قلوبهم
السرائر ويريهم الاشيا كما هي عليه بالوحي والالهام والمنامات
الصادقة وهذا قسم يختص به الانبياء عليهم الصلوة والسلام
والاوليا رضي الله عنهم الصراط اي الطريق المستقيم اي المستوي صراط الذين
انعمت عليهم الانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي
يستلذها الانسان فاطلقت على ما يستلذه الانسان من النعم
بفتح النون وهي اللين ونعم الله عز وجل وان كانت لا تحصى كما قال
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في قسمين دنيوي
واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني
كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم
والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه
والهيات العارضة له من الصحة وكمال الاعضا والكسبي كتزكية
النفس وتحليتها بالاخلاق النسبية والملكات الفاضلة
والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه اعلى عليين مع
الملائكة المقربين ابد الابدين والمراد هنا القسم الاخير وما يكون
وصلة الى نيله من القسم الاخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المومن
والكافر

ابو العالية
له

والكافر فقال ابو العالية والحسن البصري ابو العالية هنا المراد به
رفيع بالتصغير ابن مهران الرياحي مولى امراة من بني رياح اعتقته
سائبة لوجه الله عز وجل كذا قاله النووي في تهذيبه ومعنى السائبة
هنا ان يعتق الانسان عبدا فيقول هو سائبة لله عز وجل فلا عقل
بينهما ولا ميراث واصله من تسييب الدواب وهو ارسالها
تذهب وتجي كيف شاءت وقال عمر رضي الله عنه الصدقة والسائبة
ليومهما اي يراد بهما ثواب يوم القيمة اي من اعتق سائبة وتصدق
بصدقته فلا يرجع الى الانتفاع بشي منها بعد ذلك في الدنيا وان ورثهما
احد فليصرفهما في مثلهما وهذا على وجه الفضل وطلب الاجر لا على انه
حرام وانما كانوا يكرهون ان يرجعوا في شي جعلوه لله عز وجل وطلبوا
به الاجر وقد اسلم ابو العالية بعد عامين من موت النبي صلى الله عليه وسلم
روى عن عمر وابي وابن عباس وروى عنه قتادة وغيره اخرج له
اصحاب الكتب الستة توفي في شوال سنة تسعين وقال البخاري
سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة احدى عشرة ومائة ولهم رجل
اخر يقال له ابو العالية تابعي وهو المسمى بابي العالية البرا بفتح
الموحدة وتشديد الرا ممدودة واسمه زياد وقيل كلثوم بن
فيروز وكان يبري النبل مذكور في الطبقة الثانية من اهل البصرة
يروي عن ابن عباس وروى عنه ايوب السختياني واخرج له
البخاري ومسلم والنسائي وكان ابن عباس يجلسه معه على السرير

تعظيما لم مات في شوال سنة تسعين رحمه الله لكن المراد هنا
الاول واما الحسن البصري فقد ذكرنا له قريبا ترجمة حسنة
الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل
بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي والمراد انهم
طلبوا من الله عز وجل ان يهديهم الى النبي صلى الله عليه وسلم اي الى معرفته
وتصديقه ومعرفة ما منحه الله عز وجل من رفعة القدر وسمو
المقام في الدارين لا سيما في الاخرة فالهداية الى ذلك هي الهداية الى
اقرب الطرق الى الجنة المعبر عنه بالصراط المستقيم فالصراط
المستقيم اقرب الطرق الى الجنة او اقرب الطرق الى معرفة الله عز وجل
واقرب الطرق الى معرفة اليوم الاخر وكل هذه الامور ابو عذرتها وماسك
رايتها محمد صلى الله عليه وسلم ثم خيار اهل بيته واصحابه من بعده فمن
اهتدى الى محمد صلى الله عليه وسلم فقد اهتدى الى الصراط المستقيم فكان
محمد سبب هدايته ومفتاحها فقد سمى المتسبب باسم المسبب
فكان مجازا مرسلا او كان محمدا صلى الله عليه وسلم لكثرة ما بين الصراط
المستقيم واوضحه غاية الايضاح حتى ترك الملة بيضاء نقية صار
هو نفس الصراط ليدل على انه لم يوضح الصراط من النبيين والمرسلين
ما اوضحه هذا الرسول المبين فهو على حد خلق الانسان من عجل
والحاصل ان من عرف النبي صلى الله عليه وسلم وعرف حقيقته من حيث
النبوة فقد ارسى على باب الجنة ولم يحجب احدا من الكفار عن الايمان به

الاجلهم

بيت من البردة

الاجلهم بمقامه وعدم معرفتهم بقدره ولهذا كان يقول صلى الله عليه وسلم
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون • وكيف يدرك في الدنيا حقيقته •
قوم نيام تسلوا عنه بالحلم • وليس المراد تشبيههم بالطريق
المستقيم بجامع الوصول الى المطلوب كما لا يخفى وقوله واصحابه
بالجر معطوف على اهل بيته فيكون المعنى وخيار اصحابه اي افاضلهم كمن
شهد بدرا والحديبية فانهم خيار اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اي افاضلهم
وكملهم وليست الاضافة بيانية كما توهم في خيار اهل بيته وخيار اصحابه
لان المراد بخيار اهل بيته من اذا تمسك الانسان به اهتدى كعلي بن
ابي طالب وجعفر وعقيل والعباس وهم الذين قالت في شانهم
عائشة رضي الله عنها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط
مرحل من شعر اسود فجاء الحسن بن علي رضي الله عنهما فادخله ثم جاء
الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة رضي الله عنها فادخلها ثم جاء علي كرم الله
وجهه فادخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا اذ لا يلزم من كون اصحابه عدولا ان يكون لهم هذه
الرتبة وحكى مكي هو ابو محمد مكي بن ابي طالب اصله من القيروان
وانتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وهو من اهل التبحر في علوم القران
ولد بالقيروان عند طلوع الشمس او قبل طلوعها بقليل لسبع بقين
من شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وتوفي يوم السبت
عند صلوة الفجر ودفن يوم الاحد ضحوة لليلتين خلتا من المحرم سنة

سبع وثلاثين واربعمائة بقرطبة عنهما اي عن ابي العالية والحسن البصري
نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما لعل ما نقله مكي هو بيان خيار اصحابه الذين اجملهم الناقل
عن الحسن وابي العالية اولا وحكى ابو الليث السمرقندي مثله اي
مثل ما قيل في الصراط المستقيم من انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما عن ابي العالية لكن ليس في تفسير
الصراط المستقيم كما حكاه عنه الماوردي بل في قوله عز وجل صراط
الذين انعمت عليهم قال اي ابو الليث فبلغ ذلك الحسن فقال صدق
والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت
عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحاصله ان مقصود المصنف
الاكثار من كلام الائمة في ان المراد بالصراط المستقيم هو النبي صلى الله عليه وسلم
فالماوردي ومكي عزيا الى ابي العالية والحسن ان المراد بالصراط
المستقيم النبي صلى الله عليه وسلم وقالا انهما فسرا بذلك الصراط المستقيم
نفسه واما ابو الليث فكلامه ربما يتراءى منه المخالفة لكلامي
الماوردي ومكي من وجهين الاول انه نقل ذلك عن ابي العالية
فقط وان الحسن لم يكن قائلا به وانما بلغه ذلك فصدقه ومدحه
على هذه المقالة حيث قال في شانه صدق والله ونصح الثاني انه نقل
عنه انه جعله تفسيرا لقوله صراط الذين انعمت عليهم لا لقوله الصراط
المستقيم فاراد المصنف ان ينبهك على ان ما نقله ابو الليث موافق لما

نقله مكي

نقله مكي والماوردي اما تصديق الحسن لابي العالية فهو صريح في انه
قائل بقوله لم يخالفه بل رآه وارتضاه فكانه قال به فلا يخالف من
عزا الى الحسن انه قائل به واما جعله ذلك تفسيرا لصراط الذين
انعمت عليهم فلا يخالف جعله تفسيرا للصراط المستقيم لان الصراط
الثاني هو الاول اذ هو بدل منه بدل كل من كل وفائدة هذا البدل التاكيد
لانه على نية تكرار العامل فكانه من جملتين ولانه دل على ما دل عليه
الاول بالمطابقة ومثله في ذلك قوله عز وجل وانك لتهدي الى صراط
مستقيم صراط الله فانه لو لم يذكر الصراط الثاني لم يشك احد في
ان الصراط المستقيم هو صراط الله وقد نص سيبويه على ان من البدل
ما القصد منه التاكيد واما ما حكاه الماوردي عن عبد الرحمن فقد ضم
الى الامامين السابقين وهما ابو العالية والحسن هذا الامام لان
من فسر صراط الذين انعمت عليهم بذلك فقد فسر الصراط المستقيم به
لانه بدل منه والمراد بالذين انعم الله عز وجل عليهم في هذه الاية
قيل الانبياء عليهم السلام وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام
قبل النسخ والتحريف وفي معالم التنزيل للبغوي ان المنعم عليهم هم ال
وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ويمكن ان يدخل النبي صلى الله عليه
وسلم في الآل كما دخل داود في قوله عز وجل اعملوا آل داود شكرا
وفرعون في الآل في قوله عز وجل وحاق بآل فرعون سوء العذاب
الآية وقيل المنعم عليهم محمد صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر

رضي الله عنها وفي الروض الانف للسهيلي الرفيق الاعلى الذي
طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون معهم عند الموت فقال في
اخر كلمة قالها اللهم الرفيق الاعلى هم اصحاب الصراط المستقيم وهم
اهل لا اله الا الله قال تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم ثم بين في اية النساء من الذين انعم الله عليهم فقال من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
وهم الرفيق الاعلى الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
خير فاختار الرفيق الاعلى وحكى ابو عبد الرحمن السلمي قدمنا
قريبا ترجمته حافلة عن بعضهم في تفسير قوله فقد استمسك
بالعروة الوثقى انه اي معنى العروة الوثقى محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد فان اول الاية فمن يكفر بالطاغوت
وهي كلمة حبشية ومعناها الكاهن والمراد به ما كانوا يعبدونه
من الاصنام وغيرها وفي الحديث هذه طاغية دوس وخثعم معبودهم
ويطلق الطاغوت على الشيطان وما يزين لهم ان يعبدوه من
الاصنام ويقال للصنم طاغوت والطاغوت يكون واحدا وجمعا
والطاغوت مونث من طغى يطغى وحكى الطبري يطغوا اذا جاوزوا
الحد بزيادة عليه ووزنه فعلوت ومذهب سيبويه انه اسم مذكر مفرد
كانه اسم جنس يقع للقليل والكثير ومذهب ابي علي انه مصدر
كرهبوت وجبروت وهو يوصف به الواحد والجمع وقلب لامه
الى

الى موضع العين وعينه الى موضع اللام كجبذ وجذب بقلب الواو الفا
لتحركها وانفتاح ما قبلها فقيل طاغوت قال الطاغوت
الكاهن والشيطان وكل ما ش في الضلال وقوله فقد استمسك جواب
الشرط واستمسك مبالغة في التمسك يقال مسك وتمسك وامسك
وامتسك واستمسك كلها بمعنى واحد ذكره الهروي والمراد بالعروة
الوثقى اي تمسك بالعقد الوثيق قال الازهري اصله من عروة الكلا
وهو ما له اصل ثابت في الارض من الشيح والارطى وغيرها من جميع
الشجر المستاصل في الارض فاذا كانت السنة قليلة المطر والبقول
رعتها الماشية وعاشت بها والعروة من النبات ضربت مثلا
لكل ما يعتصم به ويلجا اليه والوثقى هي فعلى من الوثاقة وفي القاموس
الوثيق المحكم ثم قال واوثقه شده ووثقه توثيقا احكمه ثم انه
وصف العروة الوثقى بانها لا انفصام لها الفصم ان يتصدع الشي فلا
يبين ومنه قوله تعالى لا انفصام لها فان بان فهو القصم بالقاف
وفي حديث عائشة رضي الله عنها فيفصم عنه الوحي وان جبينه
ليتفصد عرقا اي يقلع عنه ويفارقه ومعنى قوله لا انفصام لها ان
هذه العروة من شدة وثاقتها لا تتصدع فضلا عن ان تبين فان
اريد بها محمد صلى الله عليه وسلم فيكون قد شبه محمدا صلى الله عليه وسلم
بعروة وثقى ولم يذكر المشبه بل اقتصر على ذكر المشبه به فهي استعارة
تصريحية والمراد بالاستمساك بمحمد صلى الله عليه وسلم اعتقاد نبوته

والفضلية وتصديقه في جميع ما جاء به اجمالا وتفصيلا فقد شبه هذا
الاعتقاد بالاستمساك بها مع ان كلا منهما ربط محكم ولم يذكر الا
الاستمساك بصيغة الفعل فكان استعارة تصريحية ايضا لكن
تبعية لانها في الفعل واما اذا اريد بهما الاسلام والتوحيد فيكون
قد شبههما بالعروة الوثقى بها مع ان كلا منهما لا ينفصم مدده ونفعه
اصلا لان الاسلام والتوحيد نفعهما ومددهما من حين ينطق
المومن بالتوحيد وكلمة الاسلام ويداخل قلبه الى ما لا نهاية نفعا متصلا
بعضه ببعض في الدنيا والبرزخ والاخرة وقد فسر رسول الله صلى الله
عليه وسلم العروة الوثقى بالاسلام في الحديث الصحيح المروي في صحيح
البخاري بسنده عن قيس بن عباد قال كنت جالسا في مسجد المدينة
فدخل رجل على وجهه اثر الخشوع فقالوا هذا رجل من اهل الجنة فصلى
ركعتين تجوز فيهما ثم خرج وتبعته فقلت انك حين دخلت المسجد قالوا
هذا رجل من اهل الجنة قال والله ما ينبغي لاحد ان يقول ما لا يعلم
وساحدثك لم ذاك رايت رويا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
فقصصتها عليه ورايت كاني في روضة وذكر من سعتها وخضرتها
وسطها عمود من حديد اسفله في الارض واعلاه في السماء في
اعلاه عروة فقيل لي ارق قلت لا استطيع فاتاني منصف
فرفع ثيابي من خلفي فرقيت حتى كنت في اعلاها فاخذت بالعروة
فقيل لي استمسك فاستيقظت وانها لفي يدي فقصصتها على

النبي

يطلب

> سهل بن عبد الله التستري وتوفيت ترجمته ه

النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك الروضة الاسلام وذلك العمود عمود
الاسلام وتلك العروة العروة الوثقى فانت على الاسلام حتى تموت وذلك
الرجل عبد الله بن سلام وقال سهل هو ابن عبد الله بن يونس بن
عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري احد ائمة القوم ومن اكابر
علمائهم والمتكلمين في علوم الاخلاص والرياضات وعيوب الاحوال
صحب خاله محمد بن سوار وذا النون المصري سنة خروجه الى مكة توفي
سنة ثلاث وسبعين ومائتين والصحيح انه مات سنة ثلاث وثمانين
وكان كبير الشان في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
قال نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا اضافة النعمة الى الله عز وجل
للعهد اي النعمة المعهودة وهي هذه النعمة المخصوصة لا يمكن حصر ما
تترتب عليها من النعم والجمهور على ان نعمة مفرد اضيف فافاد
العموم وهو من جملة الادلة على ان المفرد اذا اضيف افاد العموم
وزعم الصفوي من الحنفية في النهاية انهم لم ينصوا على المسئلة وانما
ذكر من قضية التسوية بين الاضافة ولام التعريف قال ولكن قد
صرح بالتسوية جماعة وممن صرح بذلك الامام الرازي فان قلت
اذا كانت النعمة مفردا اضيف وافاد العموم وعم واستغرق فما
تقولون في قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
فنعمتي مفرد اضيف فعم ومدلول العموم كلية اي اذكروا كل فرد فرد
من افراد نعمتي ونعمة الله عز وجل لا تحصى فيلزم ان يكون الله عز وجل

كلفهم بما لم يقدروا عليه وما لا يطيقونه والتكليف بالمحال لعدم قدرة
المكلف عليه كحمل جبل وان جاز لكن لا يقع قلت المفرد اذا اضيف
يعم لكن اذا لم تقم قرينة تصرفه عن العموم وههنا المراد بالنعمة في
قصة بني اسرائيل نعم مخصوصة قيل هي ما انعم على آبائهم من الانجاء
من الغرق ومن فرعون ومن العفو عن اتخاذ العجل وعلى الموجودين
زمن نبينا صلى الله عليه وسلم في ادراكهم زمنه صلى الله عليه وسلم او المراد
التفكر فيها اجمالا والقيام بشكرها بطريق الاجمال لا بطريق التفصيل
والمحال عدها تفصيلا وقال تعالى والذي جا بالصدق وصدق به
اي بالصدق فيتنا والرسل والمومنين والذي مبتدا خبره قوله اولئك
هم المتقون الايتين اي اقرا الايتين اللتين بعد هذه الاية فانا اذا
قلنا ان الذي جا بالصدق وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم تكون الايات
الثلاث اشتملت على ثناء كمالات للنبي صلى الله عليه وسلم الاول انه جاء
من عند ربه بالصدق كما دلت عليه اياته ومعجزاته التي تقطع بصدقه
الثاني انه صلى الله عليه وسلم صدق به مخبره وهو جبريل عليه السلام
الثالث انه وصفه صلى الله عليه وسلم بانه متق بل وصفه بذلك
بصيغة الحصر كانه لا متق غيره والمراد لم ينل التقوى الكاملة
البالغة حدا لا يصل اليه متق الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعريف
الخبرين من صيغ الحصر كما نص عليه الرازي في نهاية الايجاز وذكر
ابن الزملكاني في اسرار التنزيل ان قوله تعالى الحمد لله يفيد الحصر كما يفيده

ايّاك نعبد

متن غفله الشرح
اكثر المفسرين على ان
الذي جا بالصدق وهو
محمد صلى الله عليه وسلم
كان بعضهم وهو
الذي صدق به ح

ايّاك نعبد اي الحمد لله لا لغيره فان قلت حيث كان المراد بالوصفين
محمدا صلى الله عليه وسلم فما باله اتى بصيغة الجمع بقوله فاولئك هم المتقون
ولم يقل فذلك هو المتقي قلت اخبر عن الواحد بالجماعة للتعظيم كما يقال
لمن يعظم شخصا هو فعلوا وزيد فعلوا الرابع انه له عند الله عز وجل
في الجنة ما يشاء اي ما يرضى وما يريد وقد اعطاه الله عز وجل الف
قصر في الجنة ترابها المسك في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم
ومن جملة ما يشاؤه ويريده ان لا يدخل احد من امته الى النار والله
عز وجل وعده في هذه الاية بانه ينال من الله عز وجل كل ما يشاؤه بدليل
تعبيره بما الموصولة المفيدة للعموم قال علي كرم الله وجهه قال النبي
صلى الله عليه وسلم ليشفعني الله عز وجل في امتي حتى يقول الله عز وجل
لي ارضيت يا محمد فاقول يا رب رضيت الخامس ان الله عز وجل يكفر
عنه اسوأ ما عمل والتكفير هنا من قبيل قوله عز وجل ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تاخر وسياتي الكلام عليه في بحث عصمة الانبياء
عليهم السلام وانما خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى
او للاشعار بان النبي صلى الله عليه وسلم لاستعظامه الذنب يحسب
انه مقصر مذنب وان ما فرط منه قبل البعثة اسوأ ذنب ويجوز ان
يكون الاسوا بمعنى السيئ فاسم التفضيل ليس على بابه فهو على حد الاشج
والناقص اعدلا بني مروان وقرئ صدق بالتخفيف القارئ بذلك
هو ابو صالح الكوفي ويجوز ان يكون ماخوذا من قولهم صدق فلان في

الحديث او صدق فلانا الحديث فالمعنى على الاول صار محمد صلى الله عليه وسلم
صادقا في ما اخبر به انه كلام رب العزة عز وجل لانه معجز يدل على صدقه
دلالة جلية وعلى الثاني انه صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل وقال
غيرهم اي غير اكثر المفسرين الذي صدق به المومنون اي مع القول بان
الذي جا بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا القول يكون اخباره بقوله
اولئك هم المتقون على بابه وقد اخبر عن جمع بجمع لكن يلزم عليه اضمار
موصول وتقديره والذي جا بالصدق والذي صدق به وهو غير جائز
والملتزم عدم جوازه القاضي البيضاوي والحق انه جائز اذا علم نحو قوله
وقولوا امنا بما انزل الينا وانزل اليكم اي الذي انزل اليكم وكقول حسان
فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
وهذا مذهب الكوفيين والبغداديين والاخفش من البصريين وجرى
عليه ابن مالك في تسهيله ومذهب البصريين المنع وما ورد من ذلك
مخصوص بالشعر والاية موولة بان الجملة حالية وقد هنا مضمرة
وهذا الكلام شامل لجميع الموصولات ما عدا الالف واللام وقيل
الذي صدق به ابو بكر وقيل علي وعلى هذين القولين يكون قد حذف
الموصول وذلك جائز عند الكوفيين والبغداديين كما قررنا وقيل غير
هذا من الاقوال فقيل الذي جا بالصدق جبريل عليه السلام والذي صدق
محمد صلى الله عليه وسلم وقال النخعي ومجاهد الذي جا بالصدق وصدق
به المومنون الذين يجيئون بالقران يوم القيمة فيقولون هذا الذي

من الوافر

اعطيتمونا

اعطيتمونا قد اتبعنا ما فيه فيكون الذي على هذا بمعنى جمع كما يكون من لمعنى
جمع وكثيرا ما ياتي مكان الذين الذي ومنه هذه الاية اذ لو لم يكن المراد
بالذي جمعا لم يخبر عنه بجمع ولا عاد عليه ضمير جمع ويكثر هذا اذا لم يرد بالذي
التخصيص اي لم يرد بما صدق عليه شي مخصوص فان الذي جاء
بالصدق اذا فسر بالمومنين لم يرد به شي مخصوصا واما اذا اريد به
شي مخصوص فانه ياتي مكانه للضرورة كقول الاشهب بن رميلة
وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد
وقيل ان النون حذفت من الذي لطول الاسم ويويد هذا التفسير
قراة ابن مسعود رضي الله عنه والذي جاوا بالصدق وصدقوا به
ولا يراد به محمد صلى الله عليه وسلم الا اذا اريد به التعظيم وهو خلاف
الظاهر وعن مجاهد هو ابن جبر مولى عبد الله بن السائب القاري
كنيته ابو الحجاج من اهل مكة وقد قيل كنيته ابو محمد يروي عن جماعة
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه الحكم ومنصور والناس
كان فقيها عابدا ورعا متقنا وكان اذا راى كانه حرب بنوح ضل حاره
فهو يطلبه لما فيه من الوله بالعبادة مات بمكة وهو ساجد سنة
اثنتين او ثلاث ومائة وكان مولده سنة احدى وعشرين في خلافة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد راى هاروت وماروت وكاد ان
يتلف اخرج له الاربعة ولم يخرج له الشيخان ذكره ابو حاتم في الثقات
قال وكان يقص ذكره الذهبي ترجمة في الميزان في قوله تعالى الا بذكر الله

من الطويل

مجاهد رضي الله عنه

تطمئن القلوب اي تسكن بعد اضطرابها قال ابي مجاهد تطمئن محمد صلى الله
عليه وسلم واصحابه وسماهم ذكر الله لان الذكر بسببهم ظهر وبهم انتشر
فهو صلى الله عليه وسلم واصحابه اهل كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله والقايل
بقسر الذكر الواقع في صدر الاية محمد صلى الله عليه وسلم ايضا ثم ان المراد
بطمانينة القلب سكونه واستيناسه بذكر الله عز وجل وانما عبر
بصيغة المضارع للاشارة الى ان طمانينة قلوبهم بذكر الله عز وجل
مستمرة متجددة وقتا فوقتا وقيل تطمئن قلوبهم بدوام ذكر الله عز وجل
بالسنتهم وقاله مجاهد بالقران وقال ابن عيينه بامر الله تعالى وقال
ابن عباس بالحلف باسمه تعالى وتقدس او تطمئن بذكر فضله
وانعامه وقيل يذكرون الله عز وجل ويتاملون اياته فيعرفون كمال
قدرته عن بصيرة ثم ان المراد بطمانينة القلب بذكر الله سكون العبد
اليه وجعل الذكر شغله ليله ونهاره وفي الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حكاية عن ربه عز وجل قال اذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي
جعلت همه ولذته في ذكري فاذا جعلت همه ولذته في ذكري عشقني
وعشقته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه لا يسهو اذا سها
الناس اولئك كلامهم كلام الانبيا عليهم السلام اولئك الابطال حقا
اولئك الذين اذا اردت باهل الارض عقوبة او عذابا ذكرتهم فصرفته
بهم عنهم وذلك ان المقبل على الله عز وجل ماموربسياسة النفس
مبتلى بصفاتها لا يزال يسكن بصدق المعاملة حتى تطمئن نفسه
وبطانينتها

وبطمانينتها ينتزع عنها البرودة واليبوسة التي استصحبتها من اصل
خلقتها وبها تستعصي على الطاعة من الانقياد للعبودية فاذا زالت
اليبوسة عنها لانت بحرارة الروح الواصل اليها وهذا اللين هو الذي
ذكره الله تعالى في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله تحبب الى
العبادة وتليق الى الطاعة عند ذلك وقلب العبد متوسط بين
الروح والنفس ذو وجهين احد وجهيه الى النفس والوجه الاخر
الى الروح يستمد من الروح بوجهه الذي يليه ويمد النفس بوجهه
الذي يليها حتى تطمئن النفس بطمانينة القلب المستمد من الروح
كذا ذكره القوم في كتبهم نفعنا الله بهم الفصل الثاني في وصفه تعالى
الضمير في وصفه عايد الى الله عز وجل والضمير في تعالى عايد اليه والضمير في
له عايد الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ينبغي ان يذكر تعالى بجانب ضميره
الراجع اليه عز وجل ولكن ذكره بجانب الذي يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم
لعدم خفا امره ولا يشتبه على احد عوده الى النبي صلى الله عليه وسلم لان
معنى تعالى انه جل وعظم عن كل ثنا وهذا لا يكون الا لله عز وجل ولا
يتوهم ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم هذا بنا على ما في بعض النسخ وفي
نسخة فارسية وصفه تعالى له بالشهادة اي بانه صلى الله عليه وسلم
بلغ امته الرسالة وما يتعلق بها من الثنا والكرامة قال الله تعالى يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية شاهدا وما عطف
عليه حال مقدرة اي شاهدا على امته بالتبليغ اليهم وعلى ساير الامم

الفصل الثاني

بتبليغ انبيائهم جمع الله عز وجل له اي للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية
ضروبا من رتب الاثرة بضم الهمزة وسكون الثا المكرمة ويجوز فيها
الاثرة بفتح الهمزة والثا المثلثة وهي الاستبداد بالشي والانفراد به
والمراد ان النبي صلى الله عليه وسلم استقل بهذه الفضائل ولم يشارك فيها
وجملة اوصاف من المدحة بكسر الميم في القاموس مدحه مدحا احسن
الثنا عليه ثم قال والمدحة والامدوحة ما يمدح به فجعله شاهدا
على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه عليه
الصلوة والسلام وهذه فضيلة عظيمة اذ قبلت شهادته لنفسه
على من بلغه فيشهد صلى الله عليه وسلم على من بعث اليهم وعلى تكذيبهم
وتصديقهم اي قوله مقبول عند الله عز وجل لهم وعليهم كما يقبل قول
الشاهد العدل في الحكم وفي صحيح البخاري بسنده الى ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح عليه
الصلوة والسلام يوم القيمة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول
هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير
فيقول من يشهد لك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم وامته فيشهدون
انه قد بلغ ويكون الرسول عليهم شهيدا فذلك قوله تعالى لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا لاهل طاعته
البشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا
قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم زيد فهو حر فبشروه فرادى عتق
اوله

اوله لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان
بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة
لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوله واما قوله عز وجل
فبشرهم بعذاب اليم فوارد على التهكم او على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع اي على طريقة المجاز وهو استعمال
اللفظة في ضد معناه ونذيرا لاهل معصيته الانذار التخويف من
عذاب الله عز وجل ويقال الانذار الاعلام بما يحذر منه وكل منذر
معلم وليس كل معلم منذرا وسمي الشيب نذيرا في قوله عز وجل
وجاءكم النذير لانه يعلم بالموت وداعيا الى توحيده وعبادته اشار الى ان
الدعا الى الله عز وجل يراد به الدعا الى الاقرار بوجوده عز وجل وتوحيده
وما يجب الايمان به من صفاته الازلية وما يجب تنزيهه عنه سبحانه
وقيده في الاية بقوله باذنه اي بتيسيره وقد اطلق له الدعوة من
حيث انه من اسبابها وقيد كونه داعيا بقوله باذنه ايذانا بانه
امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه وهي بمعنى العلم
وقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي بعلمه وقوله عز
وجل ما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي بعلمه وتوفيقه
وسراجا منيرا يهتدى به للحق اي مشابها للسراج الذي يستضاء
به في الظلمات كذلك محمد صلى الله عليه وسلم يستضاء به من ظلمات
الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر فقد وصفه الله عز وجل

مصراع من الوافر

نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بخمس صفات وقابل كل صفة بخطاب
يناسبها بعد هذه الآية غير أنه حذف مقابل الشاهد وهو أن يقول له
يا محمد راقبني لأن الشاهد يناسبه أن يؤمر بالمراقبة لربه عز وعلا
لأن ما بعده كالتفصيل له وذلك كأنه يقول له إذا راقبني فبشر المؤمنين
إلى آخره وقابل المبشر بالأمر ببشارة المؤمنين بأن لهم من الله عز وجل
فضلا كبيرا قال ابن عطية عندي أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله
عز وجل لأن الله تعالى قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر المؤمنين
بأن لهم عند الله عز وجل فضلا كبيرا وقد بين الله عز وجل الفضل الكبير في
قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما
يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير وقابل النذير بالنهي عن
مراقبة الكفار والمبالاة بأذاهم والداعي إلى الله عز وجل بتيسيره بالأمر
بالتوكل عليه والسراج المنير بأن يكتفي بربه عز وجل لأن من آتاه
الله عز وجل برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بأن يكتفي به عن غيره
حدثنا الشيخ أبو محمد بن عتاب هو بفتح العين المهملة ثم مثناة فوق
مشددة وفي آخره باء موحدة وهو عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن
محسن ومحسن مولى عبد الملك قال حدثنا أبو القسم حاتم بن محمد
هو أبو القسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمي المعروف بابن
الاطرابلسي وقد قرأ عليه أبو علي الغساني صحيح البخاري مرات وقد
ذكره في أول تقييد المهمل له حدثنا أبو الحسن القابسي هو الحافظ — القابسي ه
الفقيه

الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي أخذ
بإفريقية عن ابن مسرور الدباغ ودارس بن إسمعيل وبمصر عن
حمزة بن محمد الحافظ ولد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة وكان
ضريرا وكتبه في نهاية الصحة كان يضبطها له ثقات أصحابه
والقابسي بالقاف وبعد الألف موحدة مكسورة ثم سين مهملة
ثم ياء النسبة وإنما قيل له القابسي لأن عمه كان يشد عمامته شدة
أهل قابس وفي القاموس قابس كناصر بلدة بالمغرب بين
سفاقس وأطرابلس قال حاتم الأطرابلسي توفي أبو الحسن
في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة بمدينة القيروان قال حدثنا
الإمام المروزي ه — أبو زيد المروزي أبو زيد هذا اسمه محمد بن أحمد بن عبد الله الإمام
البارع النحرير المدقق الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته
قال الحاكم جاور بمكة وحدث بها وببغداد بصحيح البخاري عن
الفربري وهو أجل الروايات لجلالة أبي زيد انتهى توفي بمرو يوم الخميس
ثالث عشر رجب الحرام سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة قال الحاكم
كان أبو زيد أحد أئمة المسلمين ومن أحفظ الناس لمذهب الشافعي
رضي الله عنه وأحسنهم نظرا وأزهدهم في الدنيا قال الحاكم وسمعت
أبا بكر البزار يقول عادلت أبا زيد من نيسابور إلى مكة فما أعلم أن
الفربري ه — الملائكة كتبت عليه خطيئة وترجمته مشهورة قال حدثنا أبو عبد الله
~~يوسف~~ محمد بن يوسف هو الفربري ولد سنة إحدى وثلاثين

ومائتين هو ثقة ورع وتوفي في شوال لعشر بقين منه سنة عشرين
وثلاثمائة وسمع صحيح البخاري منه مرتين مرة بفربر ومرة ببخارى
وفربر قرية من قرى بخارى قال حدثنا البخاري محمد بن اسمعيل — البخاري ه
ابن ابرهيم بن بردزبة الجعفي مولاهم البخاري الامام ولد سنة
اربع وتسعين ومائة وطلب العلم وهو ابن عشر هو امام حجة حافظ
للحديث والفقه مجتهد مطلق من افراد العالم مع دينه وورعه
وتاليفه الذي لا نظير له توفي بقرية خرتنك من عمل بخارى ليلة الفطر
سنة ست وخمسين ومائتين ترجمته معروفة افردت بالتاليف
وجلالته مقطوع بها لا يمترى في جلالته الا متعصب او معاند
قال حدثنا محمد بن سنان هو العوفي قال ابو حاتم صدوق قال حدثنا
فليح هو ابن سنان العدوي مولاهم المدني اخرج له الائمة الستة
قال حدثنا هلال هو ابن علي اخرج له اصحاب الكتب الستة عن عطاء بن
يسار تابعي يروي عن ميمونة ام المومنين رضي الله عنها وكان من اكابر علماء
التابعين قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي هو ابو محمد وقيل — عبد الله بن عمرو ابن العاصي ه
ابو عبد الرحمن القرشي السهمي الزاهد العابد الصحابي ابن الصحابي كان
بينه وبين ابيه في السن اثنتا عشرة سنة وامه ريطة بنت منبه
ابن الحجاج وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم اهل البيت عبد الله
وابو عبد الله وام عبد الله اسلم عبد الله قبل ابيه وكان كثير العلم
مجتهدا في العبادة وكان اكثر من ابي هريرة رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم

لانه

لانه كان يكتب وابو هريرة كان لا يكتب وانما قلت الرواية عنه مع كثرة
ما حمل لانه سكن مصر وكان الواردون اليها قليلا بخلاف ابي هريرة رضي الله
عنه فانه استوطن المدينة وهي مقصد للمسلمين من كل جهة وقال
حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف مثل وقال لخير اعمله
اليوم احب الي من مثليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لانا كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم تهمنا الاخرة ولا تهمنا الدنيا واما اليوم
فمالت بنا الدنيا توفي رضي الله عنه بفلسطين سنة خمس وستين
كتابة العاصي باليا وبحذفها ه — وكان عمره اثنتين وسبعين سنة والجمهور على كتابة العاصي
بالياء وهو الفصيح عند اهل العربية ويقع في كثير من كتب الحديث والفقه
كلام ابن الصلاح ظاهره مشكل دبامل — بحذف الياء وقال ابن الصلاح كثير من يكتبه في حالة الوصل بالياء وفي
حالة الوقف بحذفها ولا وجه لانكار من انكر ذلك فانه لغة لبعض العرب
شبهة فيها ما فيه الالف واللام بالمنون لما بينهما من التعاقب وبها قراءة
عدة من القراء السبعة الكبير المتعال وشبهه فقلت اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت صفة النبي صلى الله عليه وسلم مخبر
بها لا عنها فكيف عداه بعن فكان ينبغي ان يقول اخبرني بصفة
النبي صلى الله عليه وسلم قلت يجوز ان يكون اخبرني ضمن معنى الكشف
وازالة الغطا اي اخبرني كاشفا عن صفة النبي صلى الله عليه موضحا لها
او يقال ان مراده ان يجعل صفة النبي صلى الله عليه وسلم موضوعا ويحمل عليه
ما ذكره في التوراة بان يكون التقدير وصف النبي صلى الله عليه وسلم

في التوراة محمد عبدي ورسولي الى اخره فيكون وصف النبي صلى الله
عليه وسلم مخبرا عنه فان قلت هل يصح تضمين اخبرني معنى السوال
قلت لا يصح ذلك لان السوال فعل السائل والاخبار فعل المسول
وشرط التضمين اتحاد الفاعلين كما لا يخفى فقال اجل هي حرف
جواب بمعنى نعم ونعم تكون تصديقا للمخبر واعلاما للمستخبر
ووعدا للطالب فاجل مثلها كذا قاله في النهاية لكن المذكور في القاموس
واجل جواب كنعم الا انه احسن منه في التصديق ونعم احسن منه
في الاستفهام انتهى وفي شرح التسهيل للشيخ ابن عقيل واجل لتصديق
الخبر ماضيا او غيره نحو قام زيد او سيقوم زيد وما قام زيد وما يقوم
زيد فتقول اجل ولا تجي بعد الاستفهام وعن الاخفش تجي قال الا
ان اجل في الخبر احسن من نعم ونعم في الاستفهام احسن منها انتهى
ولم يذكرا مجيئها بعد الطلب كما جاءت في هذا الحديث الا ان ورودها في كلام
فصيح ككلام عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقطع النزاع ولهذا قيل
صحح نحوك بالحديث ولا تصحح الحديث بنحوك والله فيه دلالة على جواز
ان يحلف المتكلم وان لم يستحلف واستدل عليه من فعل النبي صلى الله عليه
وسلم بحديث في صحيح البخاري بسنده الى ابن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطنع خاتما من ذهب وكان
يلبسه فيجعل فصه في باطن كفه فصنع الناس خواتيم ثم انه جلس
على المنبر فنزعه فقال اني كنت البس هذا الخاتم واجعل فصه من داخل

فرمى به

فرمى به ثم قال والله لا البسه ابدا فنبذ الناس خواتيمهم انه اي النبي
صلى الله عليه وسلم لموصوف في التوراة هي اسم لكتاب الله عز وجل المنزل
على كليمه موسى عليه الصلوة والسلام وهو اول كتاب نزل من السماء
وانما كان ينزل قبل ذلك صحف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان
الله عز وجل خلق ادم بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة
بيده والتوراة كلمة اعجمية وقيل انها عربية وانها مشتقة من الوري
وهو تعسف ببعض صفته في القران وانما سال عطا عمرا عن
صفته في التوراة لان صفته في القران معلومة ولم يكن لعطا وقوف
على التوراة وعبد الله بن عمرو قرا الكتابين التوراة والقران وفي حديث
لعطا وعبد الله بن عمرو وان لم يكن من اهل الكتاب قد قرا التوراة
وجا عنه انه راى في المنام كان في احدى يديه عسلا وفي الاخرى سمنا
وكان يلعقهما فاصبح فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال تقرا
الكتابين التوراة والقران فكان رضي الله عنه يقراهما وانما كان انه
ذكر ببعض صفته في القران لان الله عز وعلا وصفه في القران بصفات
كثيرة في اللفظ والمعنى فان قلت قوله والله انه لموصوف في التوراة
ببعض صفته في القران اشارة الى ان جميع ما له من صفة في التوراة
فهو بعض ما له من صفة في الفرقان اذ الظاهر ان يكون الجواب على
وفق السوال والسوال هنا ظاهر في طلب كل صفته المذكورة فيها
فيكون فيه جميع ما فيها وزيادة مع ان هذه الصفات المذكورة فيها ما

ليس في القرآن وفي القرآن صفات النبي صلى الله عليه وسلم ليست في التوراة
فكيف يقال انه ذكر قلت هذا السؤال من اصله لا يرد لان عطاء طلب
طلب من عمرو ان يخبره بجميع صفته المذكورة في التوراة واخبره به
وبينه له وضم اليه انه موصوف في التوراة ببعض وصفه في
القرآن ولا يلزم ان يريد ان كل وصفه في التوراة بعض وصفه في
القرآن بل مراده ان بعض وصفه في التوراة مذكور في القرآن ويلزم
ان يكون بعض وصفه في القرآن مذكورا في التوراة لان الموجبة
الجزئية تنعكس كنفسها وحاصله ان بين وصفه في التوراة ووصفه
في القرآن عموما من وجه يجتمعان في مثل انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
الخ وينفرد ما في القرآن عما في التوراة في قوله وانك لعلى خلق عظيم
وينفرد ما في التوراة عما في القرآن في قوله سميتك المتوكل ونحو ذلك
ولا شك ان الامرين اللذين بينهما عموم من وجه تصدق الموجبة في كل
من الطرفين فنقول بعض الابيض حيوان وبعض الحيوانات
ابيض وليس قول عبد الله بن عمرو انه لموصوف في التوراة الخ
اخص جوابا عن سؤال السائل وانما ابتدا الجواب بيا ايها النبي الى آخره
واما قوله اجل الخ فهو فائدة جديدة واما التزام ان كل ما وصف به في
التوراة فهو موصوف به في القرآن ولا عكس ولو اجمالا او ضمنا
فهو تكلف **يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا**
استشكل هذا الخطاب وما وقع في هذه العبارة من وجهين الاول ان النبي
صلى

صلى الله عليه وسلم لم يكن موجودا اذ ذاك فلمن نادى ولمن خاطب الثاني
تعبيره بالماضي مع ان هذا امر سيقع بعد ذلك والجواب انا لا نسلم ان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن اذ ذاك موجودا بل كان موجودا وجودا
باطنيا كما اشار اليه شعر العباس وقد قال الشيخ محيي الدين بن عربي
في فتوحاته ان الله عز وجل اول ما خلق الروح المدبرة وهي روح
محمد صلى الله عليه وسلم ثم صدرت عنه الارواح عند الحركات فكان لها وجود
في عالم الغيب دون عالم الشهادة واعلمه الله عز وجل بنبوته وبشره
بها وآدم لم يكن الا كما قال بين الماء والطين وانتهى الزمان بالاسم
الباطن في حق محمد صلى الله عليه وسلم الى وجود جسمه حكم الزمان في
جريانه الى الاسم الظاهر فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بذاته جسما وروحا
فكان الحكم له باطنا اولا في جميع ما ظهر من الشرائع على ايدي الانبياء
والرسل الكرام عليهم السلام ثم صار الحكم له ظاهرا فنسخ كل شرع ابرزه
الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر لبيان اختلاف حكم الاسمين وان
كان الشرع واحدا وهو صاحب الشرع فانه قال كنت نبيا وما قال
انسانا ولا كنت موجودا فاخبر انه صلى الله عليه وسلم صاحب النبوة
قبل وجود الانبياء عليهم السلام الذين هم نوابه في هذه الدنيا انتهى
فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم موجودا وجودا غيبيا في زمن موسى
عليه السلام وهذا الخطاب له خطاب لمن يعقل ويفهم ويسمع وليس
هذا الخطاب باعتبار كونه في علم عز وجل فانه لا ميزة للنبي صلى الله

عليه وسلم بذلك بل هو ممتاز بكونه خوطب بالنبوة قبل ان يخلق ادم
فتامل ولا تقصر والجواب عن الثاني انه خاطبه بالماضي تنبيها
على تحقق وقوعه او اراد بالرسالة الرسالة الغيبية فان
الرسالة الشهادية مستقبلة واما الغيبية فانها ماضية قال
بعض الفضلاء انه نادى الكليم ثم خاطب الحبيب التفاتا اقول
مراد هذا القائل ان قوله يا ايها النبي نداء لموسى عليه السلام وقوله
انا ارسلناك خطاب لحبيب الله وخليله محمد صلى الله عليه وسلم
فيكون التفاتا فان قلت اي نوع من انواع الالتفات هذا الالتفات
فانه ليس من خطاب الى غيبة ولا عكسه ولا من تكلم الى خطاب ولا من
خطاب الى تكلم ولا من تكلم الى غيبة ونحو ذلك قلت هذا نوع غريب
من انواع الالتفات اشار اليه ابن ابي الاصبع في بعض كتبه
وسمى الالتفات في الضمائر كان يذكر ضميرين مخاطبين مثلا فيرجع
الاول منهما الى واحد والثاني الى اخر او الى غائب ثم ياتي بضمير
غائب اخر يعيده الى مرجع اخر وههنا يا ايها النبي فيه ضمير
باعتبار ان اصله ادعوك ايها النبي والضمير في ادعوك عائد الى موسى
الكليم عليه السلام ثم قال ارسلناك والضمير عائد الى محمد صلى الله عليه
وسلم وبما قررنا ظهر ان قصد هذا القائل بانه التفات الالتفات
على راي الجمهور وليس هو من نوع الالتفات الذي جعله السكاكي
فقط التفاتا لان الجمهور قالوا الالتفات نقل الكلام من اسلوب

الى اخر

نوع من الالتفات غريب

الى اخر والسكاكي قال اما ذلك او التعبير باحدها في ما حقه التعبير بغيره
وجعل منه قول الشاعر "تطاول ليلك بالاثمد" ونام الخلي ولم ترقد
اذ كان حق التعبير ان يقول تطاول ليلي **وحرز الاميين** الحرز في
القاموس بالكسر العوذ والمكان الحصين اي الملجا والموضع الحصين
والاميون هم الذين على اصل ولادة امهم ولم يتعلموا الكتابة والحساب
وهم على جبلتهم الاولى وفي الحديث بعثت الى امة امية وانما قيل
للعرب اميون لان الكتابة كانت فيهم عزيزة او عديمة وانما كان
حرزا لهم لانهم كانوا منغمسين في صفات الشرك فحرزهم الله عز وجل
وصانهم من الشرك بمحمد صلى الله عليه وسلم وصاروا في اعلى ذرى
التوحيد وبعد ان كانوا عبيد الشيطان صاروا عبيد الواحد
الاحد وكانوا منغمسين في حظوظ النفوس وفي نخوات الجاهلية
فصانهم الله عز وجل من ذلك فاصبحوا ازكى القبائل نفسا وكانوا في
ذلة مع العجم والروم فصار العجم والروم عبيدا لهم وهم السادة
وبسبب النبي صلى الله عليه وسلم سلموا من عذاب الله عز وجل بدليل
قوله عز وجل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وروى مسلم في
صحيحه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز
وجل زوى لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وان امتي سيبلغ
ملكها ما زوي لي منها واعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني
سالت ربي عز وجل لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط

من المتقارب

عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي عز وجل
قال يا محمد اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني قد اعطيتك لامتك
ان لا اهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عدوا من سوى
انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها او قال
من بين اقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم
بعضا وروى النسائي عن خباب بن الارت رضي الله عنه وكان
قد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى النبي صلى الله
عليه وسلم الليلة كلها حتى كان مع الفجر فلما سلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلاته جاءه خباب فقال يا رسول الله بابي انت وامي
لقد صليت الليلة صلوة ما رايتك صليت نحوها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اجل انها صلوة رغب ورهب سالت الله عز وعلا
فيها ثلاث خصال فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة سالت ربي
عز وجل ان لا يهلكنا بما اهلك به الامم فاعطانيها وسالت ربي عز
وعلا ان لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها وسالت ربي عز
وعلا ان لا يلبسنا شيعا ويذيق بعضنا باس بعض فمنعنيها
ولما نزل قوله عز وجل قل هو القادر على ان يبعث الاية قال النبي
صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام يا جبريل ما بقاء امتي على ذلك قال
له جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك فادع ربك عز وجل وسله لامتك
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضا فاسبغ الوضوء وصلى
واحسن

واحسن الصلوة ثم دعا فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله عز وجل
سمع مقالتك واجارهم من خصلتين وهما العذاب من فوقهم
او من تحت ارجلهم فقال يا جبريل ما بقاء امتي اذا كان فيهم اهواء
مختلفة ويذيق بعضهم باس بعض فنزل جبريل بهذه الاية الم
احسب الناس ان يتركوا انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
وانما سماه به لانه صلى الله عليه وسلم حاز من التوكل اعلاه واتمه لان
التوكل على قدر العلم فكل من كان اتم معرفة كان اتم توكلا ومن تم توكله
غاب في روية الوكيل عن روية توكله ثم ان قوة المعرفة تفيد له
صرف العلم بالعدل في القسم وان الاقسام نصبت بازاء المقسوم
لهم عدلا وموازنة وان النظر الى غير الله عز وجل لوجود الجهل في
النفس وكلما احس بشي يقدح في توكله يراه من منبع النفس
ولهذا قال السري التوكل الانخلاع من الحول والقوة ولعمري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاز على الذرى في هذا الباب ليس بفظ
كذا ورد بصيغة الغائب على طريق الالتفات من الخطاب الى الغيبة
ولو كان على مقتضى الظاهر لقال لست فان قلت الالتفات له
نكتة عامة ونكتة خاصة فنكتة العامة هنا موجودة وهي تطرية
الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لكن ما النكتة الخاصة
قلت لما كانت الصفات المذكورة اولا نعما محضة خاطب بها
المنعم عليه بها وهو النبي صلى الله عليه وسلم واما قوله ليس بفظ فانها

علامات والعلامات ينبغي ان تلقى الى غيره صلى الله عليه وسلم
وتحكي عنه فالتفت الى بني اسرايل الذين نزلت عليهم التوراة وقال
لهم ان اردتم ان تعرفوه فعلامته انه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب
الى اخره فاذا رايتموه متسما بهذه الصفات فهو الذي اخذت عليكم
العهد باتباعه وتصديقه والفظ الغليظ الجافي ثقيل فيه فظاظة
وقال الازهري اصل الفظ ماء الكرش تعتصر عند عوز الماء فيشرب
وانما سمي فظا لغلظ مشربه ولا غليظ هو موافق لقوله عز وجل ولو
كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا معارضة بينه
وبين قوله عز وجل واغلظ عليهم لان النفي محمول على طبعه الشريف
الذي طبع عليه والسجية التي جبل عليها والامر محمول على الموقف في
تكلف الغلظ ومعالجة ذلك او النفي محمول على المومنين والامر
محمول على الكفار والمنافقين فان قلت في صحيح البخاري ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده
نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته
فلما استاذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قمن فبادرن الحجاب فاذن
له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عمر رضي الله عنه ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يضحك فقال عمر رضي الله عنه اضحك الله سنك يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت من هولاء النسوة اللاتي
كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب فقال عمر رضي الله عنه
فانت

فانت احق ان يهبن يا رسول الله ثم قال عمر رضي الله عنه يا عدوات
انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم
انت افظ واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا
الا سلك فجا غير فجك فان قولهن انت افظ واغلظ يقتضي المشاركة في
اصل الفعل مع ان الله عز وجل نفى عنه الفظاظة والغلظة بقوله ولو
كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك قلت الذي في الاية
يقتضي نفي وجود ذلك له صفة لازمة والذي في الحديث يقتضي
وجودها له في بعض الاحيان عند انكار المنكر فانه صلى الله عليه
وسلم لم يكن يغضب لنفسه ابدا وانما كان يغضب اذا انتهكت
حرمات الله عز وجل وقال بعضهم ان اسم التفضيل هنا ليس على
بابه وانما هو بمعنى الفظ الغليظ وفيه نظر للتصريح بالترجيح المقتضي
لابقاء اسم التفضيل على بابه لكن كان النبي صلى الله عليه وسلم من خلقه
الشريف انه لا يواجه احدا بما يكره الا في حق من حقوق الله عز وجل
وكان عمر رضي الله عنه يبالغ في الزجر عن المكروهات مطلقا
وفي طلب المندوبات كلها فلهذا قال له النسوة ذلك والصخاب في
الاسواق الصخب والسخب الصيحة واضطراب الاصوات
للخصام وفي حديث خديجة ام المومنين رضي الله عنها بشرها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب وفي

حديث اخر المنافقون صخب بالنهار اي يرفعون اصواتهم فيه وانما
نعته الله عز وجل بهذا النعت للدلالة على امور الاول انه صلى الله عليه
وسلم يدخل الاسواق لانه ليس من ملوك الدنيا ليكون دخوله اليها
هاضما لشانه ولهذا لما اراد قريش ان تعيّبس حاله بحال الملوك عابوا
عليه دخول السوق ففي السيرة الاسحاقية ان سادتهم عتبة بن ربيعة
وغيره اجتمعوا معه فقالوا يا محمد ان كنت تحب الرياسة وليناك
علينا وان كنت تحب المال جمعنا لك من اموالنا فلما ابى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ذلك رجعوا في باب الاحتجاج معه فقالوا ما بالك
وانت رسول الله تاكل الطعام وتقف بالاسواق فعيروه باكل
الطعام لانهم ارادوا ان يكون الرسول ملكا وعيروه بالمشي في الاسواق
حين راوا الاكاسرة والقياصرة والملوك الجبابرة يترفعون عن
الاسواق والنبي صلى الله عليه وسلم كان يخالطهم في اسواقهم ويامرهم
وينهاهم فقالوا هذا يطلب التمكن علينا فما باله يخالف سيرة الملوك
فاجابهم الله تعالى بقوله وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي لا تغتم ولا تحزن فتلك
شكاة ظاهر عنك عارها وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما عير المشركون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة وقالوا مال هذا الرسول حزن النبي
صلى الله عليه وسلم لذلك فنزلت تعزية له فقال له جبريل عليه السلام
السلام عليك يا رسول الله ربك يقريك السلام ويقول لك وما ارسلنا
قبلك

قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
وما عيروه بذلك الا لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان
تميّز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هي باحوال
نفسانية الثاني انه صلى الله عليه وسلم وان دخل السوق لغرض،
ما ارب الا انه ليس من الصخابين اي الذين يحترفون في الاسواق
وديدنهم وحرفتهم الصخب فيها وانما نفى عنه ذلك لامرين الاول ان
ذلك مشعر بالتهافت على الدنيا وهو اعظم الناس تحقيرا لها ومنابذة
لها وتحريضا على معاداتها وهدم ما شيد منها وصرف
الافكار الى دار البقا الثاني ان ذلك حرفة دنية وصنعة لا تليق
بعفافه ونزاهته فان قلت صخاب صيغة مبالغة وذكرت في
سياق النفي فينصب النفي الى المبالغة وذلك يقتضي وجود
اصل الصخب في الاسواق مع انا نفينا صلى الله عليه وسلم عن
ذلك اصلا وراسا قلت صخاب صيغة نسبة لان المقصود
نفي نسبته صلى الله عليه وسلم الى هذا الفعل ومنه وما ربك بظلام
للعبيد اي بظالم الثالث ان قلت نفي كونه صخابا في الاسواق
نفي صخابية مقيدة ولا يلزم من نفي المقيد نفي المطلق فيقتضي
ذلك انه صخاب لكن لا في الاسواق ولو انه نفى مطلق الصخابية
واستدل بنفيها على نفي المقيد لدل على انه ليس بصخاب مطلقا
كما دل على انه ليس بصخاب في الاسواق قلت نعم كان صلى الله عليه

وسلم يرفع صوته الى حد عال جدا سيما في العلم ففي صحيح البخاري بسنده
الى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال تخلف عنا النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة
سافرناها فادركنا وقد ارهقتنا الصلوة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح
على ارجلنا فنادى باعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين او ثلاثا
وصح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته اخرجه مسلم
ولاحمد من حديث النعمان معناه وزاد حتى لو ان رجلا بالسوق
لسمعه الرابع استدل البخاري بهذا الحديث على كراهة الصخب في
الاسواق **ولا يجزي بالسيئة السيئة** لا اشكال انه صلى الله عليه وسلم اذا
اساء مسيء اليه وجازاه على سيئته بعقوبة تليق بتلك السيئة
تكون تلك العقوبة حسنة محضة واذا لم تكن حسنة كانت مباحة
ولم تكن سيئة اي ذنبا وعصيانا فاطلاق السيئة عليها انما هو من
قبيل المشاكلة وقد عدوا من قبيل المشاكلة قوله عز وجل فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فسمى ما يقع في
مقابلة العدوان عدوانا للمشاكلة فلا فرق بين ما هنا وبين قوله
عز وجل تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ودعوى الفرق مردودة
والبديعيون لا يسمون مثل هذا ازدواجا كما توهم بل هذا عندهم يسمى
مشاكلة واما الازدواج فهو ان يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء
وما يجري مجراهما وعدوا منه قوله عز وجل اتيناه اياتنا فانسلخ منها

فاتبعه

فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين وقوله اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى
اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر ه **ولكن يعفو ويغفر** الفرق بين
العفو والغفران ان العفو ان وصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
او غيره من المخلوقين فمعناه محو السيئة من خاطره وازالة اثارها
من باطنه وظاهره واما الغفران فهو ارادة ازالة العقوبة عن
مستحقها وهو مشتق من الغفر وهو الستر فعلى هذا العفو يستلزم
الغفران ولا عكس ثم ان قوله ولكن يعفو ويغفر ليس تاكيدا لقوله
ولا يجزي بالسيئة السيئة لان معنى قوله ولا يجزي الخ انه لا يجازي هو بنفسه
على السيئة ولا يلزم ان يعفو ويغفر بل يجوز ان يكل العقوبة الى الله عز
وجل لينتقم من الذي اساء اليه في الاخرة فانه صدق عليه انه لم يجز
بالسيئة السيئة ولكن لم يعف عنه ولم يغفر له فقوله ولكن الى اخره
استدراك من النفي السابق لان قوله ولا يجزي بالسيئة السيئة ربما
يتوهم منه انه يترك الجزاء ولكن لا يعفو ولا يغفر فرفع هذا التوهم
بقوله ولكن يعفو ويغفر فلا تاكيد هنا كما توهم على ان صيغة
الاستدراك تنافي التاكيد واما قول النبي صلى الله عليه وسلم ما بال
اقوام يفعلون كذا فليس من باب الغفران في شيء وانما هو ستر
للمخطئ كقوله في حق مشترطي ولاء بريرة لهم وهم بائعوها
وعائشة رضي الله عنها هي المشترية لها واعتقتها والولاء لمن
اعتق ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله عز وجل

من الطويل

كل شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو رد شرط الله تعالى احق وكتاب الله
اوثق وانما الولاء لمن اعتق ولا يلزم من الستر الغفران وقد علمت آنفا
معنى الغفران فان قلت قد قال السعد التفتازاني ان ترك المواخذة
على الذنب يطلق عليه لفظ العفو كما يطلق عليه لفظ المغفرة فهذا
يؤكد ان قوله ولكن يعفو ويغفر تاكيد لقوله ولا يدفع بالسيئة السيئة
قلت لا يلزم لجواز ان يكونا من المتساويين لا من المترادفين
والمتساويان اذا ذكرا لا يكون احدهما موكدا للاخر **ولن يقبضه الله**
عز وجل ماخوذ من قبض المريض اذا توفي واذا اشرف على الموت
ومن اسمائه تعالى القابض وهو الذي يقبض الارواح عند الممات
حتى يقيم به الملة العوجاء قال ابن الاعرابي الملة معظم الدين
والشريعة الحلال والحرام قال ابو العباس يعني معظم الدين جملة ما
جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والملة العوجاء هي التي اوقعوها في صفة
العوج بعد ان كانت حنيفية وفي النهاية الاثيرية الملة العوجاء ملة
ابرهيم عليه السلام التي غيرتها العرب عن استقامتها وذكر ان العرب
من ذرية اسمعيل بن ابرهيم عليهما السلام وكانوا يزعمون انهم على ملته
مع ان ملته الحنيفية والحنيف الذي يوحد الله عز وجل ويحج ويضحي
ويختتن ويستقبل القبلة والعوج في ما لا شخص له يقال في الدين
والامر عوج بكسر العين وفي الحائط عوج بفتح العين وكان العرب
الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بقية من ملة ابرهيم عليه السلام

كانوا

كانوا يختتنون ويحجون غير انهم يخلطون في حجهم ما لم يكن من ملة
ابرهيم عليه السلام كطوافهم عراة ووقوفهم بمزدلفة وكانوا ينسبون
الى ابرهيم عليه السلام انه يستقسم بالازلام وكذبوا وفي صحيح
البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما راى الصور في البيت لم يدخل حتى امر بها فمحيت وراى ابرهيم
واسمعيل عليهما السلام اي صورتهما وبايديهما الازلام فقال قاتلهم
الله عز وجل والله ان استقسما بالازلام قط **بان يقولوا لا اله**
الا الله اي ياتوا بكلمة التوحيد وذلك كاف في عصمة دمائهم واموالهم
غير ان المنجي لهم من دخول النار هو التصديق بها من صميم القلب
وانما لم يقل محمد رسول الله لانها قرينتها ولا تكاد تذكر الا وتذكر معها
فكان ذلك من قبيل سرابيل تقيكم الحر اي والبرد واما قول من
قال ان محمد رسول الله زيادة على الملة الابراهيمية فلهذا لم
يذكر ففيه نظر لانه يجب على من يكون من امة ابرهيم عليه السلام
ولو قبل وجود محمد صلى الله عليه وسلم ان يصدق بان محمدا رسول الله
كما كان يصدق بذلك نبيهم ابرهيم عليه السلام **ويفتح به اعينا عميا**
واذانا صما وقلوبا غلفا الذي وقفنا عليه في نسخ البخاري ويفتح بها
اي بكلمة لا اله الا الله لكن جاء في رواية اخرى لعطا يفتح به ووقع في
رواية القابسي اعين عمي بالاضافة وكذا الكلام في الاذان
والقلوب فان كانت صفة كانت العمي جمع عمياء والصم جمع صماء

وان كانت بالاضافة فالعمي جمع اعمى والصم جمع اصم والغلف بسكون
اللام جمع اغلف معناه قلوب عليها والعياذ بالله عز وجل اغطية من
قبول الحق وهو مثل قوله عز وجل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي حديث
حذيفة القلوب اربعة فقلب اغلف والاغلف هو الذي عليه
لبسته لم يدرع منها اي لم يخرج منها دراعه ومنه غلام اغلف وهو
الذي لم تقطع غرلته والغلف بمعنى ما وقع في قوله عز وجل وقالوا
قلوبنا غلف اذا قرئ بسكون اللام واما على قراءة غلف بضم اللام
فلا ياتي معناه في هذا المقام فانه حينئذ جمع غلاف مثل حمار وحمر
اراد ان قلوبنا وعية للعلم والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر
والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزا ومنه قيل حجر اصم وقناة
صما وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه
ان يكون الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هوا يسمع الصوت
بتموجه وهولاء القوم الذين هداهم نبينا صلى الله عليه وسلم لم يكونوا
صما ولا عميا حقيقة وانما كانوا غير مصيخين الى سماع الحق وابوا
ان يتبصروا الايات بابصارهم فجعلوا كانهم صم عمي وان قلوبهم لما لم
تفهم الحق ولم يدخل العلم بالحق الى سويداها نزلوا منزلة من على قلبه
غلاف وغشاوة وغطاء واكنة فاطلاق الصم على اذانهم والعمى
على اعينهم والغلف على قلوبهم من باب التمثيل فكانه تشبيه
الهيئة الحاصلة لهم مما ذكرنا بهيئة الاصم والاعمى والاغلف

وليس

وليس باستعارة لان المشبه والمشبه به مذكوران معا وشرط
الاستعارة ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على
المستعار منه لولا القرينة كقول زهير بن ابي سلمى
لدى اسد شاكي السلاح مقذف، له لبد اظفاره لم تقلم ٥
وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار اما عبد الله بن سلام
بتخفيف اللام لا غير فهو ابن الحارث الاسرائيلي ثم الخزرجي الانصاري
كان حليفا لبني الخزرج كنيته ابو يوسف بابنه وهو من بني قينقاع
وهو من بني يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام
كان اسمه في الجاهلية حصينا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله
اسلم اول قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل في فضله وشهد
شاهد من بني اسرايل على مثله ثم قوله عز وجل قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب شهد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فتح بيت المقدس والجابية وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة
مات رضي الله عنه سنة ثلاث واربعين اخرج له اصحاب الكتب
الستة واما كعب الاحبار فهو كعب بن مانع التابعي المشهور
الحميري ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره واسلم في خلافة
ابي بكر رضي الله عنه وقيل في خلافة عمر رضي الله عنه وصحب عمر واكثر
الرواية عنه وروى ايضا عن صهيب وروى عنه مثل سعيد
ابن المسيب وكان يسكن حمص ذكره ابو الدردا فقال ان عنده

من الطويل

عبد الله بن سلام رضي الله عنه

كعب الاحبار رضي الله عنه تقدمت ترجمته

علما كثيرا واتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه وكان قبل اسلامه على دين
اليهود وكان يسكن اليمن توفي رضي الله عنه في خلافة عثمان بن عفان رضي
الله عنه سنة اثنتين وثلاثين متوجها الى الغزو فان قلت ما حديث
عبد الله بن سلام وما حديث كعب ومن اخرجهما قلت اما حديث
عبد الله بن سلام فقد اخرجه الحافظ البيهقي في السنن الكبير وشعب
الايمان ودلائل النبوة عن عطا بن يسار عن عبد الله بن سلام وقال
عطا بعد ان روى حديث عبد الله بن عمرو وعبد الله بن سلام لقيت كعبا
الحبر فسالته فما اختلفا في حرف الا ان كعب يقول اعينا عموما وقلوبا
غلوفا واذانا صموما وذكر ابن ظفر في كتابه خير البشر لخير البشر
قال روى عطا بن يسار وابو صالح السمان عن كعب الاحبار انه قال
اجد في التوراة احمد عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في
الاسواق ولا تجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر امته
الحامدون يحمدون الله عز وجل على كل حال ويكبرونه على كل شرف
ياتزرون على اوساطهم ويغسلون اطرافهم وهم رعاة الشمس وداعيهم
الى الصلوة ينادى في جو السما وصفهم في القتال وصفهم في الصلوة
سواء رهبان بالليل اسد بالنهار لهم بالليل دوي كدوي النحل يصلون
الصلوة حيث ما ادركتهم من الارض مولده مكة ومهاجره طيبة ولن
يقبضه الله عز وجل حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله
يفتح الله عز وجل به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وقد اخرج

حديث

حديث كعب ايضا الدارمي في مسنده من رواية ابي واقد الليثي الصحابي
عنه واعلم ان البخاري قد روى هذا الحديث مسندا عن عبد الله بن عمرو
كما ذكره المصنف ورواه عن عبد الله بن سلام لكن تعليقا ورواه
بصيغة الجزم ولفظه وقال سعيد عن هلال عن عطا بن يسار عن ابن سلام
والقاعدة ان ما علقه البخاري بصيغة الجزم يحكم بصحته وثقة رجاله منه
الى ابتدا التعليق ثم انا ننظر في الرجال من بعد التعليق وهو لم يخالف
الحديث المسند الا في سعيد وسعيد هذا هو ابن ابي هلال الليثي ذكره
ابن حبان في الثقات الا انه لا يبلغ شرط البخاري والرواية عن ابن سلام
وصلها الدارمي في مسنده ويعقوب بن سفيان في تاريخه والطبراني
جميعا باسناد واحد عنه ولا مانع من ان يكون عطا بن يسار حمله
عن كل منهما فقد اخرجه ابن سعد من طريق زيد بن اسلم قال بلغنا
ان عبد الله بن سلام كان يقول فذكره والظاهر ان المبلغ لزيد هو عطا
ابن يسار فانه معروف بالرواية عنه فيكون هذا شاهدا لرواية
سعيد بن ابي هلال ومما جاء عن ابن سلام مجملا ما اخرجه الترمذي من
طريق محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن ابيه عن جده رضي الله عنه
قال مكتوب في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرقه
عن ابن اسحق كذا في النسخ اولا عن ابي اسحق فضرب عليها وكتب في
الهامش عن ابن اسحق وهو الامام صاحب المغازي محمد بن اسحق بن
يسار ابو بكر وقيل ابو عبد الله المطلبي مولاهم المدني وهو مولى عبد الله بن قيس

ابن اسحق
صاحب السيرة
ه

ابن محمد القرشي وكان جده من سبي عين التمر وهو اول سبي دخل
المدينة من العراق يروي عن الزهري ونافع وروى عنه الثوري
وشعبة والناس مات سنة احدى او اثنتين وخمسين
ومائة ببغداد وقيل سنة خمسين ومائة وقد تكلم في ابن اسحق
هذان رجلان هشام بن عروة ومالك بن انس اما هشام بن عروة
فقال يحيى بن سعيد قلت لهشام بن عروة ان ابن اسحق يحدث عن
فاطمة بنت المنذر قال وهل كان يصل اليها قال ابو حاتم وهذا الذي
قاله هشام بن عروة ليس بجرح به الانسان في الحديث وذلك ان
التابعين مثل الاسود وعلقمة من اهل العراق وابي سلمة وعطاء
ودونهما من اهل الحجاز قد سمعوا من عائشة رضي الله عنها من غير ان
ينظروا اليها وانما سمعوا صوتها وقبل الناس اخبارهم من غير ان يصل
احدهم حتى ينظر اليها عيانا وكذلك ابن اسحق كان يسمع من فاطمة
بنت المنذر والستر بينهما مسبل وبينهما حائل من حيث يسمع
كلامها فهذا سماع صحيح والقادح فيه غير منصف واما مالك رضي الله عنه بلغ
فانه كان ذكر منه مرة ثم عاد الى ما يحب وذلك انه لم يكن بالحجاز اعلم بانساب
الناس وآبائهم من ابن اسحق وكان يزعم ان مالكا من موالي اصبح وكان
مالك يزعم انه من انفسهم فوقع بينهما لهذا مفاوضة فلما صنف مالك
الموطا قال ابن اسحق ائتوني به فاني
فنقل ذلك الى مالك فقال هذا دجال من الدجاجلة يروي عن اليهود
وكان

وكان بينهم ما يكون بين الناس حتى عزم محمد بن اسحق على الخروج الى العراق
فتصالحا عند ذلك فاعطاه مالك عند الوداع خمسين دينارا ونصف
ثمرته تلك السنة ولم يكن يقدح فيه مالك من اجل الحديث انما كان
ينكر عليه تتبعه غزوات النبي صلى الله عليه وسلم عن اولاد اليهود الذين اسلموا
وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وما اشبهها من الغزوات عن
اسلافهم وكان ابن اسحق يتتبع هذا عنهم ليعلم من غير ان يحتج بهم وكان
مالك لا يرى الرواية الا عن متقن صدوق فاضل يحسن ما يروي
ويدري ما يحدث وقال الحسين بن واقد دخلت على ابن المبارك واذا
هو وحده فقلت يا ابا عبد الرحمن كنت اشتهي ان اراك على هذه
الحالة قال هات قلت ما تقول في ابن اسحق قال انا وجدناه صدوقا
ثلاث مرات قال يحيى بن معين كان محمد بن اسحق ثبتا في الحديث
قال ابو حاتم لم يكن بالمدينة مقارن لابن اسحق في علمه ولا يوازيه
في جمعه وكان شعبة وسفيان يقولان محمد بن اسحق امير المؤمنين
في الحديث وهو من احسن الناس سياقا للاخبار واحسنهم
حفظا لمتونها وانما اطلت في ترجمة محمد بن اسحق لان المصنف
يكثر الرواية عنه في هذا الكتاب فيجب علينا تبرئة عرضه مما رمي به
لئلا يسارع بعض من لا يفهم الى التوقف في قبول ما يرويه **ولا صخب**
في الاسواق بكسر الخاء المعجمة على زنة فهم والمتبادر من صخب انه اسم
فاعل من صيغ المبالغة مثل مزق في قول الشاعر

مصراع من الكامل

اتاني انهم مزقون عرضه ﻫ وقوله حذرا امورا لا تضير ﻫ فان قلت
النفي الداخل على صيغة المبالغة ينصب الى القدر الزائد على اصل الفعل
لا الى اصل الفعل فاذا قيل انه ليس بصخب يراد منه انه لا يبالغ في
الصخابية وان وجد منه اصلها قلت هذه الكلمة صارت صفة
مشبهة لان صخب وان كان اسم فاعل فاسم الفاعل اذا قصد ثبوت
معناه عومل معاملة الصفة وكان معناه الثبوت لا الحدوث والمعنى
انه صلى الله عليه وسلم لم يثبت له الصخب بالاسواق لان صيغة المبالغة
اذا انقلبت صفة مشبهة سلب منها المبالغة ولم ترد على معنى الثبوت
الا ترى انهم قالوا في قول الشاعر ما الراحم القلب ظلاما وان ظلما (من البسيط)
ولا الكريم بمناع وان حرما ﻫ ان المعنى من كان راحما بقلبه لا ينسب
الى الظلم وان ظلم لان الظلم الصادر منه من غير طبيعة ولا سجية ولم
يلاحظوا معنى المبالغة ثم ان النفي منصب الى كون صخبه في
الاسواق فلا ينافي ذلك وقوع الصخب منه في الجملة كيف وقد قررنا
في تفسير حديث عبد الله بن عمرو السابق انه صلى الله عليه وسلم كان
يرفع صوته ويبيع ثم قيل يستفاد من نفي كونه صخابا في الاسواق التي (ذكره)
هي مظنة الصخابية المستقبحة نفي الصخابية في غير ما هو مظنتها
بالطريق الاولى واقول لا يلزم من نفي الصخابية في الاسواق
التي هي مظنة الصخابية المستقبحة نفي الصخابية المستحسنة
واني الطريق الاولى هنا ولا متزين بالفحش الفحش كل ما يشتد قبحه

من

من الذنوب والمعاصي وكثيرا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنى وكل خصلة
قبيحة فهي فاحشة من الاقوال والافعال وفي الحديث قال النبي صلى
الله عليه وسلم لعائشة ام المومنين رضي الله عنها لما استاذن رهط
من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم فقالت
عائشة رضي الله عنها بل عليكم السام واللعنة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا عائشة ان الله عز وجل يحب الرفق في الامر كله قالت الم
تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم وفي رواية مه يا عائشة فان الله عز
وجل لا يحب الفحش ولا التفحش وزاد فانزل الله عز وجل واذا جاؤك
حيوك بما لم يحيك به الله اراد بالفحش التعدي في القول والجواب
لا الفحش الذي هو من قذع الكلام ورديه والتفاحش تفاعل منه
وقد يكون الفحش بمعنى الزيادة والكثرة ومنه حديث بعضهم وقد سئل
عن دم البراغيث فقال ان لم يكن فاحشا فلا باس به ومعنى كونه غير
متزين بالفحش فيما يظهر ان هذا علامة من علاماته صلى الله عليه وسلم وهو
انه خرج بين قوم يتزينون بالفواحش كالزنى وانكحة البغايا والطواف
بالبيت وهم عراة وقد سمى الله عز وجل ذلك في القران فاحشة فقال تعالى
واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله
لا يامر بالفحشاء والفاحشة في هذه الاية في قول اكثر المفسرين هي طوافهم
بالبيت عراة وقال الحسن هي الشرك والكفر ولقوم النبي صلى الله عليه وسلم
معروفة كان بنوا اسرايل يذمونهم عليها وهم كانوا يفتخرون بها والنبي

صلى الله عليه وسلم جا رافعا شعار كل فاحشة دافعا لهرج كل قبيحة وبدعة
وجا باخلاق وسمات واتصف هو واصحابه بصفات لم يشم غبارها
امة موسى ولا امة عيسى عليهما السلام وكان اهل الجاهلية يرون تلك
الفواحش زينة ويفتخرون بها فكانوا يتزينون بها بحسب مدعاهم
ورايهم الفاسد وانه هذا من قوله عز وجل فبشرهم بعذاب فان العذاب
ليس مما يسر لا ظاهرا ولا باطنا فاذا جعل مبشرا به كان ذلك على سبيل
التهكم واما هنا فان القوم كانوا يرونه تلك الفواحش زينة وقربة
وفعلة حسنة فكانوا يتزينون بها ونبينا صلى الله عليه وسلم
جا بالقسط كما قال عز وجل قل امر ربي بالقسط فكان زينته
العدل والقسط ومكارم الاخلاق ومحاسن السجايا والافعال
صلى الله عليه وسلم ولا التفات الى قول من جعله من قبيل فبشرهم بعذاب
اليم وانها استعارة تهكمية فتامل **ولا قوال للخنا** الخنا الفحش في
القول وفي الحديث اخنى الاسما عند الله عز وجل رجل تسمى ملك
الاملاك وفي الحديث ايضا من لم يدع الخنا والكذب فلا حاجة لله عز
وجل في ان يدع طعامه وشرابه وقوال صيغة نسبة اي ولا ينسب
احد الى قول الخنا لا في قليل ولا في كثير وليس مراده نفي المبالغة حتى
يحتاج الى ان يحكم عليه بانه قد يقول الخنا الموجب فان هذه مقالة
واهية ونبينا صلى الله عليه وسلم معصوم عن قول الخنا مطلقا كيف
وقد قال انس رضي الله عنه خدمته عشر سنين فما قال اف قط ولا
قال

لشي فعلته لم فعلته ولا لشي تركته لم تركته **اسدده لكل جميل** اتى بهذه
الجملة مفصولة عما قبلها لانها جواب سوال وذلك ان الله عز وجل وصفه
في التوراة بصفات جميلة كما سبق فكان سايلا سال وقال هذه
الصفات من منحه اياها ومن جعله متصفا بها وهل هذه صفاته
فقط اوله صفات اخرى فاجاب قايلا اني اسدده لكل جميل
السداد الاستقامة وهو القصد في الامر والعدل فيه ويقع على
الصور والمعاني وفي الحديث ان الله عز وجل جميل يحب الجمال اي حسن
الافعال يحب حسنها فقوله اسدده معناه اجعله ذا قصد
واعتدال في كل فعل جميل فليس ذلك من قبيل التجريد في شي لان كل
جميل ليس ماخوذا في مفهوم السداد حتى يكون ذكره بعده مبنيا
على تجريده عنه كذكر الليل بعد الاسرا في قوله تعالى سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا فان الليل ماخوذ في مفهوم الاسراء **واهب له كل خلق كريم**
الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية وحقيقته انه لصورة
الانسان الباطنة وهي نفسه ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق
بفتح الخا لصورته الظاهرة واوصافها ومعانيها المختصة بها ولهما
اوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان باوصاف
الصورة الباطنة اكثر مما يتعلقان باوصاف الصورة الظاهرة ولهذا
تكرر في الحديث الحث على حسن الخلق وسُئلت عائشة رضي الله عنها
عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقرات قد افلح المومنون الى عشر ايات وقالت

ما كان احد احسن خلقا من النبي صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من
الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله عز وجل وانك لعلى
خلق عظيم ولم يذكر الله عز وجل خلقا في القران محمودا الا وكان للنبي صلى
الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر ثم اجعل السكينة لباسه هي بمهملة — الكلام على السكينة
على زنة عظيمة وحكى ابن قرقول والصغاني فيها كسر اولها والتشديد
بلفظ مرادف للمدينة وقد نسب ابن قرقول للحربي وانه حكاه عن
بعض اهل اللغة وقد روى الطبراني وغيره عن علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه قال هي ريح هفافة لها وجه كوجه الانسان
وقيل لها راسان وعن مجاهد لها راس كراس الهر
وعن الربيع بن انس لعينيها شعاع وعن السدي السكينة
طست من ذهب من الجنة يغسل فيه قلوب الانبيا عليهم السلام
وعن ابن مالك قال هي التي القى فيها موسى عليه السلام الالواح
والتوراة والعصا وعن وهب بن منبه هي روح من الله عز وجل
وعن الضحاك بن مزاحم قال هي الرحمة وعنه هي سكون القلب
وهذا اختيار الطبري وقيل هي الطمانينة وقيل الوقار وقيل
الملائكة ذكرها الصغاني والذي يظهر انها مقولة بالاشتراك
على هذه المعاني فيحمل في كل موضع وردت فيه على ما يليق به فالذي
يليق بالحديث الصحيح المروي في الصحيحين مبتدا عنهما واللفظ
للبخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كان رجل يقرا سورة

الكهف والى جنبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة
فجعلت تدنو وتدنو وجعلت فرسه تنفر فلما اصبح اتى النبي صلى الله — خبر المبتدا
عليه وسلم فذكر ذلك له فقال تلك السكينة تنزلت للقران هو الاول
وليس قول وهب ببعيد واما قوله تعالى فانزل الله سكينته عليه وقوله تعالى
هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين فيحتمل الاول ويحتمل قول
وهب واما التي في قوله عز وجل فيه سكينة من ربكم وبقية فيحتمل قول
السدي وابن مالك وقال النووي المختار انها شي من المخلوقات فيه
طمانينة ورحمة ومعه الملائكة وقد فسرت في حديث الدفع من عرفة
عليكم السكينة بالوقار والتاني في الحركة والسير وفي حديث
زيد بن ثابت كنت الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم فغشيته
السكينة يريد بها ما كان يعرض له صلى الله عليه وسلم من السكون والغيبة
عند نزول الوحي وفي حديث ابن مسعود السكينة مغنم وتركها مغرم
قيل اراد بها هنا الرحمة وفي حديث مالك بعد ان السكينة تنطق على
لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل هو الوقار والسكون وقيل
الرحمة وقيل اراد السكينة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز
قيل في تفسيرها انها حيوان له وجه كوجه الانسان مجتمع وسايرها
خلق رقيق كالريح والهواء وقيل هي صورة كالهرة كانت معهم في
جيوشهم فاذا ظهرت انهزم اعداوهم وقيل هي ما كانوا يسكنون اليه
من الايات التي اعطيها موسى عليه السلام والاشبه بحديث عمر رضي الله عنه

انه من الصورة المذكورة ووقع في حديث بناء الكعبة فارسل الله عز وعلا
اليه السكينة وهي ريح خجوج اي سريعة المرور والحق في ذلك ما قاله
النووي واختاره من انها شي من المخلوقات وقد عدها الشيخ اشياخنا
جلال السيوطي في كتاب له يتعلق بالملائكة منهم وحديث اسيد بن حضير
لما نزلت عليه السكينة سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
الروايات بالملائكة فقال ان الملائكة نزلت لسماع القران وفي رواية
تلك السكينة فان قلنا بذلك وهو المختار فالمراد بقوله هنا السكينة
اي اثار تلك الملائكة لما ينزلون على قلب العبد المومن صارت لباس النبي
صلى الله عليه وسلم واثارها هي الوقار والطمانينة وكان الوقار والطمانينة
لما عماه في جميع حركاته وكلماته وافعاله واقواله شبهها باللباس الذي
يعم اللابس ويشمله فاطلاق اللباس عليها تشبيه بليغ حيث
حذف اداة التشبيه واتى بالمشبه والمشبه به فان قلت قد قال
الله عز وجل هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين فالسكينة
على هذا محلها القلب وقضية كلام المصنف ان محلها الجسد فانه
شبهها باللباس واللباس محله الجسد قلت المراد بالسكينة
الملك الذي ينزل على قلب من اراد الله عز وجل من عباده فيسدده
ثم يظهر اثار تسديده على ظاهره فتصير تلك الاثار كاللباس له وان
تلك الاثار تسمى سكينة مجازا والبر شعاره البر الاتساع في الاحسان
والزيادة منه ومنه يقال ابر على صاحبه في كذا اي زاد عليه وسميت

البرية

البرية لاتساعها والبر في قوله عز وجل لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
هو الجنة والبر اسم جامع للخير كله والشعار الثوب الذي يلي الجسد
لانه يلي شعره وقال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار انتم الشعار
والناس الدثار اي انتم الخاصة والبطانة والدثار الثوب الذي
فوق الشعار وقيل المعنى انتم اهل القرب مني والناس بالنسبة
اليكم بعيدون والتقوى ضميره التقوى مصدر وقى يقي والوقاية
قال بعضهم انها فرط الصيانة واقول الذي علم من كلام صاحب القاموس
ان الوقاية هي الصيانة والفرط لم يفهم من كلامه والذي يظهر لي ان
الوقاية بكسر الواو في الاصل اسم لما يتقى به ثم اطلق على الصيانة
كانه من مبالغة صيانته له الة تحفظه ثم قصد زيادة المبالغة
فاطلق على نفس الصيانة الوقاية مبالغة في شدة صيانته والتقوى ∴
في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلاث
مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري من الشرك وعلى ذلك
قوله عز وجل والزمهم كلمة التقوى الثانية التجنب عن كل ما يوثم من
فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف في التقوى في الشرع
وهو المعني بقوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا الثالثة
ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بشراشره
وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله عز وجل اتقوا الله حق الاية
ومعنى كونها ضميره انها مضمرة ومنوية في خاطره لا ينساها وفي

الصحاح اضمرت في نفسي شيا والاسم الضمير والمضمر الموضع والمفعول
وقال الشاعر سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر من الطويل
والحكمة معقولة الحكمة والحكم الكلام النافع الذي يمنع صاحبه من
الجهل والسفه وينهى عنهما وقيل المراد بها المواعظ والامثال التي
ينتفع بها الناس والحكمة ايضا الفقه والعلم والقضا بالعدل وقد
قيل في تفسير قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة ان الحكمة النبوة والموعظة الحسنة القران ويمكن ان
يراد بها ههنا النبوة اي ان تعقل النبي صلى الله عليه وسلم كلما في شوون
النبوة والرسالة ليبلغ ما اوحي اليه من ربه عز وجل **والعدل سيرته**
قيل العدل الفرايض والاحسان النافلة وقيل استوا السريرة والعلانية
والاحسان ان تفضل السريرة على العلانية وقيل العدل الانصاف
والاحسان التفضل وقال ابن عطية العدل هو كل مفروض من عقايد
وشرايع في اداء الامانات وترك الظلم والانصاف واعطا الحق
والاحسان هو فعل كل مندوب قال القاضي ابو بكر بن العربي
العدل بين العبد وربه عز وجل ايثار حقه تعالى على حظ نفسه وتقديم
رضاه على هواه والاجتناب للزواجر والامتثال للاوامر واما
العدل بينه وبين نفسه فمنعها مما فيه هلاكها كما قال عز وعلا ونهى
النفس عن الهوى وعزوف الاطماع عن الاتباع ولزوم القناعة
في كل حال ومعنى واما العدل بينه وبين الخلق فبذل النصيحة
وترك

وترك الخيانة فيما قل او كثر والانصاف من نفسك لهم من كل وجه ولا يكون
منك اساءة الى احد بقول ولا فعل لا في سر ولا في علن والصبر على
ما يصيبك منهم في البلوى واقل ذلك الانصاف وترك الاذى ومعنى
سيرته طريقته قيل وجعل العدل سيرته لا ينافي ان يكون الاحسان
طريقة له ايضا في محل اخر يليق به ولا ان يكون العفو خلقه
وطبيعته التي يجوز الخروج عن مقتضاها لمصلحة تليق بالمقام
انتهى واقول لا يخفى ان الاحسان اخص من العدل فكل
محسن عادل وليس كل عادل محسنا ولما مثل المشركون بحمزة
عم النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة احد فلو ان النبي صلى الله عليه وسلم
مثل بقتلاهم كما مثلوا بعمه لكان ذلك عدلا ولم يكن احسانا
ولما عفا عنهم ولم يعاقبهم بفعلهم كان محسنا وكان عادلا ايضا
وقضية كلام هذا القايل ان الاحسان قد ينفرد عن العدل وليس
كذلك واما العفو فان كان عفوا باذن الشرع به كعفوه صلى الله عليه
وسلم عن الاعرابي الذي اخترط سيفه عليه ليقتله فانه يسمى عفوا
ويسمى عدلا ايضا واما العفو الذي لم ياذن به الشرع كعفوه صلى الله
عليه وسلم عن الحدود فذلك لم يقع منه صلى الله عليه وسلم لعصمته منه
والصدق والوفا طبيعته يطلق الصدق على الصدق في الاحوال والافعال
وعلى الصدق في المقال اما الاول فهو عبارة عن موافقة الحق في السر
والعلانية وقال عبد الواحد بن زيد الصدق الوفا لله عز وجل بالعمل

وقال الواسطي الصدق صحة التوحيد مع القصد ورسول الله صلى الله عليه
وسلم كان مطبوعا على هذا الكمال ووجد ذلك فيه سجية لا بكسب
ولا اجتهاد بل منحة من الله عز وجل منحه اياها واما الصدق في
المقال فبلوغه فيه اعلى الذرى امر تقرر واشتهر فقد اخرج ابو داود
في السنن بسنده الى عبد الله بن عمرو بن العاصي قال كنت اكتب
كل شي اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم اريد حفظه فنهتني
قريش وقالت تكتب كل شي تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا فامسكت
عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاوما باصبعه
صلى الله عليه وسلم الى فيه فقال اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه
الا حق واما الوفا ففي القاموس وفى بالعهد كوعى وفا ضد غدر
كاوفى والطبيعة قال في القاموس الطبع والطبيعة والطباع
ككتاب السجية جبل عليها الانسان والعفو والمعروف خلقه
اما العفو فقال في قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف اي خذ
الميسور من اخلاق الناس ولا تستقص عليهم وفي قوله
والعافين عن الناس اي التاركين لهم ما لهم عليهم من مظلمة ويقال
عفا الله عز وعلا عن فلان اي محا ذنبه عنه من قولهم عفت الريح الاثر
والعفو محو الذنب والمراد بالمعروف الاحسان وفي الحديث
اهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الاخرة اي من بذل

معروفه

معروفه للناس في الدنيا اتاه الله عز وجل جزا معروفه في الاخرة
وقيل اراد من بذل جاهه لاصحاب الجرايم التي لا تبلغ الحدود
فيشفع فيهم شفعه الله عز وجل في اهل التوحيد في الاخرة وروى
عن ابن عباس في معناه قال ياتي اصحاب المعروف في الدنيا يوم
القيمة فيغفر لهم لمعروفهم وتبقى حسناتهم جامة فيعطونها لمن
زادت سياته على حسناته فيغفر له فيدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان
الى الناس في الدنيا والاخرة والحق شريعته الشريعة في الاصل
مشرعة الما وهي موردة الشاربة والشرعة هي الطريقة ومنه قوله
تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قال ابن عرفة الشرعة والشريعة
سوا وهو الظاهر المستقيم من المذاهب يقال شرع الله عز وجل هذا
اي جعله مذهبا ظاهرا ومنه قوله عز وجل شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا اي بين واظهر ولهذا سميت المشرعة والشريعة لانها في مكان
ظاهر معلوم من البحر والنهر يكون ظاهرا معروفا والشريعة هي
قانون الهي وضعه رب العزة على لسان احد انبيائه عليهم السلام
وهي لفظ منقول من الشريعة بالمعنى السابق والمناسبة بين
المنقول منه والمنقول اليه كون كل منهما امرا ظاهرا جليا فان قلت
قوله والحق شريعته بتعريف المسند اليه والمسند وذلك يقتضي
الحصر فكانه يقول لا حق الا شريعته مع ان شريعة غيره من الانبياء
كانت حقا فكيف هذا الحصر قلت قيل اراد الحق الكامل الذي لا ينسخ

واقول بل الحصر على بابه ولا احتياج في صحة الكلام الى ملاحظة وصف
لان شريعته في زمن موسى وعيسى عليهما السلام لم يكن لها وجود ولم
تكن معلومة والا لما هي حتى تكون شريعة فلما ظهرت واطلق عليها
اسم الشريعة لم يكن في الشرائع حق غيرها وما سواها باطل **والهدى**
امامه هو الدلالة بلطف ولذلك يستعمل في الخير واما قوله عز وعلا
فاهدوهم الى صراط الجحيم فوارد على التهكم والمراد بالهدى هدى الله
عز وجل وهو ثلاثة انواع الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المؤمن (قوله ثلاثة انواع سهو وصوابه اربعة ه)
من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر
الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل
والصلاح والفساد واليه اشار بقوله وهديناه النجدين وقال واما
ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال
الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم الرابع ان
يكشف عن قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي عليه بالوحي
والمنامات الصادقة وهذا قسم تختص بنيله الانبياء والاولياء
وقوله امام بكسر الهمزة اي مقتدى ومنه قوله تعالى لابرهيم عليه السلام
اني جاعلك للناس اماما اي يأتمون بك ويتبعونك وبه سمي الامام
لان الناس يؤمون افعاله اي يقصدونها ويتبعونها ويظهر لي ان اللام
في الهدى للعهد اي هدى الانبياء الذين ذكرهم الله عز وجل في سورة

الانعام

الانعام فقال تعالى بعد ان ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اي
اي اختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من
التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى
مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا وفي صحيح البخاري بسنده
الى العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس
من اين سجدت فقال او ما تقرا ومن ذريته داود وسليمان اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده فكان داود ممن امر نبيكم صلى الله عليه
وسلم ان يقتدي به فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويجوز ان يراد بالامام الطريق اي الهدى طريقه الذي يسلكه ويسير فيه
اخذا من قوله عز وجل وانهما لبامام مبين اي قرية قوم لوط عليه
السلام واصحاب ليكة والمعنى ان الله بين لنا طريقا واضحا براها
من اعتبر وانما قيل للطريق انه امام لانه يؤم فيه المسالك اي تقصد
فان قلت قد وجد في بعض النسخ امام بفتح الهمزة وهو اسم للجهة
التي تحاذي الوجه فهل له معنى قلت يمكن ان يكون معناه ان الهدى
تلقاء وجهه لا يجعله ظهريا لكن المعنى الفصل والقصد الحسن انما
هو الامام بكسرها **والاسلام ملته** الملة الدين كملة الاسلام واليهودية
والنصرانية وقيل هي معظم الدين وجملة ما يجيء به الرسل عليهم السلام
اي فلا يطلق الاسلام على غير ملته وقيل يطلق الاسلام على كل دين
حق والاصح الاول بدليل قوله عز وجل ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم المسلمين

كذا

من قبل وفي هذا والضمير فيه هو راجع الى الله عز وجل بدليل انه قرئ الله
سماكم المسلمين والمراد بقوله من قبل اي في الكتب المتقدمة وفي هذا
اي في القران وقيل الضمير راجع الى ابرهيم عليه السلام وتسميته هم
مسلمين في القران وان لم تكن منه لكن كانت بسبب تسميته من قبل
في قوله عز وجل ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقريره وفي
هذا بيان تسميته اياكم المسلمين فقوله سماكم المسلمين لو لم يكن
ذلك خاصا بهم كالذي ذكر قبله لم يكن لتخصيصه فائدة وذلك
قوله عز وجل ما جعل عليكم في الدين من حرج فنفي الحرج خاص لهذه
الامة بدليل ما روي عن كعب قال اعطيت هذه الامة ثلاث خصال لم
يعطها الا الانبياء عليهم السلام كان النبي يقال له بلغ ولا حرج وانت
شهيد على قومك وادع اجبك وقال لهذه الامة ما جعل عليكم في الدين
من حرج وقال لتكونوا شهداء على الناس وقال ادعوني استجب لكم
وهذا الذي فهم السلف من الاية يعني انه ذكر في هذه الاية امرين
خاصين لهذه الامة لا يشاركها فيهما امة من الامم وقال ابن زيد
وهو احد ائمة السلف في التفسير وطبقته في اتباع التابعين في قوله
عز وجل هو سماكم المسلمين من قبل قال لم يذكر الله عز وجل بالاسلام
غير هذه الامة ولم نسمع بامة ذكرت بالاسلام غيرها وقد روي هذا عن
ابن زيد باسناد صحيح وقال ابن عباس في قوله سماكم المسلمين من قبل قال
الله عز وجل سماكم مسلمين وبدليل قوله تعالى حكاية عن ابرهيم عليه السلام

ربنا

ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك دعا بذلك
لنفسه ولولده وهما نبيان ثم دعا به لامة من ذريته وهي هذه الامة
ولهذا قال عقب ذلك ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وهو نبينا
صلى الله عليه وسلم بالاجماع فاجاب الله عز وجل دعاءه بالامرين ببعث
النبي صلى الله عليه وسلم فيهم وبتسميتهم مسلمين ولهذا اشار الى ان
ابرهيم عليه السلام هو السبب في ذلك بقوله ملة ابيكم ابرهيم هو
سماكم المسلمين كما تقدم عن ابن زيد واخرج ابن ابي حاتم عن سلام بن
مطيع في قوله عز وجل ربنا واجعلنا مسلمين لك قال كانا مسلمين ولكن
سالاه الثبات وقال السدي في قوله تعالى ومن ذريتنا امة مسلمة لك
قال يعنيان العرب وفي قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم قال هو
محمد صلى الله عليه وسلم وبدليل قوله عز وجل ورضيت لكم الاسلام دينا
فانه ظاهر بالاختصاص بهم بدليل تقديم الجار والمجرور الذي هو في
محل نصب حال هذا بناء على ان لكم حال واما ان قلنا انه لغو وانه متعلق
برضيت فلا يفيد ذلك نعم ذكره في معرض الامتنان يفيد نفيه عن
غيرهم اذ لو شاركهم فيه غيرهم لفات الامتنان وقد وقع من شيخ اشياخنا
الجلال السيوطي ان جعل هذا من قبيل وبالاخرة هم يوقنون فان تقديم
هم تعريض باهل الكتاب وانهم لا يوقنون بالاخرة كذا ذكره وكما قال
الاصفهاني في قوله وما هم بخارجين من النار ان تقديم هم يفيد ان غيرهم
يخرج منها وهم الموحدون وكانه قصد بجعل هذا من قبيل ذلك ان كلا

منها فيه تقديم عن تاخير والا فالحال فيه من قبيل تقديم الحال على صاحبه
وما ذكره من قبيل فسخ الفاعل المعنوي عن رتبة التابعية الى جعله
مبتدا او بدليل قوله عز وجل انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها
النبيون الذين اسلموا للذين هادوا وبهذه الاية استدل من قال ان
الاسلام كان من وصف الانبياء عليهم السلام دون اممهم واخرج
اسحق بن راهويه في مسنده قال كان لعمر رضي الله عنه على رجل حق
فاتاه يطلبه فقال عمر رضي الله عنه لا والذي اصطفى محمدا صلى الله عليه
وسلم على البشر فقال اليهودي والله ما اصطفى محمدا على البشر فلطمه عمر
رضي الله عنه فاتى اليهودي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله
عليه وسلم بل يا يهودي آدم صفي الله وابرهيم خليل الله وموسى نجي الله
وعيسى روح الله وانا حبيب الله بل يا يهودي تسمى الله باسمين
عز وجل سمى بهما امتي هو السلام وسمى بها امتي المسلمين وهو المومن
وسمى بها امتي المومنين بل يا يهودي طلبتم يوما ذخر لنا اليوم ولكم
غد وبعد غد للنصارى بل يا يهودي انتم الاولون ونحن الاخرون
السابقون يوم القيمة بل ان الجنة محرمة على الانبياء حتى ادخلها
وهي محرمة على الامم حتى تدخلها امتي هذا الحديث صريح في اختصاص
امته بوصف الاسلام ولو شارك هذه الامة فيه مشارك لقال
اليهودي هذا ليس خاصا بامتك بل الامة الفلانية موصوفة به
واخرج البخاري في تاريخه والنسائي في سننه عن الحرث الاشعري

عن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا بدعوى الجاهلية فانه من جثا
جهنم قال رجل يا رسول الله وان صام وان صلى قال نعم فادعوا بدعوى
الله عز وجل التي سماكم بها المسلمين والمومنين عباد الله وبدليل قوله
عز وجل ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
هذه الاية دالة على ان شريعة موسى عليه السلام تسمى اليهودية وشريعة
عيسى عليه السلام تسمى النصرانية وشريعة ابرهيم تسمى الحنيفية
وبها بعث النبي صلى الله عليه وسلم وهي صريحة في ان اليهود والنصارى
لم يدعوا ان شريعتهم تسمى الاسلام فان قلت ما تقول في قوله عز وجل
في حق لوط عليه السلام فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين فقد سمى الله عز وجل من لم يكن من هذه
الامة مسلما قلت المدعى ان هذا الوصف لم يطلق على امة من الامم
الا امة محمد صلى الله عليه وسلم والاية اطلق فيها الاسلام على بيت لوط
ولم يكن فيه مسلم الا هو عليه السلام وبناته والانبياء عليهم السلام
كان يطلق عليهم هذا الوصف ولوط عليه السلام نبي فاطلق عليه وصف
الاسلام بالاصالة وعلى بناته بالتغليب او التبعية ولا مانع ان
يختص اولاد الانبياء بخصائص لا يشاركهم فيها بقية الامة كما
اختص السيد ابرهيم ابن نبينا صلى الله عليهما وسلم بانه لو عاش لكان
نبيا واختصت فاطمة بانه لا يجوز لزوجها ان يتزوج عليها وكما
اختصت ايضا بجواز ان تمكث في المسجد مع الحيض والجنابة

وكذلك ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اختصصن بذلك وكذلك علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه والحسن والحسين اختصوا بجواز المكث
في المسجد مع الجنابة كل ذلك على سبيل التبعية لنبينا صلى الله عليه وسلم
فكذلك لا مانع من ان يوصف اولاد الانبياء عليهم السلام بما يوصف به
اباؤهم تبعا لهم وكذلك قوله عز وجل عن اولاد يعقوب عليه السلام ونحن له
مسلمون فان كانوا انبياء فلا اشكال والا ففيهم من هو نبي وهو يوسف
عليه السلام فيكون ذلك على سبيل التبع والتغليب وكذلك قول موسى عليه
السلام يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين اما
ان يحمل على التغليب فانه خاطبهم وفيهم اخوه هارون ويوشع وهما
نبيان فادرج بقية القوم في الوصف تغليبا او يحمل على ان المراد ان
منقادين وقد اورد على ذلك قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به
يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من
قبله مسلمين وقد اجاب عن ذلك شيخ اشياخنا الجلال السيوطي
بان الوصف في قوله مسلمين اسم فاعل مراد به الاستقبال كما هو
حقيقة فيه لا الحال ولا الماضي اللذان هما مجاز والتمسك بالحقيقة
هو الاصل وتقدير الاية انا كنا من قبل مجيئه عازمين على الاسلام به اذا
جاء لما نجده في كتبنا من نعته ووصفه ونظيره قوله عز وجل انك ميت
وانهم ميتون وانا اقول جعل اسم الفاعل حقيقة في الاستقبال
قول مرجوح بل المذهب المنصور انه مجاز فيه ونظم لي جواب غيرها
سطره

سطره السيوطي وهو ان المختص بهذه الامة الاسلام بالمعنى الشرعي
اعني شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء
الزكوة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا وهذا الوصف
لم يوجد الا في هذه الامة قطعا واما الاسلام بمعنى الانقياد الذي هو
المعنى اللغوي فقد يتصف به غيرهم على طريق انه نعت لبعض الاحاد
في بعض الخصوصيات لا في كونه اسما لدينهم ووصفا لملتهم فان اسم
الاسلام الذي هو وصف الملة نقل من هذا المعنى وجعل اسما لمجموع
شرايع هذا الدين وهذا المجموع لم يتصف به الا هذه الامة فلا جرم
اختص الاسلام بعد نقله الى هذا المعنى بهم كالصلوة الشرعية
اختصت باولاد ادم مع اطلاق الصلوة اللغوية على البهائم
كالطيور في قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه فافهم واحمد اسم
هو علم منقول من صفة هي اسم التفضيل ومعناه احمد الحامدين وسبب
ذلك ما ثبت في الصحيح انه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يفتح بها
على احد قبله وقيل الانبياء عليهم السلام حمادون وهو احمدهم اي
اكثرهم حمدا واعظمهم في صفة الحمد وسياتي في بحث اسماء النبي صلى الله
عليه وسلم كلام نافع في هذا المقام ثم لما ذكر الصفات السلبية والايجابية
التي اتصف بها صلى الله عليه وسلم في نفسه ذكر بعد ذلك ما حصل منه
من المنافع المتعدية الى غيره فقال اهدى به بعد الضلالة اي اهدى
بسببه وبواسطته قوما كانوا ضالين وقد تقدم ان معنى الهداية

واما الضلالة فهي عند العرب سلوك غير سبيل القصد يقال ضل عن الطريق
واضل الشي اذا اضاعه هذا مذهب العرب واما ما جاءت به الشريعة
المطهرة فالضال على الاطلاق من ضل عن امر الله عز وجل قال ابن عرفة
والضال على ضربين احدهما السالك في سبيل الضلالة عامدا وهو
قوله عز وجل واما ان كان من المكذبين الضالين والاخر الضال
السالك غير القصد على غير تعمد ومنه قوله عز وجل حكاية عن موسى
عليه السلام فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين اي اردت
شيا فجربت الى غيره وضللت عنه فهذه الثانية ليست قصدا انما هو
سلوك غير القصد على غير عناد **واعلم به بعد الجهالة** مصدر جهله
كسمعه في القاموس جهله جهلا وجهالة ضد علمه والجهل هو الاعتقاد
الغير المطابق مع الجزم ويسمى الجهل المركب لانه مركب من عدم العلم بالشي
واعتقاد غير مطابق وهذا كاعتقاد المعتزلي ان الله عز وجل لا يرى
في الاخرة وسواء في هذا القسم ما اعتقده تقليدا كما في اعتقاد بعض
الكفار الذين حكى الله عز وجل عنهم قولهم انا وجدنا اباءنا على امة وانا على
اثارهم مقتدون او اعتقده بشي باطل ظنه دليلا كما في رؤوس المبتدعة
وكثير من الكفار يحسبون انهم على شي الا انهم هم الكاذبون واما الجهل
البسيط فهو انتفاء ادراك الشي بالكلية بحيث لا يخطر بالبال اصلا
بشرط ان يكون انتفاء العلم عن القابل للعلم اي الذي من شانه الادراك ليخرج
نفيه عن نحو الجلمود بفتح الجيم والضم كما قال الجوهري اي الصخر ومثل الحيوان

غير

غير العاقل فلا يوصف شي من ذلك بالجهل لعدم القابلية كذا ذكره الامدي
في ابكار الافكار فالجهل نوعان وكلا النوعين ازالهما من قلوب المتصفين
به ربنا عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بالنور الذي جاء به **وارفع
به بعد الخمالة** بفتح الخاء المعجمة وفي القاموس خمل ذكره وصوته خمولا خفي
واخمله الله عز وجل فهو خامل ساقط لا نباهة له انتهى وفي الحديث
اذكر الله عز وجل ذكرا خاملا اي منخفضا توقيرا لجلال الله تعالى يقال
خمل صوته اذا وضعه واخفاه ولم يرفعه **واسمي به بعد النكرة** اي اعرف
به اناسا لم يكونوا معروفين فصار لهم ذكر ملأ الخافقين وتوارثه الناس
جيلا بعد جيل الى قيام الساعة وهذا امر ظاهر محسوس في قوم لا احصر
لهم ولا عد من الصحابة والتابعين وتابعيهم والعلماء المتاخرين والمتقدمين
والخلفاء الراشدين والاولياء والصالحين كل منهم لم يرفع له الله عز وجل
قدرا ولم يبين له بعد النكرة ذكرا الا بمحمد صلى الله عليه وسلم والله عز وجل يجزيه
افضل ما جازى به نبيا عن امته **واكثر** بضم الهمزة وتشديد الثاء **بعد
القلة** اي اجعل متبعيه بعد ان كانوا قليلين كثيرين لان ذلك شان
الرسل ان اتباعهم يزيدون ولا ينقصون ثم ان كثرة الاتباع تدل على
تمام الحيطة فكل من كانت همته اعلى كان اتباعه اكثر وفي صحيح مسلم
بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت
علي الامم فرايت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان
والنبي ليس معه احد اذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم امتي فقيل لي

هذا موسى عليه السلام وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد
عظيم فقيل لي انظر الى الافق الاخر فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك
ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب في الاخرة
الحديث وفيه بسنده الى عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قبة نحوا من اربعين رجلا فقال اترضون ان تكونوا
ربع اهل الجنة قال قلنا نعم فقال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة
فقلنا نعم فقال والذي نفس محمد بيده اني لارجو ان تكونوا نصف
اهل الجنة فهذا دليل على كثرة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
واغنيهم بعد العيلة اي اجعل تابعيهم اغنيا بعد ان كانوا عالة فقراء
فالغنى ضد الفقر والعيلة اسم مصدر عال يعيل عيلا اذا افتقر اما فقر
تابعيه في بدء الاسلام فمعلوم مقرر ولقد روى مسلم في صحيحه في خطبة
عتبة بن غزوان اذ قال رضي الله عنه فيها ولقد رايتني سابع سبعة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق الشجر حتى قرحت
اشداقنا فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك
فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها فما اصبح اليوم منا احد الا اصبح
اميرا على مصر من الامصار واني اعوذ بالله عز وجل ان اكون في نفسي عظيما
وعند الله عز وجل صغيرا وانها لم تكن نبوة قط الا تناسخت حتى يكون اخر
عاقبتها ملكا وكان عتبة حين خطب هذه الخطبة اميرا على البصرة وفي
رواية لمسلم ما لنا طعام الا ورق الشجر الحبلة حتى قرحت اشداقنا

ومما

ومما اغناهم الله عز وجل به بعد العيلة ظفرهم بكنوز كسرى وقيصر وقسمة
اموالها بين الصحابة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واخرج البيهقي
في الدلائل بسنده الى عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشكونا اليه العري والفقر وقلة الشي فقال ابشروا
فوالله لانا بكثرة الشي اخوفني عليكم من قلته والله لا يزال هذا الامر فيكم
حتى يفتح الله عز وجل ارض فارس وارض الروم وارض حمير وحتى
تكونوا اجنادا ثلاثة جندا بالشام وجندا بالعراق وجندا باليمن وحتى
باليمن
يعطى الرجل المائة فيسخطها قال ابن حوالة ومن يستطيع الشام وبه
الروم ذوات القرون قال والله ليفتحنها الله عز وجل عليكم وليستخلفنكم
فيها حتى تظل العصابة البيض قمصهم الملحمة اقفاؤهم على الروم تجل
الاسود منكم المحلوق ما امرهم من شي الا فعلوه وذكر الحديث قال
ابو علقمة فسمعت عبد الرحمن بن جبير يقول يعرف اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعت هذا الحديث في جزء بن سهيل السلمي وكان على الاعاجم
في ذلك المكان فكان اذا راحوا الى المسجد نظروا اليه واليهم قياما حوله
فعجبوا لنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وفيهم واجمع به بعد الفرقة
وذلك ان الله عز وجل اوقع العداوة بين قبائل العرب فكانوا يتحاربون
حربا شديدا ولا اجتماع بينهم حتى بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم
فرفع ما بينهم من ضغائن الجاهلية وجمع بينهم اخوة الدين فصاروا ببركته
صلى الله عليه وسلم مجتمعون اجتماع الاحباب يتواصلون ويتزاورون

وبينا كمون ويرحل بعضهم الى بعض وكذا كان بينهم وبين العجم ضغائن
تودي الى منع اجتماع احد الفريقين بالاخر الا على طريق الاختفاء حتى
بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم فوصل نوره الى قلوب العجم فاصبح
العجم اخوان العرب والجامع بينهما محبته الوثيق تاركين الانساب ظهريا
ولم يبق للفريقين ببركته نسب الا التقوى ولم يبق فضل لعربي على عجمي
ولا عكسه الا بتقوى الله عز وجل **واولف به بين قلوب مختلفة** كما الف
بين فرقتي الانصار الاوس والخزرج قبل كان الاوس والخزرج اخوين
لابوين وقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة
حتى اطفأها الله عز وجل بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
ومصداقه في كتاب الله عز وجل قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ
كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا فقوله اخوانا
ان اريد الاخوة في الولادة فهو استعارة اي اصبحتم مشابهين من
هو اخو الانسان في محبته وتالفه معه وان اريد لازم الاخوة وهو
التالف والمحبة اي اصبحتم متالفين متحابين فذكر الملزوم وهو
الاخوان واراد لازمه وهو التالف فيكون مجازا مرسلا قال
ابن عرفة الاخوة اذا كانت في غير الولادة كانت المشاكلة والاجتماع في
الفعل كما تقول هذا الثوب اخو هذا الثوب اي يشبهه **واهوا مشتتة**
اي اجعل بسبب محمد صلى الله عليه وسلم اهواء كانت متخالفة بعيدة
عن التناسب فتصير كلها هوى واحدا وهو الميل الى توحيد الله عز وجل

وقد

وقد صدق الله عز وجل ذلك في كتابه العزيز حيث قال قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا
يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا
مسلمون وقد ارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم وكان في من ارسل اليهم
من يعبد معه مع الله عز وجل غيره كمشركي العرب يعبدون الاصنام
وكان هواهم في عبادة الاوثان فكل طائفة تعبد وثنا تهوى وهو
راي يتبع شهوة وكذلك المجوس كانوا يعبدون النار متبعين في ذلك
هوى انفسهم وكذلك اليهود والنصارى كانت شوونهم كلها بهوى
انفسهم كما قال ربنا عز وجل في شانهم افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى
انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وفي الغريبين للهروي
بما لا تهوى انفسكم اي لا تميل اليه ومنه قوله تعالى افرايت من اتخذ
الهه هواه اي ما تميل اليه نفسه والهوى في المحبة ميل النفس الى
من تحبه وهو على الاطلاق مذموم ثم قد يضاف الى ما لا يذم فيقال
هواي مع صاحب الحق اي ميلي ولا منافاة بين قوله واولف
به بين قلوب مختلفة واهواء مشتتة وبين قوله عز وجل لو
انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف
بينهم فانه عز وجل نفى عنه ان يكون هو المولف ولم ينف عنه كونه
سببا عاديا في التاليف كما اقتضاه هذا الكلام وكذا لا منافاة بين
قوله هنا واهدي به بعد الضلالة وبين قوله عز وعلا انك لا تهدي من

احببتها لان المنفي عنه هو كونه فاعلا للهداية والمثبت له هو كونه سببا
عاديا **وامم متفرقة** الامم جمع امة وهي الجماعة والصنف والفرقة من
المخلوقات ومعنى تفرقهم انهم كانوا على اديان مختلفة بعضها حق
وبعضها باطل وبعض كان حقا فصار منسوخا وجمع الله عز وجل جميع
من في الارض من الثقلين على دين واحد لا يرتضي غيره ولا ياذن لاحد
في اتباع غيره كما قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وهو في الاخرة من الخاسرين فان قلت قال الله عز وجل كان الناس
امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين الاية فانها تقتضي ان
الاختلاف حصل ببعثة النبيين وقبل بعثتهم لم يكن اختلاف قلت
كان الناس من لدن ادم عليه السلام الى زمن نوح عليه السلام على دين
واحد فلما ظهرت فيهم المعاصي ارسل الله نوحا عليه السلام وكان النبي
يبعث الى قوم مخصوصين فكانت امة كل نبي على دين من الاديان
المقبولة عند الله عز وجل وبعضهم لم يكن على دين مرضي ثم ان الله عز
وجل حصر النبوة المتبعة في محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق على وجه
البسيطة نبي بشريعة متبعة الا شريعته صلى الله عليه وسلم وانفسخت
الشرائع كلها واوجب على الثقلين ان يقتصروا على ملته ومن حاد عنها
كان خاسرا فجمع بين الامم المتفرقة على هذه الملة فمن تبعها تبع ما امر به
ومن حاد عنها وقع في الخسران ووقع في مهامه الطغيان **واجعل
امته خير امة اخرجت للناس** اخرج الترمذي عن بهز بن حكيم عن

ابيه

ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله عز وجل كنتم خير امة
اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها
عند الله عز وجل قال هذا حديث حسن صحيح وقال ابو هريرة نحن خير
الناس للناس نسوقهم بالسلاسل الى الاسلام والصحيح ان هذه
الاخيرية ثابتة لكل امة محمد صلى الله عليه وسلم قيل انما صارت امة محمد
صلى الله عليه وسلم خير امة لان المسلمين منهم اكثر والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر فيهم افشى ومع ذلك فخير امة محمد صلى الله عليه وسلم
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفي مسند ابي داود الطيالسي عن محمد
ابن ابي حميد عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون اي الخلق افضل
ايمانا قلنا الملائكة قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبياء عليهم السلام
قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الخلق
ايمانا قوم في اصلاب الرجال يومنون بي ولم يروني ويجدون
ورقا فيعملون بما فيها فهم افضل الخلق ايمانا **وفي حديث اخر اخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي احمد
المختار مولده بمكة ومهاجره** اي موضع هجرته **بالمدينة** الباء بمعنى في اي
في المدينة والظرفية هنا ظرفية الجزء للكل وذكر ان للنبي صلى الله عليه
وسلم محلا يهاجر اليه لان غالب الانبياء وقعت لهم عداوة مع اممهم
المرسلين اليهم فادتهم تلك العداوة الى هجرتهم من اوطانهم ولا شك

يطلب

ان هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة هجرة جزئية شخصية والهجرة
المطلقة المتصورة في الذهن باعتبار انه لابد ان يهاجر هجرة كلية
والهجرة الكلية جزء من جزئياته فبهذا الاعتبار صحت ظرفية طيبة
لهاجر كما يصح ان يقع زيد ظرفا للانسان فيقال الانسان في زيد
وقد وقع في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل ان النبي صلى الله عليه
وسلم لا بد به الاعداء يعادى ويخرج من وطنه ولهذا لما علم
ذلك ورقة بن نوفل قال للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان اخبره النبي صلى
الله عليه وسلم بجميع ما راى هذا الناموس الذي انزل على موسى عليه السلام
يا ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال النبي صلى الله عليه وسلم رسول صح
او مخرجيّ هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان
يدركني يومك انصرك نصرا ثم ان الهجرة في اللغة الترك والهجرة الى الشيء
الانتقال اليه من غيره وفي الشرع ترك ما نهى الله عز وجل عنه وقد وقعت
الهجرة في الاسلام على وجهين الاول الانتقال من دار الخوف الى دار
الامن كما في هجرتي الحبشة وابتدا الهجرة من مكة الى المدينة الثاني
الانتقال من دار الكفر الى دار الايمان وذلك بعد ان استقر صلى الله
عليه وسلم بالمدينة وهاجر اليه من امكنه ذلك من المسلمين وكانت
الهجرة اذ ذاك تختص بالانتقال الى المدينة الى ان فتحت مكة فانقطع
الاختصاص وبقي عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقيا
او قال طيبة هذا شك من الراوي وهو مجرور على ان التقدير هاجر

بطيبة

بطيبة والجار والمجرور خبر المبتدا وليس بمرفوع على ان التقدير مهاجره
طيبة وقد صح في الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم امر ان تسمى المدينة
طيبة وطابة وهما من الطيب لان المدينة كان اسمها يثرب والثرب
الفساد فنهى ان تسمى به وسماها طيبة وطابة وهما تانيث
طيب وطاب بمعنى الطيب وقيل هو من الطيب الطاهر لخلوصها
من الشرك وتطهيرها منه ومنه الحديث جعلت لي الارض طيبة
طهورا اي نظيفة غير خبيثة امته الحمادون لله عز وجل على كل حال
بحث يتعلق بالتوراة ه
بين ذلك بقوله حديث رواه البخاري في غيره وامته الحمادون يكبرون الله
عز وجل على كل نجد ويحمدونه في كل منزلة الحديث وقد اكثر المصنف
من النقل عن التوراة والتوراة التي بايدي اليهود قد بدلت
ثم ان العلماء اختلفوا هل هي مبدلة ام التبديل والتحريف وقع في التاويل
دون التنزيل على ثلاثة اقوال طرفين ووسط فافرطت طائفة
وزعمت ان كلها او اكثرها مبدلة مغيرة وليست التوراة التي
انزلها الله عز وجل على موسى عليه السلام وتعرض هولاء لتناقضها
وتكذيب بعضها بعضا وغلا بعضهم فجوز الاستنجاء بها من البول
وقابلهم طائفة اخرى من ائمة الحديث والفقه والكلام وقالوا بل
التبديل وقع في التاويل لا في التنزيل وقال بعضهم وقد اغتر
بعض المتاخرين بهذا وقال ان في تحريف التوراة والانجيل خلافا
هل هو في اللفظ والمعنى او في المعنى فقط ومال الى الثاني وراى

جواز مطالعتها وهو قول باطل ولا خلاف انهم بدلوا وغيروا والاشتغال
بكتابتها والنظر فيها لا يجوز بالاجماع بدليل غضبه عليه الصلوة والسلام
حين راى بيد عمر رضي الله عنه قطعة من التوراة وقال لو كان موسى حيا
ما وسعه الا اتباعي وهذا مذهب الامام فخر الدين الرازي في تفسيره
وقال الشيخ تقي الدين بن تيمية الحنبلي وقع النزاع في هذه المسئلة
بين بعض الفضلاء وبين غيره واختار هذا المذهب فانكر عليه فاحضر
لهم خمسة عشر نقلا ومن حجة هولاء ان التوراة قد طبقت مشارق
الارض ومغاربها وانتشرت جنوبا وشمالا ولا يعلم عدد نسخها الا
الله عز وجل ومن الممتنع ان يقع التواطؤ على التبديل والتغيير في جميع
تلك النسخ لا يبقى في الارض نسخة الا مبدلة مغيرة والتبديل والتغيير
على منهاج واحد وهذا مما يحيله العقل ويشهد ببطلانه وقد قال الله
عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم محتجا على اليهود قل فاتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين قالوا وقد اتفقوا على ترك فريضة الرجم ولم يمكنهم
تغييرها من التوراة ولهذا لما قراوها على النبي صلى الله عليه وسلم وضع
القارى يده على اية الرجم فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك عن اية
الرجم فرفعها فاذا هي تلوح تحتها فلو كانوا قد بدلوا الفاظ التوراة
لكان هذا من اهم ما يبدلونه قالوا وكذلك صفات النبي صلى الله عليه وسلم
ومخرجه هو في التوراة بين ولم يمكنهم ازالته وتغييره وانما ذمهم
الله عز وجل بكتمانه وكانوا اذا احتج عليهم بما في التوراة من نعته وصفته

يقولون

يقولون ليس هو ونحن ننتظره وفي صحيح البخاري تعليقا عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب
ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل اليكم وفيه بسنده الى ابن عباس وما انزل الينا
رضي الله عنهما قال يا معشر المسلمين كيف تسالون اهل الكتاب وكتابكم
الذي انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم احدث الاخبار بالله عز وجل تقروونه
لم يشب وقد حدثكم الله عز وجل ان اهل الكتاب بدلوا ما كتب الله عز
وجل وغيروا بايديهم فقالوا هو من عند الله عز وجل ليشتروا به
ثمنا قليلا افلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسايلتهم ولا والله عز وجل ما
راينا منهم رجلا قط يسالكم عن الذي انزل عليكم والحق ان التوراة
حرفت وبدلت ومع ذلك فما حرفوه وبدلوه دال على صفة النبي صلى الله
عليه وسلم وقد اظهر لنا هذه التوراة التي بيدهم الان واظهر شي ذكر فيها
ذكره ابرهيم واسمعيل عليهما السلام ودعاء ابرهيم عليه السلام في حقه
وحق ذريته واجابة الرب عز وعلا اياه اني باركت على اسمعيل
واولاده وجعلت فيهم الخير كله وساظهره على الامم كلها وسابعث
فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتي واليهود معترفون بهذه الصفة
الا انهم يقولون اجابة الملك دون النبوة والرسالة وقد وقع عليهم
الالزام بان يقال الملك الذي سلمتم اهو ملك بعدل وحق ام لا فان
لم يكن بعدل وحق فكيف يمن الله عز وجل على ابرهيم عليه السلام بملك
في اولاده هو جور وظلم وان سلمتم العدل والصدق من حيث الملك

فالملك يجب ان يكون صادقا على الله عز وجل في مايدعيه بقوله فكيف
يكون الكاذب على الله عز وجل صاحب عدل وحق اذ لا ظلم عند الله عز وجل
اشد من الكذب فمن تكذيبه بجويزه وفي التجويز رفع الثقة بالنعم وذلك
باطل ومن العجب ان في التوراة ان الاسباط من بني اسرايل كانوا يراجعون
القبايل من بني اسمعيل ويعلمون ان في ذلك الشعب علما الدنيا لم تشتمل
التوراة عليه وورد في التواريخ ان اولاد اسمعيل كانوا يسمونهم ال الله
عز وجل اي اهل الله عز وعلا واولاد اسرايل ال يعقوب وال موسى
وال هرون وذلك شرف عظيم وقد ورد في التوراة ان الله عز وجل جا من
سينا وظهر بساعير وعلن بفاران وساعير جبال بيت المقدس التي
كان بها ظهور عيسى عليه السلام وفاران جبال مكة التي ظهر بها نبينا
صلى الله عليه وسلم وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الايتين
فان هاتين الايتين تضمنتا مدايح لنبينا صلى الله عليه وسلم منها ان
الرحمة كتبها الله عز وجل للذين يتبعونه قيل لما نزل قوله عز وجل ورحمتي
وسعت كل شي طمع فيها كل احد حتى ابليس قال انا شي فقال الله عز وجل
فساكتبها للذين يتقون فقالت اليهود والنصارى نحن متقون فقال الله
عز وجل الذين يتبعون الرسول النبي الامي فخرجت عن العموم والحمد لله
وروى حماد بن سلمة عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال كتبها الله عز وجل لهذه الامة وهذا بنا على ان الذين يتبعون خبر مبتدا
محذوف تقديره هم اي الذين يتقون الذين يتبعون الخ او يكون بدلا
منه

منه بدل بعض من كل بنا على ان الصلة في الذين يتقون للاستغراق او بدل
كل من كل بنا على انها للعهد الخارجي اي الذين يتقون ما نهاهم محمد صلى الله
عليه وسلم واما اذا جعل الذين يتبعون مبتدا خبره يامرهم فلا تخصيص
فيها لكن كلام ابن عباس يمنع كونه مبتدا فان قلت كيف تقولون بان فيها
تخصيصا بنا على انه بدل بعض من كل مع ان البدل لم يعده الاصوليون من
المخصصات قلت قد عده من المخصصات المتصلة جماعة منهم
ابن الحاجب والشمس البرماوي ومثلوا له بقوله عز وجل ولله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقوله عز وجل قم الليل الا
قليلا نصفه وقد انكر كونه مخصصا الصفي الهندي قال لان المبدل
منه في حكم الطرح فلم يتحقق فيه معنى الاخراج والتخصيص لا بد فيه
من الاخراج ولذلك قدر في اية الحج ولله على المستطيع الحج وقد نقل عن
امامنا الشافعي رضي الله عنه انه عد البدلين اعني بدل البعض من الكل
وبدل الاشتمال من المخصصات وقد روى يحيى بن ابي كثير عن نوف
البكالي الحميري قال لما اختار موسى عليه السلام قومه سبعين رجلا
لميقات ربه عز وجل قال الله عز وعلا لموسى عليه السلام اني اجعل لكم الارض
مسجدا وطهورا فتصلون حيث ادركتكم الصلوة الا عند مرحاض او قبر
واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرون التوراة عن ظهر قلوبكم يقروها
الرجل منكم والمراة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى عليه السلام
ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكنايس ولا نستطيع حمل

السكينة في قلوبنا ونريد ان تكون كما كانت في التابوت ولا نستطيع
ان نقرا التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقراها الا نظرا فقال تعالى
فسأكتبها للذين يتقون الى قوله المفلحون فجعلها لهذه الامة فقال موسى
عليه السلام اجعلني نبيهم فقال نبيهم منهم قال رب اجعلني منهم قال لن
تدركهم فقال موسى عليه السلام قد اتيتك بوفد بني اسرايل فجعلت
وفادتنا لغيرنا قال نوف فاحمدوا الله عز وجل الذي جعل لكم وفادة
بني اسرايل وذكر ابو نعيم هذه القصة من حديث الاوزاعي قال حدثنا
يحيى بن ابي عمرو الشيباني قال حدثني نوف البكالي قال عمرو البكالي
اذا فتح موعظة قال الا تحمدون ربكم عز وعلا الذي حفظ غيبتكم واخذ
سهمكم وجعل وفادة القوم لكم وذكر ان موسى عليه السلام وفد ببني اسرايل
فقال الله عز وجل لهم اني جعلت لكم الارض مسجدا حيث ما صليتم
منها تقبلت صلاتكم الا في ثلاثة مواطن من صلى فيهن لم اقبل صلاته
المقبرة والحمام والمرحاض قالوا لا الا في كنيسة فقال وجعلت لكم التراب
طهورا اذا لم تجدوا الماء قالوا لا الا بالماء قال وجعلت لكم حيثما صلى
الرجل فكان وحده تقبلت صلاته قالوا لا الا في جماعة فحق لك
الذين يتبعون الرسول النبي الامي اخرج اليهود والنصارى كما ذكرنا وخلصت
هذه العدة لامة محمد صلى الله عليه وسلم والمراد باتباعه تصديقه والتزام شرعه
فان قلت لم ذكر المصنف هاتين الايتين مع انهما لم تتضمنا ما يشتمل هذا
الفصل له من وصف الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم بالشهادة وما
يتعلق

يتعلق بها من الثناء والكرامة قلت قبل ذكرهما استطرادا لما في الاية الاولى
من التنبيه على ان وصفه واسمه صلى الله عليه وسلم مذكوران في التوراة
التي كان بصدد نقل وصفه واسمه منها ولما في الثانية كالاولى حيث
ذكر فيهما كونه رسولا ونبيا اميا من مناسبة ما مر ذكره في التوراة
فان قلت لم جمع بين الرسول والنبي في وصفه صلى الله عليه وسلم وهلا
اقتصر على ذكر الرسول والنبي لازم للرسول اذ كل رسول نبي ولا عكس
بناء على اشتراط الامر بالتبليغ في الرسول دون النبي او بناء على اشتراط
الكتاب في الرسول دون النبي فكان ذكر الرسول مغنيا عن ذكر النبي
وكذا اذا قلنا بترادفهما فذكره ايضا مغن عن ذكره ومع ذلك فالاصح ان
النبي اعم من الرسول وذكر الصفة العامة بعد الموصوف الخاص لا يجوز
كما قال شيخ اشياخنا الجلال السيوطي في الاتقان الصفة العامة لا
بحث نفيس في تقديم الرسول على النبي الامي
تاتي بعد الخاصة لا يقال رجل فصيح متكلم بل متكلم فصيح قلت قال
النجاني قدم لفظ الرسول في الاية على لفظ النبي للاهتمام بذكر الرسالة
وتثبيت ذلك عند المخاطبين والا فمعنى النبوة هو المتقدم ولذلك
رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على البراء بن عازب حين قال امنت بكتابك
الذي انزلت وبرسولك الذي ارسلت وقال له قل وبنبيك الذي
ارسلت ليكون ترتيب الكلام موافقا لما كان عليه ترتيب الامر
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي اولا ثم رسول بعد ذلك وايضا
ففي العبارة المردودة تكرار الرسالة وذكر معنى واحد انتهى قال شيخنا

الرضي ابن الحنبلي الحنفي واما التصريح بالنبي بعد الرسول فذكر لي بعض الشيوخ
انه لدفع احتمال الحقيقة اللغوية فاوردت عليه ان في النبي ايضا احتمال
الحقيقة اللغوية بل قد قيل به فاجاب بانه قد يحصل في الاجتماع ما لا
يحصل في الانفراد انتهى واقول يظهر لي ان نقول ان الصفة ليست مجرد
النبي ليكون اعم من الرسول بل هي مجموع النبي الامي لانه صلى الله عليه وسلم اشتهر
ذكره في الكتب بعنوان النبي الامي بحيث لا يعرف في الامم الماضية الا
به فتعين الكلمتين كما لا يخفى على من تتبع ذلك فتكون الصفة هي مجموع قوله
النبي الامي فهو على سنن قولك اعجبني الرمان الحلو الحامض فان مجموعهما
صفة واحدة وان كان من حيث الامر اللفظي نعد كلا منهما صفة على حدة
ولا شك ان النبي الامي اذا لوحظ مجموعهما كان اخص من الرسول
لانحصاره في الصدق على هذا الفرد المعين صلى الله عليه وسلم ويظهر لي ايضا
جواب اخر وهو ان وصف النبوة مندرج في الرسالة كما لا يخفى
فذكر وصفه بانه رسول يستلزم وصفه بانه نبي لكن لم يلاحظ في هذا
الاسلوب جهة الترقي فان المشهور في الترقي ان يترقى من الادنى
الى الاعلى وانما يلاحظ فيه معنى التتميم وهو ان يعقب الكلام بتابع
يفيد مبالغة وذلك انه تعالى لما وصف محمدا صلى الله عليه وسلم باعلى المقامات
التي يصل اليها البشر وهي انه رسول الله اراد المبالغة والاستيعاب فذكر
ما يدل على كمال اخر مخصوص ليدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يشذ عنه
شي من الكمالات التي يصل اليها البشر فهو صلى الله عليه وسلم موصوف
بالكمال

بالكمال الذي يمكن ان يناله المخلوقون بجميع انواعه وسائر اقسامه ولو اريد
الترقي لما تمت هذه المبالغة المذكورة وذلك ان الترقي يحصل فيما اذا قلت
فلان يعلم النحو والتصريف ومعاني كلام الله عز وجل وهذه المبالغة
تحصل فيما اذا قلت فلان يعلم معاني كلام الله عز وجل ويعلم النحو والتصريف
اذ من شرط التتميم الاخذ بما هو الاعلى في الشي ثم بما هو الاحط ليستوعب
جميع اقسام ذلك الشي فان الاصل والقياس يقتضي في الاوصاف
ان يذكر الادنى ثم الاعلى ليكون ترقيا وقد عدل عنه في مثل هذا وهم لا
يعدلون عن الاصل والقياس الا لتوخي نكتة وثمة جواب اخر وهو ان
ذكر النبي بعد ذكر انه رسول لدفع توهم المجاز فان الرسول قد يطلق شرعا
على من ارسله رسول الله كما اطلق على رسل عيسى عليه السلام انهم رسل
فقال عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما ولكن لا يطلق على رسول
النبي انه نبي فاتى بذكر النبي لدفع هذا التوهم ومثل هذا عند اهل البلاغة
يسمى بالتكميل ونظير هذا ذكر الرحيم بعد الرحمن وذكر الرحيم بعد
الروف مع ان كلا من الرحمن والروف اخص من الرحيم واما ما
ذكره القاضي البيضاوي في ذلك انه لرعاية الفاصلة فمن ضيق العطن وكذا ما
ذكره الجلال السيوطي في اتقانه في قوله تعالى وكان رسولا نبيا فانه من ذلك
فافهم والامي منسوب الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرا من الكتاب
وفي لباب التفاسير ان بعض المفسرين على انه صلى الله عليه وسلم
ما مات حتى كتب واقول شبهة هذا القائل ما جاء في صحيح البخاري

تنكيت على الامام البيضاوي ره

بسنده الى البراء بن عازب رضي الله عنه قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في
ذي القعدة فابى اهل مكة ان يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على ان
يقيم بها ثلاثة ايام فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول
الله فقالوا لا نقر بها فلو نعلم انك رسول الله ما منعناك ولكن انت
محمد بن عبد الله قال انا رسول الله وانا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي كرم الله
وجهه امح رسول الله قال لا والله لا امحوك ابدا فاخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله لا يدخل
مكة سلاح الا في   الحديث فانه صرح فيه بانه كتب لكن
قال البرهان الحلبي هذا اللفظ ليس في صحيح البخاري في النسخ التي وقفت
عليها وقد عد ذلك من وقف عنده معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
وما شهد به القران من انه النبي الامي الذي لا يحسن الكتابة مع ما
كان ياتي به من اقاصيص الاولين ~~[illegible]~~ واخبار الامم
الماضية هو المعجزة العظمى لما تضمن من تكذيب من نسب ذلك الى
علم تلقاه من اساطير الاولين ممن قال اكتتبها فهي تملى عليه وهذا
علم عظيم من اعلام نبوته واصل عظيم من دلائل صدقه في انه صلى الله
عليه وسلم انما كان يتلقى ذلك من الوحي وسلامة هذا الاصل من شبهة
لم تترك للملحد حجة في معارضته وذكر الامام ابو الوليد سليمان بن خلف
الباجي ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب فانكر ذلك عليه علماء الاندلس فبعث
الى الافاق يستفتي بمصر والشام والعراق وغير ذلك فجلهم قال لم

يكتب

يكتب النبي صلى الله عليه وسلم بيده قط وراوا ان ما وقع في صحيح البخاري في
قصة صلح الحديبية محمول على المجاز وان معنى كتب امر بالكتابة وهذا
مذهب الاكثرين وقالت طائفة كثيرة كتب قال الحافظ ابو الفتح بن
سيد الناس وجرت هذه المسالة يوما بحضرة ابي الفتح القشيري
فلم يعبا بقول من قال كتب وقال عن قول الباجي هو قول احوجه الى انه
يستنجد من علماء الافاق والمسالة سنذكر فيها كلاما اطول من هذا
في فصل المعجزات ومعنى وجدانه في التوراة والانجيل انهم
يجدونه فيهما اسما وصفة وقوله يامرهم بالمعروف قال ابن عرفة
المعروف ما عرف من طاعة الله عز وجل والمنكر ما خرج منها قال عطا
يامرهم بالمعروف بخلع الاوثان ومكارم الاخلاق وصلة الارحام
وينهاهم عن المنكر عبادة الاصنام وقطع الارحام وقوله ويحل لهم
الطيبات الطيبات عند الشافعي رضي الله عنه ما كان طيبا من
جهة الطعم وحلله الشرع والخبائث عنده كل ما حرمه الشرع فخرج
من الطيبات الخمر والخنزير ودخلا في الخبائث ودخل فيها ايضا
المستقذرات كالخنفس والخنافس والعقارب وقال ابن عباس
رضي الله عنهما الخبائث لحم الخنزير والربا ومن الخبائث التي كان
يتعاطاها اليهود السحت وهو الرشوة في الحكم قال الازهري وانما
قيل له سحت لانه يسحت البركة فيذهب بها يقال سحته واسحته
اي استاصله وقوله عز وجل ويضع عنهم اصرهم الوضع الطرح والاصر

والطيبات والعقارب والورع
وما جرى مجراها وحلل مالك
المستقذرات كلها مباحة

الثقل ويطلق على العهد وهذه الاية يراد منها المعنيان فان بني اسرائيل
قد كان اخذ عليهم عهد ان يقوموا باعمال ثقال فوضع عنهم محمد صلى الله عليه
وسلم ذلك العهد وثقل تلك الاعمال كغسل النجاسة وتحليل الغنائم ومجالسة
الحائض ومواكلتها ومضاجعتها فانهم كانوا اذا اصاب ثوب احدهم
بول قرضه واذا اجمعوا الغنائم لا تحل لهم بل تاتي نار من السما فتاكلها
واذا حاضت المراة لم يقربوها الى غير ذلك وقوله والاغلال التي كانت
عليهم قال ابن عرفة يعني انهم كانوا يمنعون من اشيا فاطلقها الله عز
وجل لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وفي تفسير القاضي البيضاوي اي
يخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في
العمد والخطا وقطع الاعضا الخاطئة وقرض موضع النجاسة
واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك
لثقله وقوله وعزروه اي عظموه بالتقوية قال الزجاج العزر في
اللغة الرد ومعنى عزرت فلانا ادبته وفعلت به ما يردعه عن القبيح
كما تقول نكلت به اي فعلت به ما يجب ان ينكل معه عن المعاودة
وقيل معنى عزروه ردوا عنه اعداءه قال قتادة نصرة الانبياء هي
المدافعة عنهم والذب عن دينهم وتوقيرهم وتعظيمهم وقال غيره
تعزروه وتنصروه مرة بعد اخرى وقيل تنصروه بالسيف
وقوله واتبعوا النور الذي انزل معه المراد بالنور القران سماه
نورا لانه باعجازه ظاهر مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها

فتسميته

فتسميته نورا من باب التشبيه الذي حذف منه المشبه وذكر
المشبه به فهو استعارة تصريحية وقوله معه يجوز ان يكون
متعلقا بقوله انزل وسوى في الكلام حذف مضاف تقديره انزل مع
نبوته لان نبوته صلى الله عليه وسلم نزل بها جبريل مع انزال القران
اما جميعا الى بيت العزة واما نجما منه ويجوز ان يتعلق بقوله
اتبعوا اي اتبعوا النور المنزل مع اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم
فيكون اشارة الى الكتاب والسنة وقوله اولئك هم المفلحون هم
صيغة فصل تفصل الخبر عن الصفة وتوكد النسبة وتفيد
اختصاص المسند بالمسند اليه ويجوز ان يكون مبتدا والمفلحون
خبره والجملة خبر اولئك وهو مع جزءه خبر الذين امنوا والمفلح الفائز
بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وقال تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم الاية اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والتنبيه والدلالة على
ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله عز وجل وهو ربطه على جاشه
وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ومعنى قولنا ان
ما مزيدة للتاكيد ما قاله ابن جني ان كل حرف زائد في كلام العرب فهو
قائم مقام اعادة الجملة مرة اخرى وسئل بعضهم عن التاكيد بالحرف
ما معناه اذ اسقاطه لا يخل بالمعنى فقال هذا يعرفه اهل الطباع
يجدون من زيادة الحرف معنى لا يجدونه باسقاطه وزعم ابن كيسان
ان ما نكرة في موضع جر بالبا ورحمة بدل منها ولنت من لان يلين

من سورة آل عمران

لينا وليانا والفظ الغليظ الجافي وغلظ القلب عبارة عن تجهم الوجه
وقلة الانفعال في الرغائب وقلة الاشفاق والانفضوا اي تفرقوا
ومعنى الاية انه صلى الله عليه وسلم لما رفق بمن تولى يوم احد ولم يعنفهم
بين الله عز وجل انه انما فعل ذلك بتوفيق الله اياه وبيان ذلك ان
القوم يوم احد وقع منهم زلات منها ذهابهم عن المركز الذي عينه
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ادى ذلك الى ان غلبوا ومنها
فرارهم وتوليهم فبمقتضى ما طبع عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الغضب
اذا انتهكت محارم الله فيغضب لله عز وجل اصاب القوم هيبة
تودي الى انهم لا يعودون الى ان يتقربوا من النبي صلى الله عليه وسلم
اصلا لكن الله عز وجل رحمهم فربط على جاش نبيه صلى الله عليه وسلم
حتى اورثه ذلك لينا لهم فما لان الا بمحض رحمة الله عز وجل لهم حتى
لا يودي ما فعلوا الى هيبة تمنعهم من ان يدنوا من ساحة باب
السعادة الابدية ولو ابقاه الله على مقتضى طبعه الشريف في من
تخلف عن طاعة الله عز وجل من الفظاظة عليه والغلظة لتفرقوا
من حوله والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فظا ولا غليظا لكن اذا لم يقع ما
لا يرضي الله فان وقع ذلك كان شديدا ولهذا اظهر الغضب على الثلاثة
الذين خلفوا عن غزوة تبوك وليس المراد في هذا المقام ان الله عز
وجل قرر لنبيه صلى الله عليه وسلم المخاطب بقوله ولو كنت الاستدلال
بانتفاء الانفضاض على انتفاء كونه فظا غليظ القلب فان النبي صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم يعلم من نفسه ما من الله عز وجل به عليه من اللين وعدم
الفظاظة والغلظة فان قلت اما يمكن ان يكون الخطاب له والمقصود
غيره ويكون الاستدلال على لينه وعدم فظاظته وغلظته لغيره
لا له قلت ليس المقام مقام استدلال وليس ثم خصم ينكر حتى
يستدل عليه ولو الشرطية لا يلزم ان يؤتى بها في مقام الاستدلال فان
الحق فيها ان يقال هي حرف يدل على امتناع تال يلزم لثبوته ثبوت تاليه
الاكلم فانك اذا قلت لو جئتني اكرمتك اقتضى ذلك نفي المجيء
واستلزام ثبوته ثبوت الاكرام ولا يقتضي نفي الاكرام ولا بد فقد
يكون الجواب مساويا للشرط فيمتنع لامتناعه نحو لو كانت الشمس
طالعة لكان النهار موجودا وقد يكون اعم من الشرط فلا يكون
ممتنعا في نفس الامر وهنا لو دلت على انتفاء كونه فظا غليظ
القلب ولو ثبتت فظاظته وغلظته لثبت انفضاض الناس
من حوله واما الاستدلال بامتناع الجزا على امتناع الشرط كما استدل
بانتفاء الفساد على انتفاء تعدد الالهة فذاك اصطلاح منطقي
لان جزا الشرط لازم للشرط ويلزم من العلم بانتفاء اللازم العلم بانتفاء
الملزوم ثم اني اقول يمكن ان يراد بهذا التركيب الاستدلال والذي
اقيم له الدليل ليس النبي صلى الله عليه وسلم بل الذي افاده التركيب عقد الملازمة
بين كونه فظا غليظ القلب وانفضاض الناس من حوله وجعل
المخاطب بهذا العقد النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع الناس هذا العقد

يستدلون بالعلم بانتفا اللازم على العلم بانتفا الملزوم قائلين لكن الصحابة
لم ينفضوا من حول النبي صلى الله عليه وسلم فليس النبي صلى الله عليه وسلم
فظا غليظا وهذا كما وقع في قول الشاعر

من البسيط

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي ۞ بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا ۞

فان قلت ما ذكر لم يقصد الاستدلال وانما قصد ان يعقل الملازمة
والسامع يستدل بالعلم بانتفاء اللازم على العلم بانتفا الملزوم قال
السمرقندي ذكرهم الله عز وجل منته ان جعل رسوله صلى الله عليه وسلم
رحيما بالمومنين رؤفا لين الجانب ان قلت كونه رؤفا لم يتعرض له في الاية
وانما ذكر الرحمة قلت لما اكد الرحمة ارتقت الى حد الرافة فان الرافة
هي الرحمة الخاصة والرحمة المذكورة هي الرحمة الموكدة فارتقى المراد منها
الى حد الرافة فان قلت الرحمة الواقعة في الاية هي من الله عز وجل ولم
يتصف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت هي من الله خلقا وايجادا
واتصف بها النبي صلى الله عليه وسلم حيث قامت به فالله رحيم باعتبار انه
خلق هذه الرحمة والنبي صلى الله عليه وسلم رحيم باعتبار ان هذه الرحمة قامت
به واتصف بها ولو كان اي النبي صلى الله عليه وسلم فظا خشنا في القول
لتفرقوا من حوله فان قلت جعل الله عز وجل في الاية التفرق من حوله لازما
لامرين كونه فظا وكونه غليظ القلب والسمرقندي جعل التفرق لازما لكونه
فظا فقط لان قوله خشنا في القول صفة كاشفة لقوله فظا قلت المفسر
المذكور جعل التفرق لازما للامرين معا كما في الاية فقد ذكر صريحا الفظ وقوله

خشنا

خشنا في القول تفسير لغليظ القلب بذكر لازمه عادة فان العادة جرت بان
من غلظ قلبه خشن قوله ولهذا قيل اللسان ترجمان القلب

من الكامل

ان الكلام لفي الفواد وانما ۞ جعل اللسان على الفواد دليلا ۞

وكان المفسر يشير الى ان مجرد غلظ القلب لا يوجب التفرق وانما يوجبه
ما ينشا من غلظ القلب من خشونة القول وانه في الاية عبر بالملزوم
الذي هو غلظ القلب واراد لازمه وهو خشونة القول ولكن جعله الله
عز وعلا سهلا في القاموس السهل وككتف كل شي الى اللين طلقا في
القاموس طلق ككرم وهو طلق الوجه مثلثة وككتف وامير اي ضاحكه مشرقه
انتهى وفي الحديث افضل الايمان ان تكلم اخاك وانت طليق وفي رواية ان
تلقاه بوجه طلق اي مستبشر منبسط الوجه يقال طلق الرجل بالضم يطلق طلاقة
فهو طلق وطليق اي منبسط الوجه متهلله سمحا اي سهلا والمسامحة
المساهلة وفي الحديث اسمح يسمح لك اي سهل يسهل عليك وفي الحديث
المشهور السماح رباح اي المساهلة في الاشيا تربح صاحبها برا يفتح
البا وهو العطوف والبر والبار بمعنى واحد وفي الحديث تمسحوا بالارض
فانها بكم برة اي مشفقة عليكم كالوالدة البرة باولادها يعني ان منها
خلقكم وفيها معاشكم واليها بعد الموت معادكم لطيفا اي رفيقا يقال
لطف يلطف كنصر ينصر لطفا اذا رفق به ويقال لطف الله عز وعلا لك
اي اوصل الله اليك مرادك برفق ومعنى كون النبي صلى الله عليه وسلم
لطيفا انه يقضي ماربه قاصدا به برفق ولين وفي حديث الافك قالت

عائشة رضي الله عنها ولا ارى منه اللطف الذي كنت اعرف اي الرفق والبر
ويروى بفتح اللام والطاء لغة فيه هكذا قاله الضحاك هو الضحاك بن مزاحم
الهلالي من هلال بن عامر بن صعصعة كنيته ابو القاسم وقيل ابو محمد
ذكره ابن حبان في الثقات لقي جماعة من التابعين ولم يشاهد احدا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن زعم انه لقي ابن عباس فقد
وهم ثم روى ابن حبان بسنده الى عبد الملك بن ميسرة قال لم يلق
الضحاك ابن عباس رضي الله عنهما انما لقي سعيد بن جبير بالري فاخذ
عنه التفسير ثم روى بسنده الى عبد الملك بن ميسرة قال قلت للضحاك
سمعت من ابن عباس رضي الله عنهما قال لا قال ابو حاتم كان اصل
الضحاك بن مزاحم من بلخ وكان يقيم بها مرة وبسمرقند مرة وببخارى
مرة وهم اخوة ثلاثة مسلم ومحمد والضحاك وكان الضحاك معلم كتاب يعلم
الصبيان لا ياخذ منهم شيئا كذا قاله ابن حبان في الثقات وفي الكمال
لابن الجزري الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني عن ابي هريرة وابن عباس
وابن عمر وانس وطاوس وعنه علي بن الحكم البناني وجوهر بن
سعيد وحكيم بن الديلم والحسن بن يحيى وسلمة بن نبيط وابن
ابي رواد وقرة بن خالد ومقاتل بن حيان وثقه احمد وابن معين
قال عبد الملك بن ميسرة قلت له اسمعت من ابن عباس قال لا قال
شعبة كان عندنا ضعيفا واما ابو حباب الكلبي فروى عن الضحاك
قال جاورت ابن عباس سبع سنين مات سنة خمس ومائة وقال تعالى

الضحاك

وكذلك

وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا الاشارة بقوله كذلك راجعة الى مفهوم الاية التي قبل هذه
الاية وهي قوله عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اي كما جعلناكم
مهتدين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل والامة
لفظة معناها في الاصل راجع الى القصد وهي الجماعة التي تقصد الامر
تتظاهر وتتعاون عليه وقولنا امة محمد صلى الله عليه وسلم معناها الجماعة
القاصدة لتصديقه المتفقة في اصول دينه وان اختلفت في الفروع
ويجوز ان يكون اصل الكلمة الجمع ويقال للرجل امة لانه يسد مسد
الجماعة والامام امام لاجتماع القوم عليه والام لجمعها امر الولد ويقال
للدهر امة لانه جماعة شهور واعوام وهو قوله عز وجل وادكر بعد
امة اي جماعة من الشهور والايام والوسط في الاصل اسم لمكان
استوت فيه المساحة من الجوانب كلها ثم استعير للخصال المحمودة
لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل
والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها
قال ابو الحسن القابسي تقدم ذكره في صدر هذا الفصل ابان اي اظهر
الله عز وجل فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي
قوله في الاية الاخرى وفي هذا الجار والمجرور في قوله في هذا متعلق بسماكم
المسلمين وقد ذكروا في مرجع الضمير في قوله عز وجل هو سماكم المسلمين ثلاثة

اوجه الاول انه راجع الى الله عز وجل اي الله تعالى سماكم المسلمين ويدل عليه
قراءة من قرا الله سماكم المسلمين والمراد من قوله من قبل على هذا اي في
الكتب المتقدمة كالتوراة والانجيل والصحف الشيثية والابراهيمية
والمراد بقوله في هذا اي في هذا القران وهذا الوجه كما ترى سالم من
التكلف والاحتياج الى صرف الكلام عن ظاهره الثاني ان الضمير راجع
الى ابرهيم عليه السلام وقد ذكر قبله في قوله ملة ابيكم ابرهيم هو سماكم المسلمين
والمراد على هذا من قوله من قبل اي من قبل ايجادكم وخلقكم وذلك اذ سال
الله عز وجل بقوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك
ولكن يشكل على هذا كون ابرهيم عليه السلام سماهم المسلمين في القران المشار
اليه بقوله وفي هذا وقد اشار الى الجواب عن ذلك البيضاوي قائلا وتسميتهم
المسلمين في القران وان لم تكن منه كان بسبب تسميته من قبل في
قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك انتهى وحاصل الجواب ان فيه صرفا
للكلام عن ظاهره لان المتبادر من الكلام على هذا التقدير ان يكون ابرهيم
عليه السلام هو الذي سماهم المسلمين من قبل وايضا سماهم المسلمين في
القران مع ان الذي سماهم مسلمين في القران هو الله عز وجل المنزل
للقران والمتكلم به لكن لما كان ذلك بسبب ان ابرهيم عليه السلام
سماهم به عد كان ابرهيم عليه السلام هو المسمى فكان الوجه الاول
اولى لسلامته من ذلك الثالث ان الضمير في هو ايضا راجع الى ابرهيم
عليه السلام اي ان ابرهيم هو سماكم المسلمين من قبل وجودكم والجار

[margin: قوله الضمير في هو [illegible]]

والمجرور

والمجرور في هذا البيت متعلق بسماكم بل هو خبر مبتدا محذوف تقديره وفي
هذا بيان تسميته اياكم المسلمين ولا يخفى ما في هذا الوجه من تقدير
مبتدا لا دليل عليه ليكون الرسول اي محمد صلى الله عليه وسلم شهيدا عليكم
اي يشهد على اعمالكم خيرها وشرها يؤيده ما في تفسير ابي الليث السمرقندي
بسنده عن محمد بن فضالة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاهم في بني ظفر فجلس على الصخرة في بني ظفر ومعه ابن مسعود
ومعاذ فامر قارئا يقرا حتى اذا اتى على هذه الاية فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا بكى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اخضلت وجنتاه فقال يا رب هذا على من انا بين
ظهرانيهم فكيف من لم اره وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه انه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا علي قلت
اقرا عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري فقرات
عليه سورة النساء حتى اذا بلغت فكيف اذا جئنا الاية قال
امسك فاذا عيناه تذرفان فبكاؤه صلى الله عليه وسلم انما كان لانه
يشهد على امته بما كان منهم من خير وشر فان قلت كيف يشهد
عليهم بما لم ير من اعمالهم كالذين جاؤا من بعده قلت قال سعيد
ابن المسيب ليس من يوم الا تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم امته غدوة
وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد عليهم وقوله
وتكونوا شهداء على الناس اي تشهدون للرسل على اممهم بانهم

[margin: مطلب في شهادة النبي صلى الله عليه وسلم على امته]

بلغوهم الرسالة وبينوا لهم الحق فعلى في الموضعين على بابها وليست بمعنى
اللام في شي منهما لان الرسول صلى الله عليه وسلم يشهد على امته وامته
يشهدون على امم الانبياء للانبياء بانهم بلغوهم الرسالة ويشهد
الرسول صلى الله عليه وسلم على امته بما عملوا **وكذلك قوله فكيف** هو اسم
استفهام في محل نصب على انه حال من ضمير فعل محذوف تقديره كيف
تفعلون والذي اختاره ابن هشام انها في مثل هذا الموضع مفعول مطلق
اي فكيف **اذا جئنا من كل امة بشهيد** تصنعون ثم حذف عاملها
موخرا عنها وعن اذا قال ابن هشام كذا قيل والاظهر ان يقدر بين
كيف واذا وتقدر اذا خالية عن معنى الشرط انتهى اي فتكون اذا ظرف
زمان متعلق بتصنعون وكيف مفعول مطلق ويظهر من كلام القاضي
ان كيف هنا خبر مبتدا محذوف والتقدير كيف حال هولاء وان اذا ظرفية
مجردة عن معنى الشرط والعامل فيها المبتدا والخبر من هول الامر العظيم
الشان والمراد بالشهيد الذي ياتي على كل امة نبي تلك الامة فكل نبي
يشهد على امته بفساد عقائدهم وقبح اعمالهم وقد قيل في قوله سبحانه
يوم تقوم الاشهاد انهم الانبياء وقوله سبحانه انا ارسلناك شاهدا
اي على امتك بالابلاغ للرسالة وقوله تعا ونزعنا من كل امة شهيدا اي
اخترنا منها نبيا وكل نبي شاهد على امته **وجئنا بك على هولا شهيدا**
يجوز في الاشارة ان ترجع الى الانبياء الذين شهدوا على اممهم فيجاء
بنبينا صلى الله عليه وسلم فيشهد على الانبياء بالصدق فان قلت فحينئذ

تصحح المتن في هذا المحل

هو صلى الله عليه وسلم يشهد لهم لا عليهم قلت قيل ان على بمعنى اللام وقد
قرر البيضاوي هنا مضافا والتقدير وجئنا بك على صدق هولاء شهيدا
وشهد اذا تعدى الى غير الذوات يتعدى بعلى يقال شهدت على كذبه
وعلى صدقه وعلى قتله قال تعالى وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود
ويجوز ان تكون الاشارة عائدة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وعلى هذا
التقدير تكون على على بابها وقيل الاشارة راجعة الى المومنين اي
تشهد يا محمد على المومنين اي على حسن اعتقادهم وصدقهم وقد
قلنا ان شهد اذا تعدى الى الاحوال والافعال يتعدى بعلى لا باللام او
المراد انك تشهد يوم القيمة على صدق المومنين في شهادتهم للرسل
بانهم بلغوا الرسالة ونصحوا اممهم كما اشار اليه المصنف بقوله
قيل ان الله جل جلاله اذا سال الانبياء عليهم السلام هل بلغتم
فيقولون نعم فتقول اممهم ما جانا من بشير ولا نذير فتشهد امة
محمد صلى الله عليه وسلم للانبيا ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم اورده
المصنف بقيل لانه لم يصح عنده والمذكور في صحيح البخاري بسنده
الى ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجاء بنوح يوم القيمة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يا رب فيسال الله
عز وجل امته هل بلغكم نوح عليه السلام فيقولون ما جانا من نذير فيقول
من شهودك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم وامته فيجاء بكم فتشهدون
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا وذكر نوح عليه

السلام في هذا الحديث ليس للتخصيص فان غيره من الانبياء الماضين
عليهم السلام كذلك فقد اخرج احمد والنسائي والاسماعيلي من طريق ابي معاوية
بلفظ يجي النبي ومعه الرجل ويجي النبي ومعه الرجلان ويجي النبي ومعه
اكثر من ذلك قال فيقال لهم ابلغكم هذا فيقولون لا فيقال للنبي ابلغتهم
فيقول نعم فيقال له من يشهد لك الحديث وزاد ابو معاوية بعد ذلك
فيقال لامة محمد صلى الله عليه وسلم وما علمكم فيقولون اخبرنا نبينا صلى الله
عليه وسلم ان الرسل عليهم السلام قد بلغوا فصدقناه وقد جا في حديث
ابي بن كعب تعميم ذلك فقد اخرج ابن ابي حاتم بسند جيد عن ابي العالية
عن ابي بن كعب في هذه الاية كانوا شهدا على قوم نوح وقوم هود وقوم
صالح وقوم شعيب عليهم السلام وغيرهم ان رسلهم بلغتهم وانهم كذبوا
رسلهم وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم ما من رجل من الامم الا ود انه منا ايتها الامة ما من نبي كذبه
قومه الا نحن شهداوه يوم القيمة انه قد بلغ رسالة الله سبحانه
ونصح لهم والحاصل ان المذكور في الصحيح تخصيص ذلك بنوح عليه السلام
وان النبي صلى الله عليه وسلم يشارك امته في الشهادة للانبيا عليهم السلام
وفي ما ذكره المصنف وهذه الروايات التي ذكرناها تعميم ذلك لجميع
الانبياء الذين كذبتهم اممهم والتعميم هو الموافق للاية فان قلت قد جعل
في الايات النبي صلى الله عليه وسلم شهيدا وقد جعل في هذه الرواية مزكيا
قلت التزكية شهادة لانها تتضمن او تصرح بالشهادة على صدق الشاهد

وقيل

وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم صلى الله عليه وسلم
حكاه السمرقندي ومعنى كونه حجة ان الانبيا يغلبون اممهم عند
الخصام بين يدي الله عز وجل بسبب امة نبينا صلى الله عليه وسلم
وامة النبي صلى الله عليه وسلم يغلبونهم عند الخصام بسبب النبي صلى الله
عليه وسلم والحجة هي الدليل والبرهان يقال حاججته حجاجا ومحاجة
فانا محاج ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى اي غلبه في الحجة
وقد اوضح الثعلبي في تفسيره الحجاج في ذلك فقال وذكر ان الله سبحانه يجمع
الاولين والاخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ثم
يقول الله عز وجل لكفار الامم الم ياتكم نذير فينكرون ويقولون ما جانا من
نذير فيسال الانبياء عليهم السلام عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم
واعذرنا اليهم فيسال لهم البينة وهو اعلم باقامة الحجة عليهم فيوتى بامة
محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية
من اين علموا ذلك وبيننا وبينهم مدة مديدة فيقولون قد علمنا ذلك
باخبار الله عز وجل ايانا في كتابه الناطق على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
فيوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد
بصدقهم وينبغي ان يكون على الواقعة في قول السمرقندي والرسول حجة
عليكم بمعنى اللام اي والرسول حجة لكم فهو على حد قوله عز وجل
وما ذبح على النصب اي للنصب وقوله وسطا اي عدلا خيارا فسر
المصنف الوسط بالعدل تبعا للنبي صلى الله عليه وسلم فانه فسره به كما رواه

البخاري في صحيحه قال الشهاب بن حجر العسقلاني في قوله والوسط العدل
هو مرفوع من نفس الخبر وليس بمدلج من قول بعض الرواة كما وهم فيه
بعضهم وقال الطبري الوسط في كلام العرب الخيار يقولون فلان وسط
في قومه وواسط اذا ارادوا الرفع في جنسه قال والذي ارى ان
معنى الوسط في الاية الجزء الذي بين الطرفين والمعنى انهم وسط
لتوسطهم في الدين فلم يغلوا كغلو النصارى ولا قصروا كتقصير اليهود
ولكنهم اهل وسط واعتدال وفي الحديث خير الامور اوساطها وذلك
ان كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان فان السخي وسط بين البخل
والتبذير والشجاعة وسط بين الجبن والتهور والانسان مامور
بان يتجنب كل وصف مذموم وتجنبه بالتعري منه والبعد عنه وكلما
ازداد منه بعدا ازداد منه تعريا وابعد الجهات والمقادير والمعاني من كل
من كل طرفين وسطها وهو غاية البعد منهما فاذا كان في الوسط فقد
بعد عن الاطراف المذمومة بقدر الامكان وفي الحديث الولد اوسط
ابواب الجنة اي خيرها يقال هو اوسط بني فلان اي خيارهم ووصف
الامة مع انه جمع بالعدل وهو مفرد لان العدل يستوي في الوصف به
المفرد وغيره والمذكر وغيره يقال رجل عدل وامراة عدل ورجلان
عدل ورجال عدل والخيار هنا جمع خير بتخفيف الياء ومعنى الخير كثير
الخير اي الاحسان وفي القاموس تصريح بانه يقال للرجل الكثير الخير
خير كما يقال له الخير كلبيس ويقال للمراة خيرة اي بتخفيف الياء كما

يقال

يقال لها خيرة اي بتشديدها ثم قال والجمع اخيار وخيار ولا يجوز ان يكون
خيار هنا بمعنى المختار لان ذلك مفرد ليس الا ولا يكون جمعا والخيار
هنا يتعين ان يكون جمعا وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم
لاشك ان الكاف للتشبيه ودخلت على اسم الاشارة فالمشار اليه هو
المشبه به والذي مشى عليه الجمهور ان المشار اليه بقوله تعالى ذلك هو
ما تقدم قال البيضاوي اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اي كما جعلناكم
مهتدين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة
وسطا انتهى فهذا صريح في ان الكاف مفيدة للتشبيه وان المشبه به
هو المشار اليه وهو جعلهم مهتدين او جعل قبلتهم افضل القبل والمشبه
هو جعلهم شهداء على الناس يوم القيمة فان قلت المشبه هنا اعلى من
المشبه به فكيف يجعل مشبها قلت المشبه به لم يجعل علو على المشبه
من حيث انه نعمة حاضرة مشاهدة فكانه قال انتم تشاهدون ما
مننا به عليكم من الهداية الى الصراط المستقيم او جعل قبلتكم افضل
القبل واقمتم على بيان الملك بهذه المنة ومثل هذه المزية تقع لكم
في الاخرة فتصيرون شهداء الناس ومويدين لانبياء الله عز وجل
يوم القيمة على ان الطيبي افاد ان معنى المثل الذي يعطيه الكاف هو
الصفة والحالة لا النظير والشبه انتهى اي فكانه يقول ان لكم حالة اخرى
تقع في يوم القيمة وهي كذا الى اخره وعلى هذا التقدير الكاف اسمية
وهي في محل نصب على انها حال اي جعلناكم بصفة حالة كون تلك الصفة

مماثلة لهدايتكم او جعل قبلتكم افضل القبل ويجوز ان تكون في محل نصب على
انها نعت لمصدر محذوف اي جعلناكم جعلا مماثلا لذلك الجعل السابق
هذا ما مشى عليه الجمهور والمصنف معهم على ذلك لكن الزمخشري في
الكشاف قال وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا
خيارا انتهى واختلف مقرروا كلامه فقال بعضهم ان المشار اليه ما يفهم
من مضمون قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو الامر العجيب
وذلك انهم لما طعنوا بقولهم ما ولاهم عن قبلتهم جيء بقوله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم جوابا له وجعل لله المشرق والمغرب توطئة للجواب قالوا
اي شيء ولاهم عن قبلتهم فاجيبوا هداية الله عز وجل اختصتهم بهذه التولية
ومنحتهم الصراط المستقيم يعني كما جعلناكم في الدنيا افضل الامم وقبلتكم
افضل القبل جعلناكم في الاخرة شهداء على الناس تشهدون كما يشهد
الانبياء على اممهم هذا هو الجعل العجيب الشان كذا قيل ومضمونه
ان الله عز وجل ماثل امرا عجيبا بامر عجيب لكن السعد التفتازاني
في شرح الكشاف قد رجح ان مر كلام الكشاف يريد ان ذلك اشارة الى
مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل اخر لقصد تشبيه هذا الجعل به على
ما يتوهم من ان المعنى ومثل جعل الكعبة قبلة جعلناكم امة وسطا
فاذا تحققته فالكاف مقحمة اقحاما كاللازم لا يكادون يتركونه في لغة
العرب وغيرهم ثم قال هكذا ينبغي ان يفهم هذا المقام انتهى وحاصله ان
الكاف في كذلك زائدة لا يراد بها معنى التمثيل والتشبيه وان زيادتها

كاللازمة

كاللازمة لا يكادون يفارق اسم الاشارة وان ذلك اشير به الى الجعل الواقع في قوله
جعلناكم امة وسطا وهو على خلاف اسلوب الاشارة فانه لا يشار به الا
الى سابق والمخاطب بالكاف في قوله ذلك المؤمنون وانما وحدها مع ان
القاعدة تقتضي ان يؤتى بها جمعا بان يقال وكذلكم لان الاشارة الى انه اخذهم
بعنوان جنس الحاضر كانه قال وكذلك ايها الحاضر كذا قيل واقول
اي مانع يمنع من ان يكون المخاطب به نبينا صلى الله عليه وسلم فان قلتم
لموافقة ضمير جعلناكم قلت لا يلزم لجواز ان يعود الخطاب في الكاف
الى النبي صلى الله عليه وسلم بخصوصه والخطاب في ضمير جعلناكم الى النبي صلى
الله عليه وسلم وامته فان قلت اذا رجعت الاشارة في قوله ذلك الى
مصدر الفعل المذكور بعده فلم اتى به بعيدا والمشار اليه قريب قلت
للدلالة على علو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به
وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة لان الاصل في الاشارة
ان تكون لمشار اليه محسوس وما هنا نزل منزلة المحسوس
فان قلت اقحام الكاف حيث حكمتم بانها مقحمة ماذا يفيد قلت
يفيد تاكيدا كما هو شان الكلمات الزائدة والتاكيد لما افاده اسم
الاشارة من الفخامة للمشار اليه والتعظيم وعلى هذا التقدير يكون
محل اسم الاشارة رفعا على الابتداء وجملة جعلناكم في محل رفع على انها
خبر والكاف زائدة اي الشان والصفة العجيبة والمنحة الغريبة
انا جعلناكم امة وسطا الى اخره اي خصصناكم وفضلناكم بان

جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبيا على اممهم اي بانهم
بلغوهم فالناس هم الامم لا الانبياء وعلى هنا على بابها وليست بمعنى
اللام كما توهم وان جاز اطلاق الناس على الانبيا كما قالوا في قوله عز وجل
عز واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس ان المراد بالناس هنالك
محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه لكن هذا الاحتجاج المهم اقتضاه جعل
على على غير بابها ويشهد لكم الرسول بالصدق وقد تقدم ان مادة شهد
اذا تعدت الى غير الذوات يجوز ان تتعدى بعلى فيقال شهدت على
على صدق فلان وعلى فعل فلان قال تعالى وهم على ما يفعلون
بالمؤمنين شهود اي ويكون الرسول على صدقكم شهيدا على انه يجوز
تعدية الشهيد بعلى الى المشهود له باعتبار تضمين الشهيد معنى
الرقيب والمهيمن هذا وقد استدل بهذه الاية على ان اجماع امة
محمد صلى الله عليه وسلم حجة وتقرير الحجة منها ان الله عز وعلا وصفهم بكونهم
وسطا اي عدولا خيارا والعدول الخيار لا يقولون الا حقا ولا يجمعون
الا على حق قال الطوفي وفيه اشارة ولا حجة في ذلك لان العدل
قصاراه انه لا يتعمد الكذب واما كونه لا يخطي فلا وانما ذلك شان
المعصوم وانما يصح الاستدلال بهذه الطريقة ان لو قال وكذلك جعلناكم
امة معصومين وانا اقول فرق بين من عدله الله عز وجل الذي يعلم
سر العبد ونجواه وبين من هو عدل عند الناس ومن هو عدل في علم الله
عز وجل يجب ان يكون معصوما عن الخطا لان الخطا ضلالة والضلالة

فسق

فسق والله عز وجل لا يعدل من هو فاسق فان قلت لو كان فسقا لعوقب
عليه في الاخرة مع ان المخطئ لا يعاقب قلت عدم عقابه لانه بذل جهده ولم
يظهر له الحق والله عز وجل لا يعدل الا من هو بري من الضلالة ظاهرا وباطنا
سرا وعلانية وما ذكره المعترض انما يتوجه في من عدله الناس لا في من
عدله من قال لبني آدم هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون
امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى واي رفعة اعظم من ان يشهد
علام الغيوب لمجموع هذه الامة بالعدالة الحقيقية التي تسمى في الاخرة
عدالة وهل يقبل الله عز وجل في يوم القيمة الا شهادة العدل البري من الضلالة
ظاهرا وباطنا سرا وعلانية على ان الطوفي متهم بالتشيع وكتبه فيها ما يدل
على ذلك والله عز وجل يغفر لنا وله والشيعة يحصرون حجية الاجماع في
اجماع اهل البيت وكم لاهل السنة من دليل على حجية الاجماع ليس هذا
محل بيانه فارجع الى الكتب الاصولية ان اردت الوقوف على ذلك وقال تعالى
وبشر الذين امنوا البشارة هي الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة
ولذلك قال الفقها البشارة هي الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني
بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني
عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم قال القاضي البيضاوي
فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع انتهى فان قلت
ما الفرق بين الوجهين قلت الوجه الاول يكون ذلك على طريق الاستعارة
التهكمية وهي استعمال ضد في محل ضد آخر على طريق التهكم والثاني يكون

من باب ابدال شي بشي الاليق ان يكون ذلك الشي فان المتحابين اذا
التقيا اللائق ان يكون بينهما التحية وهولاء جعلوا مكان التحية الضرب
الوجيع فان قلت لم عمم الانذار حيث قال ان انذر الناس ثم خصص
البشارة بقوله وبشر الذين امنوا قلت لانه قلما يخلوا احد مما يوجب
الانذار بخلاف البشارة فانها خاصة بمن آمن بما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم ان لهم اي بان لهم فحذف حرف الجر لان حذفه قبل أنْ وأنَّ مطرد
قدم صدق عند ربهم المشهور في تفسيره ان القدم هي السابقة التي
سبقت لهم من الله عز وجل في الكتاب الاول وهي المرادة من قوله عز
وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون روى
هذا القول ابن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هي المنزلة
الرفيعة في الجنة سميت قدما وكذلك المسعاة السابقة تسمى بها
لان حصول ذلك في الحس انما يكون بالقدم وتسمى المسعاة الجميلة قدما
وكذلك هذا كما تسمى النعمة يدا لانها تعطى باليد وتسمى ايضا باعا
لان صاحبها يبوع بها وكما يسمى الجاسوس عينا والمستعلي راسا
وانما اضافها الى الصدق لانها محققة ثابتة كما ان الصدق محقق ثابت
وقيل للتنبيه على زيادة فضلها وانها من السوابق العظيمة وهنا كما
يقال مقام صدق ومقعد صدق ولسان صدق وفي الغريبين للهروي
في قوله عز وجل ولقد بوانا بني اسرايل مبوا صدق اي انزلناهم منزلا
صالحا وكلما نسب الى الصلاح والخير اضيف الى الصدق فقيل رجل

لان السبق انما يكون بالقدم وتسمى المسعاة الجميلة قدما صح

صدق

صدق وصديق صدق ودابة صدق انتهى وقيل انما اضافها الى الصدق
للدلالة على انهم انما نالوها بصدق القول والنية قال قتادة والحسن اي البر
وزيد بن اسلم قدم صدق هو اي معنى هذا اللفظ والمراد منه في هذه الاية
وليس الضمير راجعا الى القدم فانها مونثة محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم
اي ان قدم الصدق عبارة عن هذه المرتبة ومجاز عن هذه المنزلة ولا يرتكب
في مثل ذلك ان يقال انه يتقدم قدم انسان صدق على طريقة رجل عدل
لان ذلك يقال في حق كل من له مسعاة جميلة سوا كان رجلا ام امراة
ام ملكا ويقال لنفس الحالة وان لم يتلبس بها متلبس انها قدم صدق
واقوى من هذا البعد استشعار بعضهم سوالا فاملا الشفاعة طلب
وصاحبه لا يوصف بالصادق ولا بالكاذب فما وجه اضافتها الى الصادق
وجوابا بقوله ليس المراد شفاعة صادق فيها بل شفاعة من هو
صادق في خبره فان ذلك ارتكاب امر شطط والمراد بالشفاعة
للمومنين شفاعته الخاصة بامته الذين امنوا به وصدقوه وهي التي
يجيبه الله عز وجل فيها بقوله ادخل من امتك الجنة من لا حساب عليه
من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركا الناس في باقي الابواب
ويمكن ان يراد بها الشفاعة في فصل القضا فانها وان لم تكن خاصة
بامته الا ان المقصود بالذات منها نجاة امته واراحتهم من هول ذلك
الموقف جعلنا الله عز وجل فيهم من الامنين برحمة الله عز وجل وعن الحسن
ايضا هي مصيبتهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم اي فانه صلى الله عليه وسلم

فرط لهم وفي الحديث انا فرطكم على الحوض اي متقدمكم اليه والفرط هو المتقدم الذي
يسبق القوم ليرتاد لهم الما ويهيئ لهم الدلاء والارشية وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها تقدمين على فرط صدق اي النبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر رضي الله عنه وانما كان موته صلى الله عليه وسلم قدم صدق لامته لما
في حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد
الله عز وجل بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها
واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها
حين كذبوه وعصوا امره وانما كان قبض النبي خيرا الامة لانهم اذا قبضوا
انقطعت اعمالهم واذا اراد الله عز وجل بهم خيرا جعل خيرهم مستمرا ببقائهم
محافظين على ما امروا به من العبادات وحسن المعاملات نسلا بعد
نسل وعقبا بعد عقب وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه هي شفاعة
نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم تقدم ان الامر
الذي يمدح صاحبه به يضاف الى الصدق عند العرب وقد تقدم ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لعائشة تقدمين على فرط صدق اي النبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر رضي الله عنه وقال سهل بن عبد الله التستري قد تقدمت
مناحصته من ترجمته في شرح اية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
هي سابقة رحمة اودعها الله عز وجل في محمد صلى الله عليه وسلم اي جعل الله
عز وجل في محمد صلى الله عليه وسلم رحمة منحه اياها في سابق علمه لا تكون جزاء
على عمل ولا في مقابلة شي بل تفضل بفضل الله عز وجل على محمد صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم وقد اشير الى ذلك التفضل في قوله عز وعلا ولسوف يعطيك ربك
فترضى وفي قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك
ويهديك صراطا مستقيما ومن كونه اكثر الناس تبعا يوم القيمة واول من
يقرع باب الجنة وان باب الجنة لا يفتح لاحد قبله وان الخازن الاكبر وهو
رضوان عليه السلام يقوم بنفسه من مجلسه ويفتح له باب الجنة وانه سيد
ولد ادم يوم القيمة وان بيده لواء الحمد وان جميع الانبياء ادم فمن دونه
تحت لوائه وانه اول من تنشق عنه الارض وان امته ببركته اسبق الامم
الى ظل العرش واسبقهم الى فصل القضا واسبقهم الى الجواز على الصراط
واسبقهم الى دخول الجنة وانهم اكثر اهل الجنة وان اهل الجنة مائة وعشرون
صفا منها ثمانون صفا لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا كله تفضل من الله
عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم بمقتضى سابق ارادته من غير سبق عمل
يقتضي ذلك وقال محمد بن علي الترمذي هو من الشافعية صاحب
نوادر الاصول وهو محمد بن علي بن الحسن بن بشر المحدث الزاهد ابو عبد الله
الحكيم الترمذي الصوفي صاحب التصانيف سمع الكثير من الحديث بنيسابور
سنة خمس وثمانين ومائتين وسمع منه الكثير من اهلها وغيرهم لقي
الحكيم الترمذي ابا تراب النخشبي وصحب يحيى بن الجلا قال ابو عبد الرحمن
السلمي نفوه من ترمذ واخرجوه منها وشهدوا عليه بالكفر وذلك
بسبب تصنيفه كتاب ختم الولاية وكتاب علل الشريعة وقالوا انه
يقول ان للاولياء خاتما كما ان للانبياء خاتما وانه يفضل الولاية على النبوة

حدث عن ابيه وقتيبة ... والعراق ... بلسان ... صالح بن محمد بن عبد الله الترمذي ... ابن سعيد [illegible]

الترمذي الحكيم

واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم يغبطهم النبيون والشهداء وقال لو لم يكونوا
افضل منهم لم يغبطوهم فنفي الى بلخ فقتلوه بسبب موافقته اياهم على
المذاهب ثم اعتذر السلمي عنه ببعد فهم الفاهمين قال الشيخ تاج الدين
السبكي في طبقاته الكبرى ولعل الامر كما زعم السلمي والا فما يظن بمسلم
انه يفضل بشرا غير الانبياء عليهم السلام على الانبياء ومن تصانيفه
كتاب الفروق لا باس به بل ليس في بابه مثله يفرق فيه بين المداراة
والمداهنة والمحاجة والمجادلة ونحو ذلك وله كتاب عرس الموحدين
وكتاب غرر الامور وكتاب المناهي وكتاب شرح الصلوة وله كتاب
نوادر الاصول عاش نحو ثمانين سنة واقول انا اقرر مقصد
الترمذي الحكيم بعد ان ابين شانه فقد نطقت السن اهل التوفيق
وارباب القلوب النيرة المشرقة بالمعارف الالهية بان الرجل ولي من
اولياء الله عز وجل وذكروه في طبقات الاولياء فممن ذكره فيهم ابو القسم
القشيري في الرسالة بعد ان قال في صدر هذا الباب الذي ذكر فيه
الاولياء انهم خواص اهل السنة المراعون انفاسهم مع الله عز
وجل الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف ثم ذكر جماعة
من هذا القبيل وذكر منهم محمد بن علي الترمذي وذكره ابو عبد الرحمن
السلمي في طبقات الصوفية ونقل له اقوالا سديدة مفيدة وذكره فيهم
صاحب مناقب الابرار والصالحين الاخيار وهو كتاب عظيم قرنه
بمثل الجنيد وابرهيم بن ادهم وكتبه التي الفها تشهد على انه ذو باع

طويل

حسن
مبحث في تبرئة الحكيم الترمذي ولي الله عز وجل قصدنا به وجه الله عز وجل والدار الاخرة اثابنا الله تعالى على ذكره منه

طويل في العلوم سيما العلوم النافعة ثم ان انكار من انكر عليه القول
بان للاولياء خاتما كما للانبياء خاتم فاقول اي شيء يلزم من كون الاولياء
لهم خاتم واي خدش في دين الله عز وجل يحصل من ذلك واي
مصادمة للكتاب والسنة تنشا من ذلك وغالب الصوفية ذكروا
ذلك في كتبهم ونعبر بما قالوا على وجه الايضاح ان الدنيا لما كان لها بدء
ونهاية وهو ختمها قضى الله عز وجل ان يكون جميع ما فيها من نعمها له
بدء وختم وكان من جملة نعمها تنزيل الشرائع فختم الله سبحانه هذا
التنزيل بشرع محمد صلى الله عليه وسلم فكان خاتم النبيين وكان الله بكل
شيء عليما وكان من جملة ما فيها الولاية وخاتم الولاية المحمدية عيسى عليه
السلام فانه ينزل في اخر الزمان وليا وتنطوي فيه نبوته وتصير
باطنية واما خاتم الولاية المطلقة فمولود ياتي في اخر الزمان على قدم
شيث نبي الله عليه السلام وهو اخر مولود يولد من النوع الانساني
قال الشيخ محيي الدين بن عربي في الفصوص وتولد معه اخت له
وتخرج بعدها يكون راسه عند رجليها ويكون مولده بالصين ولغته
لغة بلده ويسري العقم في الرجال والنساء فيكثر النكاح من غير ولادة
ويدعوهم الى الله سبحانه فلا يجاب فاذا قبضه الله عز وجل وقبض مؤمني
زمانه بقي من بقي مثل البهائم لا يحلون حلالا ولا يحرمون حراما يتصرفون
بحكم الطبيعة شهوة مجردة عن العقل والشرع فعليهم تقوم الساعة
قيل ان هذا المولود يكون اكمل الاولياء مقاما وارفعهم كشفا وحالا

معنى قولهم ان للاولياء خاتما كما للانبياء خاتم

بل واكثر الاولياء تماما من كان في اخر الطور الانساني واما تفضيل الولاية
على النبوة فليس كذا ولا يلزم من تفضيل الولاية على النبوة تفضيل الولي
على النبي قال التفتازاني في شرح المقاصد اجمع المسلمون على ان الولي لا
يصل الى درجة النبي اذ من خاصية النبي مع ما حاز من شرف الولاية
انه معصوم من المعاصي مأمون من سوء العاقبة بحكم النصوص
القاطعة مشرف بالوحي ومشاهدة الملك المبعوث لاصلاح حال
العالم ونظام امر المعاش والمعاد الى غير ذلك من الكمالات ولا يعتد
بقول بعض الكرامية المبتدعة ان الولي قد يبلغ درجة النبي ولهذا
قيل اول مقامات النبوة تحتها اعلى درجات الولاية وقال نسبة ما
قسم الله عز وجل بين الاولياء كلهم من المراتب والكمالات الى ما اعطي
الانبياء عليهم السلام كنسبة رشح من زق ملئ عسلا الى ما في
داخل الزق من العسل وكذا اجمع المسلمون على ان النبي افضل من
الولي لان النبي جمع بين مرتبة الولاية ومرتبة النبوة نعم يقع
تردد في ان نبوة النبي افضل ام ولايته فمن قال بالاول لما في
النبوة من الواسطة بين الجانبين والقيام بمصالح الخلق في
الدارين مع شرف مشاهدة الملك ومن قال بالثاني لما في الولاية
من معنى القرب والاختصاص الذي يكون في النبي في غاية الكمال بخلاف
ولاية غير النبي انتهى والحاصل ان بعض اهل السنة مال الى تفضيل
الولاية في الجملة على النبوة ولا يلزم منه تفضيل الولي على النبي لان

النبي

النبي لا تفارقه الولاية وهؤلاء الكمل قالوا بتفضيل النبوة على الرسالة مع ان
الرسول افضل من النبي وفي شرح الفصوص للقيصري فالمرسلون اعلى
مرتبة من غيرهم لجمعهم بين المراتب الثلاث الولاية والنبوة والرسالة
ثم الانبياء لجمعهم بين المرتبتين وان كانت مرتبة ولايتهم اعلى من نبوتهم
ونبوتهم اعلى من رسالتهم لان ولايتهم جهة حقيتهم لفنائهم فيه ونبوتهم
جهة ملكيتهم اذ بها تحصل المناسبة لعالم الملائكة فيأخذون الوحي منهم
ورسالتهم جهة بشريتهم المناسبة للعالم الانساني وبالجملة فهذا
مراد الحكيم الترمذي ومراد السلمي من اعتذاره عنه ببعد فهم الفاهمين
بقي علينا من المشكل ما عزوا اليه من انه استدل على افضلية الاولياء
على الانبياء بالحديث الوارد يغبطهم النبيون والمرسلون ولا يغبطون
الا من هو افضل منهم واقول ليس عندي من تاليف هذا الامام سوى
نوادر الاصول ولقد طالعت فيه كثيرا وتصفحته فلم اجد تعظيم لدرجة
النبوة قاصرا وقد ذكر في الاصل الثالث والعشرين والمائة كلاما
حسنا في شان الاولياء حاصله انه ليس للاولياء درجة الا بمتابعة
النبيين ولا سعادة الا بهم فارجع اليه وللصوفية كابن عربي
كلام سديد في قوله صلى الله عليه وسلم يغبطهم النبيون الى اخره ذكره
في الفتوحات المكية في بحث الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وحاصل
ذلك انك صمم على ان الترمذي الحكيم ولي من اولياء الله عز وجل عارف
بالله عز وجل ولا تلتفت الى خباطات الذهبي ولا الى تعصبات ابن تيمية

فان من احب اوليا الله سعد سعادة الابد جعلنا الله عز وجل في بركتهم واهل
بينسب اليه تفضيل الولي على النبي لعوان قال في شان نبينا صلى الله عليه وسلم
هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب
حكاه عنه السلمي هذا التفسير من الترمذي الحكيم لقدم الصدق الواقع في
الاية فبين ان المراد منه محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم منا انه كل ممدوح
يضاف الى الصدق فيقال مدخل صدق ومخرج صدق ومقام صدق
ومقعد صدق وانما اضاف القدم الى الصدق وعنى به رسول الله صلى
الله عليه وسلم لانه امام الصادقين اي مقتدى لكل صادق سابق عليه
ولاحق فهو قدوة لادم فمن بعده من الانبيا والاوليا والصلحا
والعارفين والعلما الى يوم القيمة لم يشم احد رائحة الصدق الا منه
من محمد صلى الله عليه وسلم ويظهر ذلك يوم القيمة اذ قال انا سيد الناس
يوم القيمة وذكر حديث الشفاعة وانما ذكر مع ذلك كونه الشفيع
المطاع وكونه السائل المجاب لتنتظم البشارة للمومنين به اذ كان
يشفع في كل مومن ويسال الله عز وجل فضله وعفوه عن كل من آمن
به وقد جعل الترمذي النبي صلى الله عليه وسلم امام الصديقين ولم يجعله
صديقا لان الصديقية مرتبة دون مرتبة النبوة ومع ذلك لا
منافاة بينها وبين النبوة فقد جمع بينهما ربنا عز وجل في شان ابرهيم
الخليل عليه السلام وشان ادريس وانما قال الشفيع المطاع والسائل
المجاب بطريق الحصر وان كان غيره من الانبيا يشفع ويسال لكن

شفاعة

شفاعة غيره لا تعادل شفاعته في العموم والنفع ولا ايصال لاحد غيره من
الانبيا يشفع ويسال لكن شفاعة غيره اقل يسمع واشفع تشفع
وسل تعطه فالشفيع المطاع والسائل المجاب الكامل في هذا المقام
ليس الا محمدا صلى الله عليه وسلم وسئل ابو سعيد القرشي عن الصادق
فقال هو الذي ظاهره مستقيم وباطنه لا يميل الى حظ من حظوظ النفس
لاستقامته وعلامة صاحب الصدق ان يجد الحلاوة في بعض
الطاعة ولا يجدها في بعضها واذا اشتغل بالذكر والاجتهاد تجد الروح
واذا اشتغل بحظوظ نفسه يحجب عن الله عز وجل وعن الاذكار واما
الصديق فقال ابن عطا هو القائم مع ربه عز وجل على حد الصدق في
جميع الاوقات لا يعارضه في صدقه معارض بحال وقال ابو سعيد
الخراز الصديق الاخذ باتم الحظوظ من كل مقام سني حتى يقارب درجات
الانبيا عليهم السلام وقال يحيى بن معاذ شرب كاس الصديقين
في الدنيا من ثلاثة انهار نهر الحياة ونهر العطا ونهر الصبر وقال
الجنيد الصديق القائم مع الحق بلا واسطة وفي سراج المريدين للقاضي
ابي بكر بن العربي الصدق هو الثبوت في جميع الاعمال والاحوال على قدم
الحق والاستقرار في جميع الاحوال على حكم الشرع وذلك في ثلاثة وجوه
صدق في القلب وصدق في القول وصدق في الفعل وقد ذكر الله عز وجل
صفة الصادقين في كتابه فقال انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون

وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة واتى
الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأسا والضراء
وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ثم قال
القاضي ابو بكر ويتمادى في الصدق الى الوفاة وبعمومه في الاعتقاد
والافعال والاقوال تحصل الصديقية وقد نعت الله عز وعلا الصديقين
فقال والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون قال ابو علي
الجوزجاني الصديقون حزب الله عز وجل خواصهم اهل المعرفة
واوساطهم العقلاء وقال ايضا قلوب الابرار معلقة في
الملكوت مقبلين ومدبرين وقلوب الصديقين معلقة بالعرش
مقبلين بالله ولله عز وجل

الفصل الثالث

في ما ورد اي نقل في خطابه اي خطاب الله عز وجل اياه اي النبي صلى الله
عليه وسلم مورد الملاطفة اي التلطيف به وهو ان يلطف به في خطابه
لطفا بليغا كثيرا لان صيغة باب المفاعلة قد تاتي بمعنى التفعيل نحو
ضاعفت العطا بمعنى ضعفته ولطف الله عز وجل بالعبد معناه هو
ان يجمع للعبد الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها
من قدرها له من خلقه يقال لطف به وله يلطف لطفا اذا رفق به
فملاطفة الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يرفق به رفقا بليغا
كثيرا وان يخاطبه بمخاطبات لم يخاطب بها مخلوقا والمبرة هي الاحسان
والجود والجار والمجرور في محله في خطابه متعلق بكائن على انه مستقر

وليس

وليس المراد في حين خطابه من ذكر قوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم
العفوا اصله الترك وعفا المنزل تركه حتى درس وقوله عز وجل فمن عفي
له من اخيه شي اي ترك له الدم وصولح على الدية من اخيه وقوله عفا الله
عنك معناه ترك معاقبتك واستعمال الترك في الله عز وجل مجاز
والمخاطب بقوله عنك محمد صلى الله عليه وسلم والعفو هنا معناه التجاوز
عن الذنب وترك العقاب عليه واصله المحو والطمس والضمير المجرور
في اذنت لهم راجع الى المتخلفين عنه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
وكانوا اقساما منهم قوم خلفهم عن نبي الله صلى الله عليه وسلم كفرهم
ونفاقهم كعبد الله بن ابي ابن سلول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خرج الى تبوك ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن
ابي على ذي حدة اسفل من ثنية الوداع ولم يكن عسكره باقل العسكرين
فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن ابي في من
تخلف من المنافقين واهل الريب والعياذ بالله عز وجل ومنهم من
تخلف واستاذن النبي صلى الله عليه وسلم في التخلف الجد بن قيس
المنافق كان النبي صلى الله عليه وسلم قال له حين تجهز لغزوة تبوك
يا وهب هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفا
فقال جد يا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بالنساء واني
اخشى ان رايت بنات الاصفر ان لا اصبر عنهن ائذن لي في القعود ولا
تفتني بهن واعينك بمالي قال ابن عباس رضي الله عنهما اعتل جد

بحث حسن جمعا فيه
شان المتخلفين عن النبي
صلى الله عليه وسلم في غزوة
تبوك فتاملها حتى

ولم يكن له علة الا النفاق فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال لم قد اذنت
لك وممن تخلف عنه باذنه المعذرون وهم رهط عامر بن الطفيل جاوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم دفاعا عن انفسهم وقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا
معك تغير اعراب طي على حلايلنا واولادنا ومواشينا فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد انباني الله عز وجل من اخباركم وسيغني الله نبيه عنكم
قال ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعذر باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي ان المنافقين الذين
تخلفوا عنه صلى الله عليه وسلم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع نبي الله صلى
الله عليه وسلم جاوا يعتذرون اليه بالباطل والحاصل ان المتخلفين عن النبي صلى
الله عليه وسلم في غزوة العسرة وهي تبوك جماعة وهم اقسام الاول منافقون
مردوا على النفاق وهذا القسم عليهم العتاب والعقاب في الدنيا والاخرة
الثاني اولوا الضرر كالزمنى والمشايخ والعجزة من الصبيان والنسوان
والمرضى الثالث الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون كعايذ بن عمرو
واصحابه الرابع سبعة نفر يسمون البكائين وهم معقل بن يسار وصخر
ابن خنسا وعبد الله بن كعب الانصاري وعلبة بن زيد الانصاري
وسلام بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل المزني اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوه ان يحملهم فقال لهم لا اجد ما
احملكم عليه فتولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما
ينفقون فقد نص القران على ان هولاء الاقسام الثلاثة لا حرج عليهم

والاعتاب

والاعتاب ولا عقاب الخامس قوم تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ندموا على ذلك وقالوا نكون في الظلال مع النساء ورسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه في الجهاد واللاواء فلما قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المدينة قالوا والله لنوثقن انفسنا بالسواري في المسجد فلما
رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم فراهم فقال من هولاء فقالوا
هولاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله عز وجل ان لا يطلقوا انفسهم حتى
تكون انت تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
اقسم بالله عز وجل لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم رغبوا
عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين ثم ان الله عز وجل من عليهم
بالتوبة فقال واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
والعمل الصالح ندامتهم والعمل السيء تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
السادس قوم تخلفوا عنه فاخرهم الله عز وجل لامره وهم ثلاثة هلال
ابن امية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك فتاب الله عز وجل
عليهم بنص القران وقصة توبة الله عز وجل عليهم مذكورة في الصحيحين
من حديث كعب بن مالك فقوله عفا الله عنك كناية عن خطابه في الاذن
فان العفو من روادفه والمعنى لاي شي اذنت لهم في القعود حين
استاذنوك واعتلوا بالاكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين الحق
قال ابو محمد مكي هو مكي بن ابي طالب حموش بفتح الحا وضم الميم
ابن محمد بن مختار القيسي المقري من القيروان وسكن قرطبة من

مكي ٥

اهل النحو في علوم القران والعربية حسن الفهم جيد الذهن كثير التاليف في علم
القران والعربية ولد لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين
وثلاثمائة عند طلوع الشمس او قبل طلوعها بقليل كان خيرا فاضلا
متواضعا متدينا مشهورا بالصلاح مات رحمه الله يوم السبت عند صلوة
الفجر ودفن ضحى يوم الاحد لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين
واربعمائة له نحو مائة مصنف قيل هو اي قوله عفا الله عنك افتتاح كلام
بمنزلة اصلحك الله واعزك الله يريد بذلك ان العفو هنا ليس كناية عن
خطاء في الاذن وانه لا يلزم ان يكون عن ذنب وانما هي مقالة وقره
الله عز وجل بها ورفع قدره حيث افتتح الكلام بالدعاء كما يقول الرجل لمن
يخاطبه اذا كان كريما عنده عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي ورضي الله
عنك الا زرتني وعلى هذا يحسن الوقف على قوله عفا الله عنك وقال
عون بن عبد الله هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي — عون بن عبد الله رضي الله عنه
الكوفي الزاهد الفقيه اخو عبيد الله يروي عن ابي هريرة وابن عباس وجمع
وقيل روايته عن الصحابة مرسلة وروى عنه الزهري وابو حنيفة
وابو العميس وطائفة وثقوه وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة
عشرين ومائة واخرج له مسلم والاربعة ولم يخرج له البخاري اخبره
بالعفو قبل ان يخبره بالذنب فان قلت الكلام على التقديرين ماذا يكون
هل هو خبري او انشائي قلت هو خبري عليهما لانه على التقدير الاول
يكون الله عز وجل اخبره بانه عفوت عنك وتنظير المصنف له بقول من يقول
اصلحك

اصلحك الله ونحوه فان ذلك اذا صدر من مخلوق يكون دعاء في المعنى انما هو
في مجرد استفتاح الكلام بما يشعر بالتبجيل فان قلت على هذا الوجه هل
يحسن الوقف على قوله عفا الله عنك كما في الاول قلت نعم يحسن
فان قلت فحينئذ ما الفرق بين الوجهين قلت الفرق بينهما انه على الوجه
الاول لا يكون ذكر عفوا عن ذنب وعلى الثاني يكون نسبه الى الذنب
فبدره بالعفو قبل ان ينسب اليه الذنب رحمة له اذ لو واجهه
بالذنب اولا لطار قلبه لان خوف الانبياء من الله عز وجل على قدر علمهم
بعظمته وجلالته عز وعلا وقوله يخبره في حواشي الشمني هو بضم المثناة
التحتية وسكون المعجمة وكسر الموحدة الخفيفة او بفتح المعجمة وتشديد
الموحدة وفي الصحاح اخبرته وخبرته بمعنى واقول اما على الوجه الاول فاول
الكلام واخره على نمط واحد لانه استعمل فيه ماضي باب الافعال ومضارعه
واما على الوجه الثاني فلعله اراد تنويع الكلام فاستعمل الماضي بصيغة
اخبر والمضارع بصيغة يخبر مضارع باب التفعيل فهو على نمط قول الاعشى
منه الطويل — اذا انكرتني بلدة او نكرتها خرجت مع البازي علي سواد
فقد جمع بين انكرتها ونكرتها وهما بمعنى واحد وعلى حد قول الشاعر
هما من مخلع البسيط — الم تروا ارما وعادا اودى بها الليل والنهار ومر دهر على وبار فهلكت جهرة وبار
فقد جمع بين لغتي وبار فانه مما كان يختم براء في آخره فان فيه لغتين
احداهما اعرابه اعراب ما لا ينصرف والثانية بناؤه على الكسر وحكى
السمرقندي هو ابو الليث الفقيه الحنفي عن بعضهم ان معناه عافاك الله عز وجل

قوله على وبار فيه كلام من علم العروض فليتامل

يا سليم القلب لم اذنت لهم اقول ما كان اغنى المصنف عن ان ينقل هذه
المقالة التي لا تدل عليها الاية وهي بمعزل عن منطوق الاية ومفهومها
واين معنى العفو الذي هو محو الذنب من معنى العافية الذي هو السلامة
من الاسقام والالام وللتغاير بينهما جمع بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
في تعليم عائشة رضي الله عنها الدعاء في ليلة القدر حيث قال لها قولي
اللهم اني اسالك العفو والعافية ثم ان قوله يا سليم القلب من اين اخذه من
الاية فان قلت اما يجوز ان يقال ان العفو محو الذنب والذنب مرض قلبي
فمن عفا الله عز وجل عنه فقد عافاه من ذلك المرض قلت الذنب لا يصير
بمنزلة المرض الا اذا اكثر من فعله مرتكبه واما اذا وقع منه مرة واحدة
فذلك لا يكون مرضا وايضا لا يلزم من عفوه عن ذنب المذنب معافاته
من ذلك المرض لانه لا يعافى منه الا اذا تاب عنه واقلع ولا يلزم من العفو
التوبة وقوله يا سليم القلب هو وصف ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع
الانبياء عليهم السلام وان لم يدل عليه هذه الاية فان قلت قال بعضهم في
وصف النبي صلى الله عليه وسلم بسليم القلب هذا بعيد لان هذه اللفظة
وان كانت مدحا كقوله ع‍ ‌و‌علا الا من اتى الله بقلب سليم فقد صارت
تستعمل لمن له ركاكة في الراي وضعف قاله صاحب لباب التفاسير
قلت اي عرفا اطلق سليم القلب على من له ركاكة في الراي وهذا
يصدر من العوام يقولون فلان سليم الصدر اي ضعيف الراي ولا يطلقون
ذلك الا على من لا راي له في الاساليب الشيطانية والحالات المكرية

والانبياء

والانبياء عليهم السلام وسائر اهل التقوى لا دخل لهم في ذلك فان قلت
الانبياء لا دخل لهم في اراء الدنيا قلت لا نسلم بل الانبياء عليهم السلام
اراؤهم سوية في الدارين وان كانت الكياسة في احوال الدنيا لا تجامع
الكياسة في احوال الاخرة ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والاخرة
ثلاثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين
اذا ارضيت احداها اسخطت الاخرى ولهذا ترى اهل الكياسة في
العلوم الدنيوية كالطب والحساب والهندسة والفلسفة
جهالا في العلوم الاخروية والاكياس في العلوم الاخروية جهالا في
العلوم الدنيوية لان القوة العاقلة لا تفي بالامرين جميعا في الغالب
فيكون احدهما مانعا من الكمال في الاخر ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم
اكثر اهل الجنة البله الابله الغافل عن الشر المطبوع على الخير وقيل
البله الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس
فجعلوا حذق التصرف فيها متروكا لهم واقبلوا على اخرتهم فشغلوا
انفسهم بها فاستحقوا ان يكونوا اهل الجنة فاما الابله وهو الذي
لا عقل له فغير مراد في الحديث وفي حديث الزبرقان خير اولادنا
الابله العقول يريد انه لشدة حيائه كالابله وهو عقول وقال
الحسن ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوكم لقالوا شياطين
فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدين والدنيا لا يكاد يتيسر الا لمن
رشحه الله عز وجل لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون

مطلب الكياسة لا تحصل في الدارين الا للانبياء عليهم السلام

قال ابن الاثير اي البله في امر الدنيا ... ومنه الحديث ... صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله

بروح القدس المستمدون من قوة الهية فقلوبهم تتسع لجميع الامور
ولا تضيق عنها واما قلوب سائر الخلق فانها اذا اشتغلت بامر
الدنيا انصرفت عن امر الاخرة وقصرت عن الاستكمال فيه كما ذكره
حجة الاسلام ابو حامد الغزالي في الاحيا رحمه الله فان قلت فقد
فهمنا من ذلك انه لا ينسب الى الانبيا عليهم القصور في اراء الدنيا
لكن تنسب اليهم سلامة القلب قلت قد وقع نسبة ذلك الى الخليل
الله عليه السلام في قوله عز وجل وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب
سليم قالوا في تفسيره اي سليم من افات القلوب وقيل من العلائق
خالص لله عز وجل ومخلص وقيل حزين من السليم وهو اللديغ وقيل
معناه مستسلم مفوض في كل حال راجع الى ربه بسره لا يبغي ولا يلوي
بما فيه وقال عوف الاعرابي سالت محمد بن سيرين ما القلب السليم
قال الناصح لله في خلقه وكان محمد بن سيرين يقول للحجاج بن يوسف
الثقفي مسكين ابو محمد ان عذبه الله عز وجل فبذنبه وان غفر له فهنيا
له وان كان قلبه سليما فقد اصاب الذنوب من هو خير منه قال قلت
لمحمد يعني ابن سيرين ما القلب السليم قال ان يعلم ان الله حق وان الساعة
قائمة وان الله عز وجل يبعث من في القبور وقال هشام بن عروة
كان ابي يقول لنا يا بني لا تكونوا لعانين الم تروا الى ابرهيم عليه السلام
لم يلعن شيا قط فقال تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم قال اي ابو الليث ولو بدا
اي الله عز وجل شيا مما انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم من هذه الاية بقوله لم اذنت

لهم

لهم لحيف عليه اي لتلبيس لكثرة من شان من تلبس بها ان يخاف عليه
صدر بقيره ومن يلوذ به ان ينشق قلبه اي يتصدع لعدم تحمل اعبا هذا
العتاب من هيبة هذا الكلام لكن الله عز وجل برحمته اخبر بالعفو
حتى سكن قلبه بصيغة الماضي مع تخفيف الكاف وفي نسخة حتى
يسكن بصيغة المضارع مع ضم الكاف وفتح حرف المضارعة على انه
مضارع المجرد ويجوز ضم حرف المضارعة وكسر الكاف على انه
مضارع المزيد قيل الشيخ مراده السكون عن اضطراب لعدمه ولكن
اراد عدم الاضطراب كما في سبحان من صغر عين البعوض واقول
بل سكن قلبه عن اضطراب لانه صلى الله عليه وسلم لما سمع بالعفو والعفو
من الذنب اضطرب قلبه فان العارفين بالله عز وجل لا يخافون الله
من جهة انه يعذبهم وانما خوفهم منه تعالى وتقدس اجلالا له واعظاما
فلما سمع بالعفو اضطرب قلبه لكن سكن اضطرابه ملاحظة رحمة الله
عز وجل الاسيما وقد سمع بالعفو وبالجملة فسكون قلبه انما كان عن
اضطراب وقصة البعوض ليس هذا من قبيلها فتامل ثم قال لم ثم
هنا لمجرد الترتيب ولا مهلة فيها فهي هنا واقعة موقع الفا مثلها في قول
الشاعر * كهز الرديني تحت العجاج * جرى في الانابيب ثم اضطرب * من المتقارب
اذ الهز متى جرى في انابيب الرمح يعقبه الاضطراب ولم يتراخ وليس
هذا من قبيل الترتيب في الاخبار لان قوله تعالى لم اذنت لهم واقع بعد
قوله عفا الله عنك فان الترتيب في الاخبار انما يعول عليه اذا لم يتات

الترتيب في الحكم لم اذنت بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره
من الكاذب وقد فصلنا احوال الذين تخلفوا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
في تلك الغزوة تفصيلا شافيا في صدر الكلام على هذه الاية وقوله حتى
يتبين الواقع في الاية غاية لما تضمنه الاستفهام اي ما كان ينبغي ان
تاذن لهم حتى يتبين لك العذر وقيل حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام
اي هلا اخرتهم الى ان يتبين او ليتبين وقوله اذنت لهم يدل على هذا
المحذوف ولا يجوز ان يتعلق حتى باذنت لان ذلك يوجب ان يكون اذن
لهم الى هذه الغاية او لاجل التبين وهذا لا يعاتب عليه واما اللام في قوله
لم اذنت فانه متعلق باذنت وكذلك اللام في لهم متعلقة به ولا ضير في
تعلق اللامين بفعل واحد فان معناها مختلف لان الاولى للتعليل
والثانية للتبليغ وفي هذا من عظم منزلته عند الله عز وجل ما لا يخفى على
ذي لب اللب العقل وجمعه الباب يقال لب يلب مثل عض يعض اي
صار لبيبا هذه لغة الحجاز واهل نجد يقولون لب يلب بوزن فر يفر
ويقال لبب الرجل بالكسر يلبب بالفتح اي صار ذا لب ومن اكرامه
اي اكرام الله عز وجل اياه اي نبيه صلى الله عليه وسلم وبره به ما ينقطع دون
معرفة غايته اي قبله اي قبل الوصول اليها وفي القاموس ودون
النهر جاعة اي قبل ان يصل اليه انتهى ونظيره قول الشاعر

يرجي المرء ما ان لا يراه * وتعرض دون ادناه الخطوب

من الوافر

اي تعرض قبل ان يصل اليه الخطوب والغاية النهاية نياط القلب في القاموس

النياط

النياط ككتاب الفؤاد وفسر الفؤاد بانه الحرارة التي في القلب وقال بعضهم
الفؤاد ما يتعلق بالمريء من كبد وريه وقلب وقيل النياط عرق غليظ
نيط به القلب الى الوتين وايضا النياط عرق مستبطن الصلب
تحت المتن كالناط والناط ممتد في القلب يعالج المصفور
يقطع واما الوتين ففي القاموس هو عرق في القلب اذا انقطع مات
صاحبه اي في ما ذكر من الاكرام لنبي الله عز وجل صلى الله عليه وسلم ما يحصل
الموت لطالبه قبل ان يصل الى غايته كانه من كثرته لا يسع العمر ادراكه
او من عسر ادراكه على النفس لا تطيق حمل اعبائه فيهلك طالبه قبل
ان يصل الى غايته لان النفوس البشرية لا قدرة لها على استقصاء كمالات
خير البرية فان قلت قيل في قول المصنف ما ينقطع دون معرفة
غايته نياط القلب اي ما يشارف ويقرب ان ينقطع لانه لا ينقطع
حقيقة وان ذكر على اسلوب قول الشاعر

الى ملك كاد الجبال لفقده * تزول وزال الراسيات من الصخر

فهل يصح ان يقال بذلك قلت لا يقال بذلك بل ينقطع دون نياط
القلب حقيقة لان هذه الاية لمن تاملها تشرف على مراتب عليه اوتيها
محمد صلى الله عليه وسلم لا يتصور الوصول الى غاية مراتبها بطريق التفصيل
وان امكن بطريق الاجمال وقال نفطويه بكسر النون وسكون الفا وفتح
الطا مختوما بويه الذي هو من الاصوات ومثله في ذلك نظائره
كراهويه وسيبويه وعمرويه هذه اللغة المشهورة وبعضهم ينطق بذلك

نفطويه النحوي صح

بواو ساكنة مضموم ما قبلها مفتوح ما بعدها اخرها آء وهذه طريقة اهل
الحديث لانهم لايحبون ويه ولا يقولون نفطويه ويحتو ما بصوت
تفاديا من ان يقع في كلامهم ويه ونفطويه هذا هو الامام الجليل
ابرهيم بن محمد بن عرفة بن سليمن بن المغيرة بن حبيب بن المهلب
ابن ابي صفرة ابو عبد الله العتكي الازدي الواسطي الملقب بنفطويه
النحوي سكن بغداد حدث وحدث عنه وكان صدوقا وله مصنفات
كثيرة كان بنكر الاشتقاق في كلام العرب ويجيله ولذلك مصنف
وكل حجج مدخولة وكان ابوبكر بن السراج في طرف اخر معه كان اديبا
متفننا في الادب حافظا لنقائض جرير والفرزدق وشعر ذي الرمة
وغيرهم من الشعراء يروي الحديث كثيرا واخذ عن ثعلب والمبرد وسمع
من محمد بن الجهم وعبد الله بن اسحق بن سلام طاهر الاخلاق حسن
المجالسة وخلط نحو الكوفيين بنحو البصريين ظاهري المذهب
وراس في مذهب داود وكان ثقة في الحديث صدوقا لا يتعلق بشي	عليه مع
من سائر ما رواه متقنا لحفظ السيرة النبوية وايام الناس
وتواريخ الزمان ووفاة العلماء ذو مروة وفتوة وكان ينظم
الشعر المحتوي على الغزل من شعره في ذلك

من الكامل

• غنج الفتور بدور في لحظاته • والورد غض النبت في وجناته •
• وتكل السنة الورى عن وصفه • اوان تروم بلوغ بعض صفاته •
• لا يعرف الاسعاف الا خطرة • لكن طول الصد من عزماته •

لا

• لا يستطيع نعم ولا يعتادها • بل لا يسوغ لعل في لهواته •

وله في العفة

من البسيط

• كم قد خلوت بمن اهوى فيمنعني • منه الفكاهة والتحديث والنظر •
• اهوى الملاح واهوى ان اجالسهم • وليس لي في حرام منهم وطر •
• كذلك الحب لا اتيان معصية • لا خير في لذة من بعدها سقر •

ولد رحمه الله سنة اربعين ومائتين ومات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية الذاهب الى
ذلك جمع منهم قتادة وعمرو بن ميمون قالا ثنتان فعلهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يؤمر بهما اذنه لطائفة من المنافقين في التخلف عنه ولم
يكن له ان يمضي شيا من غير وحي واخذه من الاسارى الفدية فعاتبه الله عز
وجل كما تسمعون وحاشاه من ذلك اي خرج عن ذلك وبعد منه بل كان
مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله عز وجل انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه
لا حرج عليه في الاذن لهم تقرير كلام نفطويه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان مخيرا بين ان ياذن لمن اراد وان لا ياذن لان الله عز وجل قال انما
المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم
يذهبوا حتى يستاذنوه ثم قال واذا استاذنوك لبعض شانهم
فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله والامر الجامع كالجمعة
والاعياد والحروب والمشاورة في الامور فذهب نفطويه وجماعة
من العلماء الى ان الاستئذان مفوض الى رايه وان هذه الاية وقوله

عفا الله عنك لم اذنت لهم محكمتان لم تنسخ احداهما الاخرى بل استمر
حكم الاذن مفوضا الى راي النبي صلى الله عليه وسلم فيكون قوله عفا الله عنك
استفتاح الكلام باجلاله وتعظيمه وتبشيره بالعفو الذي لم يخاطب الله
عز وجل به مخلوقا وان اخبر عن جماعة انه عفا عنهم فبطريق الغيبة ثم ان
هذا في شان قوم قالوا لا نذهب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك
بل نحن جالسون في بيوتنا فان اذن لنا جلسنا واسترضيناه
وان لم ياذن لنا جلسنا ايضا كانهم لا يبالون برضاه لشقائهم وكونهم
انما يتبين اذا جلسوا مع عدم اذنه لهم فكان الله عز وجل قال له لو لم
تاذن لهم لتبين لك الصادق والكافر الكاذب وحينئذ لا حرج عليه في
الاذن لهم لان الله عز وجل فوض ذلك الى رايه فان قلت لو كان
قعودهم بعد اذنه لهم مباحا لما امره بان يستغفر لهم حيث قال
واستغفر لهم الله قلت انما امره بالاستغفار لهم مع ان قعودهم
باذنه مباح لانه استيذان ولو كان لعذر قصور لانه تقديم لامر
الدنيا على امر الدين هذا آخر كلام نفطويه لكن قال قتادة نسخت
هذه الاية بقوله عز وجل في سورة النور فاذن لمن شئت منهم وذكره
النحاس في معاني القران فيقتضي ذلك ان التخيير وقع بعد ذلك وانه
حين الاذن لم يكن مخيرا ونقل قتادة العكس وهو ان قوله عز عزجو
وجل عفا الله عنك ناسخ لاية النور فيقتضي ان التخيير ارتفع بهذه
الاية ثم ان قضية كلام نفطويه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن

باذنه

باذنه تاركا للاولى وان اذنه وعدم اذنه سيان ليس احدهما اولى من
الاخر وان خطابه بالعفو محض الاكرام فتبين فساد كلام من قرر
من الشراح حين كلام نفطويه قادحا وبالجملة فليس قوله لم اذنت لهم
عتابا على ترك الاولى لانه لم يتركه قصدا وانما لزم من اجتهاده
فهو خطا في الاجتهاد لا يعاتب عليه انتهى واقول الاصح الذي عليه
اكثر اهل العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد يكون دائما مصيبا
لا يخطئ ابدا للعصمة وقال قوم يجوز ان يخطئ ولكن لا يقر على
الخطا واليه يشير قول ابن الحاجب في مختصره لا يقر على خطا لكن الحق
الذي نعتقده انه صلى الله عليه وسلم لا يقع منه خطا البتة فان كونه يخطئ
يضاد منصب النبوة ويكون بعض المجتهدين وهو المصيب اكمل في
حال اصابته من سيد الاولين والاخرين وهو محال قال القاضي الفقيه
ابو الفضل وفقه الله عز وجل يجب على المسلم ان قلت ان في اداب
القران امورا كثيرة التادب بها مندوب لا واجب فكيف جعل
المصنف ذلك كله واجبا قلت قال بعضهم هذا الوجوب اعم من
الوجوب الشرعي والندب الشرعي اذ من التادب بالاداب المذكورة
في القران ما هو واجب ومنها ما هو مندوب الا ان الكل يسمى
بالواجب بمعنى اللائق الجدير اذ الواجب قد يطلق عليه على ما ذكره
في شرح المواقف انتهى واقول الواجب الشرعي قد يطلق على ما لا بد
منه وان لم ياثم تاركه وههنا مراده بالواجب ما لا بد منه وذلك

ان المصنف لم يقل يجب على المسلم فقط بل على مسلم مخصوص وهو
الموصوف بالصفات المذكورة اعني المجاهد نفسه الى اخره وما ذكر
لابد منه في تحصيل هذه المرتبة والا فلو اهمل شيئا من الاداب وان
كان مندوبا وان لم ياثم لايصدق عليه انه مجاهد نفسه ولا انه رائض
بزمام الشريعة خلقه وهذا كما تقول يجب على الزاهد ان يترك الدنيا
اي لابد من ذلك في تحقيق هذه المرتبة ونيل هذا المقام والا لم يكن
زاهدا اي لابد لمن يكون مجاهدا نفسه في انه ينال هذا المقام ويصل
الى هذه المرتبة ان يتادب الى اخره المجاهد نفسه اي المستمر على مخالفتها
في دوام الاوقات كما قال ابو حفص من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات
ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر ايامه كان
مغرورا الرائض اي المذلل بزمام الشريعة خلقه الزمام ما تشد
به الدابة وتملك والخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية
كذا في النهاية وحقيقته انه لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه
واوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق للصورة الظاهرة
واوصافها ومعانيها ولهما اوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب
يتعلقان باوصاف الصورة الباطنة اكثر مما يتعلقان باوصاف
الصورة الظاهرة انتهى والخلق الحسن ما تقيد باوامر الشرع
ونواهيه وقد اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا رضي الله عنه
بوصية جامعة لمحاسن الاخلاق فقال له يا معاذ اوصيك

بتقوى

بتقوى الله عز وجل وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك
الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن
العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القران وحب الاخرة
والجزع من الحساب وخفض الجناح واياك ان تسب حكيما او
تكذب صادقا او تطيع آثما او تعصي اماما عادلا او تفسد
ارضا واوصيك باتقاء الله عز وجل عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث
لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية والمراد بزمام
الشريعة اوامرها ونواهيها وترغيباتها وترهيباتها شبهها
بالزمام بجامع ان كلا منهما يضبط صاحبه فكما ان الزمام يضبط
الدابة الشرسة ويذللها كذلك اوامر الشريعة ونواهيها بالزمام
فهو استعارة تصريحية وليست الاضافة بيانية لان الشريعة
هي مجموع الوحي الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم والذي يروض الخلق
منه انما هو الزواجر والنواهي والاوامر فقوله على المسلم دخل فيه
كل مسلم وان لم يروض خلقه باداب الشريعة ولم يجاهد نفسه
لان المراد بالمجاهد هو من سلط على نفسه الامارة بالسوء سيوف
المخالفة وليس كل مسلم كذلك اذ رب مسلم ارخى لنفسه اعنة
الطاعة وايضا ليس كل مسلم مجاهد نفسه يروضها باداب
الشريعة اذ رب مسلم يجاهد نفسه ومع ذلك يجاهدها وهو في
مهامه البدع فقوله المجاهد نفسه احتراز عن مسلم لا يجاهد

فقد شبه اوامر الشرع لعبده ونواهيه بما انها تذلل النفوس الابية والطباع الوعرة

نفسه وقوله الرائض الى اخره احتراز عن مسلم يجاهد نفسه ولكن
متلبس بارديه البدعة كما يشاهد ذلك في كثير ممن ينتسب الى
التصوف فقول من قال فلا يكون النعتان للاحتراز بل لبيان
صفتين لولاها لم يكن مسلما مردود فتامله **ان يتادب باداب
القران في قوله** اي تلفظه فينطق بما امر القران بالنطق به ويترك
النطق بما نهى القران عن النطق به **وفعله** فيفعل ما امره القران
بفعله او اباحه له ويترك ما نهى القران عن فعله **ومعاطاته** اي مناولاته
للناس وتناوله من الناس **ومحاوراته** في القاموس المحاورة الجواب
وتطلق على مراجعة الكلام والمراد هنا ما يجري في مجالس الانس
فهو عنصر بضم العين والصاد وتجوز فتحها اي اصل ومنه العنصر
الذي تتالف منه الاجسام وهو اربعة الما والتراب والنار والهواء
المعارف الحقيقية وهي التي لا تختلف باختلاف الملل والاديان
وهي التي اتفقت كلمة جميع النبيين والمرسلين عليها وهي التوحيد
واثبات الصفات واثبات القيامة وما تضمنته العقيدة
المتعلقة باصل الدين لان اصل طرق الانبيا واحد وان اختلفت
اديانهم وشرائعهم لاجل اختلاف اممهم وذلك لان اهل كل عصر يختص
باستعداد كلي خاص يشمل استعدادات افراد ذلك العصر وقابلية
معينة لذلك ومزاج ناسب ذلك العصر والنبي المبعوث اليهم انما
يبعث بحسب قابلياتهم واستعداداتهم فاختلفت شرائعهم

باختلاف

شرائعهم باختلاف القوابل وذلك لا يقدح في وحدة اصل طريقهم فالمعارف
الحقيقية هي الطريق الذي اتفق عليه الانبيا عليهم السلام كلهم وهو
الدعوة الى الله عز وجل والاعتقاد في جناب الربوبية بما ثبت بالدلائل
العقلية والبراهين القطعية المستمدة من القران والسنة النبوية
وليس المراد بالمعارف الحقيقية ضد المجازية كما توهم فان الواضع
لم يضع المعارف لشي ونحن استعملناه في غيره لعلاقة **وروضة
الاداب الدينية والدنيوية** المراد بالاداب الدينية ما تكون ثمرتها في
الاخرة كالاعتقادات الحقة القلبية والعبادات كالصوم والصلوة
والحج والزكوة وبالدنيوية ما يكون منفعتها في الدنيا كطلب المعيشة
والنكاح والملبس والمسكن ونحو ذلك وان كان يثاب عليها في الاخرة
من حيث انه تصرف فيها على النمط الذي امر الله عز وجل به ممتثلا فيه
امر الله عز وجل مصدقا في ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ان الدنيوية
نسبة الى الدنيا والقاعدة ان يقال في النسبة اليها دنيية لان الالف
اذا كانت زائدة للتانيث فالاحسن ان تحذف فتقول في حبلى حبلي
وفي دنيا دنيي لكن جوزوا ان يقال دنيوي تشبيها لالف دنيا التي
هي زائدة للتانيث بالالف الرابعة اذا كانت منقلبة عن حرف اصلي
كملهى فان الالف الرابعة جوزوا ان تقلب واوا لان الالف الرابعة
اذا كانت منقلبة عن حرف اصلي فانها تقلب واوا كمرمى فتقول في
النسبة مرموي ومع ذلك جوزوا ان تحذف تشبيها لها بالالف

الرابعة الزائدة وجوزوا ايضا ان يقال دنياوي فقلبوا الف دنيا واوا
وزادوا قبلها الفا لانها الف زيدت للتانيث ولو كانت اصلية لم يجز ان
يزاد قبلها الف فلا يقال في النسبة الى معنى معناوي **وليتامل** قال شيخنا
الرضي ابن الحنبلي ذكر شيخنا انه بصيغة امر الغايب وانه عطف على
يجب ان يتادب بحسب المعنى لانه في معنى ليتادب قال شيخنا
واقول وهو بتقدير كونه عطفا على المعنى مثل ما وقع في قوله عز وجل
ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم اي ليبشركم وليذيقكم
وان كان الاولى فيه ان يكون التقدير فيه وليذيقكم ارسلها لما ذكر في
مغني اللبيب من ان اضمار الفعل لدلالة المعنى عليه اسهل من العطف
على المعنى انتهى وانا اقول الاولى ان نقول في عبارات المخلوقين العطف
على التوهم وهو ان يتصور المتكلم في ذهنه معنى في المعطوف عليه فياتي
بمثل ما تصور لا بمثل ما نطق به في المعطوف وقد عدوا من ذلك قوله
عز وجل وحفظا من كل شيطان مارد فانه معطوف على معنى قوله
انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب لانه في معنى انا خلقنا الكواكب في
السما الدنيا زينة وحفظا ومنه قوله عز وجل لولا اخرتني الى اجل قريب
فاصدق بجزم اصدق على قراة من قرا واكن فمن جعل قول المصنف
وليتامل من عطف المعنى انما حمله على ذلك ملاحظة المناسبة بين
المعطوف والمعطوف عليه فان جملة يجب الى اخره خبرية وجملة ليتامل
انشائية ومال كثير من العلما الى امتناع عطف الانشا على الخبر وعكسه
لكن

لكن دفع ذلك بان جملة يجب وان كانت خبرية لفظا انشائية معنى لان
التعبير بالوجوب يشعر بالطلب فهو في قوة ليفعل المكلف وليتامل
وانما قلت ان الاولى في كلام المخلوقين التعبير بالتوهم وفي كلام الخالق عز وجل
التعبير بالعطف على المعنى لما زعم بعض العلما ان عطف التوهم انما
يكون عن غلط وان كان الاصح خلافه واطلاق ذلك على الله سبحانه مستحيل
هذه الملاطفة العجيبة اي التي لم تقع لغيره من المخلوقين **في السوال** اي
حيث قال لم اذنت لهم مقدما عليه الخطاب بالعفو **من رب الارباب** الرب
هنا هو المالك اي مالك المالكين ولا يطلق غير مضاف الا على الله عز وعلا
واذا اطلق على غيره تعالى وتقدس اضيف فيقال رب كذا وقد جا في الشعر
مطلقا على غيره تعالى وليس بالكثير وفي الحديث في اشراط الساعة ان
تلد الامة ربها والمراد به هناك المولى والسيد واما قول ابي ذر رضي
الله عنه * ارب يبول الثعلبان براسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب * — من الطويل
فقد قاله قبل ان يلج الاسلام قلبه واطلاقات الجاهلية لا عبرة بها لان — محل تامل
المنع من اطلاقه على غير رب العزة شرعي وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقل المملوك لسيده ربي كره ان يجعل
مالكه ربا له لمشاركة الله عز وجل في الربوبية وقول يوسف عليه السلام
انه ربي احسن مثواي فان اراد بربي قطفير فذلك مشكل لكن قيل انه
خاطبهم بما كان متعارفا عندهم او لعل ذلك لم يكن ممنوعا منه في شريعتهم
على انه يجوز ان يريد بربي الله عز وجل والضمير في انه ضمير الشان اي ان

الشان الله عز وجل احسن مقامي حيث عطف قلب ذلك الملك
علي واما قول يوسف عليه السلام للذي نجا من الفتيين اذكرني عند
ربك فان المراد به الملك ليس الا ولكن وقع ذلك من يوسف عليه
السلام خطابا بما هو المتعارف عندهم وعلى ما كانوا يسمونه به ومثله
قول موسى عليه السلام للسامري وانظر الى الهك اي الذي اتخذته الها
واما الحديث في ضالة الابل حتى يلقاها ربها فان البهائم غير متعبدة
ولا مخاطبة وهي بمنزلة الاموال التي تجوز اضافة مالكيها اليها وجعلهم
اربابا لها وانما منع ذلك في الانسان لتوهم المعبودية واما الرب اذا جمع
فيجوز اطلاقه على غير الله عز وجل قال يوسف عليه السلام ارباب
متفرقون خير ام الله الواحد القهار وكذا اطلاقه عليه بصيغة
الفعل ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مع ابن الزبير رضي الله عنهما
لان يربني بنو عمي احب الي من ان يربني غيرهم وفي رواية وان
ربوني ربني اكفاء كرام اي يكونون علي امراء يعني بني امية فانهم في
النسب الى ابن عباس رضي الله عنهما اقرب من ابن الزبير وفي حديث صفوان
ابن امية رضي الله عنه قال لابي سفيان بن حرب يوم حنين لان يربني رجل
من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن المنع على الكل في
القاموس كل وبعض معرفتان لم يجئ عن العرب بالالف واللام وهو جائز
المستغني عن الجميع لانه تعالى واجب الوجود لذاته وفي صفاته وكان
غنيا عن كل ما سواه وكل ما سواه ممكن لذاته موجود بايجاده فكان لا غير

ويستثير

ويستثير بفتح المثناة من تحت ثم سين مهملة ثم مثناة من فوق ثم مثلثة
مكسورة اي يطلب اظهار ما فيها من الفوائد وفي نسخة ويستبين اي
يطلب ابانة ما فيها واظهاره بعد ان كان خفيا وفي نسخة ويستنير اي
يطلب انارته وبدوه ويجوز في هذا الفعل ان يكون مرفوعا على انه خبر
مبتدا محذوف اي هو يستثير وان يكون معطوفا على يجب الواقع
في صدر الكلام ويجوز ان يكون منصوبا عطفا على يتادب ولو جزم
لجاز عطفا على يتامل ويجوز ان يكون منصوبا بان مضمرة في جواب
الامر اعني قوله ليتامل ما فيها من الفوائد قيل ان الله عز وجل اذا
عاتب انبياءه واولياءه عاتبهم سرا قبله او بعدها الا تراه يقول عفا
الله عنك لم اذنت لهم قال الحسين بن منصور الحلاج الانبياء
مبسوطون على مقاديرهم واختلاف مقاماتهم وكل منهم ربط مع
حظ باستعمال الادب بين يدي الحق عز شانه وكل ابى على ترك
استعمال الادب فمنهم من اونس قبل التانيب ومنهم من انسه
الله عز وجل بعد التانيب على اختلاف مقاماتهم فاما محمد صلى الله عليه وسلم فانه عز
شانه انسه قبل التانيب اذ لو اونس بعد التانيب لتفطر لقربه من
الحق عز وجل قال وذكر ان الحق عز وجل امره بقوله فاذن لمن شئت
منهم ثم قال مونبا على ذلك عفا الله عنك لم اذنت لهم ولو قال لم اذنت
لهم عفا الله عنك لذاب وهذا في غاية القرب وقال عز وجل حاكيا عن
نوح عليه السلام انه ابني من اهلي وان وعدك الحق مونبا له وانسه

ذكره

بعد التانيب انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح الى قوله عز وجل اني اعظك ان
تكون من الجاهلين ولو لم يونسه بعد التانيب لتفطر وهذا مقام نوح
عليه السلام وليس المفضول بمقصر اذ كل له رتبة من الحق قال ابو عبد الرحمن
السلمي في حقايقه وكيف ابتدا بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر
الذنب ان كان ثم ذنب والحق ان هذه الاية تلطف في الخطاب على طريقة
قولك ارايت رحمك الله وغير ذلك ولا يمكن اجراوه على ظاهره الذي هو
انه تعالى عفا عنه ثم عاتبه اذ هو باطل قطعا فان الاعتاب بعد العفو وعلى
هذا فلا دلالة للعفو على الذنب كما زعم القاضي البيضاوي ولين سلمنا
ان هناك عتابا فذلك العتاب انما كان على ترك الاولى فيما يتعلق بالمصالح
الدنيوية من تدبير الحروب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيا قليلا لا يخفى ان لولا هنا حرف امتناع لوجود فجزاوها ممتنع
لوجود شرطها فالمعنى ان قرب ركونك اليهم شيا قليلا ممتنع لوجود
تثبيتنا اياك فاذا امتنع قرب ركونه اليهم شيا كثيرا بالطريق الاولى وامتنع
ركونه اليهم شيا قليلا بالطريق الاولى وامتنع ركونه اليهم شيا كثيرا بالطريق
الاولى وانما نص على هذا القسم فقط لان امتناع غيره يكون بطريق
برهاني والتقدير انك يمتنع عليك ان تركن اليهم لانه يمتنع عليك مقاربة
ان تركن اليهم شيا قليلا فكيف لو وقع الركون بالفعل فان قلت نفي
ركونه اليهم شيا قليلا استفيد من كاد المثبتة فان بعضهم قال ان
كاد اثباتها نفي ونفيها اثبات قلت ليس منه وانما هو من لولا الامتناعية

فان

فان كاد هنا لم تنف خبرها ولولا نفت كاد فصار المعنى امتنع مقاربتك
للركون اليهم والصحيح ان كاد نفيها نفي واثباتها اثبات والضمير في اليهم
عايد الى ثقيف سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وفدوا عليه في شهر
رمضان سنة تسع ان يدع لهم طاغيتهم وهي اللات لا يهدمها ثلاث
سنين فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له لا ندخل في امرك حتى
تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نخني في
صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا
باللات [illegible] سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب
لم فعلت ذلك فقل الله عز وجل امرني بذلك كذا في تفسير القاضي وفي كتب
السير سالوه ان يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فابى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ذلك فما برحوا يسالونه سنة وسنة
ويابى عليهم حتى سالوه شهرا واحدا بعد قدومهم فابى عليهم ان يدعها
شيا مسمى وانما يريدون بذلك فيما يظهرون ان يسلموا بتركها من سفهائهم
ونسائهم وذراريهم ويكرهون ان يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم
الاسلام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يبعث ابا سفيان بن
حرب رضي الله عنه والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه يهدماها وقد كانوا
سالوه مع ترك الطاغية ان يعفيهم من الصلوة وان لا يكسروا اوثانهم
بايديهم فقال اما كسر اوثانكم بايديكم فسنعفيكم منه واما الصلوة فانه
لا خير في دين لا صلوة فيه وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه نزلت

في قريش كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الاسود في طوافه فمنعته
قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا قال فحدث نفسه وقال ما علي
ان الم بها بعد ان يدعوني استلم الحجر والله عز وجل يعلم اني لها كاره فابى
الله عز وجل ذلك وانزل هذه الاية ولما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
لا تكلني الى نفسي طرفة عين وقيل ظاهر الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وباطنها اخبار عن ثقيف والمعنى كادوا يركنونك اي كادوا يخبرون عنك
بانك ملت الى قولهم فنسب فعلهم اليه مجازا واتساعا كما تقول للرجل كدت
تقتل نفسك اي كاد الناس يقتلونك بسبب ما فعلت ذكره المهدوي
وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوما
ولكن هذا تعريف للامة لئلا يركن احد منهم الى المشركين في شيء من احكام الله
عز وجل وشرائعه ثم قال بعض المتكلمين لاشكال هذه المقالة من مباحث
علم الكلام لانها متعلقة بعصمة الانبياء والعقائد متوقفة على عصمة الانبياء
ليكون كلما قالوه حقا معتدا به وهي لا يعتد بها الا اذا كانت ماخوذة من
الشرع عاتب الله عز وجل الانبياء بعد الزلات اي الذنوب اي ما يعد ذنبا
بالنسبة الى مقامهم العالي وغايته انه الاتيان بخلاف الاولى ومن قال
قال ان الزلة ما صدر من مخالفة الصواب من غير قصد بحيث لو عرف لرجع
فيه نظر فان كتب اللغة كلها ناطقة بان الزلل مخالفة الصواب
ولم يقيد بهذا القيد وفي الغريبين للهروي فازلهم اي نحاهم عن
الحق يقال زلقه اي ازل زللا وزلق في الطين يزل زليلا وكذا في بحث

عصمة

عصمة الانبياء عليهم السلام بيان ما توهم انه ذنب مما صدر من بعض الانبياء
عليهم السلام وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم العتاب مخاطبة تصدر
عند الموجدة وهو اللوم على سبب الموجدة قبل وقوعه اي وقوع الذنب
ولا يلزم ان يكون الذنب وقع بعد ذلك فانه قد يوتى بقبل مع وقوع ما
اضيف قبل اليه بل استحالته كقوله عز وجل لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي فان المراد بكلمات الله معلوماته وتناهي معلومات الله
مستحيل فان قلت عدم الذنب من النبي صلى الله عليه وسلم هل هو من هذا
القبيل قلت هو من قبيله باعتبار عدم وقوعه وليس من قبيله باعتبار
استحالة وقوعه منه فان عصمة الانبياء عليهم السلام من الذنب واجبة
سمعا لا عقلا عند الاشاعرة خلافا للمعتزلة فانهم يقولون بان صدور
الذنب عنهم مستحيل بناء على اصولهم الفاسدة ليكون اي النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك اي بسبب العتاب قبل وقوع الذنب اشد انتهاء اي تركا لما
نهاه الله عز وجل عنه يقال انتهى فلان عن كذا اذا اجتنب ما نهاه الله
عز وجل عنه ومنه سمي العقل نهية والعقول نهى لانه ينتهي بها عن المقابح
وقيل لانه ينتهي بها الى رايه واختيار رايه ومحافظة عطف على انتهاء
اي يكون اشد محافظة اي ملازمة ومواظبة لشرائط المحبة اي
لشرائط كونه محبا لله عز وجل او لشرائط كونه محبوبا لله عز وجل وهذه
غاية العناية اي نهايتها فان الله عز وجل اعتنى بجميع النبيين ولم يعتن
باحد كاعتنائه بنبينا صلى الله عليه وسلم ثم انظر كيف بدا بشارته وسلامته

علم ع

اي ان ثباته وسلامته موجودان بسبب تثبيت الله عز وجل اياه وسلامته
بسبب تسليم الله عز وجل فان الله عز وجل قال ولولا ان ثبتناك اي
لولا وجود تثبيتنا اياك على طريق رضانا ومحبتنا لكان كذا ويلزم من
تثبيت الله عز وجل اياه على طريق الحق سلامته من ارتكاب ما لا
يرضى ربه عز وعلا وكرامته قبل ذكر ما عتبه الله عليه فان الله عز وجل عتب
عليه اذ قال له لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا لكنه اخبره بانك سالم عن
ذلك لاني ثبتك وبتثبيتي لك سلمت وخيف ان يركن اليهم خيف مبني
للمجهول وفاعله من ديدنه الخوف عليه اي لولا تثبيتي لك لكنت في حال
يخاف عليك صوبك من الركون اليهم ففي اثنا عتبه براته وفي طي
تخويفه تامينه وكرامته فان قلت من اين استفيد العتب من الاية
قلت العتب في الاية كالصريح وليس العتب هنا معلقا بل واقع منجز
وانما المعلق امتناع قرب ركونه اليهم شيا قليلا على وجود تثبيت
الله عز وجل اياه ولكن هذا الكلام سياقه يقتضي العتب فان المعنى
انك يا محمد كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم لك وشدة احتيالهم
عليك ولكن ادركتك عصمتنا لك فمنعت من ان تقرب من الركون
اليهم فضلا من ان تركن اليهم وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم
ما هم باجابتهم مع قوة الداعي لها فان قلت على هذا العتب وقد
صرح المصنف بانه بريء من الذنب فبراته تنافي العتب المنجز
نعم لو قلتم بان هنا عتبا معلقا لما نافته براته قلت العتب المنجز

لا

لا ينافي البراءة من الذنب لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل انه ركن بالفعل
اليهم ولا انه قارب الركون اليهم وانما كان على صدد القرب من الركون
اليهم وهذا ليس ذنبا ينافي العصمة وانما قدره صلى الله عليه وسلم جليل
وهو حبيب الله عز وجل فعاتب حبيبه على اتصافه بان يكون على
هذا الصدد واثنا الشي تضاعيفه جمع ثني بكسر المثلثة وسكون
النون وفي الصحاح تقول انفذت كذا ثني كتابي اي في طيه وفي وفي طي
تخويفه تامينه وكرامته اي ايقاعه في ساحة الامن حيث قال لم
يعد ذلك اذن لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك
علينا نصيرا فان معناه عذاب الدنيا وعذاب الاخرة اي لعذبتك في
الدنيا والاخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان
خطا الخطير اخطر فان قلت اين التخويف واين التامين والكرامة
اللاتي تريد ان تستفيدها من هذه الاية قلت اما التخويف فظاهر اذ
اي تخويف اعظم من ان يقال لهم اذن لاذقناك الى اخره واما التامين
فتعليق ذلك على مدخول لو الامتناعية فان اذن وقعت في جواب
لو المقدرة اذ تقدير الكلام لو قاربت من ان تركن اليهم شيا قليلا اذن
لاذقناك الى اخره فان قلت من اين لنا ان لو الامتناعية هنا مقدرة قلت
قال النحاة ان اكثر مواقع اذن ان تكون جوابا لان او لو ظاهرتين او مقدرتين
بل قال الفرا حيث جات بعدها اللام فقبلها لو مقدرة ان لم تكن ظاهرة ومنه
اذن لذهب كل اله بما خلق اي لو تعددت الالهة اذن لذهب الى اخره

فان الكلام مشتمل على تخويف واكرام وتبجيل اذ تقديره لو قاربت من
ان تركن اليهم شيئا قليلا اذن لاذقناك الى لكن مقاربتك ممتنعة ولا سبب
لاذاقة الله اياك العذاب الاذلك فامتنع الشرط ولزم من امتناع الشرط
امتناع الجواب فقد بجله عز وجل وعظم اذ حكم بامتناع ان يقارب
الركون اليهم ومع ذلك خوفه بما لو وقع منه لفعله به ومثله اي مثل قوله عز
وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم ولولا ان ثبتناك في الورود مورد
الملاطفة والمبرة قوله عز وجل قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم
لا يكذبونك قد معناها زيادة الفعل وكثرته وقد جوزان تاتي قد
للتكثير سيبويه قال وفي قول الهذلي

من البسيط

قد اترك القرن مصفرا اناملهكأن اثوابه مجت بفرصاد

ومن ذلك قوله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السماء ومنه بيت العروض

من البسيط

قد اشهد الغارة الشعواء تحملنيجرداء معروقة اللحيين سرحوب

والها في انه للشان وكان مقتضى الظاهر ان يقول ولكنهم بضمير يعود
على ما قبله ولكنه اتى بالاسم الظاهر للدلالة على ان جحودهم ظلم او يقال
انهم لم يجحدوا الا لاتصافهم بالظلم والعدوان والبا في قوله بآيات الله
متعلقة بيجحدون باعتبار تضمينه يكذبون والا فيجحدون متعد

ابو جهل

بنفسه قال علي كرم الله وجهه قال ابو جهل هو عدو الله عز وجل وفرعون
هذه الامة اسمه عمرو بن هشام قتل يوم بدر كافرا وكانت بدر في السنة
الثانية من الهجرة قتله معاذ بن عمرو بن الجموح وابن عفرا الانصاريان

[illegible]

ضربه يوم بدر معاذ بن عمرو بن الجموح على ساقه فاطنت ضربته قدمه
بنصف ساقه قال فوالله ما شبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح
من تحت مرضخة النوى حين يضرب بها وضرب عكرمة ابنه
معاذا على عاتقه فطرح يده فتعلقت بجلدة من جسمه فجاء بها الى
النبي صلى الله عليه وسلم فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلصقت
لوقتها ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان رضي الله عنه واحتز
راسه ابن مسعود قال ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله هذا راس عدو الله عز وجل ابي جهل فحمد الله عز وجل ولما
كشف عنه الحديد الذي هو لابسه لم يجدوا به اثر الجراح ووجدوا في
عنقه خدرا وفي يديه وكتفيه كهيئة اثار السياط فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال ذلك ضرب الملائكة وفي الحديث ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة
ابو جهل فالقاتل لابي جهل المستحق لسلبه معاذ بن عمرو بن الجموح
ومعاذ بن عفرا وقتلته الملائكة واجهز عليه عبد الله بن مسعود رضي الله
عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل
الله عز وجل هذه الاية كان داب قريش انهم لا ينسبون الى النبي صلى الله عليه
وسلم مع كفرهم وعداوتهم له وقتله روساهم واباهم الا الصدق وقد
وقفنا على جماعة من اعدائه شهدوا فيه بالصدق منهم ابو سفين بن حرب
قبل ان يسلم سأله هرقل فقال في جملة اسئلة تدل على انه رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال لهم هل كنتم تتهمونه بالكذب اي على الناس فقال له ابو سفيان
لا فقال له في جوابه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله عز وجل
ومنهم مجموع قريش شهدوا فيه بذلك كما في صحيح البخاري من حديث
ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك
منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف
يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارايتم ان اخبرتكم ان
خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا
قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال ابو لهب تبا لك ما
جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت تبت يدا ابي لهب الى اخره ومن ذلك
ما قاله السدي التقى الاخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال
الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد صلى الله عليه وسلم اصادق
هو ام كاذب فانه ليس ههنا غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا
صلى الله عليه وسلم لصادق وما كذب محمد صلى الله عليه وسلم قط ولكن اذا
ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا
يكون لسائر قريش فانزل الله عز وجل هذه الاية وقال ابو ميسرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه فقالوا يا محمد انا والله
ما نكذبك وانك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت فانهم لا
يكذبونك الاية وقال مقاتل كان الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف
يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية واذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من

اهل

اهل الكذب ولا احسبه الا صادقا فنزلت هذه الاية وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك اي
ما الامر الذي اوقعك في الحزن في النهاية يقال حزنني الامر واحزنني فانا
محزون ولا يقال محزن وفي القاموس الحزن الهم قال كذبني قومي
فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله عز وجل الاية فان قلت
لماذا حزن اذ كذبه قومه فان كان حزنه لنسبتهم اياه الى الكذب وحاشاه
منه فانه افضل خلق الله عز وجل مكتنف في براءة ساحته من الكذب بعلم الله
عز وجل ولا يحزن فانه صلى الله عليه وسلم اكمل العارفين بربه عز وجل وان كان
لشقاء قومه اذ كذبوه فكلام جبريل لا يسليه لبقاء شقائهم قلت الظاهر
ان كلام جبريل عليه السلام فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم من جهة انه ظن انه
قصر في تبليغهم ما ارسله به ربه عز وجل وانه لم يثبت حتى يدخل الى
اذهانهم فاخبره جبريل عليه السلام بانك لم تقصر وانه دخل الى اذهانهم
ما ارسلت به ولكن صدقوك وانت عندهم صادق الا انهم جحدوا الحق
بعد ان تيقنوه على ان الاية تشتمل ايضا على تسلية عظيمة للنبي صلى الله
عليه وسلم مشيرة الى جلالة قدره عند ربه عز وجل اذ قال له يا محمد القوم ما كذبوك
اذ كذبوك ولكن كذبوا ايات الله كما تقول لشخص ضرب غلامك وانت
معتن بذلك الغلام غاية الاعتناء انت ما ضربت غلامي ولكن ضربتني ومن
هذا القبيل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم
اي انهم لم يبايعوك وانما بايعوا الله عز وجل ففي هذه الاية منزع لطيف المأخذ

المنزع بفتح الميم مع فتح الزاي اي معنى بنزع اليه من نزعت الى الشيء
ذهبت اليه وفسر ايضا بانه ما يرجع الرجل من امره وانما كان لطيف
الماخذ لو قته كما سياتي تقريره ذلك من تسليته الله عز وجل له اي اذهاب
همه والطافه في القول اي بره بالقول اللطيف وهو القول المشتمل على
الرفق بان قرر اي الله عز وجل عنده اي عند النبي صلى الله عليه وسلم اي
ثبته واكده حيث اتى بان والجملة الاسمية في ذهنه انه اي النبي صلى الله
عليه وسلم صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه اي
مقرون قولا واعتقادا اي تلفظوا بانه صادق مع اعتقادهم صدقه
اي جمعوا في اعترافهم بين القول والاعتقاد بدليل ان الله عز وجل اخبر
عنهم بذلك والله عز وجل لا يخبر عن قوم انهم يعترفون بامر الا اذا طابق
قولهم اعتقادهم لانه اعلم بالسرائر فالعامل في قولا واعتقادا معترفون
والاعتراف يصح ان يعمل في القول والاعتقاد فليس من قبيل • وزججن
الحواجب والعيونا • لا سيما ان قلنا ان الاعتراف الاقرار عن معرفة — مصراع من الوافر
والمعرفة يلزمها الاعتقاد لان كل من عرف اعتقد وليس كل من اعتقد
عرف وقوله كانوا يسمونه قبل النبوة الامين ويلزم من اعترافهم له صلى الله
عليه وسلم بانه امين ان يعترفوا له بانه صادق لان كل امين صادق اذ الكذب
خيانة واي خيانة فهي تنافي كونه امينا فان قلت لا نسلم ان الكذب خيانة
وان الكذب فرد من افراد الامانة كيف وان النبي صلى الله عليه وسلم قابله بها
وجعله قسيما لها فقال في الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه كان منافقا
خالصا

خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان فلو كان مندرجا تحت
الخيانة لما جعله النبي صلى الله عليه وسلم في مقابلتها وقسيما لها قلت الامانة
تطلق على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والامان فالمراد بالامانة
الواقعة في الحديث الوديعة ونحوها من انواع الامانات كمال المضاربة
والمرهون والعين الموجرة والمعارة عند من يقول ان العارية امانة
والمراد بالامانة التي هي نعت النبي صلى الله عليه وسلم الطاعة لله عز وجل
الشاملة لترك كل قبيح وفعل كل حسن ثم ان نعت النبي صلى الله عليه وسلم
بالامانة قبل ان يكرمه الله عز وجل بنبوته مذكور في عدة احاديث منها
قول كعب بن زهير صاحب قصيدة بانت سعاد لما ارسل الى اخيه
بجير وذلك قبل اسلام كعب رضي الله عنه
سقاك بها ابو بكر بكاس روية • وانهلك المامون منها وعلكا •
فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال مامون والله ومنها ان قريشا
لما بنت الكعبة حين تهدمت فلما بلغ البنيان موضع الركن
اختصموا فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه وتزايد الخصام
بينهم حتى ارادوا ان يقتتلوا ثم انهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا
وتناصفوا فقال ابو امية بن المغيرة اجعلوا بينكم فيما تختلفون
اول داخل من باب المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا فكان اول من دخل
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه قالوا هذا الامين رضينا

هذا محمد صلى الله عليه وسلم الى اخر القصة والى هذا اشار الامام ابو زكريا
يحيى الصرصري في قصيدته النونية التي امتدح بها خير البرية صلى الله عليه وسلم حيث قال

وبنت قريش البيت حين تهدمت ... بالسيل منه قواعد الاركان
واشتد في الحجر الكريم نزاعهم ... من منهم للرفع منه يعاني
ثم ارتضوا فيه باول داخل ... فاتى الامين الطيب الاردان

وكذلك قصة تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد ام المومنين
رضي الله عنها فانه اول ما رغبها فيه ان يكون عاملا لها على مال تجارة
لما بلغها عنه من عظم امانته وصدق حديثه ثم تحولت الرغبة عن ذلك الى
ان علمت بسبب الغمامة التي اظلته وما اخبرها به غلامها ميسرة من
مقالة نسطورا الراهب انه اجل قدرا من كل من على وجه البسيطة والقصة
مذكورة في كتب السير وربما نذكرها مفصلة في بحث المعجزات ساجه
فرفع بهذا التقرير اي التاكيد والتثبيت ارتماض نفسه اي ما وقع
في نفسه الكريمة من الشدة في القاموس يقال ارتمض زيد من كذا
اذا اشتد عليه واقلقه فانهم لما نسبوه الى الكذب اشتد عليه ذلك
حيث وسم بينهم بسمة الكذب يقال وسمه يسمه وسما وسمة
اذا اثر فيه بكي ومنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسم ابل الصدقة اي
يعلم عليها بالكي وكانت السمة علامة لا تزول ولا تذهب منه فدل على
ذلك على ان النبي صلى الله عليه وسلم نازله بسبب تكذيب قومه له حزن
عظيم فرفعه الله عز وجل بهذه التسلية وبامثالها كقوله عز من قائل

فلا

فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وقد وجد في نسخ المتن
التعبير بالرفع بالراء المهملة وهو الانسب لان الرفع انما يكون بعد
الحصول والوجود والحزن قد حصل ووجد فرفعه عنه بهذه التسلية
وفي نسخة عبر بالدفع بالدال المهملة وهو لا يلايم المقام لان الدفع يكون قبل
الحصول وقد جا بالروايتين حديث خالد بن الوليد رضي الله عنه انه دافع
بالناس يوم مؤتة بضم الميم وسكون الهمزة وهي غزوة من غزوات
النبي صلى الله عليه وسلم قتل فيها جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه فروي بالدال
وروي بالراء فمعناه على الاول انه دفع الناس عن موقف الهلاك اي
لم يمكنهم من الوقوف في مكان يودي الى هلاكهم ومعناه على رواية الراء
انهم وقفوا في موقف الهلاك وهو رفعهم عنه فان قلت قول المصنف
ان الله عز وجل قد سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بان القوم معترفون لك
بالصدق قولا واعتقادا امر لا يفهم من الاية المبعوثة امرها رجي
كسبب النزول الذي ذكر فيه انهم يعلمون انك صادق مع السبب الاخر
الذي ذكر فيه انك عندنا الصادق اذ مجرد نفي التكذيب لا يستلزم ثبوت
التصديق لجواز انهم لم يصدقوا كما لم يكذبوا وان كان نفي كذب الرجل
يستلزم صدقه على ما هو المرجح من انه لا واسطة بين الصدق والكذب
كذا قال شيخنا ابن الحنبلي وتوضيح كلامه ان الله عز وجل نفى عن القوم انهم
يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم ولا يلزم من كونهم لا يكذبونه انهم يصدقونه
لجواز ان يسكتوا عنه بلا تكذيب ولا تصديق لان حال المخاطب لا يلزم

ان ينحصر في شيئين في كونه مصدقا وكونه مكذبا لجواز ان لا يكون مصدقا ولا
مكذبا وان كان المتكلم حاله منحصر في حالين اما صادق واما كاذب على قول
الجمهور والنظام خلافا للجاحظ فانه مثبت للواسطة قلت ليس
المراد بقوله تعالى لا يكذبونك ان يقولوا لم كذبت او يعتقدوا انه كاذب حتى
يجوز اثبات الواسطة بين التكذيب والتصديق بل المراد به لا
يصفونك بالكذب ومن المعلوم ان الصدق والكذب وصفان لمن
يتكلم ولا واسطة بين الوصفين كالحركة والسكون فاذا انتفى احدهما
ثبت الاخر لان بينهما تقابل التضاد ونفي احد الضدين اذا لم يكن ثم
ضد ثالث يستلزم ثبوت الاخر فاذا قيل فلان لا ينعت بالكذب فيلزم
ان يكون منعوتا بالصدق اذ لا واسطة بين الصفتين من اتصاف
الانسان بها وان ثبتت الواسطة بين ما اخذ منه الصفتان على قول
الجاحظ نظيره الانسان اما حي واما ميت اي اما ان ينعت بالحيوة
واما ان ينعت بالموت وان كان بين الحيوة والموت من حيث هما
واسطة كما في حالة الجمادات والله عز وجل اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم
بان القوم لا يكذبونك اي لا يصفونك بانك تكذب فيلزم ان يصفوك
بانك تصدق ولهذا قال المحدثون اذا قال امام كيحيى بن معين
والبخاري ومالك واحمد بن حنبل رضي الله عنهم في شان رجل راو
لحديث انه لا يكذب يكون ذلك توثيقا له وشهادة له بانه صادق
وقد اكتفى هرقل من ابي سفين بن حرب قبل اسلام حيث سأله عن حال
النبي

بـ
مناقشة
حسينة

النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فقال
له لا فقال في جوابه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله عز وجل فقوله
ليذر الكذب تصديق للنبي صلى الله عليه وسلم ولهذا اراد ان يتبع النبي صلى الله عليه
وسلم لولا نفرة قومه والخوف على ملكه وبالجملة فالامر في ذلك سهل ثم جعل
الذم لهم عطف على قرره وثم للتراخي الرتبي في التسلية لان التسلية
بالذم لاعدائه متراخية في الرتبة عن التسلية بالمدح له بتسميتهم جاحدين
حيث نسب اليهم الجحود بصيغة الفعل المضارع المفيد للتجدد الاستمراري
المستلزم لثبوت الجحود لهم فيلزم من اخباره عنهم بانهم يجحدون
اخباره عنهم بانهم جاحدون لان اسم الفاعل جار مجرى الفعل في افادة
الحدوث ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون
والظالم من اتصف بالظلم وهو الجور ومجاوزة الحد والجحود انكار الشي
مع العلم به فهو اخص من مطلق الانكار وقدم المصنف وصفهم
بالجحود مع تاخره في الاية نظرا الى ان المقصود بالذكر لان الله عز وجل
لم يوجه الذم اليهم الا لجحودهم ولم يكونوا ظالمين الا بسبب جحودهم
فان قلت لم اتى في الاية بالاسم الظاهر مع ان مقتضى الظاهر ان
ياتي بالضمير بان يقول ولكنهم قلت لينبه على ان ظلمهم بسبب جحودهم
وعلى ان جحودهم الناشئ عنه الظلم الذي هو كما قلنا الجور ومجاوزة
الحد فنعتهم بالظلم ناش عن الجحد لان الجحد ناش عن الظلم لانه لا يخفى
ان المسبب ناشئ عن السبب فعلم من قال واما وصفهم بالظلم

قوله ناش
كذا رسمه
في غير موضع

حيث قال ولكن الظالمين دون ان يقول ولكنهم فللتنبيه على ان جحدهم ناشي
عن ثابت ظلمهم بنا على ان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له مخالف
للظاهر من الاية فان المراد من الاية ذمهم ابلغ ذم على ما فعلوا من جحودهم
وعلى ما تولد من جحودهم وهو الظلم ومع ذلك هذا هو المفهوم من كلام البيضاوي
فحاشاه حاشا هنا فعل متعد متصرف بمعنى استثناه فهو على حد
قول النبي صلى الله عليه وسلم في اسامة بن زيد اسامة احب الناس الي
ما حاشى فاطمة بنا على ان ما فيه نافية اي لم يستثن النبي صلى الله
عليه وسلم فاطمة بل عم واطلق الحكم ومن ذلك قول الشاعر

من الوافر

رايت الناس ما حاشى قريشا ۞ فانا نحن افضلهم فعالا ۞
وهذه غير حاشا الاستثنائية من الوصم اي مما يعيبه وطوقهم بالمعاندة
بتكذيب الايات حقيقة الظلم هذا يدل صريحا على ان كونهم ظالمين
مسبب عن تكذيب الايات وحقيقة مفعول ثان لطوق واصل
الطوق ما يجعل في العنق حلقة كطوق الحمامة ثم جعل عبارة عن الاشياء
اللازمة يقال طوقني فلان منته ونعمته اي جعلها بمنزلة طوق في عنقي
قال الشيخ كمال الدين الدميري في حياة الحيوان وقالوا اي العرب تقلدها
طوق الحمامة الها كناية عن الخصلة القبيحة اي تقلد طوق الحمامة لانه
لا يزايلها ولا يفارقها كما لا يفارق الطوق الحمامة ومثله قوله سبحانه وتعالى
وكل انسان الزمناه طائره في عنقه اي ان عمله لا يفارقه لازم له لزوم
القلادة او الغل لا ينفك عنه ثم قال وقيل في قوله عز وجل سيطوقون ما

يخلوا به

يخلوا به يوم القيمة يلزمون اعمالهم كما يلزم الطوق العنق يقال طوق فلان
عمله طوق الحمامة اي الزم جزاء عمله وروى احمد في الزهد عن مطرف انه
قال اذا انا مت فلا تحبسوني لكي تجتمع الناس فاطوقهم طوق الحمامة
ومن هذا المعنى قول عبد الله بن جحش لابي سفين ۞ ابلغ ابا سفين عن
امر عواقبه ندامة ۞ دار ابن عمك بعتها ۞ تقضي بها عنك الغرامة ۞
وحليفكم بالله رب الناس مجتهد القسامة ۞ اذهب بها اذهب بها
طوقتها طوق الحمامة ۞ اي لزمه عارها قال السهيلي هذا المثل منتزع
من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من غصب شبرا من ارض طوقه من
سبع ارضين يوم القيمة وقال طوق الحمامة لان طوقها لا يفارقها
ولا تلقيه عن نفسها ابدا كما يفعل من لبس طوقا من الادميين ففي هذا
البيت من حلاوة الاشارة وملاحة الاستعارة ما لا مزيد عليه
وفي طوق الحمامة رد على من تاول قوله صلى الله عليه وسلم طوقه من سبع
ارضين انه من الطاقة لا من الطوق في العنق وقوله حقيقة
الظلم الظلم وضع الشي في غير موضعه ومنه ظلم السقا اذا شرب
من غير ان يروب وقال الشاعر ۞ هرت الشقاشق ظلامون للجزر ۞
اي يعرقبونها فيجعلون العرقبة مكان النحر ولا يخفى انه حيث كان
موضوعا لهذا المعنى كان له افراد كثيرة الاطلاق على كل منها حقيقة
لا مجاز وانه من قبيل المشكك في صدقه على افراده واولى ما يطلق
على الكفر بايات الله والعياذ بالله عز وجل حتى كان الظلم لم يوضع

هذه الابيات
من الكامل
المجزو المرفل

مصراع من البسيط

الا ذلك وتأمل قوله عز وجل ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها
انا من المجرمين منتقمون اي انا ننتقم من المذنبين فكيف بمن هو
اظلم من كل ظالم ولهذا لما نزل قوله عز وجل الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم شق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اينا لا يظلم
نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو كما تظنون انما هو كما قال
لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وانما كان المعرض
عن ايات الله التي ذكرها اظلم من كل ظالم لعدم تفكره فيها ولهذا ذكر الله في
اية السجدة ثم المفيدة للتراخي عن التذكير لان الاعراض عنها مستبعد
مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكر بها عقلا
ونظيرها في كونها للاستبعاد بيت الحماسة
ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها — من الطويل
فيكون اطلاق الظلم على غير الكفر بالله عز وجل مما يصدق عليه معناه حقيقة
لا مجازا كاطلاق البياض على بياض الثلج فانه حقيقة واطلاقه على بياض
العاج حقيقة ايضا وان كان اطلاقه على افراده من قبيل التشكيك لكن كونه
اعلى انواع الظلم كان لفظ الظالم لم يوضع الا له لا سيما وقد عبر بصيغة
اسم الفاعل وهي هنا للثبوت وان كان من اسم الفاعل ما يدل على الحدوث
اذ الجحد تعليل لكونه انكارهم انما كان عنادا لان العناد انكار الشيء مع
مع العلم بحقيقته والجحد كذلك انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره قال الجوهري
الجحود الانكار مع العلم كقوله تعالى وجحدوا بها اي كذبوا بها والضمير المجرور في

بها عائد الى الايات التسع التي جاء بها موسى عليه السلام الى فرعون وقومه
فكذبوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فالجحود في هذه الاية
ممن علم ثم انكروا واما الدليل على ان الجحود لا يكون الا ممن علم ثم انكر فالوضع
اللغوي وقد تتبعنا نحن وغيرنا كتب اللغة فلم نجد اطلاق الجحد
الا على من علم ثم انكر ذكره القطب عيسى السيد الشريف الايجي فيما كتبه
على الشفا واقول اليقين في اصطلاحهم الاعتقاد الثابت الجازم
المطابق للواقع والعلم اعم فلو اريد بالجحود الانكار مع العلم كما ذكره
لا فاد قوله واستيقنتها انفسهم معنى جديدا على هذا الاصطلاح
فلا يعد فيما ذكره المصنف لكن اللغويين واهل العربية فسروا
اليقين بالعلم والاظهر حينئذ ان يكون المراد في الاية مجرد الانكار
ليكون قوله واستيقنتها انفسهم تأسيسا لا اعادة لما فهم ضمنا
تأكيدا ولذا ترى كثيرا من المفسرين فسر الجحد بالانكار واليقين بالعلم
ويمكن ان يكون مراد المصنف ان الجحود يطلق على الانكار بشرط
ان يكون مع العلم فيكون العلم خارجا عن مفهومه شرطا لصحة اطلاقه
وفي الاية كذلك وفقا لقوله واستيقنتها انفسهم فيتم الاستشهاد
بالاية بلا نزاع وقوله واستيقنتها حينئذ تصريح بما يمكن ان
يفهم فتأمل فانه دقيق هذا كلامه قال تلميذه شيخنا الرضي بن
الحنبلي الحنفي بعد نقله كلامه وهو مبني على ان الشاهد والمثال
سيان في جواز الوقوع بعد الكاف وبعضهم يجيء الكاف للتعليل

وفي نحو قوله تعالى واشكروه كما هداكم اي لهدايته اياكم ودعلى ان اليقين بمعنى العلم
شرط خارج عن مفهوم الجحد لا شطر داخل فيه وانه انما يتم الاستشهاد
على التقدير الاول دون الثاني مع انه لا يتم الاستشهاد عليهما اذ لا يكون
قوله واستيقنتها تصريحا بما فهم من شطر داخل او بما يمكن ان يفهم
من شرط خارج غاية الامر انه يكون اقرب الى التمام على التقدير الثاني
مع ان الحصر في المدعى يابى ان يتم على علمت فالحق انه تمثيل غاية ما في
الباب انه حصل فيه تجريد في الجحود او تاكيد بذكر الاستيقان وهو الراجح
اذ معه لا يفوت المعنى التاسيسي في هذا المقام لفهمه من الجحود ومع
التجريد يفوت المعنى التاكيدي قطعا على ان ارتكاب خلاف الاصل
في الثواني اولى والزيادة اسهل من النقص ثم جبره انتهى واقول ان
المصنف لم يات بهذه الاية استشهادا على ان الجحود لا يكون الا مع
علم لان اثبات ذلك انما يعلم من كتب اللغة وانما اتى باية النمل نظير الاية
الانعام فانه في اية الانعام قرر ان قريشا ومن داناهم كانوا يعلمون
صدق النبي صلى الله عليه وسلم في كل شي حتى في ايات الله عز وجل التي اتى بها
ولكن القوم معاندون فاسند اليهم الجحود وهو مشتمل على ما شاء
من وصم سمة الكذب وعلى تطويقهم المعاندة طوق الحمامة ونظير ذلك ما
وقع في ايات موسى عليه السلام فانها كانت مبصرة وقومه تيقنوها
وانما جحدوها ظلما وعلوا كما ان قوم نبينا صلى الله عليه وسلم جحدوا
اياته ظلما والحاصل انه في كل من الايتين اسند الجحود الى من انكر شيا

علم وقوعه

التعريب ح

مناقشة حسنة

علم وقوعه وانما انكره ظلما وطغيانا الا انه لم يدخل الى ذهنه فان قلت حيث
كان الجحود مستلزما للعلم فكان يكفي ان يسند اليهم الجحود لان كل جاحد
عالم فلم اتى بعد ذلك بقوله واستيقنتها انفسهم قلت الذي استلزمه
الجحود العلم واليقين اخص من العلم ولا يلزم من استلزام العام
استلزام الخاص فالذي دل عليه الجحود دلالة تضمنية انما هو
العلم لا اليقين فذكر الاستيقان بعد ذلك تاسيس لا تاكيد ولا يقال ان
الجحود جرد عن العلم كما توهم فان قلت كون العلم اعم من اليقين اصطلاح
لعلماء المعقول فانهم فسروا اليقين بانه اعتقاد الشي بانه كذا مع
اعتقاد انه لا يمكن الا كذا مطابق للواقع غير ممكن الزوال فالقيد
الاول جنس يشمل الظن والثاني يخرج الظن والثالث لخروج
الجهل المركب والرابع يخرج اعتقاد المقلد المصيب واما
اللغويون واهل العربية فانهم فسروا اليقين بالعلم فهما مترادفان
عندهم والفاظ القران تفسر باقوال اهل اللغة لا بما اصطلح عليه
اهل المعقول قلت بل اليقين اخص من العلم عند كل الناس قال
القاضي البيضاوي في تفسيره واليقين ايقان العلم بنفي الشبهة
عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا العلوم
الضرورية انتهى فيفهم منه ان العلم يطلق على العلوم الضرورية ويطلق
على ما داخلته الشبه ولم تنتف عنه وقال ابو هلال العسكري
في تصحيح الوجوه والنظائر اليقين هو العلم يقع بالشي بعد ان لم يكن

بحث مفيد
يفهم منه الفرق
بين العلم واليقين

واقعا به ولهذا لا يقال لله عز وجل انه متيقن ولا يقال الا علما يثلج معه
الصدر ولهذا يقال ثلج اليقين ولا يقال ثلج العلم ومن اجل ذلك لا يوصف
به الله عز وجل وهو ابلغ من العلم الا تراهم يقولون اعلم وايقن ومن
عادتهم ان يوخروا الابلغ فهذا كلام اهل التفسير واللغة فهم يفسرونه
بما يقتضي انه اخص مطلقا من العلم فعلى هذا يكون قوله واستيقنتها
انفسهم تاسيسا لا تاكيدا ولا حاجة الى اعتبار التجريد والى اعتبار كونه
شرطا والى ملاحظة كونه مثالا او شاهدا فتامل فمعنى الاية انكروا
ايات الله عز وجل مع انهم علموها والحال انهم وصلوا في ذلك الى درجة
اليقين وقد عرفت وجه ايراد المصنف هذه الاية **ثم عزاه وانسه**
اي امره بالصبر على مصيبته التي اصابته وهي تلبس قومه بالكفر وجحود
ايات الله عز وجل وكونه صلى الله عليه وسلم دخل في جملة اعباء علاج قوم ارتكبوا
شطط العناد ولا يخفى ان الخصم اذا كان معاندا يتعب الذي يريد
هدايته **بما ذكره عمن قبله** من الرسل فان تاسي المصاب بغيره في المصيبة
يهونها ولهذا قالت الخنساء

من الوافر

الا يا صخر لا انساك حتى ... او سد في التراب بلحد رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلت نفسي
ولا يبكون مثل اخي ولكن ... اسلي النفس عنه بالتاسي

ووعده بالنصر باخباره بان اخوانه من النبيين الذين كذبوا صبروا حتى اتاهم
نصره فنبينا صلى الله عليه وسلم اصابه ما اصابهم من التكذيب فلا جرم انه ياتيه
النصر

النصر وقد اتاه فان قلت ان الله عز وجل نفى عنه التكذيب حيث قال فانهم
لا يكذبونك قلت معناه لا يكذبونك في الحقيقة فانك عندهم صادق
وظهرت لهم ايات الله عز وجل فعلموا انك رسول الله حقا لكن حملهم
على الجحود الاستعلاء والحسد لك والعناد فكذبوك ظاهرا وفي الحقيقة
لم يكذبوك فكانوا جاحدين كما وقع لفرعون وملائه مع موسى عليه السلام
فانهم راوا ايات الله عز وجل المبصرة فجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم فكذبوه ظاهرا ولم يكذبوه في الحقيقة وقد قررنا في الاية
وجها اخر وهو انه من قبيل انما يبايعون الله اي ان الذين يبايعوك
ما بايعوك ولكن بايعوا الله مع انهم بايعوه اي في الحقيقة ما بايعوا
الا الله وان كانوا بايعوك ظاهرا وكذلك في هذه الاية اي انهم ما كذبوك
ولكن كذبوا ايات الله عز وجل **بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الاية**
فانه لا يخفى ان في هذه الاية افتنانا عظيما في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم فان
المشاركة في البلية لا سيما مع ابناء الجنس يهون امرها بعض تهوين
وصدر الكلام بالقسم الذي دلت عليه اللام لتاكيد التسلية وتنوين رسل
للتكثير والتعظيم اي رسل ذوو اعدد كثير وايات عظام والجار والمجرور في
قوله من قبلك لغو متعلق بكذبت ويجوز ان يكون مستقرا على انه صفة
لرسل والتقدير والله لقد كذبت من قبل ان تكذب انت يا محمد رسل اولوا
قدر رفيع وشان عزيز واولوا عدد كثير وعلى تقدير كون الجار والمجرور صفة
فالتقدير كذبت رسل كان زمنهم من قبل زمنك وتشتمل الاية على ارشاد

للنبي صلى الله عليه وسلم الى ان يقتدى بمن قبله من الرسل الكرام في الصبر على المصائب
ووعد من الله عز وجل بان يمنحه الله عز وجل مثل ما منح اولئك القوم من النصر
وحث له صلى الله عليه وسلم على الصبر على التكذيب لان غاية النصر حيث قال حتى
اتاهم نصرنا فان هذا غاية للصبر على التكذيب وعلى الايذا بنا على ان او ذوا
معطوف على كذبوا فكانا صلتين لما المصدرية فانسبك منهما مصدران
من المبني للمفعول اي على تكذيبهم وايذائهم فانت يا محمد تاس بهم واصطبر
على ما نالك فان قلت لم لم يذكر ايذائهم اياه بماذا قلت لان انواعه كثيرة وقد
ذكر اعظمها وهو التكذيب فان باقي انواعه انما نشا منه وقيل ان او ذوا
معطوف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استئناف والاتيان
بهذه الغاية وهي قوله عز من قائل حتى اتاهم نصرنا موذن بان نصر الله عز
وجل لعباده المرسلين عليهم جميعا الصلوة والسلام امر مقرر لابد من
وقوعه وانه ياتيهم لا محالة ويشعر بذلك اعظم اشعار اتيانه بنون العظمة
حيث قال نصرنا ولم يقل نصري للاشعار بالاعتناء بشان النصر واعظم ما
ينبه على وقوعه البتة اتيانه بهذه الجملة المعترضة حيث قال ولا مبدل
لكلمات الله فانها معترضة بين جملتين احدهما معطوفة على الاخرى وهي
قوله ولقد جاءك من نبا المرسلين فانها معطوفة على الجملة الاولى وانما اتى
بهذا الاعتراض ليقرر امر النصر لان المراد بكلمات الله ما قدره الله عز وجل
وقضاه وجرت به سنته كما انبا عنه قوله عز من قائل ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
وقوله

وقوله جل من قائل انا لننصر رسلنا والذين امنوا فالى مثل هذا اشار بقوله ولا
مبدل لكلمات الله فان قلت لم التفت الى الاسم الظاهر بعد ان كان
في صدد التكلم فلم يقل ولا مبدل لكلماتنا قلت للاشعار بعلية الحكم فان الله
مشعر بنعت الالوهية ومن موجبات من يسمى بالله ان لا يغالبه غالب
في فعل من الافعال ولا يقع منه خلف في قول من الاقوال لان ايجاد جميع
الاشياء بالنسبة اليه على حد السواء فمن قرا لا يكذبونك بالتخفيف
القاري بذلك نافع والكسائي فمعناه لا يجدونك كاذبا لان افعل قد ياتي
لوجدان الشي على صفة ومعناه ان الفاعل وجد المفعول موصوفا بصفة
مشتقة من اصل ذلك الفعل وتلك الصفة في معنى الفاعل ان كان اصل
الفعل لازما نحو ابخلته اي وجدته بخيلا وفي معنى المفعول ان كان متعديا
نحو احمدته اي وجدته محمودا ويلزم من عدم وجدانه كاذبا علام اعتقادهم
كونه كاذبا وقد قيل ان القرائتين بمعنى واحد مثل اكثر وكثر وانزل ونزل
وقيل بالفرق بينهما ونقل عن الكسائي انه قال العرب تقول كذبت الرجل
بالتشديد اذا نسبت اليه الكذب واكذبته اذا نسبت الكذب الى ما
جاء به دون ان تنسبه اليه وتقول اكذبت الرجل اذا وجدته كاذبا كاحمدته
اذا وجدته محمودا فمعنى لا يكذبونك مخففا لا ينسبون الكذب اليك ولا
يجدونك كاذبا واما التشديد فيكون خبرا محضا عن عدم تكذيبهم اياه
فان قلت هذا محال لان بعضهم قد وجد منه التكذيب له صلى الله عليه وسلم
ضرورة فالجواب انه هذا وان كان منسوبا الى جميعهم بمعنى عدم التكذيب فهو

ربن لفظ جلالته

انما اريد به بعضهم مجازا كقوله عز وجل كذبت قوم لوط المرسلين وان كان فيهم من
لم يكذبهم فهو عام اريد به الخصوص واجيب ايضا بان نفي التكذيب لانتفاء
ما يترتب عليه من المضار فكانه قيل فانهم لا يكذبونك تكذيبا يبالى به ويضرك
لانك لست بكاذب فتكذيبهم كلا تكذيب فهو من نفي السبب لانتفاء
مسببه **وقال الفرا والكسائي** هما امامان عظيمان اما الفرا فهو يحيى بن زياد
ابن عبد الله بن منظور الديلمي ابو زكريا كان ابرع الكوفيين واعلمهم كانت
اهل الكوفة يفتخرون به يقولون لنا ثلاثة فقها في نسق واحد لم ير الناس
مثلهم ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد بن الحسن ولنا ثلاثة نحويون كذلك
علي بن حمزة الكسائي وابو زكريا يحيى بن زياد الفرا وابو العباس احمد بن يحيى ثعلب
قال عبد الملك التاريخي كنا في مجلس محمد بن الجهم نقرا عليه كتاب المعاني
في القران وبين يديه سلة فيها كتب الفرا فقال   يا حبذا ما حوت السلة
من كتب الفرا والملة   وعلمها انتهى الى عالم   من رطب تجنى من النخلة
املها شيخ قديم لنا   في الجانب الشرقي من دجلة   لم يملا اهل النحو امثاله
ولا راينا بعده مثله   عنه عفا الله وعنا واه   ارهقنا قترا ولا ذلة
كان مع علمه ودينه يميل الى الاعتزال قال كنت انا وبشر المريسي في بيت واحد
عشرين سنة ما تعلم مني شيا ولا تعلمت منه شيا وقال سلمة طال تعجبي
كيف كان يعظم الكسائي وهو اعلم بالنحو منه وكان رحمه الله غير منصف
لسيبويه طالع كتابه ولم ينتفع به لانه لم ينظر فيه نظر ناصح لنفسه ولا شاكر
لمن وصل اليه العلم من جهته ولا معترف بالحق فيه ولا صادق في روايته عنه

ما

ترجمة الفرا النحوي

الابيات من السريع

ما اخذ منه فانه سرق بعضا وادعاه لنفسه وستر حق صاحبه فلم يشكره
ونقل عنه مسائل وعزاها الى الخليل وكان محمد بن الحسن الفقيه صاحب
ابي حنيفة رحمهما الله ابن خالة الفرا وكان الفرا يوما جالسا عنده فقال
الفرا كل رجل امعن النظر في باب من العلم فاراد غيره الاسهل عليه فقال
فقال محمد يا ابا زكريا فانت الان قد امعنت النظر في العربية فنسالك عن
باب من الفقه قال هات على بركة الله عز وجل قال ما تقول في رجل صلى فسهى
فسجد سجدتي السهو فسهى فيهما ففكر الفرا ساعة وقال لا شي عليه فقال
له محمد ولم قال لان التصغير عندنا لا تصغير له وانما السجدتان تمام
الصلوة وليس للتمام تمام فقال له محمد ما ظننت ان ادميا يلد مثلك
وله تاليف كثيرة مات رحمه الله تعالى في طريق مكة سنة سبع وماتين وعمره
ثلاث وستون سنة وسمي بالفرا لانه كان يفري الكلام فريا ولم يكن يعمل الفرا
ولا يبيعها رحمه الله واما الكسائي فهو علي بن حمزة ابو الحسين الاسدي
احد القرا السبعة من اهل الكوفة استوطن بغداد وكان اصله من
ناحيتها ودخل الكوفة وهو غلام وقرا على حمزة الزيات وقرا عليه القراة
خلق كثير ببغداد والرقة وسمع الحديث من سفيان بن عيينة قال
الفرا ان الكسائي تعلم النحو على كبر وكان سبب تعلمه انه جا يوما وقد مشى
حتى اعيا فجلس الى الهبارين وكان يجالسهم كثيرا فقال قد عييت
فقالوا له تجالسنا وانت تلحن قال كيف لحنت قالوا له ان كنت اردت
من التعب فقل اعييت وان كنت تريد من انقطاع الحيلة فقل عييت

ترجمة الكسائي النحوي

مخففة فانف من هذه الكلمة ثم قام من فوره ذلك يسال عمن يعلم النحو فارشدوه
الى معاذ الهرا فلزمه حتى انفد ما عنده ثم خرج الى البصرة فلقي الخليل بن احمد
وجلس في حلقته وله اخبار كثيرة حسنة يطول ذكرها فارجع الى طبقات
القرا لابن الجزري والى طبقات النحاة للقفطي تجد فضائل هذا الامام
ويكفيك في شانه قول امامنا الشافعي رضي الله عنه من اراد ان يتبحر في النحو
فهو عيال على الكسائي مات الكسائي وهو في صحبة امير المؤمنين الرشيد
وفاة الامام محمد بن الحسن صاحب الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنهما
ببلد الري في سنة ثمانين ومائة وفيها مات محمد بن الحسن صاحب
ابي حنيفة وقال ثعلب ماتا في يوم واحد ودفنهما الرشيد بقرية اسمها
رنبويه وقال اليوم دفنت الفقه والنحو ورثاهما اليزيدي تلميذ الكسائي فقال

من الطويل

تصرمت الدنيا فليس خلود • وما قد نرى من بهجة سيبيد
سيفنيك ما افنى القرون التي مضت • فكن مستعدا فالفناء عتيد
اسيت على قاضي القضاة محمد • فاذريت دمعا والفواد عميد
وقلت اذا ما الخطب اشكل من لنا • بايضاحه يوما وانت فقيد
واوجعني موت الكسائي بعده • وكادت بي الارض الفضاء تميد
واذهلني عن كل عيش ولذة • فارق عيني والعيون هجود
هما عالمان اوديا وتخرما • وما لهما في العالمين نديد

وفضايلهما تابطوس بلغ عمره سبعين سنة قال ابو مسحل عبد الوهاب
ابن حريش رايت الكسائي في النوم فقلت ما فعل الله عز وجل بك قال
غفر لي بالقران قلت ما فعل حمزة الزيات وسفيان الثوري قال فوضا
ما

ما نراهما الا كالكواكب الدرية والحاصل ان القرا والكسائي قالا معنى لا يكذبونك
بالتخفيف لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه
نقل المصنف لقراة التخفيف معنيين الاول ان معناه لا يقولون انك كاذب
فالهمزة في اكذب الذي هو ماضي يكذبونك للتعدية لان معناه حينئذ انهم
لا يصيرونك بقولهم كاذبا فان التعدية معناها ان تضمن الفعل معنى التصيير
فيصير الفاعل في المعنى مفعولا للتصيير فاعلا لاصل الفعل في المعنى الثاني
ان معناه لا يثبتون كذبك اي لا يقدرون على ذلك بحجة ولا بدليل
وكيف يقدر العاقل على ان يثبت ما ليس بواقع واقعا وما هو محال موجودا
حاصلا فالهمزة ايضا فيه للتعدية ومعناها تقرر لكنه في الاول تقديره
لا يصيرونك كاذبا بالقول وفي هذا الوجه معناه لا يصيرونك كاذبا
بالاثبات واقامة الدليل فعلى التقدير الاول المعنى لم يقل احد منهم
انك كاذب وعلى الثاني المعنى لم يقدر احد منهم ان يثبت كونك كاذبا
وان قاله بلسانه او اعتقده بجنانه وقد قيل في لا يكذبونك معنى اخر
وهو ان الهمزة فيه للنسبة اي لا ينسبونك الى الكذب على حد
قول الكميت • وطائفة قد اكفرتني بحبكم • وطائفة قالوا مسيء ومذنب •
اي نسبتني الى الكفر وكون الهمزة للنسبة هو الذي عبر عنه الصرفيون بقولهم
ان افعل ياتي لصيرورة الشي ذا كذا اي لصيرورة الشي منسوبا الى ما
اشتق منه الفعل كاغد البعير اي صار ذا غدة وفي الصحاح ومنه اوسع
الرجل اي صار ذا سعة ومن قرا بالتشديد القارى بذلك ما عدا الكسائي

من الطويل

ونافعا من القرا فمعناه لا ينسبونك الى الكذب لان صيغة فعّل
بتشديد العين تاتي كثيرا بمعنى النسبة وهي داخلة في معنى التعدية
لانها لصيرورة الفاعل في المعنى مفعولا للتصيير فاعلا لاصل الفعل فاذا
قلت فرّحت زيدا فمعناه صيرت زيدا ذا فرح واما النسبة فهي كذلك
الا ان معناها صيرته منسوبا الى كذا كما تقول فسّقته فانه ليس معناه
صيرته ذا فسق وانما معناه صيرته منسوبا الى الفسق وكذلك هنا معناه
لا يصيرونك بالاعتقاد منسوبا الى الكذب وقيل معناه لا يعتقدون
كذبك فعلى هذا يكون التضعيف للتعدية اي لا يصيرونك بالاعتقاد
كاذبا وان كانوا يكذبونك بالسنتهم لغلبة نائرة الحسد عليهم ومما ذكر
من خصائصه وبره الله عز وجل به ان الله عز وعلا خاطب جميع
الانبياء باسمائهم فقال يا ادم يا نوح يا ابرهيم يا داود يا عيسى
يا زكريا يا يحيى ولم يخاطبه الا بيا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها
المزمل يا ايها المدثر وانما ادخل فيها حرف النداء على اي ولم يقل ابتداء
يا رسول يا نبي ونحو ذلك ليتاتى له الايضاح بعد الابهام فيكون اوقع
في النفس وهذه خاصة تنبئ عن رفعة قدر المصطفى صلى الله عليه
وسلم وعلو شانه على سائر النبيين لان السيد اذا دعا بعض عبيده
باوصافه المرضية واخلاقه العلية ودعا غيره باسم العلم الذي
لا اشعار له الا بالذات المشخصة ولم يشعر بوصف من الاوصاف
دل على ان منزلته عنده اقرب من منزلة غيره وهذا معلوم عرفا
واما

الكلام على المزمل والمدثر

واما المزمل فاصله المتزمل قلبت التاء زايا وادغمت في الزاي وماضيه
تزمل اسكنت التاء وادغمت في الزاي وجيء بهمزة الوصل ولا يلتبس
بغيره لا يكون مانعا من الادغام لانه لم يوجد في كلامهم افعل على زنة
ازمل واختلف في معناه فقيل المتحمل يقال زمل الشيء اذا حمله ومنه
الزاملة تحمل القماش وقيل معناه المتلفف يقال تزمل وتدثر بثوبه اذا
تغطى به وهو في هذه السورة خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فقيل معناه
المتزمل بالنبوة والرسالة الملتزم لهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اي
يا ايها الذي زمل هذا الامر اي حمله وقيل المزمل بالقران وقيل بثيابه قال
النخعي كان متزملا بقطيفة وعن عائشة رضي الله عنها بمرط طوله اربعة
عشر ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يصلي والله ما كان خزا ولا قزا ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه
شعرا ولحمته وبرا ذكره الثعلبي وهذا من ام المومنين رضي الله عنها يدل على
ان السورة مدنية فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة وما
ذكر من انها مكية لا يصح ويمكن ان يكون نزولها تكرر كما في كثير من الايات
والسور وقيل تزمل بثيابه لمهابته وقيل بلغه من المشركين سوء
فتزمل في ثيابه وتدثر وقيل كان هذا في ابتدا ما اوحي اليه فانه
لما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة فاتى اهله وقال زملوني
دثروني قال البيهقي ليس المزمل اسما من اسما النبي صلى الله عليه وسلم
يعرف به كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه في اسمائه والمزمل اسم

اشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان
احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة
سموها باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي
الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه
التراب قم ابا تراب اشعارا له انه غير عاتب عليه وملاطفة له واشعارا
بترك العتب والتانيب فقول الله عز وجل لخليله محمد صلى الله عليه وسلم
يا ايها المزمل قم الليل فيه تانيس وملاطفة ليستشعر انه تعالى
وتقدس غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد
ليله ليتنبه الى قيام الليل ثم ذكر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
بالاسم العلم فقال محمد رسول الله وقال وما محمد الا رسول الى غير ذلك لان
ذكر تعريفه بالعلم الشخصي الذي لا يحمل على غيره تنبيها على تعريف المخاطبين
بمضمون ما سيق الكلام له بحيث لا يحتمل غيره وفي بعض المواضع التي
لا تعليم فيها ذكره بعنوان الرسالة والنبوة فقال في موضع لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة وفي اخر النبي اولى بالمومنين ولكل مقام مقال
واما المدثر اي يا ذا الذي تدثر بثيابه اي تغشى بها ونام واصله المتدثر
فادغمت التا في الدال لتجانسهما وقرا ابي المتدثر على الاصل وسبب
تسميته بالمدثر ما وقع منه في بدء الوحي ففي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم
فخشيت منه فرقا فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله
عز وجل يا ايها المدثر وفي رواية للبخاري فاتيت خديجة رضي الله عنها فقلت

دثروني

دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر وقيل جرى على النبي صلى الله
عليه وسلم من عقبة بن ابي معيط امر فتراجع الى منزله مغموما فقلق
واضطجع فنزلت يا ايها المدثر وهذا باطل مخالف لما ثبت في الصحيح
وقيل اجتمع ابو لهب وابو سفين والوليد بن المغيرة والنضر بن
الحارث وامية بن خلف والعاص بن وائل والمطعم بن عدي
وقالوا قد اجتمعت وفود العرب في ايام الحج وهم يتساءلون عن محمد امره
صلى الله عليه وسلم وقد اختلفتم في الاخبار عنه فمن قائل يقول مجنون
واخر كاهن واخر يقول شاعر وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع في
رجل واحد فسموا محمدا صلى الله عليه وسلم باسم واحد تجتمعون عليه
وتسميه العرب به فقام منهم رجل فقال شاعر فقال الوليد سمعت
كلام ابن الابرص وامية بن ابي الصلت وما يشبه كلام محمد صلى الله
عليه وسلم كلام واحد منهم كذا فقالوا كاهن فقالوا الكاهن يصدق
ويكذب وما كذب محمد صلى الله عليه وسلم قط فقام اخر فقال مجنون فقال
المجنون يخنق الناس وما خنق محمد صلى الله عليه وسلم قط وانصرف الوليد
الى بيته فقالوا صبا الوليد بن المغيرة فدخل عليه ابو جهل فقال ما لك
يا ابا عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيئا يعطونكه زعموا انك قد احتجت
وصبات فقال الوليد ما لي الى ذلك حاجة ولكني فكرت في محمد صلى الله عليه وسلم
فقلت ما يكون من الساحر فقيل يفرق بين الاب وابنه وبين الاخ واخيه
وبين المراة وزوجها فقلت انه ساحر شاع هذا في الناس وصاحوا يقولون

محمد صلى الله عليه وسلم ساحر ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته محزونا
فتدثر بقطيفة ونزلت يا ايها المدثر فان قلت لم لم يناده ربه عز وعلا
يوم القيمة حين يستاذنه في الشفاعة فيقول له الله عز وجل ارفع محمدا اي
يا محمد وقل يسمع واشفع تشفع وفي رواية يا محمد ارفع راسك بيا ايها النبي
او بيا ايها الرسول كما ناداه في القران بذلك قلت ويل لعل الحكمة في عدم
مخاطبته في مقام الاذن له بالشفاعة بمثل يا ايها النبي ونحوه مما هو اطول من
يا محمد اظهار كمال الرحمة للمشفوع له وكمال التعظيم للمستاذن له في الشفاعة
بترك اطالة الكلام قبل ما هو المقصود من ذكر ما يدل على الاذن وقبول
الاستئناف ولذا قدم ارفع على محمد وحذف مفعوله وحرف النداء في الروايه
الاولى اشعارا بذكر ما هو طليعة الاذن اولا واشعارا بالماذون له في اقرب
وقت تعظيما له فافهم واقول سر ندائه صلى الله عليه وسلم بيا ايها النبي حين
انزل الكتاب وارساله الى الناس وذكر في هذه الدار له ثمرتان الاولى
ارشاد الناس الى تصديقه والايمان به وهدايتهم الى اجلاله وتعظيمه
والاخذ باوامره وترك نواهيه اذا راوا وسمعوا ان رب العزة جل
وعلا يجله ويعظمه وينوه بنبوته ولا يناديه الا بعنوانها وبعثته
ليست الا محض ارشاد فعند ذلك تتراكم القلوب على الايمان به
وتتزاحم السرائر على تصديقه حيث علموا ان رب العزة يناديه بهذا الندا
ويوقره هذا التوقير والثانية انه ليس في الدنيا من يواجه الناس باني
رسول الله او اني نبي الله مواجهة معتدا بها حتى اذا ناداه بيا ايها النبي او

[هامش: معه [illegible] كما ناداه [illegible] يا ايها النبي [illegible]]

بيا ايها الرسول يتوهم انصرافه اليه لا سيما والناس قصدوا غيره اولا فلا يرتفع
هذا التوهم الا بان يوتى باسم لا اشتراك فيه فلذا ثمرة وليس له مقر واما يوم
القيمة فقد علمت نبوته ورسالته وسيادته لبني ادم وارتفع الخلاف
وازيل الشقاق وفي ذلك المحشر ما اذا نودي بيا ايها النبي او يا ايها الرسول
يتوهم انصرافه اليه لا سيما والناس قصدوا غيره اولا فلا يرتفع هذا التوهم
الا بان يوتى باسم لا يشاركه فيه مشارك ممن يستحق ان يشفع ويقصد
في الشفاعة وليس ذلك الا بالاسم العلم فان قلت لم لم يقل ارفع راسك
احمد قلت لانه صلى الله عليه وسلم مشهور بمحمد عند اهل الدنيا الذين هم اهل
الموقف يومئذ اكثر من شهرته باحمد فتدبره ❁ ❁ ❁

كان الفراغ من نسخ هذا المجلد صبيحة السبت مستهل المحرم افتتاح
سنة اثنتين وثلاثين بعد الالف على يد العبد الضعيف زين الدين بن احمد
ابن علي بن الحسين بن علي الحلبي الحنفي المعروف بالاسعافي وبالسعيفي
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين اجمعين وذلك بحلب المحروسة
والحمد لله وحده وصلاته وسلامه على من لا نبي بعده وعلى اله واصحابه وازواجه
وذريته والتابعين وتابعيهم المتمسكين بهديه وسنته امين

[هامش: كما كتبنا بلغ ذي حجه / [illegible] السبت / [illegible] / [illegible]]

بسم الله

بسم الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد اللهم اني سميت ما في
هذا البطن محمدا باسم نبيك محمد عليه الصلوة والسلام